# النَّفَحَاتُ الشَّذِيَّةِ فِي
# العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ

تأليف

أبي عبد الرحمن

نعمان بن عبد الكريم الوتر

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

# النَّفَحَاتُ الشَّذِيَّةُ فِي
# العَقِيدَةِ الوَاسِطِيَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ



الطبعة الأولي ٢٠٠٩

رقم الإيداع
٣٥٤٠/ ٢٠٠٩

الرقم القومي
201759

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٠٥٤١١٩١٠ - ٠٣٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

# مُقَدِّمَة

الحمد لله المتفرد بالكمال ، الموصوف بصفات الجلال والجمال ، المتعالي عن النِّد والنظير ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [ الشورى:١١ ] ، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير ، من ترك أمته على المحجة البيضاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

وأشهد أن لا إله إلا الله،وحده لا شريك له،الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،ما ترك خيراً إلا ودلَّ أمته عليه،ولا شراً إلا وحذّرها منه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

**أما بعد :**

« فإنه لا حياة للقلوب ولا نعيم،ولا لذة ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها،بأسمائه وصفاته وأفعاله،ويكون أحب إليها مما سواه، ويكون سعيها فيما يقرب إليه ويدنيها من مرضاته، ومن المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على التفصيل، فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين وإليه داعين ،ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين،وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود ـ سبحانه ـ بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها ، وإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوّف المحبوب المطاع المعبود » [١] ، لذلك قيل: من كان بالله أعرف كان منه أخوف .

« فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور،وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه،

---

( ١ ) الصواعق المرسلة ( ١ / ١٥٠ ) .

وأمر الناس أن يردُّوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بُعث به من الكتاب والحكمة وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة ، وقد أخبر أن الله أكمل له ولأمَّته دينهم وأتمَّ عليه نعمته - محال مع هذا وغيره - أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا ، ولم يميز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا ، وما يجوز عليه وما يمتنع عليه .

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس وأدركته العقول ، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد الأنبياء لم يُحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ؟ .

ومن المحال أيضاً أن يكون النبي ﷺ قد علَّم أمته كل شيء حتى الخراءة وقال : «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**» .

وقال فيما صح عنه أيضًا : « **ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم** ».

وقال أبو ذر رضي الله عنه « لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلِّب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه » رواه البخاري .

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقَّت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد ، والوصول إليه غاية المطالب بل هذه خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية .

فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام ؟ .

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها قصَّروا

في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه.

ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة القرن الذي بُعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين به وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين لأن ضد ذلك، إما عدم العلم والقول، وإمَّا اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع.

**أمَّا الأول:** فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم ونهمة في العبادة يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وعظم مطالبه أعني:

**بيان ما ينبغي اعتقاده لا معرفة كيف الرب وصفاته:**

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر. وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي الذي هو من أقوى المقتضيات أن يتخلف عن مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم؟

هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضاً عن الله وأعظمهم إكباباً على طلب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟.

وأمَّا كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه: فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم.

ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، كما قد يقول بعض الأغبياء ممن لم يقدِّر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف، إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك بمنزلة الأُمّيين الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ** ﴾ [ البقرة: ٧٨ ].

وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع

المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلّت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها طريقة السلف .

وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها طريقة الخلف،فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر بالسمع،فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنّوها بيّنات وهي شبهات ، والسمع حرّفوا فيه الكلم عن مواضعه .

**فلما انبنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكفريتين كانت النتيجة :**

استجهال السابقين الأولين واستبلاههم،واعتقاد أنهم كانوا قوماً أُمّيين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله .

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة بل في غاية الضلالة .

كيف يكون هؤلاء المتأخرون ولاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم ، حيث يقول :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرى إلا واضعاً كف حائرٍ ... على ذقنٍ أو قارعاً سن نادمِ

وأقرّوا على أنفسهم بما قالوه متمثلين أو منشئين له فيما صنّفوه من كتبهم ، كقول بعض رؤسائهم :

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ⑤ ﴾ [ طه : ٥ ] ، ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ** ﴾ [ فاطر : ١٠ ] ، واقرأ في النفي ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [ الشورى : ١١ ] ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [ طه : ١١٠ ] ومن جرَّب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي . اهـ .

**ويقول الآخر منهم :** لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها أنا أموت على عقيدة أمي . اهـ .

**ويقول الآخر منهم :** أكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام . اهـ .

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر ،كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا ، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم . وأحاطوا من حقائق المعرفة وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليهم لاستحيا من يطلب المقابلة ، ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ـ لاسيما العلم بالله وأحكامه وأسمائه وآياته ـ من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟.

أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشباههم وأشكالهم أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان ؟ » .

**الدعائم التي ينبني عليها توحيد الأسماء والصفات عند أهل السُّنَّة والجماعة:**

**وبعد ما سبق ينبغي أن يعلم أن توحيد الأسماء والصفات عند أهل السُّنَّة والجماعة ينبني على دعائم ثلاث لا قيام له إلا بها :**

**الأولى :** وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - إثباتًا بلا تمثيل، سواءً كانت صفات ذاتية أو فعلية ، الذاتية كالوجه واليدين والعينين والعلو والرحمة والحكمة والحياة والعلم وغير ذلك،والفعلية كالاستواء والنزول والرضى والغضب والفرح والضحك وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [ الأعراف : ١٨٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ** ﴾ [ النحل : ٦٠ ] ، وقال سبحانه : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ⑪ ﴾ [ الشورى : ١١ ] ، وقال سبحانه : ﴿ **فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ⑭ ﴾ [ النحل : ٧٠ ] .

**الثانية:** تنزيه الله عن النقائص والعيوب تنزيهًا بلا تحريف أو تعطيل، قال تعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [ الإسراء : ٣٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ㉝ ﴾ [ الأعراف : ٣٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [ طه : ١١٠ ]،وقال سبحانه :﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ⑪ ﴾ [الشورى : ١١ ] .

**الثالثة :** قطع الطمع عن إدراك كنه صفات الله وكيفيتها لأن الله أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها ،وقد سُئل الإمام مالك - رحمه الله - : ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ⑤ ﴾ [ طه : ٥ ] ، كيف استوى ؟ .

**فأجاب:** « الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ».

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٤ / ٤):**

وهذا الجواب من مالك في الاستواء كافٍ شافٍ في جميع الصفات مثل النزول والمجيء واليد والوجه وغيرها .

**فيقال في مثل النزول:** النزول معلوم ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

وهكذا يقال في سائر الصفات إذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسُّنَّة .

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٢٥):**

القول في الصفات كالقول في الذات، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإذا كان له ذات حقيقية لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات .

**فإذا قال السائل كيف استوى على العرش ؟**

**قيل له كما قال ربيعة ومالك وغيرهما:** الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عن الكيفية بدعة ، لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة عنه .

وكذلك إذا قال : كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ؟ .

قيل له : كيف هو ؟ .

فإذا قال : لا أعلم كيفيته . قيل له : ونحن لا نعلم كيفية نزوله إذ العلم بكيفية الصفة تستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع له وتابع له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفية سمعه وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته ؟ أهـ .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق (١٣٠):**

قال ابن الماجشون والإمام أحمد وغيرهما من السلف : إنَّا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه . اهـ .

إذا علم ما سبق بان بجلاءٍ أن عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في هذا الباب مبنيّة على كتاب الله وما صح من سُنَّة رسول الله ﷺ ،وما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين بعيداً عن تعقيدات وتخرِّصات المناطقة والفلاسفة والمتكلمين المتكلفين القائلين في الله وعلى الله مالا يعلمون ، وكم أفسد علم المنطق والكلام من العقول والقلوب والفطر، وهذه العلوم ليست من العلوم الشرعية ولاهي خادمة لها ولكنها وضعت لمعارضتها والتشكيك فيها ،ولذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله- : ما رأيت أحد ارتدى بالكلام فأفلح، ولما كلمه حفص الفرد من أهل الكلام قال :لأن يبتلي الله العبد بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله -عز وجل- خيراً له من أن يُبتلى بالكلام.

**وقال رحمه الله :** حكمي في أصحاب الكلام أن يصفعوا وينادى بهم في العشائر والقبائل هذا جزاء من ترك السُّنَّة وأخذ بالكلام .

## متى حدثت البلية بكتب المتكلمين وفلاسفة اليونان :

**قال العلامة السفاريني في لوامع الأنوار البهية (١ / ٩) :**

**قال العلماء :** إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى -أظنه صاحب جزيرة قبرص- طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عنده مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصَّه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا واحد فإنه قال : جهزها إليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها . اهـ .

**قال الشيخ محب الدين الخطيب -رحمه الله- في تعليقه على العواصم لابن العربي بعد أن أورد النص السابق (ص ٢٦٥) :**

ومن الجدير بالذكر أن أولئك النصارى قد طمروا هذه الفلسفة تحت الأرض تخلصاً من شرها لما لمسوه من فسادها وهدمها للدين والفضيلة .

أحل قد تحقق بالمسلمين تنبؤ الخبر ، فما كاد علماء المسلمين بعد أن بلغ مجد الإسلام ذروته في القوة والفتح والعلم يشتغلون بفلسفة اليونان حتى راحوا يؤولون

نصوص الشريعة الإسلامية حتى تتفق مع هذه الفلسفة، فمسخوا الإسلام وأخذوا يزعمون أن للإسلام ظاهراً وباطناً، ظاهره للعامة وباطنه للعلماء والحكماء ،وأخذوا يشتغلون بعلم الكلام ويسمونه ظلماً وعدواناً بعلم التوحيد ، ولا يكاد يكون فيه من التوحيد إلا الاسم،أما محتواه فهو الفلسفة نفسها وقد حرَّم دراستها كبار علماء السلف وأئمة المذاهب أمثال مالك والشافعي وابن حنبل رضي الله عنهم .

**قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ :**

ما أظن الله يغفل عن المأمون ولابد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة أهـ .

هذا وإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ـ العقيدة الواسطية ـ لمن أنفع وأجمع ما ألفه علماء أهل السُّنَّة والجماعة في بيان عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة لا سيما في باب الأسماء والصفات حيث بنى شيخ الإسلام هذه العقيدة على الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة.

وقد قال ـ رحمه الله ـ لما عقد له الأمير مجلس مناظرة مع خصومه حول هذه العقيدة [١] : ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم،ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلّغ العلم الذي جاء به النبي ﷺ،ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجئ به الرسول لم نقبله ، وهذه عقيدة محمد ﷺ .

**وَقُلْتُ مراتٍ :** قد أمهلت من خالفني في شيء منها ثلاث سنين فإن جاء بحرف واحد عن أحد من القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ حيث قال : **( خير القرون القرن الذي بُعثت فيه ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم )** يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك ، وعليَّ أن آتي بنقول جميع الطوائف عن القرون الثلاثة توافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية وأهل الحديث والصوفية وغيرهم أهـ .

**وقال ـ رحمه الله ـ في ذلك المجلس :** [٢] أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن

( ١ ) مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٦٩ ) .

( ١ ) المصدر السابق ( ٣ / ١٦١ ) .

هو أكبر مني ، بل يؤخذ عن الله ورسوله ﷺ ، وما أجمع عليه سلف الأمة ، فما كان بالقرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم . ا هـ .

هذا وقد استعنت بالله وشرحت هذه العقيدة شرحاً متوسطاً حرصت فيه على إيضاح كلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بكلامه وكلام تلميذه ابن القيم في الغالب إذ أهل البيت أدرى بما فيه .

وأصل هذا الشرح كان إملاءً مني على طلبة العلم بدار الحديث بدماج ـ حرسها الله من المفسدين ـ عام ١٤١٤هـ وتداول كثير من طلبة العلم ذلك الشرح ونفع الله به وله الحمد والمنّة ، ثم قمت بتدريس الكتاب عدَّة مرات آخرها عام ١٤٢٢هـ وأضفت على ذلك الشرح عدَّة إضافات وتوسعت في بعض المباحث حتى صار بهذه الصورة التي بين يديك .

**ومن العجائب ـ والعجائب جمّة ـ قول بعض الناس** : إن الكلام على مسائل الصفات وكثير من الشركيات والعقائد الباليات من الأمور التي أكل عليها الزمان وشرب ، وإن الخوض في هذا دخول في معركة لا خصم فيها . . !!

وليت هؤلاء الذين يتشدقون بنصرة الإسلام والغيرة عليه وبفقه الواقع فقهوا واقع الأمة الإسلامية اليوم ، وليتهم إذ جهلوا سكتوا وكلامهم يذكرنا بقول القائل :

وهبك تقول إن الصبح ليل أيعمى الناظرون عن الضياء؟

أليس للرفض دول ؟؟ ، وللتصوف معاقل وقادة وكتب وجامعات ودعاة وقنوات وأربطة وطرق ومزارات؟.

أليس للاعتزال والتمشعر كتب تدرَّس في جامعات ومساجد؟؟ ، ولها من حملة الشهادات من يدرِّس تلك العقائد وينافح عنها؟؟.

أليست البلاد الإسلامية ـ مع الأسف ـ مليئة بالأضرحة والمزارت التي تُعبد من دون الله، يذبح لها وينذر لها وتشد الرحال إليها ، ويُهتف عند الشدائد بأسماء

أصحابها ، ويطلب منهم ما لا يطلب إلا من الله؟ .

أليس السحرة والمشعوذون قد ملئوا السهل والجبل حتى أصبحت لهم قنوات فضائية يبثُّون شركهم وسمومهم من خلالها؟ .

والحقيقة التي لامناص عنها أن هؤلاء لم يعرفوا طريقة الرسل في التربية والإصلاح وليس عندهم حرص على تعلمها وتعليمها ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، ومن جهل شيئاً عاداه كيف وصفوف هؤلاء لم تَصْفَ من كثير من هذه البلايا ، فلا للإسلام نصروا ولا لأعدائه كسروا، بل ربما وقفوا مع أعداء الإسلام في خندق واحد بحجج واهية كبيت العنكبوت وفتحوا على الإسلام وأهله من الشر والبلاء ما الله به عليم ، ودوماً ينقلون الناس من نكبة إلى أخرى ، ومن سيء إلى أسوأ ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [ النور : ٤٠ ] .

نسأل الله أن يهدينا وإياهم إلى صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسُن أولئك رفيقًا .

هذا وأسأل الله العليَّ العظيم، البرّ الرحيم، الجوّاد الكريم ، أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم مدنياً لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم، وأن يجعله حجة له لا حجةً عليه ، وأن ينفع به من انتهى إليه، إنه خير مسئول ، وأكرم مأمول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، واستن بسُنَّته إلى يوم الدين .

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

تأليف أبي عبد الرحمن
نعمان بن عبد الكريم الوتر

## سبب تأليف العقيدة الواسطية

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٢ / ١٦٤):**

إن سبب كتابتها أنه قدم عليَّ من أرض واسط بعض قضاة نواحيها ـ شيخ يقال له: رضي الدين الواسطي من أصحاب الشافعي ـ رحمه الله ـ قدم علينا حاجاً وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد وفي دولة التتر من غلبة الجهل، والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته، فاستعفيت من ذلك وقلت: قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السُّنَّة. فألح في السؤال وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت، فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر. اهـ.

**وقد افتتح شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه العقيدة بالبسملة وفي ذلك عدة فوائد:**

[١] الاقتداء بكتاب الله سبحانه وتعالى.

[٢] التاسي بهدي رسول الله ﷺ، فقد كان يبتدئ مكاتباته للملوك بالبسملة.

[٣] التبرك والتيمن بالبداءة بسم الله.

[٤] السير على ما سار عليه أهل العلم والفضل عبر العصور.

**وللعلماء كلام كثير حول البسملة فمنهم من أطال النفس في الكلام عليها من عدة جهات ومنهم دون ذلك، ومن أحسن وأسلم ما وقفت عليه في ذلك مع اختصاره كلام للعلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ في شرحه للواسطية ص ٢٧-٢٨ حيث قال:**

البداءة بالبسملة هي شأن جميع المؤلفين إقتداءً بكتاب الله حيث أنزل البسملة في ابتداء كل سورة واستناداً إلى سُنَّة الرسول ﷺ.

وإعراب البسملة ومعناها تكلم فيه الناس كثيراً، وفي متعلقها وأحسن ما يقال في ذلك أنها متعلقة بفعل محذوف متأخر مناسب للمقام، فإذا قدمتها بين يدي

الأكل يكون التقدير :بسم الله آكل ، وبين يدي القراءة يكون التقدير: بسم الله أقرأ .

نقدره فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال لا الأسماء ، ولذا كانت الأفعال تعمل بلا شرط والأسماء لا تعمل إلا بشرط، لأن العمل أصل في الأفعال، فرع في الأسماء ونقدره متأخراً لفائدتين :

**الأولى :** الحصر لأن تقديم المعمول يفيد الحصر فيكون باسم الله أقرأ بمنزلة لا أقرأ إلا باسم الله .

**الثانية :** تيمناً بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى .

ونقدره خاصاً لأن الخاص أدل على المقصود من العام ، إذ من الممكن أن أقول : التقدير : باسم الله أبتدئ لكن باسم الله أبتدئ لا تدل على تعيين المقصود ، ولكن ( باسم الله أقرأ ) خاص ، والخاص أدلُّ على المعنى من العام .

« **الله** » علم على نفس الله عز وجل ، ولا يسمى به غيره ، ومعناه : المألوه أي المعبود محبة وتعظيمًا ، وهو مشتق على القول الراجح لقوله تعالى ﴿ **وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ** ﴾ [الأنعام: ٣] ، فإن ﴿ **فِي السَّمَوَاتِ** ﴾ متعلق بلفظ الجلالة ، يعني هو المألوه في السماوات وفي الأرض .

﴿ **الرَّحْمَنِ** ﴾ : فهو ذو الرحمة الواسعة ، لأن ( فعلان ) في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء كما يقال : رجل غضبان إذا امتلأ غضباً .

﴿ **الرَّحِيمِ** ﴾ : اسم يدل على الفعل لأنه فعيل بمعنى فاعل فهو دال على الفعل .

فيجتمع من ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ أن رحمة الله واسعة وأنها واصلة إلى الخلق ، وهذا ما أومأ إليه بعضهم بقوله :الرحمن رحمة عامة والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين، ولما كانت رحمة الله للكافر رحمة خاصة في الدنيا فقط فكأنها لا رحمة لهم لأنهم في الآخرة يقول تعالى لهم إذا سألوا الله أن يخرجهم من النار وتوسلوا إلى الله تعالى بربوبيته واعترافهم على أنفسهم : ﴿ **رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧)** ﴾ فلا تدركهم الرحمة ، بل يدركهم العدل ، فيقول الله عز وجل لهم : ﴿ **قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)** ﴾ [ المؤمنون : ١٠٧-١٠٨ ] . اهـ .

## الحمــد لله

## ﴿ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ ﴾

قوله : **الحمد لله .**

الألف واللام في الحمد تفيد الاستغراق لجميع المحامد ، فدل على أن الحمد كله لله . اهـ مجموع الفتاوى( ١ / ٨٩ ) .

فهو خبر يتضمن الإنشاء بخلاف المدح فإنه خبر مجرد. انظر بدائع الفوائد ( ٢ / ٩٣ ).

**تعريف الحمد:** قال الإمام العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد( ٢ / ٩٣ ) : الحمد : إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه . اهـ .

### أنواع الحمــد :

**حمد الله نوعان :**

**الأول : حمدٌ على كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، ومنه قوله تعالى :**

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا (١١١) ﴾ [ الإسراء: ١١١ ] ، وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ ﴾ [ سبأ : ١ ] ، وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [ الأنعام : ١ ] .

وقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [ فاطر : ١ ] .

**الثاني : حمدٌ على كمال إنعامه وإحسانه إلى عباده ، ومنه قوله تعالى :**

﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣ ] ، وقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [ إبراهيم : ٣٩ ] ، وقوله: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ

نشاءُ فنِعْم أجْرُ الْعَاملِينَ (٧٤) ﴾ [ الزمر : ٧٤ ] ، وقوله : ﴿ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [ المؤمنون : ٢٨ ] .

وما رواه مسلم برقم ( ٢٧٣٤ ) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**» .

وانظر مجموع الفتاوى( ١٠ /٤٨ ، ١١ /١٣٣-١٣٤ ) ، وطريق الهجرتين ( ص١٣٦ )، مدارج السالكين ( ٢ /٢٥٦ – ٢٥٧ ) .

## الفرق بين الحمد والشكر :

بين الحمد والشكر عمومٌ وخصوصٌ وجهي ، فالحمد أعم من الشكر من جهة أسبابه فإنه يكون على نعمة وعلى غير نعمة بخلاف الشكر فإنه لا يكون إلا على نعمة ، والشكر أعمُّ من الحمد من جهة أنواعه ، فإنه يكون بالقلب واللسان واليد ، والحمد لا يكون إلا بالقلب واللسان، فالحمد أعمُّ متعلقاً وأخص آلة ، والشكر أعمُّ آلة وأخص متعلقاً .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في الفتاوى الكبرى ( ١ / ١٨١ ):**

الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواءاً كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن ، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر ،لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله يُحمدُ على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى وما خلقه في الآخرة والأولى ، ولهذا قال : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء:١١١]، وقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [ الأنعام : ١ ] . وقال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [ فاطر : ١ ] .

أما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام ، فهو أخصٌّ من الحمد من هذا الوجه لكنه يكون بالقلب واليد واللسان .

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

فالحمد أعمُّ متعلقاً وأخص آلة، والشكر أعم آلة وأخص متعلقاً، والحمد إنما يكون بالقلب واللسان ، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه والحمد أعم من جهة أسبابه . اهـ .

وانظر مجموع الفتاوى ( ١١ / ١٣٣-١٣٤ )، ( ١٤ / ٣٠٨ ) ومدارج السالكين ( ٢/٢٥٦ – ٢٥٧ ) .

## الفرق بين الحمد والمدح :

**قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد (٢ / ٩٣-٩٤ ) :**

( ... **فالصواب في الفرق بين الحمد والمدح أن يقال :** الإخبار عن محاسن الغير إما أن يكون إخباراً مجرداً من حب وإرادة أو مقرونا بحبه وإرادته، فإن كان الأول فهو المدح وإن كان الثاني فهو الحمد ، فالحمد إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبراً يتضمن الإنشاء بخلاف المدح فإنه خبر مجرد فالقائل إذا قال : « الحمد لله » ، أو قال « ربنا لك الحمد » تضمن كلامه الخبر عن كل ما يحمد عليه تعالى باسم جامع محيط متضمن لكل فرد من أفراد الحمد المحققة والمقدرة، وذلك يستلزم إثبات كل كمال يحمد عليه الرب تعالى،ولذا لا تصلح هذه اللفظة على هذا الوجه ولا تنبغي إلا لمن هذا شأنه وهو الحميد المجيد ، ولما كان هذا المعنى مقارناً للحمد لا تتقوم حقيقته إلا به فسره من فسره بالرضى والمحبة وهو تفسير له بجزء مدلوله بل هو رضاء ومحبة مقارنة للثناء، ولهذا السر -والله أعلم- جاء فعله على بناء الطبائع والغرائز، فقيل حَمِد لتضمنه الحب الذي هو بالطبائع والسجايا أولى وأحق من فهم وحذر وسقم ونحوه، بخلاف الإخبار المجرد عن ذلك وهو المدح فإنه جاء على وزن فعل فقالوا : مدحه لتجرد معناه من معاني الغرائز والطبائع، فتأمل هذه النكتة البديعة ، وتأمل الإنشاء الثابت في قولك : « ربنا لك الحمد » ، وقولك : « الحمد لله » كيف تجده تحت هذه الألفاظ ، ولذلك لا يقال

موضعها: المدح لله ، ولا ربنا لك المدح ، وسره ما ذكرت لك من الإخبار بمحاسن المحمود إخباراً مقترناً بحبه وإرادته وإجلاله وتعظيمه . ا هـ .

## الفرق بين الحمد والمدح والثناء والمجد. :

**قال الإمام العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائعه ( ٢ / ٩٤-٩٦ ) :**

**نذكر تقسيماً جامعاً لهذه المعاني الأربعة،أعني الحمد والمدح والثناء والمجد فنقول:**

الإخبار عن محاسن الغير له ثلاثة اعتبارات ، اعتبار من حيث المُخْبَرُ به ،واعتبار من حيث الإخبار عنه بالخبر ، واعتبار من حيث حال المُخْبِرُ ، فمن حيث الإعتبار الأول ينشأ التقسيم إلى الحمد والمجد فإن المُخْبَر به إما أن يكون من أوصاف العظمة والجلال والسعة وتوابعها أو من أوصاف الجمال والإحسان وتوابعها، فإن كان الأول فهو المجد وإن كان الثاني فهو الحمد ، وهذا لأن لفظ ( م ج د ) في لغتهم يدور على معنى الإتساع والكثرة فمنه قولهم : « أمجد الدابة علفاً » أي : أوسعها علفاً، ومنه مجَّد الرجل فهو ماجد إذا كثر خيره وإحسانه إلى الناس قال الشاعر :

أنت تكون ماجد نبيل إذا تهب شمأل بليل

**ومنه قولهم :** في كل الشجر نار واستمجد المرخ والعفار، أي كثرت النارفيهما .

ومن حيث اعتبار الخبر نفسه ينشأ التقسيم إلى الثناء والحمد ، فإن الخبر عن المحاسن إما متكرر أو لا ، فإن تكرر فهو الثناء وإن لم يتكرر فهو الحمد، فإن الثناء مأخوذ من الثني وهو العطف ورد الشيء بعضه على بعض ومنه ثنيت الثوب، ومنه التثنية في الاسم فالمُثَنِّى مكرر لمحاسن من يثنى عليه مرة بعد مرة .

ومن جهة اعتبار حال المخبر ينشأ التقسيم إلى المدح والحمد، فإن المُخْبِرُ عن محاسن الغير إما أن يقترن بإخباره حب له وإجلال أو لا ، فإن اقترن به الحب فهو الحمد وإلا فهو المدح.

فحصِّل هذه الأقسام وميِّزها ثم تأمل تنزيل قوله تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ حين يقول العبد : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فيقول الله : حمدني عبدي،

فإذا قال ﴿الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قال : أثنى علي عبدي لأنه كرر حمده ، فإذا قال : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . قال مجّدني عبدي فإنه صفة الملك والعظمة والجلال .

فاحمد الله على ما ساقه إليك من هذه الأسرار والفوائد عفواً لم تسهر فيها عينك ولم تسافر فيها فكرك عن وطنه، ولم تتجرد في تحصيلها عن مألوفاتك، بل هي عرائس معانٍ تُجلى عليك وتزف إليك، فلك لذة التمتع بها ومهرها على غيرك ، لك غنمها وعليه غرمها . اهـ .

**قوله : ( الحمد لله الذي أرسل رسوله ) .**

( أي جميع أوصاف الكمال ثابتة لله على أكمل الوجوه وأتمها ، ومما يحمد عليه نعمه على العباد التي لا يُحصي أحد من الخلق تعدادها وأعظمها إرساله محمداً ﷺ رحمة للعالمين ) (١) .

**قوله : (بالهدى ودين الحق) .**

الباء هنا للمصاحبة ، ويحتمل أن تكون للتعدية أي أن المرسل به هو الهدى ودين الحق (٢) .

**وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :** الهدى : العلم النافع، ودين الحق : العمل الصالح.

**وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره في الكلام على هذه الآية :** فالهدى هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة والإيمان الصحيح والعلم النافع، ودين الحق هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة . اهـ .

( والعلم النافع هو كل ما جاء به النبي ﷺ من الإخبارات الصادقة والأوامر والنواهي وسائر الشرائع النافعة ) (٣) .

---

(١) التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة ص ١١ .

(٢) انظر شرح الواسطية للعلامة ابن العثيمين ( ٢٩ )

(٣) شرح الواسطية للفوزان ص ٨

**والهداية هدايتان :**

**الأولى :** هداية دلالة وبيان ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ** ﴾ [ فصلت : ١٧ ] ، ومنه ﴿ **ولكُلِّ قَوْمٍ هادٍ** ﴾ [ الرعد : ٧ ] . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وإنَّكَ لتَهْدي إلَىٰ صِراطٍ مُّسْتَقيمٍ** ﴾ [ الشورى : ٥٢ ] . وقوله : ﴿ **إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ [الإسراء : ٩ ] .

ومنها ما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . ( **لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النَّعم** ) .

**الثانية :** هداية إلهام وتوفيق ومنها قوله تعالى : ﴿ **إنَّكَ لا تَهْدي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدي مَن يَشَاءُ** ﴾ [القصص : ٥٦ ] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾ [الكهف : ١٧ ] ، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ** ﴾ [الزمر : ٣٧ ] ، ومنه قوله ﷺ : ﴿ **من يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ** ﴾ [ الأعراف : ١٨٦ ] .

**والفرق بين الهدايتين من جهتين :**

**الأولى :** أن هداية الإلهام والتوفيق خاصة بالله لا يقدر عليها سواه، وأما هداية الدلالة والبيان فإنها تتعلق بالرسول ومن اتبعه ، وبالقرآن كما سبق .

**الثانية :** أن هداية الإلهام والتوفيق لا بد من حصولها لمن هداه الله إلهاماً وتوفيقاً ولا يمانع منها ممانع، وأما هداية الدلالة والبيان فقد يقع بها الإهتداء وقد لا يقع .

**قوله : ( ودين الحق ) .**

هذا من باب إضافة الموصوف إلى صفته، والدين كما في كتب اللغة يطلق على عدة أشياء منها : الطاعة والجزاء والعادة ، والسلطان ، والحال. انظر إن شئت لسان العرب ( ١٣ / ١١٩-١٢٠ ) .

وقد سبق أن شيخ الإسلام - رحمه الله - فسر دين الحق بأنه العمل الصالح ، والحق ضد الباطل ، وهو مصدر حقَّ يحقُّ أي ثبتَ ووجبَ .

**قال السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٣ / ٢٢٥ ) :**

( **ودين الحق** ) الذي هو العمل الصالح ، فكان ما بعث الله به محمداً ﷺ مشتملاً على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه وأفعاله وفي أحكامه وأخباره ، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده ومحبة الله وعبادته والأمر بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الشِّيَم ، والأعمال الصالحة ، والآداب النافعة ، والنهي عن كل ما يضاد ذلك ويناقضه من الأخلاق ، والأعمال السّيئة المضرّة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة اهـ .

## ( لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ )

قوله : ( لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ) .

اللام للتعليل، ومعنى يظهره أي يعليه ، والهاء في يظهره يحتمل أن تعود على الرسول ﷺ ويحتمل أن تعود على الدين ولا مانع من عود الضمير عليهما معاً .

**قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين ( ٣ / ٤٩٠ ) في الكلام على الآية السابقة :** فيظهره ظهورين : ظهوراً بالحجة والبيان والدلالة ، وظهوراً بالنصر والظفر والغلبة والتأييد حتى يظهره على مخالفيه ويكون منصوراً . ا هـ .

**قال السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٢ / ٢٢٦ ) :**

أي ليعليه على سائر الأديان بالحجة والبرهان والسَّيف والسِّنان . ا هـ .

وقد جاء في صحيح مسلم برقم ( ٢٨٨٩ ) ، من حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أُمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها )** .

وروى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذُل ذليل ، عزاً يُعز الله به الإسلام ، وذُلاً يذل الله به الكفر)** .

وفي صحيح مسلم برقم ( ٢٩٠٧ ) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **( لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى** ، فقلت : يارسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ التوبة :٣٣ ] . أن ذلك تاماً .قال : **( إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم )** .

## ( وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا )

**قوله : ( وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ) .**

**قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السَّعدي ـ رحمه الله ـ :**

وكفى بالله شهيداً على صدق رسوله وحقيقة ماجاء به ، وشهادته تعالى بقوله وفعله وتأييده لرسوله بالنصر والمعجزات والبراهين المتنوعة الدال كل واحد منها فكيف بجميعها على رسالته وصدقه ، وأن جميع ماجاء به هو الحق من عقائد وأخلاق وآداب وأعمال وغيرها . ا هـ التنبيهات اللطيفة ص ١١ .

**وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ :**

( ... ومن ذلك احتجاجه ـ سبحانه ـ على نبوة رسوله ﷺ وصحة ماجاء به من الكتاب ، وأنه من عنده وكلامه الذي تكلم به ، وأنه ليس من صنع البشر بقوله : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (٢٣) ﴾ [ البقرة : ٢٣ ] ، فأمر من ارتاب في هذا القرآن الذي أنزله على عبده وأنه كلام الله أن يأتي بسورة واحدة مثله، وهذا يتناول أقصر سورة من سوره، ثم سمح له إن عجز عن ذلك أن يستعين بمن أمكنه الاستعانة به من المخلوقين، قال تعالى ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (٣٨) ﴾ [ يونس : ٣٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** (١٣) ﴾ [ هود : ١٣ ]وقال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ** (٣٣) **فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ** (٣٤) ﴾[ الطور : ٣٣ـ ٣٤ ] .

ثم سجَّل عليهم تسجيلاً عامًا في كل مكان وزمان يعجزهم ولو تظاهر عليه الثقلان فقال تعالى : ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** (٨٨) ﴾ [ الإسراء : ٨٨ ] .

فانظر إلى أي موقع يقع من الأسماع والقلوب هذا الحجاج الجليل القاطع الواضح الذي لا يجد طالب الحق ومؤثره ومريده عنه محيداً، ولا فوقه مزيداً ولا وراءه غاية ، ولا أظهر منه آية ، ولا أوضح منه برهاناً ولا أبلغ منه بياناً ، وقال في إثبات نبوة رسوله ﷺ باعتبار المتأمل لأحواله ودعوته وماجاء به ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾** ﴾ [ المؤمنون : ٦٨ – ٧٠ ] .

فدعا ـ سبحانه ـ إلى تدبر القول وتأمل حال القائل ، فإن كون القول كذباً وزوراً يعرف من نفس القول تارة ، وتارة من تناقضه واضطرابه وظهور الكذب عليه ، ويعرف من حال القائل تارة ، فإن المعروف بالكذب والفجور والمنكر والمكر لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله ، ولا يأتي منه من القول والفعل ما يتأتى من البار الصادق من كل فاحشة وغدر وفجور وكذب ، بل قلب هذا وقصده وعمله وقوله يشبه بعضه بعضاً ، وقلب ذلك وقوله وعمله يشبه بعضه بعضاً ، فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول وتأمل سيرة القائل وأحواله ، وحينئذ يتحقق لهم ويتبين حقيقة الأمر وأن ما جاء به أعلى مراتب الصدق ، قال تعالى : ﴿ **قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾** ﴾ [ يونس:١٦ ].

**فتأمل هاتين الحُجَّتَيْن القاطعتين بهذا اللفظ الوجيز :**

**إحداهما :** أن هذا من الله لا من قبلي ولا هو مقدور لي ، ولا من جنس مقدور البشر ، وأن الله لوشاء لأمسك عنه قلبي ولساني وأسماعكم وأفهامكم فلم أتمكن من تلاوته عليكم ، ولم تتمكنوا من درايته وفهمه .

**الحُجَّة الثانية :** أني قد لبثت فيكم عمري إلى حين أتيتكم به وأنتم تشاهدوني وتعرفوني وتصحبوني حضراً وسفراً ، وتعرفون دقيق أمري وجليله وتحققون سيرتي ، هل كانت سيرة من جاهر ربه بالكذب والفرية عليه ، وطلب إفساد العالم وظلم النفوس والبغي في الأرض بغير الحق . هذا وأنتم تعلمون أني لم أكن أحفظ كتب

ولا أخطه بيميني ولا صاحبت من أتعلم منه بل صاحبتم أنتم في أسفاركم من تتعلمون منه وتسألونه عن أخبار الأمم والملوك وغيرها مما لم أشارككم فيه بوجه ، ثم جئتكم بهذا النبأ العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما سيكون على التفصيل ، فأي برهان أوضح من هذا ، وأي عبارة أفصح وأوجز من هذه العبارة المتضمنة له .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ** (٤٦) ﴾ [ سبأ : ٤٦ ] .

**ولما كان للإنسان الذي يطلب معرفة الحق حالتان :**

**إحداهما :** أن يكون مناظراً مع نفسه .

**والثانية :** أن يكون مناظراً مع غيره ، فأمرهم بخصلة واحدة وهي أن يقوموا لله اثنين اثنين ، فيتناظران ويتساءلان واحداً واحداً ، يقوم كل واحدٍ مع نفسه ، فيتفكر في أمر هذا الداعي وما يدعوا إليه ويستدعي أدلة الصدق والكذب ، ويعرض ما جاء به عليها ليتبين له حقيقة الحال ، فهذا هو الحجاج الجليل والإنصاف البيِّن والنصح التام . اهـ . مختصر الصواعق ( ٨٤ - ٨٦ ) .

## وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً به وتوحيداً

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ :**

أي أُقِرُّ وأعترف مُصدِّقاً ومعتقداً أنه لا يستحق الألوهية وهي التفرد بكل كمال إلا الله ، وأنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، ولهذا قال: **(إقراراً به)** أي بالقلب واللسان. **(وتوحيداً)** : أي إخلاصاً لله من كل عبادة قولية أو عملية أو اعتقادية وأعظم ما يُوَحَّدُ به ويُتَقَرَّبُ إليه به تحقيق العقيدة السلفية المحتوي عليها هذا الكتاب،وبتحقيق العقيدة تصلح الأعمال ، وتقبل وتستقيم الأمور. ا هـ . التنبيهات اللطيفة ص ١٢ .

**قلت :** الشهادة هي إخبار بالشيء عن علم به مع اعتقاد صحته وثبوته .

**و( لا إله إلا الله ).**

أي لا معبود بحقٍّ إلا الله ،وكلمة ( لا إله إلا الله ) مشتملة على نفي وإثبات ( وطريقة القرآن أن يقرن النفي بالإثبات ، فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد ،فالنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بدون نفي ، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا حقيقة ( لا إله إلا الله ) [1] .

**ولمعرفة معنى ( لا إله إلا الله ) بجلاءٍ لا بد من معرفة ثلاث مسائل :**

**الأولى:** أن معنى الإله عند أهل السُّنَّة : المعبود المألوه كما قيل :

لله در الغــــانيـــات المده ــــ سبحن واسترجعن من تأله

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :**

الإله : هو المعبود المُطاع .

**وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :**

الإله : الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابةً وإكراماً وتوكلاً .

---

( ١ ) بدائع الفوائد ( ١ / ١٣٤ ) .

ومن أدلة ذلك قوله تعالى : ﴿ الر كتابٌ أُحكمتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصلتْ من لَدُنْ حكيم خبير (١) ألاَّ تعبُدُوا إلاَّ اللَّه ﴾ [ هود : ١ـ ٢ ] ، فأبدل الإله بقوله : ﴿ تَعْبُدُوا ﴾ وهذا تفسير مطابق وهو أقوى أنواع التفاسير .

وقال إبراهيم ﴿ إنني براءٌ مما تعبُدون (٢٦) إلاَّ الَّذي فطرني فإنَّهُ سيهدين (٢٧) ﴾ .
[ الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧ ] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾
[ آل عمران : ٦٤ ] .

**الثانية :** معنى لفظ الجلالة ﴿ اللَّهَ ﴾ وهذا عند أهل السُّنَّة لفظ مشتق كسائر أسماء الله الحسنى واشتقاقه من الألوهية .

**قال ابن عباس رضي الله عنهما كما في تفسير ابن جرير ـ رحمه الله ـ ( ١ / ٥٤ ) :**

والله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين . ا.هـ

**الثالثة :** تقدير الخبر المحذوف في ( لا إله ) ، فقول أهل السُّنَّة التقدير : ( لا إله حق ) استدلالاً بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) ﴾ [ الحج : ٦٢ ] .

**وقد قال الشيخ العلامة ابن عثيمين في شرحه للأصول الثلاثة ص ٦٦ :**

وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة ( حق ) يتبين الجواب عن الإشكال التالي وهو كيف يقال : ( لا إله إلا الله ) مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله ، وقد سمَّاها الله تعالى آلهة وسماها عابدوها آلهة ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) ﴾ [ هود : ١٠١ ] .

**وكيف يمكن أن نُثبت الألوهية لغير الله ـ عز وجل ـ والرسل يقولون لأقوامهم :**
**﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾** [ الأعراف : ٦٥ ـ ٧٣ ـ ٨٥ ] .

والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في ( لا إله إلا الله ) فنقول :

هذه الآلهة التي تُعبد من دون الله هي آلهة لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) ﴾ [ الحج : ٦٢ ] .

ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [ النجم : ١٩ ـ ٢٣ ] .

وقوله ـ تعالى ـ عن يوسف عليه السلام : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [ يوسف : ٤٠ ] .

إذن فمعنى **( لا إله إلا الله )** : لا معبود بحق إلا الله ـ عز وجل ـ ، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدوها ليست حقيقية أي ألوهية باطلة . ا هـ .

قوله : **( وحده لا شريك له )** .

**وحده** : توكيد للإثبات ، **(ولا شريك له)** : توكيد للنفي ، وكل هذا اهتمام بجانب التوحيد ، وكلمة **(شريك)** نكرة في سياق النفي تفيد العموم ، فلا شريك له في ألوهيته ولا ربوبيته ولا أسمائه وصفاته.

قوله : **( إقرارا به وتوحيداً)**.

هذان مصدران مؤكدان لمعنى الجملة السابقة.

والتوحيد أصل مادته في اللغة ( وحد )وقد جاء في معجم مقاييس اللغة ( ٦ / ٩٠ ) أن الواو والحاء والدال أصل واحد يدل على الإنفراد . ا هـ .

( ومعنى وحَّدتُ الله أي نسبته إلى الوحدانية ) [١] .

والتشديد في الفعل ( وحّدت ) : للمبالغة أي بالغت في وصفه بذلك [٢] .

---

( ١ ) لوامع الأنوار ( ١ / ٥٦ - ٥٧ ) .
( ٢ ) المحجة في الحجة ( ١ / ٣٠٥ ) .

**وأما في الاصطلاح فهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :**

**الأول :** توحيد الربوبية .

**الثاني :** توحيد الألوهية .

**الثالث :** توحيد الأسماء والصفات .

وقد قال صاحب تيسير العزيز الحميد - رحمه الله - ص ( ٣٢-٣٣ ) : وسمي دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له ، وواحد في إلاهيته وعبادته لا ندَّ له. اهـ[١] .

(١) زاد المعاد ( ١/ ٨٩ ) .

## وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ :**

الشهادة للرسول بالرسالة والعبودية مقرونة بالشهادة لله بالتوحيد لا تكفي إحداهما عن الأخرى ولا بد فيها من إعتراف العبد بكمال عبودية النبي ﷺ وأنه فاق جميع البشر في كل خصلة كمال، ولا تسمى شهادة حتى يصدقه العبد في كل ما أخبر ويطيعه في كل ما أمر وينتهي عما نهى عنه. ا هـ.التنبيهات اللطيفة ص ١٢ .

**قلت :** قد سبق الكلام على معنى الشهادة .

**قوله ( محمداً ) .**

**اسم مفعول من حَمِدَ فهو محمد إذ كان كثير الخصال التي يُحمَدُ عليها .**

أما نسبه ﷺ ( فهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق ، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه يشهدون له بذلك ، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم ، فأشرف القوم قومه ، وأشرف القبائل قبيلته ، وأشرف الأفخاذ فخذه ، فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، إلى ها هنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام ، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدَّس الله روحه ـ يقول : هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بِكْره وفي لفظ وحيده، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده ، والذي غرَّ أصحاب هذا القول أن في التوراة التي بأيديهم إذبح ابنك إسحاق ، قال :

وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله : اذبح بكرك ووحيدك .اهـ

**قوله ( عبده ورسوله ).**

فيه رد على أهل الغلو والجفاء ، فهو كما قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ تعالى :

عبد فلا يُعبد ، ورسول فلا يكذب،وإضافة العبودية والرسالة إلى الله إضافة تكريم وتشريف،والنبي ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين العظيمتين الشريفتين ( وقد وصفه ربه ـ سبحانه وتعالى ـ بالعبودية في أشرف مقاماته، فقال تعالى : ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا** ﴾ [ البقرة :٢٣ ] ،وقال تبارك وتعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ① ﴾ [ الفرقان:١ ] ،وقال تبارك وتعالى: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا** ① ﴾ [ الكهف : ١ ] ، فذكره بالعبودية في مقام إنزال الكتاب عليه ، وفي مقام التحدي بأن يأتوا بمثله .

وقال: ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ⑲ ﴾ [ الجن: ١٩ ] ، فذكره بالعبودية في مقام الدعوة إليه ، وقال : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا** ﴾ [ الإسراء : ١ ] ، فذكره بالعبودية في مقام الإسراء ) .

## صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً مزيداً

**قوله : ( صلى الله عليه ) .**

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في جلاء الأفهام ( ٢٥٣ ) :**

وأصل هذه اللفظة ( الصلاة ) يرجع إلى معنيين :

**أحدهما :** الدعاء والتبريك .

**والثاني:** العبادة .... إلى أن قال ـ رحمه الله ـ :وأما صلاة الله سبحانه،فنوعان : عامة وخاصة .

**أما العامة فهي :** صلاته على المؤمنين قال تعالى :﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً** ﴿٤٣﴾ ﴾ [ الأحزاب:٤٣ ] .

ومنه دعاء النبي ﷺ بالصلاة على آحاد المؤمنين : كقوله : ( **اللهم صلِّ على آل أبي أوفى** ) (١) .

**وفي حديث آخر :** أن امرأة قالت له : صلِّ عليّ وعلى زوجي قال : ( **صلى الله عليك وعلى زوجك** ) (٢) .

**النوع الثاني:** صلاته الخاصة على أنبيائه ورسله، خصوصاً على خاتمهم وخيرهم محمد ﷺ ، فاختلف الناس في معنى الصلاة منه ـ سبحانه ـ على أقوال ، ثم ذكر أنه قيل : إنها رحمته ، وقيل: مغفرته، قال : وهذا القول من جنس الذي قبله وهما ضعيفان لوجوه ، ثم ذكر خمسة عشر وجهاً .

والمعنى الذي ارتضاه ابن القيم لهذه الصلاة الخاصة أنها :ثناء الله على رسوله ﷺ وعنايته به وإظهار شرفه وفضله وحرمته .ا هـ .

**قلت :** ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال :

---

( ١ ) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه .

( ٢ ) أخرجه ابن أبي شيبة ( ١١ / ٨١ ) ، والدارمي ( ٤٦ ) ، وأحمد( ٣ / ٣٠٣ ) وغيرهم،وإسناده: صحيح .

صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند ملائكته .

**قوله : بـ ( آل ) .**

المقصود هنا ( **بالآل** ) أتباعه على دينه إلى يوم القيامة .وقد اختلف في آل النبي ﷺ على أقوال ذكر منها ابن القيم أربعة في جلاء الأفهام ، وأورد أدلة أصحابها ، فانظرها ـ غير مأمور ـ ص ٣٢٤ وما بعدها .

**قوله : وسلم .**

التسليم هو الدعاء بالسلامة من الشرور ، وحقيقة السلام كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد ( ١ / ١٣٣ ) : البراءة والخلوص والنجاة من الشر والعيب . اهـ .

**قوله : (تسليماً مزيداً )** .جيء بالمصدر للتوكيد ،وقوله مزيداً أي مزيداً على الصلاة عليه والجملة في قوله ( صلى ) و ( سلم ) خبرية لفظاً طلبية معنى،لأن المراد بها الدعاء اهـ .شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثمين ـ رحمه الله ـ ص ٣٥ .

**أما بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنّة والجماعة**

**قوله : أما بعد .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية :**

أما بعد : ( أما ) هذه نائبة عن اسم شرط وفعله ، والتقدير مهما يكن من شيء .

**قال ابن مالك :**

أما كمهما يك من شيء وفا لِتِلْوِ تلوها وجوبا ألفها

**فقولهم ( أما بعد ) :** التقدير: مهما يكن من شيء بعد ، فهذا .وعليه فالفاء هنا رابطة للجواب والجملة بعدها في محل جزم جواب الشرط،ويحتمل عندي أن تكون ( أما بعد ،فهذا ) أي أن ( أما ) حرف شرط وتفصيل أو حرف شرط فقط مجرد عن التفصيل . والتقدير : أما بعد ذكر هذا؛ فأنا أذكر كذا وكذا. ولا حاجة أن نقدر فعل شرط ونقول : إن ( أما ) حرف ناب مناب الجملة .اهـ .

وكلمة (**أما بعد**) : يؤتى بها للإنتقال من المقدمة إلى الموضوع .

**قوله : ( فهذا ... ) .**

الإشارة في مثل هذا المقام تكون إما إلى شيء مقدَّر في الذهن ، وإما إلى شيء محرر مكتوب ، فإن كانت المقدمة كتبت قبل الموضوع فالإشارة إلى شيء مقدَّر ، وإن كانت المقدمة كتبت بعد الموضوع فالإشارة إلى شيء محرَّر ، والظاهر أن شيخ الإسلام أشار إلى ما قدَّره في ذهنه ، والله أعلم .

**قوله : إعتقاد .**

مصدر اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة .

**وقال ابن فارس في معجم المقاييس (٤ / ٨٦) :**

العين والقاف والدال ـ عقد ـ أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق ، وإليه ترجع فروع الباب كلها .اهـ .

**وقال الفيومي في المصباح المنيرص (١٦٠) :**

العقيدة ما يدين الإنسان به وله عقيدة حسنة سالمة من الشك .اهـ

**وأما الإصطلاح :** فقد عرَّفه بعضهم بقوله : هو حكم الذهن الجازم فإن طابق فصحيح وإلا ففاسد . اهـ . التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص(١٦) .

( فاعتقادنا أن الله وحده صحيح واعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة باطل، لأنه مخالف للواقع ووجه ارتباطه بالمعنى اللغوي ظاهر ، لأن هذا الذي حكم في قلبه على شيء ما كأنه عقده عليه وشده عليه بحيث لا يتفلت منه ) .اهـ شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ص (٣٧) .

**قوله : (الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنَّة والجماعة) :**

**وصف المؤلف ـ رحمه الله ـ أهل السُّنَّة والجماعة بأنهم :**

[١] الفرقة الناجية .

[٢] أنهم منصورون إلى قيام الساعة .

**أما الفرقة :** فبكسر الفاء أي الطائفة من الناس .

**قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ في تعليقاته على الواسطية ص (٥٩) :**

وذلك إشارة إلى قلتهم بين الناس ، وأن الذين حولهم منحرفون عن ذلك . اهـ.

**وأما الناجية :** أي السالمة لأنها نجت في الدنيا من الإبتداع والإحداث في الدين ـ فضلاً عن الشرك ـ فنجت يوم القيامة من النار .

يدل على ذلك قوله ﷺ : ( **وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة** ، قالوا : من هي يارسول الله ؟، **قال : الجماعة** ) .

وفي رواية : (**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي** ) .

أما كونهم منصورون إلى قيام الساعة فيدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه برقم ( ١٩٢٠ ) من حديث ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** ) .

وعند مسلم برقم ( ١٩٢٢ ) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة** ) .

والمقصود بقيام الساعة أي قرب قيام الساعة بدليل ما في مسلم برقم ( ١٩٢٤ ) أن عبد الله بن شماسة المهري قال : كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله : « **لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، هم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم** » فبينما هم على ذلك أقبل عقبة ابن عامر فقال له مسلمة : يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله ، فقال عقبة : هو أعلم .

وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين عدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك** » فقال عبد الله : أجل . **ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس**

عليهم تقوم الساعة ) .

ولا غرابة في كون هذه الطائفة ظاهرة قاهرة منصورة مع قلة العَدَد والعُدَد . وكثر عدد مخالفيهم وعُدَدهم وما ذلك إلا لنصر الله وتأييده لهم جزاء توحيدهم لله ونصرهم لدينه وصدق اتباعهم ومحبتهم لنبيه ﷺ ، كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾ [ الصافات : ١٧١ - ١٧٣ ]، وقال : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) ﴾ [ المجادلة : ٢١ ] ، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) ﴾ [ محمد : ٧ ] ، وقال : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ [ الحج : ٧٤ ] .

**قوله : ( أهل السُّنَّة والجماعة ) .**

**السُّنَّة :** في اللغة الطريقة محمودةً كانت أو مذمومة .

**وفي الاصطلاح :** ما كان عليه النبي ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وأحوال .

وسموا أهل السُّنَّة لتمسكهم بسُنَّة النبي ﷺ ( فليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله ، وأعظمهم تمييزاً بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها ، وأهل معرفة بمعانيها وأتباع لها تصديقاً وعملاً وحباً ، وموالاةً لمن والاها ، ومعاداةً لمن عاداها الذين يردون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم .... بل يجعلون ما بعث الله به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه (١) .

**قوله : ( والجماعة ) .**

**الجماعة لغة :** الفرقة المجتمعة من الناس، قليلة كانت أو كثيرة.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٥٧/١ ) :**

هي الاجتماع وضدها الفرقة،وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم

---

(١) مجموع الفتاوى ( ٣٤٧/٣ ) .

المجتمعين . اهـ .

**وفي الاصطلاح :** الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك وخالفك أهل الأرض .

**قال أبو شامة في كتابه الباعث على إنكار البدع والحوادث :**

حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فإن المراد بها لزوم الحق وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً ، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم .

وقال ميمون بن مهران قال ابن مسعود رضي الله عنه : الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك .

وقال نعيم بن حمّاد : إن فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذٍ . ذكره البيهقي وغيره . ا هـ .

**وقال ابن القيم في إعلام الموقعين :**

واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض، وقد شذّ الناس كلهم زمن الإمام أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة، وكان الفقهاء والمفتون والخليفة وأتباعهم هم الشاذّين وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة، ولما لم يحتمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين تكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل، وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك ، فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل ، فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة ، وهي السبيل المهيع لأهل السُّنَّة والجماعة حتى يلقوا ربهم ، مضى عليه سلفهم وينتظرها خلفهم ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا** (٢٣) ﴾ [ الأحزاب : ٢٣ ] ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ا هـ . من التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية .

**وقد أراد المؤلف ـ رحمه الله ـ بقوله: (فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنَّة والجماعة)** : أن يبين أن ما سيذكره هو اعتقاد هذه الفرقة الناجية المنصورة أهل السُّنَّة والجماعة من لدن الصحابة إلى قيام الساعة، وليست عقيدته وحده بل هو متَبع في ذلك ليس بمبتدع ولا مغيِّر ولا مبدِّل .

**ولهذا قال العلامة السَّعدي** في التنبيهات اللطيفة (١٢-١٣) قول المصنف ـ رحمه الله ـ : إن ما احتوت عليه هذه الرسالة هو العقيدة المنجية من الهلاك والشرور، المحصِّلة لخيري الدنيا والآخرة، الموروثة عن محمد ﷺ ،المأخوذة عن كتاب الله وسُنَّة رسوله ، وهي التي عليها الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، الذي ضمن الله لهم على لسان رسوله النصر إلى قيام الساعة ، والنصر إنما حصل ببركة هذه العقيدة والعمل بها وتحقيقها بالقيام بجميع أمور الدين ا هـ .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٢ / ٤٨٢ ):**
مذهب أهل السُّنَّة والجماعة مذهبٌ قديمٌ معروفٌ من قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكاً والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف كان مبتدعاً عند أهل السُّنَّة والجماعة . ا هـ .

## وهو الإيمان بالله ، وملائكته، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر ، خيره وشره

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في رسالته العظيمة المباركة التنبيهات اللطيفة ص ١٣ :**

**وأصلها الذي عليه تبنى :** أي أصل هذه العقيدة هي الإيمان بهذه الأصول الستة التي صرَّح بها الكتاب والسُّنَّة في مواضع كثيرة جملة وتفصيلاً وتفريعاً، وهي المذكورة في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ المشهور ، حيث قال جبريل للنبي ﷺ : ما الإيمان ؟ ، **فأجابه :**

فهذه الرسالة من أولها إلى آخرها تفصيل لهذه الأصول السِّتة. ا هـ .

**أقول وبالله التوفيق :** من المواضع التي ذكر الله فيها هذه الأركان الستة العظيمة قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ** ﴾ [ البقرة : ١٧٧ ] .

وقوله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦)** ﴾ [ النساء : ١٣٦ ] .

فهذه خمسة أركان والسادس ذكره الله في قوله : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)** ﴾ [ القمر : ٤٩ ] .

وذكرها النبي ﷺ في سُنَّته في حديث جبريل المشهور عندما سأله عليه السلام عن الإيمان فقال رسول الله ﷺ : «**الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر ، خيره وشره** » . متفق عليه .

### الركن الأول : الإيمان بالله .

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المنفرد بالألوهية،المستحق للعبادة ،وحده لا شريك

له ، وبأنه الرب الخالق المالك المدبر المتصف بصفات الكمال والجلال، المنزَّه عن كل نقص وعيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

( وهو أصل الأصول كلها و أعظمها وأهمها ، وعليه تبنى جميع الأصول والعقائد ) التنبيهات السنية ص ١٥ .

**والإيمان بالله يتضمن ما يلي :**

[ ١ ] الإيمان بوجوده . [ ٢ ] الإيمان بربوبيته .

[ ٣ ] الإيمان بألوهيته . [ ٤ ] الإيمان بأسمائه وصفاته .

**من ثمرات الإيمان بالله :**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ كما في مجموع رسائله وفتاواه ( ٢ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ) :**

فالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته يثمرللعبد محبة الله وتعظيمه ، الموجبة للقيام بأمره واجتناب نهيه، ويحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧) ﴾ [ النحل : ٩٧ ] اهـ .

**الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :**

وهو الإعتقاد الجازم أنهم خلق من خلق الله ، خلقهم من نور لعبادته .

**قال الكرماني في شرحه للصحيح البخاري ( ١ / ١٩٤ ) :** الملائكة جمع ملك نظراً إلى أصله الذي هو ملأك مفعل من الألوكة بمعنى الرسالة ، والتاء زيدت فيه لتأكيد معنى الجمع أو لتأنيث الجمع . اهـ .

**الإيمان بالملائكة قسمان :**

[ ١ ] إيمان مجمل بجميع ملائكة الله من علمنا منهم ومن لم نعلم، وأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ليسوا أولاداً لله ولا أنداداً ولا شركاء ولا يعلمون الغيب ، وليس لهم من الألوهية والربوبية شيء ، قال تعالى :

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (٢٩) ﴾ [ الأنبياء : ٢٦ - ٢٩ ] .

وقال تعالى ﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠) ﴾ [ الأنبياء : ١٩-٢٠ ] ، وأنه ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (١٣٦) ﴾ [النساء : ١٢٦] .

[ ٢ ] إيمان مفصَّل بمن ذُكر منهم باسمه كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك ، وبصفة من ذُكر منهم بوصف كحملة العرش وخزنة النار وجبريل .وبعدد من ذكر منهم بعدد كخزنة النار وحملة العرش .

وبعمل من ذكر منهم بعمل ، فمنهم الموكل بالجبال ، ومنهم الموكل بالقطر ، ومنهم الموكل بفتنة القبر ، ومنهم الموكل بالنفخ في الصور ، وغير ذلك . وانظر فيما سبق تعظيم قدر الصلاة للمروزي ( ١ / ٣٩٢ ) ومعارج القبول للحكمي ( ٢ / ٦٥٦ -٦٧١ ) .

**وأما ثمرات الإيمان بالملائكة فمنها :**

[ ١ ] العلم بعظمة خالقهم ـ تبارك وتعالى ـ وقدرته وسلطانه .

[ ٢ ] شكره ـ تعالى ـ على عنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم .

[ ٣ ] محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين .انظر مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العثيمين ـ رحمه الله ـ .

**الركن الثالث : الإيمان بالكتب :**

وهو الإعتقاد الجازم أنها كلام الله المنزَّل على رسله لهداية عباده .

**والإيمان بكتب الله قسمان :**

[ ١ ] مجمل بجميع الكتب المنزَّلة من عند الله ، ما علمنا منها وما لم نعلم ، وأن الله أنزلها جميعاً هدى ورحمة. قال تعالى :﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)**﴾ [ البقرة : ٢٨٥ ] .

وقال تعالى : ﴿ **وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ** ﴾ [ الشورى :١٥ ] .

وقال سبحانه وتعالى :﴿ **قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)** ﴾ [ آل عمران : ٨٤ ] .

[ ٢ ] إيمان مفصَّل بجميع ما سمى الله منها، وهي التوراة المنزَّلة على موسى ﷺ ، والإنجيل المنزَّل على عيسى ﷺ ، والزبورالمنزَّل على داود ﷺ ، وصحف إبراهيم وموسى ، وآخرها القرآن المنزَّل على محمد ﷺ .

**والإيمان بالكتب يتضمن أموراً منها :**

[ ١ ] أنها كلام الله غير مخلوقة .

[ ٢ ] أن جميعها يُصَدِّق بعضها بعضاً ، قال ـ تعالى ـ في الإنجيل : ﴿ **وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦)** ﴾ [ المائدة : ٤٦ ] .

وقال تعالى في القرآن : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ [ المائدة : ٤٨ ] .

[ ٣ ] أنَّ نَسْخَ بعض الكتب ببعض حق ، كما نسخت بعض شرائع التوراة بالإنجيل ، قال الله ـ تعالى ـ في عيسى عليه السلام : ﴿**وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ**

الطِّين كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) ﴾ [ آل عمران : ٤٨ - ٥٠ ] .

[ ٤ ] أن القرآن نسخ بعض ما في التوراة والإنجيل من الشرائع ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ .
[ الأعراف : ١٥٧ ] .

[ ٥ ] أن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق ، كما قال الله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) ﴾ .
[البقرة : ١٠٦ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾ [ النحل : ١٠١ ]، والآيات في هذا معلومة في مواضعها .

[ ٦ ] أن من الكتب قبل القرآن ما لم يسلم من التحريف وأما القرآن فقد تكفل الله بحفظه ،حيث قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [ الحجر : ٩ ] .

[ ٧ ] أن القرآن الكريم ثلاثون جزءاً وعدد سوره مئة وأربع عشرة سورة ليس فيه نقص، وأن القرآن الذي بين أيدينا الآن هو القرآن الذي توفي رسول الله ﷺ وهو بين يدي أصحابه، ومن ادّعى أن فيه زيادة أو نقصان فهو كافر باتفاق .

[ ٨ ] أنه لا يأتي كتاب بعد القرآن وأنه ليس لأحد الخروج عن بعض أحكامه .

وانظر معارج القبول للحكمي ( ٢ / ٦٧٣ - ٦٧٥ ) .

**من ثمرات الإيمان بالكتب :**

**أولاً :** العلم برحمة الله وعنايته بخلقه حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به .

**ثانياً :** ظهورحكمته ـ تعالى ـ حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها ، وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة .

( ولا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب نواهيه ،وتحليل حلاله وتحريم حرامه، والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده،وتلاوته آناء الليل والنهار،والذَّبُّ عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين، والنصيحة له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها ،نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا له ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين إنه ولي التوفيق ) .

**ثالثاً :** شكر نعمة الله على ذلك . اهـ مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ العثيمين (٣ / ٢٥٩-٢٦٠ ) وما بين المعقوفين من معارج القبول ( ٣ / ٦٧٥ ) .

**الركن الرابع : الإيمان بالرسل :**

**الرسول في اللغة :** من بُعث برسالة .

**واصطلاحاً :** رجل من بني آدم بعثه الله بشرع جديد وأمره بتبليغه .

**والإيمان بالرسل قسمان :**

[ ١ ] **إيمانٌ مجملٌ :** بجميع رسل الله من علمنا منهم ومن لم نعلم ، قال تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)** ﴾ .

[ البقرة : ٢٨٥ ] .

❁ وقال تعالى : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤)** ﴾ [ النساء : ١٦٤ ] .

❁ وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ**

وخسر هنالك المبطلون (٧٨) ﴾ [ غافر : ٧٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً (١٣٦) ﴾ [ النساء : ١٣٦ ] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٥٢) ﴾ .

[ النساء : ١٥٠-١٥٢ ] .

[ ٢ ] **إيمانٌ مفصلٌ :** بجميع من ذكر منهم باسمه في كتاب الله أو صحيح سُنَّة رسول الله ﷺ .

**مما يتضمنه الإيمان بالرسل :**

[ ١ ] أن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعو إلى عبادة الله وينهى عن عبادة الطاغوت ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [ النحل : ٣٦ ] .

[ ٢ ] أنه قد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله - عز وجل - في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، ونفي ما يضاد ذلك أو ينافي كماله، وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف ا.هـ ، معارج القبول ( ٢ / ٦٧٧ ) بتصرّف يسير .

[ ٣ ] أن من كذَّب واحداً منهم فقد كذَّب الجميع ، ولذلك قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ [ الشعراء : ١٠٥ ] ، ولم يكن نوح - عليه السلام - إلا رسولاً

واحداً ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [ الشعراء : ١٢٣ ] ، ولم يكن لهم نبي إلا هود ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [ الشعراء:١٤١ ]، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [ الشعراء : ١٧٦ ]. اهـ شعب الإيمان للقصري .

[ ٤ ] أنهم صادقون مصدّقون بخلاف الذين يقولون على الله ما لا يعلمون . قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية .

[ ٥ ] أنهم معصومون فيما يبلّغون عن الله ، فلا يستقر في ذلك خطأٌ باتفاق المسلمين . اهـ . مجموع الفتاوى ( ١ / ٢٩٠ ) .

[ ٦ ] أنهم معصومون من الإقرار على الذنوب مطلقاً وهذا الذي عليه جمهور الناس . مجموع الفتاوى ( ١٠ / ٢٩٣ ) .

[ ٧ ] أن أول الرسل نوح عليه السلام وخاتمهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ .

[ النساء : ١٦٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [ الأحزاب : ٤٠ ] .

[ ٨ ] أن الله رفع بعضهم فوق بعض درجات ، وفضل بعضهم على بعض بمقتضى علمه وحكمته ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [ البقرة : ٢٥٣ ] .

[ ٩ ]أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً،وكلم موسى تكليماً،وأن عيسى عَبْدُ الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، قال تعالى:﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [ النساء : ١٢٥ ] ، وقال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [ النساء:١٦٤ ] ،وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) ﴾ [ النساء : ١٧٢ ] .

[ ١٠ ] أنهم جميعاً عبيد الله ، مفتقرون في جميع شؤونهم إليه ، ليس لهم من خصائص الألوهية والربوبية شيء فلا يجوز دعاؤهم من دون الله ولامع الله ، فمن فعل شيئاً من ذلك فهو من أعدائهم لا من أوليائهم ، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) ﴾ [ آل عمران : ٧٩ ـ ٨٠ ] .

**من ثمرات الإيمان بالرسل :**

**أولاً :** العلم برحمة الله وعنايته بخلقه ، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد .

**ثانياً :** شكره ـ تعالى ـ على هذه النعمة الكبرى .

**ثالثاً :** محبَّة الرسل وتوقيرهم والثَّناء عليهم بما يليق بهم لأنهم رسل الله تعالى ، وخلاصة عبيده ، قاموا لله بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده والصبر على أذاهم . اهـ . مجموع رسائل وفتاوى فضيلة الشيخ ابن عثيمين ( ٣ / ٢٦٠ ) .

**الركن الخامس : البعث بعد الموت :**

**والبعث لغة :** التحريك والإثارة .

**وشرعاً :** الاعتقاد الجازم بأن الله سيبعث العباد بعد موتهم ويعيد أرواحهم إلى أجسادهم للحساب والجزاء .

وهذا ثابت بالكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين ، بل واليهود والنصارى وكل الكتب السماوية .

**ومن أدلة القرآن على ذلك قوله تعالى :** ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) ﴾ [ التغابن : ٧ ]، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) ﴾ [ المؤمنون : ١٥ ] ، وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) ﴾ [ الإسراء : ٩٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾ [ النحل : ٣٨ ] .

**وأما السُّنَّة فهي متواترة في ذلك .**

( ولم يقل المؤلف - رحمه الله - : « الإيمان باليوم الآخر » كما ورد في الحديث وذلك - والله أعلم - لأن اليوم الآخر قد يُقرُّ به بعض الناس مع عدم إقراره بالبعث الحقيقي للأجساد بعد الموت كبعض الفلاسفة ، حيث أنهم يؤمنون باليوم الآخر ولكنهم لا يقرّون بالبعث الحقيقي الذي هو بعث الأجساد ونشرها ، لأنهم يزعمون أن البعث والجزاء والحساب يكون على الأرواح فحسب ، وأن الأجساد لا تُبعث مرة أخرى لأنها قد بُليت، فيجب الإيمان والتصديق الجازم بأن الله يُبعث الناس من قبورهم أحياءً يوم القيامة ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أو يعفو عنه سبحانه وتعالى ) اهـ . التعليقات الزكية على الواسطية ص ٧٨ .

**براهين البعث أربعة :**

**الأوّل : خلق السماوات والأرض :**

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) ﴾ [ الأحقاف : ٣٣ ] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) ﴾ [ يس ٨١ ] .

**الثاني : خلق الإنسان أولاً :**

قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [ يس : ٧٨ - ٧٩ ] .

وقال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ﴾ [ الروم : ٢٧ ] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) ﴾ [ الأنبياء : ١٠٤ ] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ﴾ [ الحج : ٥ ] .

وقال تعالى : ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) ﴾ [ ق : ١٥ ] .

**الثالث : إحياء الأرض بعد موتها :**

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ﴾ [ فصلت : ٣٩ ] .

وقال تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) ﴾ [ الروم : ١٩ ] ، أي من قبوركم أحياءً بعد الموت .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) ﴾ [ الأعراف : ٥٧ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن

كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) ﴾ [ الحج : ٥ - ٦ ] .

**الرابع : إحياء بعض الموتى في دار الدنيا :**

لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس : ﴿ ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (٢٨) ﴾ [ لقمان : ٢٨ ] .

**وقد ذكر ـ جل وعلا ـ هذا البرهان في سورة البقرة في خمسة مواضع :**

**الأول :** قوله تعالى : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٥٦) ﴾ .
[ البقرة : ٥٦ ] .

**الثاني :** قوله تعالى : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (٧٣) ﴾ [ البقرة : ٧٣ ] .

**الثالث :** قوله جل وعلا : ﴿ فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ [البقرة: ٢٤٣] .

**الرابع :** قوله تعالى : ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (٢٥٩) ﴾ [ البقرة : ٢٥٩ ] .

**الخامس :** قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم (٢٦٠) ﴾ [ البقرة : ٢٦٠ ] . . اهـ . من أضواء البيان ( ٣ / ٢٠٣ - ٢٠٤ ) بتصرف .

**الركن السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره .**

سيأتي الكلام عليه مفصلاً إن شاء الله .

## قوله - رحمه الله - :

**[ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف و لا تعطيل،ومن غير تكييف و لا تمثيل ]**

قوله ـ رحمه الله ـ : ( **ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه ...... إلخ** ) .

بعد ما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أصول الإيمان التي يجب الإيمان بها مجملة شرع ـ رحمه الله ـ في تفصيلها وبدأ بالأصل الأول وهو الإيمان بالله تعالى، وذكر أنه يدخل فيه الإيمان بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

وهذا هو ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

وقد كان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يقول: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو بما وصفه به رسوله ﷺ ، لا يتجاوز القرآن والحديث .

وقد ذكر شيخ الإسلام سبب قوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل دون أن يعبِّر بألفاظ أخرى ، فقال كما في مجموع الفتاوي ( ٣ / ١٦٥ ) قد ذكرت أني عدلت عن لفظ التأويل إلى لفظ التحريف لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمِّه، وأنا تحرَّيتُ في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسُّنَّة،فنفيت ما ذمَّه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفي ولا إثبات لأنه لفظ له عدَّة معان . اهـ .

**وقال ـ رحمه الله ـ (٣ / ١٦٧) :**

قولي : من غير تكييف ولا تمثيل : ينفي كل باطل وإنما اخترت هذين الاسمين لأن التكييف مأثور نفيه عن السلف ، كما قال ربيعة ومالك وابن عيينة وغيرهم ـ المقالة التي تلقاها العلماء بالقبول ـ « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

فاتفق هؤلاء السلف على أن التكييف غير معلوم لنا ، فنفيت ذلك اتباعاً لسلف الأمة.

وهو أيضاً منفي بالنص ، فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته، وهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله كما قد قررت ذلك في قاعدة مفردة ذكرتها في التأويل والمعنى والفرق بين علمنا بمعنى الكلام وبين علمنا بتأويله .

وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي التكييف إذ كنه الباري غير معلوم للبشر، وذكرت ضمن ذلك كلام الخطابي الذي نقل أنه مذهب السلف وهو إجراء آيات الصفات وأحاديث الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنه، إذ الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذّات يحتذى فيه حذوه ويتبع فيه مثاله ، فإذا كان إثبات الذات، إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف .أهـ.

**وأما معاني هذه الكلمات تفصيلاً :**

**فالتحريف معناه في اللغة التغيير . وهو نوعان :**

**النوع الأول** : تحريف لفظي كتحريف اليهود لكلمة ﴿حِطَّةٌ﴾ [ البقرة: ٥٨ ] فقالوا : ( حنطة ) وكقول القدرية : ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [ الفلق : ٢ ] بتنوين كلمة شر فيكون المعنى : من شر لم يخلقه الله . وكقولهم ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ ﴾ [ النساء: ١٦٤ ]بنصب لفظ الجلالة فيكون موسى هو الذي كلم الله وليس العكس. وتحريف اللفظ يستلزم تحريف المعنى دون العكس .

**النوع الثاني** : تحريف المعنى كقول المعطلة في قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [ طه : ٥ ] ، قالوا : المعنى : ( استولى ) وكقولهم في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [ الفجر : ٢٢ ] ، قالوا : أمره أو رحمته،وكقوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن:٢٧ ] ، قالوا : المراد بالوجه:الثواب،وكقوله تعالى :

﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥ ] ، قالوا : المراد باليد القدرة أو القوة وهكذا ، وهذا هو الأكثر الذي عليه عمل أهل البدع والأهواء.

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الصواعق المرسل(١/٢١٥-٢١٨) :**

**والتحريف :** العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره وهو نوعان :

**تحريف لفظه وتحريف معناه :**

والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود،فهم الراسخون فيها وهم شيوخ المحرّفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيراً من ألفاظ التوراة،وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه، ولهذا وُصِفُوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم، ودرج على آثارهم الرافضة فهم أشبه بهم من القذة بالقذة . والجهمية فإنهم سلكوا في تحريف النصوص الواردة في الصفات مسالك إخوانهم من اليهود، ولما لم يتمكنوا من تحريف نصوص القرآن حرفوا معانيه وسطوا عليها وفتحوا باب التأويل لكل ملحد يكيد الدين، فإنه جاء فوجد باباً مفتوحاً وطريقاً مسلوكاً ولم يمكنهم أن يخرجوه من باب أو يردوه من طريق قد شاركوه فيها، وإن كان الملحد قد وسَّع باباً هم فتحوه وطريقاً هم اشتقوه فهما بمنزلة رجلين ائتمنا على مال فتأول أحدهما وأكل منه ديناراً وتأول الأخر وأكل منه عشرةً فإذا أنكر عليه صاحبه قال : إن حلَّ أكل الدينار بالتأويل وحلَّ أكل العشرة به ولا سيما إذا زعم آكل الدينار أن الذي ائتمنه إنما أراد منه التأويل وأن المتأول أعلم بمراده من المالك فيقول له صاحبه : أنا أسعد منك وأولى بأكل هذا المال .

**والمقصود أن التأويل يتجاذبه أصلان :** التفسير والتحريف .

فتأويل التفسير هو الحق ، وتأويل التحريف هو الباطل .

فتأويل التحريف من جنس الإلحاد فإنه هو الميل بالنصوص عن ما هي عليه إما بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها، وكذلك الإلحاد في أسماء الله يكون بجحد معانيها وحقائقها، وتارة يكون بإنكار المسمى بها وتارة يكون

بالتشريك بينه وبين غيره فيها .

فالتأويل الباطل هو إلحاد وتحريف وإن سماه أصحابه تحقيقاً وعرفاناً وتأويلاً .

فمن تأويل التحريف والإلحاد تأويل الجهمية قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [ النساء : ١٦٤ ] ، أي جرح قلبه بالحكم والمعارف تجريحاً .

ومن تحريف اللفظ إعراب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾ من الرفع إلى النصب،وقال: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهَ ﴾ أي موسى كلم الله ولم يكلمه الله، وهذا من جنس تحريف اليهود بل أقبح منه واليهود في هذا الموضع أولى بالحق منهم .

ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد: فكيف تصنع بقوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ ؟ [الأعراف :١٤٣] فبُهت المحرّف .

ومن هذا أن بعض الفرعونية سأل بعض أئمة العربية هل يمكن أن يُقرأ العرش بالرفع في قوله : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [ طه : ٥ ] ؟ وقصد الفرعوني بهذا التحريف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق لا للخالق .ولو تيسر لهذا الفرعوني هذا التحريف في هذا الموضع لم يتيسر له في سائر الصفات . ا هـ.

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية (٦٨ ـ ٧١):**

فأهل السُّنَّة والجماعة إيمانهم خالٍ من التحريف . يعني : تغيير اللفظ والمعنى .

وتغيير المعنى يسميه القائلون به تأويلاً ويسمون أنفسهم بأهل التأويل لأجل أن يصبغوا هذا الكلام صبغة القبول لأن التأويل لا تنفر منه النفوس ولا تكرهه ، لكن ما ذهبوا إليه في الحقيقة تحريف لأنه ليس عليه دليل صحيح إلا أنهم لا يستطيعون أن يقولوا : تحريفاً ولو قالوا : هذا تحريف لأعلنوا على أنفسهم برفض كلامهم.

ولهذا عبَّر المؤلف ـ رحمه الله ـ بالتحريف دون التأويل مع أن كثيراً ممن يتكلمون في هذا الباب يعبّرون بنفي التأويل ، يقولون : من غير تأويل، لكن ما عبَّر به المؤلف أولى لوجوه أربعة :

**الوجه الأول:** أنه اللفظ الذي جاء به القرآن، فإن الله تعالى قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ

عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [ النساء : ٤٦ ] ، والتعبير الذي عبَّر به القرآن أولى من غيره لأنه أدلّ على المعنى .

**الوجه الثاني :** أنه أدلُّ على الحال وأقرب إلى العدل ، فالمؤول بغير دليل ليس من العدل أن نسميه مؤولاً، بل العدل أن نصفه بما يستحق وهو أن يكون محرفاً .

**الوجـه الثـالث :** أن التـأويل بغـير دليـل باطل يجب البـعـد عنه والتنفـير منه واستعمال التحريف فيه أبلغ تنفيراً من التأويل، لأن التحريف لا يقبله أحد لكن التأويل لينٌ تقبله النفوس وتستفصل عن معناه .

**أما التحريف بمجرد ما نقول :** هذا تحريف ينفر الإنسان منه، إذا كان كذلك فإن استعمال التحريف فيمن خالفوا طريق السلف أليق من استعمال التأويل .

**الوجه الرابع :** أن التأويل ليس مذموماً كلُه. قال النبي ﷺ : « **اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل** » وقال تعالى : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾ [ آل عمران : ٧ ] ، فامتدحهم بأنهم يعلمون التأويل .

والتأويل ليس كله مذموماً لأن التأويل له معانٍ متعددة، يكون بمعنى التفسير ويكون بمعنى العاقبة والمآل، ويكون بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره .

﴿ **أ** ﴾ يكون بمعنى التفسير ،كثير من المفسرين عندما يفسرون الآية يقولون : تأويل قوله تعالى كذا وكذا ثم يذكرون المعنى، وسمي التفسير تأويلاً لأننا أوّلْنا الكلام أي : جعلناه يؤول إلى معناه المراد به .

﴿ **ب** ﴾ تأويل بمعنى عاقبة الشيء ، وهذا إن ورد في طلب فتأويله فعله إن كان أمراً وتركه إن كان نهياً ، وإن ورد في خبر فتأويله وقوعه .

مثاله في الخبر قوله تعالى : ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ** ﴾ [ الأعراف : ٥٣ ] ، فالمعنى : ما ينتظر هؤلاء إلا عاقبة ومآل ما أخبروا به يوم يأتي ذلك المخبَر به يقول الذين نسوه من قبل : قد جاءت رسل ربنا بالحق .

ومنه قول يوسف لمَّا خرَّ له أبواه وإخوته سُجَّداً : ﴿ **هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ** ﴾ [ يوسف : ١٠٠ ] ، هذا وقوع رؤياي لأنه قال ذلك بعد أن سجدوا له.

ومثله في الطلب قول عائشة رضي الله عنها : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده بعد أن أنزل عليه قوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ** ﴾ [ النصر: ١ ] يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك الله اغفر لي**». يتأول القرآن أي يعمل به.

﴿ جـ ﴾ **المعنى الثالث للتأويل :** صرف اللفظ عن ظاهره ، وهذا النوع ينقسم إلى محمود ومذموم ، فإن دلَّ عليه دليل فهو محمود النوع ، ويكون من القسم الأول وهو التفسير ، وإن لم يدل عليه دليل فهو مذموم ، ويكون من باب التحريف وليس من باب التأويل .

وهذا الثاني هو الذي درج عليه أهل التحريف في صفات الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مثاله قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴿٥﴾ ﴾ [ طه : ٥ ]، ظاهر اللفظ أن الله تعالى استوى على العرش : أي استقر عليه وعلا عليه، فإذا قال قائل: معنى ﴿ **اسْتَوَىٰ** ﴾ : استولى على العرش فنقول : هذا التأويل عندك لأنك صرفت اللفظ عن ظاهره لكن هذا تحريف في الحقيقة لأنه ما دل عليه دليل، بل الدليل على خلافه كما سيأتي إن شاء الله.

فأما قوله تعالى : ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ [ النحل : ١ ] ، فمعنى ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ** ﴾ أي سيأتي أمر الله فهذا مخالف لظاهر اللفظ، لكن عليه دليل وهو قوله تعالى ﴿ **فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴿٩٨﴾ ﴾ [ النحل :٩٨ ] أي إذا أردت أن تقرأ وليس المعنى إذا أكملت القراءة قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لأننا علمنا من السُّنَّة أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إذا أراد أن يقرأ استعاذ بالله من الشيطان الرجيم لا إذا أكمل القراءة . فالتأويل صحيح.

**ولذلك قلنا :** إن التعبير بالتحريف عن التأويل الذي ليس عليه دليل صحيح أولى لأنه الذي جاء به القرآن ولأنه ألصق بطريق المحرف ولأنه أشد تنفيراً عن هذه الطريقة المخالفة لطريق السلف، ولأن التحريف كله مذموم بخلاف التأويل فإن منه ما يكون مذموماً ومحموداً فيكون التعبير بالتحريف أولى من التعبير بالتأويل من أربعة أوجه. اهـ .

وأما التعطيل فهو في اللغة مأخوذ من العَطَل وهو الخلو والفراغ.

**والمعطِّلة هم نفاة الصفات ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٥ / ٣٢٦) :**

ولهذا كان السلف والأئمة يسمون نفاة الصفات معطلة لأن حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى، وإن كانوا هم قد لا يعلمون أن قولهم مستلزم للتعطيل . ا هـ .

قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح الواسطية ص ( ٧٢ – ٧٣ ) المراد بالتعطيل : إنكار ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات سواءً كان كلياً أو جزئيًا ، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود ، هذا كله يسمَّى تعطيلاً .

فأهل السُّنَّة والجماعة لا يعطِّلون أي إسم من أسماء الله أو أي صفة من صفاته ولا يجحدونها بل يقرّون بها إقراراً كاملاً .

فإن قلت : ما الفرق بين التعطيل والتحريف ؟ .

قلنا : التحريف في الدليل والتعطيل في المدلول فمثلاً :

**إذا قال قائل :** معنى قول تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [ المائدة : ٦٤ ] ، أي بل قوتاه هذا محرّف للدليل ومعطل للمراد الصحيح ، لأن المراد اليد الحقيقية ، فقد عطل المعنى المراد وأثبت معنى غير المراد.

وإذا قال : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ لا أدري . أفوض الأمر إلى الله ، لا أثبت اليد الحقيقية ولا اليد المحرّف إليها اللفظ . نقول هذا معطِّل وليس بمحرِّف لأنه لم يغيرِّ معنى اللفظ ولم يفسِّره بغير مراده ، لكن عطَّل معناه الذي يراد به وهو إثبات اليد لله عزَّ وجلَّ .

**أهل السنّة والجماعة يتبرءون من الطريقتين :**

**الطريقة الأولى :** التي هي تحريف اللفظ بتعطيل معناه الحقيقي المراد إلى معنى غير مراد .

**والطريقة الثانية :** هي طريقة أهل التفويض فهم لا يفوضون المعنى كما يقول المفوضة بل يقولون : نحن نقول: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ** ﴾ أي يداه الحقيقيتان﴿ **مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ وهما غير القوة والنعمة .

فعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة بريئة من التحريف ومن التعطيل . ا هـ .

**وقال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ص ١٧ :**

**والفرق بين التحريف والتعطيل :**

أن التعطيل نفي للمعنى الحق الذي دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، والتحريف : تفسير للنصوص بالمعاني الباطلة التي لا تدل عليها بوجه من الوجوه.

فالتحريف والتعطيل قد يكونا متلازمين إذا أُثبت المعنى الباطل ونفيَ المعنى الحق، وقد يوجد التعطيل بلا تحريف كما هو قول النافين للصفات الذين ينفون الصفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة ويقولون : ظاهرها غير مراد ولكنهم لا يعيِّنون معنى آخر، ويسمُّون أنفسهم مفوضة ويضنون أن هذا مذهب السَّلف وهو غلط فاحش، فإن السَّلف يُثبتون الصفات ، وإنما يفوضون علم كيفيتها إلى الله فيقولون : الوصف المذكور معلوم ، والكيف مجهول والإيمان به واجب وإثباته واجب والسؤال عن كيفيته بدعة. كما قال الإمام مالك وغيره في الاستواء. ا هـ .

**وقوله ـ رحمه الله ـ : من غير تكييف .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية (٧٧-٧٨) :**

« تكييف » لم ترد في الكتاب والسُّنَّة ولكن ورد ما يدل على النهي عنها

والتكييف هو أن تذكر كيفية الصفة ، ولهذا تقول : كيَّف يكيف تكييفاً أي. ذكر كيفية الصفة .

التكييف يسأل عنه بكيف ، فإذا قلت مثلاً : كيف جاء زيد ؟، تقول : راكباً . إذًا كيفت مجيئه . كيف لون السيارة ؟ ، أبيض . فذكرت اللون .

أهل السُّنَّة والجماعة لا يكيفون صفات الله مستندين في ذلك إلى الدليل السمعي والدليل العقلي .

فأما الدليل السمعي فمثل قوله تعالى : ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** (٣٢) ﴾ [ الأعراف : ٣٢ ] .

**فإذا جاء رجل وقال :** إن الله استوى على العرش على هذه الكيفية ووصف كيفيةً معينةً نقول : هذا قد قال على الله ما لا يعلم ، هل أخبرك الله بأنه استوى على هذه الكيفية ؟ لا . أخبرنا الله بأنه استوى ولم يخبرنا كيف استوى فنقول هذا تكييف وقول على الله بغير علم .

ولهذا قال بعض السلف : إذا قال لك الجهمي : ( إن الله ينزل إلى السماء ) كيف ينزل ؟، فقل : إن الله أخبرنا أنه ينزل ولم يخبرنا كيف ينزل . وهذه قاعدة مفيدة .

**دليل آخر من السمع :** قال تعالى : ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** (٣٦) ﴾ [ الإسراء : ٣٦ ] ، لا تتبع ما ليس لك به علم . ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ .

**وأما الدليل العقلي فكيفية الشيء لا تدرك إلا بواحد من أمور ثلاثة :**

مشاهدته ، أو مشاهدة نظيره ، أو خبر الصادق عنه .

إما أن تكون شاهدته أنت وعرفت كيفيته أو شاهدت نظيره ، كما لو قال لك واحد : إن فلاناً اشترى سيارة داتسون موديل ثمان وثمانين رقم ألفين فتعرف كيفيتها لأن عندك مثلها . أو خبر صادق عنه ، أتاك رجل صادق وقال : إن سيارة فلان صفتها كذا وكذا . . .ووصفها تماماً فتدرك الكيفية الآن .

**ولهذا قال بعض العلماء جواباً لطيفاً :** إن معنى قولنا : (بدون تكييف )

ليس معناه ألا نعتقد لها كيفية بل نعتقد لها كيفية لكن المنفي علمنا بالكيفية لأن استواء الله على العرش لا شك أن له كيفية لكن لا تُعلم، لأنه ما من موجود إلا وله كيفية لكنها قد تكون معلومة وقد تكون مجهولة .

سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عن قوله تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [ طه : ٥ ] كيف استوى؟ .

فأطرق برأسه حتى علاه العرق ثم رفع رأسه وقال : ( الاستواء غير مجهول ) أي : من حيث المعنى معلوم لأن اللغة العربية بين أيدينا كل المواضع التي وردت فيها ( استوى ) معداة بـ ( على ) معناه العلو فقال :

❁ (الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ) لأن العقل لا يدرك الكيف فإذا انتفى الدليل السمعي والعقلي عن الكيفية وجب الكف عنها .

❁ ( والإيمان به واجب )لأن الله أخبرنا عن نفسه فوجب تصديقه .

❁ ( والسؤال عنه بدعة ) السؤال عن الكيفية بدعة لأن منهم أحرص منا على العلم ما سألوا عنها وهم الصحابة لما قال الله : ﴿ **اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾[ الفرقان : ٥٩ ]، عرفوا عظمة الله ـ عز وجل ـ ومعنى الاستواء على العرش ، وأنه لا يمكن أن تسأل : كيف استوى؟ ، لأنك لا تدرك ذلك فنحن إذا سئلنا فنقول : هذا السؤال بدعة .

وكلام مالك ـ رحمه الله ـ ميزان لجميع الصفات .

**فإن قيل لك مثلاً :** إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف ينزل ؟ فالنزول غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ... **إلى أن قال ـ رحمه الله ـ :**

**وهنالك كلام للسلف يدل على أنهم يفهمون معاني ما أنزل الله على رسوله من الصفات كما نُقل عن الأوزاعي وغيره ، أنهم قالوا في آيات الصفات وأحاديثها « أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف » وهذا يدل على أنهم يُثبتون لها معنى من وجهين:**

**أولاً :** أنهم قالوا « أمِرُّوها كما جاءت » ومعلوم أنها ألفاظ جاءت لمعاني ولم تأت عبثاً ، فإذا أمررناها كما جاءت لزم من ذلك أن نثبت لها معنى .

**ثانياً :** قولهم « بلا كيف » لأن نفي الكيفية تدل على وجود أصل المعنى لأن نفي الكيفية عن شيء لا يوجد لغو وعبث إذاً فهذا الكلام المشهور عند السلف يدل على أنهم يثبتون لهذا النصوص معنى . ا هـ .

**قلت :** قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ص ١٣٠ ) :

قال ابن الماجشون والإمام أحمد وغيرهما من السلف : إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه . ا هـ .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ولا تمثيل .**

التمثيل هو ذكر مماثل للشيء ، وليس التمثيل هو التشبيه .

**قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٦ / ١١٣) :**

كذلك لفظ التشابه ليس هو التماثل في اللغة . ا هـ .

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٦٦ ) : ذكرتُ النفي والتمثيل ولم أذكر التشبيه لأن التمثيل نفاه الله بنص كتابه حيث قال : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [ الشورى : ١١ ] ، وقال : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [ مريم : ٦٥ ] ، وكان أحب إليَّ من لفظ ليس في كتاب الله ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ ، وإن كان قد يعني بنفيه معنى صحيحاً كما قد يعني به معنى فاسداً . ا هـ .

**فتحصل مما سبق أن التعبير بنفي التمثيل أولى من التعبير بنفي التشبيه لوجوه :**

[ ١ ] أن التمثيل لا يرادف التشبيه في لغة العرب .

[ ٢ ] أن المنفي في القرآن هو التمثيل دون التشبيه .

[ ٣ ] أن من نفى التشبيه قد يريد بكلامه معنى صحيحاً وقد يريد به معنى باطلاً .

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٣ / ١٦٧ ) :**

وكذلك التمثيل منفي بالنص والإجماع القديم مع دلالة العقل على نفيه ونفي

التكييف ، إذ كنه الباري غير معلوم للبشر . ا هـ .

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح العقيدة الواسطية ص ٨١ :**

فأهل السُّنَّة يتبرؤون من تمثيل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بخلقه لا في ذاته ولا في صفاته .

والتمثيل ذكر مماثل للشيء وبينه وبين التكييف عموم وخصوص مطلق لأن كل ممثل مكيِّف، وليس كل مكيِّف ممثلاً ، لأن التكييف ذكر كيفية غير مقرونة بمماثل ، مثل أن تقول: لي قلم كيفيته كذا وكذا فإن قرنت بمماثل صار تمثيلاً مثل أن أقول: هذا القلم مثل هذا القلم لأني ذكرت شيئاً مماثلاً لشيء وعرفت هذا القلم بذكر مماثله .

وأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون لله عزَّ وجلَّ الصفات ، بدون مماثلة ، **يقولون إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ له حياة وليست مثل حياتنا ، وله علم وليس مثل علمنا ، له بصر ليس مثل بصرنا ، له وجه ليس مثل وجوهنا ، له يد وليست مثل أيدينا ، وهكذا جميع الصفات ، يقولون: إن الله عزَّ وجل لا يماثل خلقه فيما وصف به نفسه أبداً ، ولهم على ذلك أدلة سمعية وأدلة عقليه .**

**﴿ أ ﴾ الأدلة السمعية** : تنقسم إلى قسمين : خبر وطلب .

**فمن الخبر** : قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ [ الشورى : ١١ ] ، فالآية فيها نفي صريح للتمثيل، وقوله تعالى : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ [ مريم : ٦٥ ] ، فإن هذا وإن كان إنشاءً لكنه معنى الخبر لأنه استفهام بمعنى النفي وقوله : ﴿ **لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ④ ﴾ [الإخلاص: ٤ ] ، فهذه كلها تدل على نفي المماثلة وهي كلمة خبرية .

**وأما الطلب**: فقال تعالى : ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا** ﴾ [ البقرة : ٢٢ ] ، أي نظراء مماثلين . وقال : ﴿ **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ** ﴾ [ النحل : ٧٤ ] ، فمن مثَّل الله بخلقه فقد كذب الخبر وعصى الأمر ، ولهذا أطلق بعض السلف القول بالتكفير لمن مثل الله بخلقه، فقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري ـ رحمه الله ـ : « من شبه الله بخلقه فقد كفر » . لأنه جمع بين التكذيب بالخبر وعصيان الطلب .

**وأما الأدلة العقلية على انتفاء التماثل بين الخالق والمخلوق فمن وجوه :**

**أولاً : أن نقول :** لا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق بأي حال من الأحوال لو لم يكن بينهما من التباين إلا أصل الوجود لكان كافياً ، وذلك أن وجود الخالق واجب فهو أزلي أبدي ووجود المخلوق ممكن مسبوق بعدم ويلحقه فناء ، فما كان كذلك لا يمكن أن يقال : إنهما متماثلان .

**ثانياً :** أنا نجد التباين العظيم بين الخالق والمخلوق في صفاته وأفعاله .

من صفاته ـ عزَّ وجلّ ـ يسمع كل صوت مهما خفي ومهما بعد ولو كان في قعار البحار لسمعه ـ عزَّ وجلَّ ـ .

وأنزل الله قوله تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ① ﴾ [ المجادلة : ١ ] .

تقول عائشة رضي الله عنها : « الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، إني لفي الحجرة وإنه ليخفى عليّ بعض حديثها » .

والله تعالى سمعها من على عرشه وبينه وبينها ما لا يعلم مداه إلا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا يمكن أن يقول قائل : إن سمع الله مثل سمعنا .

**ثالثاً :** نقول :نحن نعلم أن الله تعالى مباين للخلق بذاته ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ [ البقرة: ٢٥٥ ] ، ﴿ **وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ** ﴾ [الزمر :٦٧ ] ، ولا يمكن لأحد من الخلق أن يكون هكذا ، فإذا كان مبايناً للخلق في ذاته فالصفات تابعة للذات ، فيكون أيضاً مبايناً للخلق في صفاته ـ عزَّ وجلَّ ـ ولا يمكن التماثل بين الخالق والمخلوق .

**رابعاً :** إننا نشاهد في المخلوقات أشياء تتفق في الأسماء وتختلف في المسميات يختلف الناس في صفاتهم هذا قوي البصر وهذا ضعيفه ، وهذا قوي السمع وهذا ضعيف ، هذا قوي البدن وهذا ضعيف ، وهذا ذكر وهذا أنثى . . . . . .

وهكذا التباين في المخلوقات التي من جنس واحد ، فما بالك بالمخلوقات المختلفة

الأجناس ، فالتباين بينها أظهر ، ولهذا لا يمكن لأحد أن يقول : إن لي يداً كيد الجمل ، أو لي يداً كيد الذرة ، أو لي يداً كيد الهر، فعندنا الآن إنسان وجمل وذرة وهر وكل واحد له يد مختلفة عن الثاني مع إنها متفقة في الاسم .

**فنقول :** إذا جاز التفاوت بين المسميات في المخلوقات مع اتفاق الاسم فجوازه بين الخالق والمخلوق ليس جائزاً فقط بل واجب ، فعندنا أربعة وجوه عقلية كلها تدل على أن الخالق لا يمكن أن يماثل المخلوق بأي حال من الأحوال .

**ربما نقول أيضاً :** هناك دليل فطري وذلك لأن الإنسان بفطرته بدون أن يلقَن يعرف الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولولا هذه الفطرة ما ذهب يدعو الخالق .

فتبين أن التمثيل منتفٍ سمعاً وعقلاً وفطرةً . ا هـ .

**وأختم هذا بكلام عظيم لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة ( ١١١/٢ ) حيث قال :**

ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يثبتون لله ما أثبته من الصفات ، وينفون عنه مماثلة المخلوقات، يثبتون له صفات الكمال ، وينفون عنه ضروب الأمثال ، وينزهونه عن النقص والتعطيل وعن التشبيه والتمثيل إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [ الشورى : ١١ ] ، ردٌّ على الممثلة ، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ردٌّ على المعطلة . ا هـ .

بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه .

لما بيَّن شيخ الإسلام أن من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بيَّن أن أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بذلك فيثبتون تلك الصفات بلا تكييف أو تمثيل وينزهون الله عن النقائص والعيوب دون تحريف أو تعطيل ، كما قال تعالى .. ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ فالآية رد على الممثلة والمعطلة معاً وحجة دامغة لأهل السُّنَّة عليهم.

**قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ص ١٥٩ :**

قوله سبحانه وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ فإنه سبحانه ذكر ذلك عقب ذكر نعوت كماله وأوصافه فقال: ﴿ حم ﴿١﴾ عسق ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [ الشورى : ١ - ١١ ] .

فهذا الموصوف بهذه الصفات ، والأفعال، والعلو، والعظمة، والحفظ ، والعزة ، والحكمة ، والملك ، والحمد، والمغفرة ، والرحمة ، والكلام ، والمشيئة ، والولاية ، وإحياء الموتى، والقدرة التامة الشاملة ، والحكم بين عباده ، وكونه فاطر السموات والأرض وهو السميع البصير ، فهذا الذي ليس كمثله شيء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله وثبوتها على وجه الكمال لا يماثله فيه شيء، فالمثبت لصفات كماله هو الذي يصفه أنه ليس كمثله شيء، وأما المعطل النافي لصفاته وحقائق أسمائه فإن وصفه بأنه ليس كمثله ، شيء مجاز لا حقيقة له ، كما يقول في سائر صفاته وأسمائه . اهـ .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ** : فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه .

أي أنهم مع إيمانهم بأن الله ليس كمثله شيء فلا يحملهم ذلك على نفي صفات الله لأنهم يؤمنون بالكتاب كله ، فالذي قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ هو القائل : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وهو الذي أثبت لنفسه صفات الكمال ونعوت الجلال الدالة على عظمته وجماله وجلاله ، فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون لله ما أثبته لنفسه دون تكييف أو تمثيل ، بل على الوجه اللائق به ـ سبحانه وتعالى ـ .

**وقوله ـ رحمه الله ـ** : ولا يحرفون الكلم عن مواضعه :

سبق الكلام على هذا وأنقل هنا كلاماً نفيساً للعلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ يؤيد ما سبق ويوضحه .

**قال ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق « ٣٦٦ـ٣٦٧ » :**

**والتحريف نوعان** : تحريف اللفظ وتحريف المعنى ، فتحريف اللفظ به عن جهته إلى غيرها إما بزيادة وإما بنقصان، وإما بتغيير حركة إعرابية وإما غير إعرابية فهذه أربعة أنواع .

وقد سلك الجهمية والرافضة فيها فإنهم حرفوا نصوص الحديث ولم يتمكنوا من ذلك في ألفاظ القرآن وإن كان الرافضة حرَّفوا كثيراً من لفظه وادَّعوا أن أهل السُّنَّة غيروه عن وجهه .

وأما تحريف المعنى فهذا الذي جالوا فيه وصالوا وتوسعوا وسموه تأويلاً وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة ، وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر مشترك بينهما .

وأصحاب تحريف الألفاظ شر من هؤلاء من وجه وهؤلاء شر من وجه .

فإن أولئك عدلوا باللفظ والمعنى جميعاً عما هما عليه فأفسدوا اللفظ والمعنى .

وهؤلاء أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيراً من أولئك من هذا الوجه، ولكن أولئك لما أرادوا المعنى الباطل حرَّفوا له لفظاً يصلح له لئلا يتنافر اللفظ

والمعنى بحيث إذا أُطلق ذلك اللفظ المحرَّف فُهم منه المعنى المحرَّف ، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه ، فبدءوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذي قصدوا . اهـ .

## ولا يلحدون في أسمائه وآياته

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( ولا يلحدون في أسمائه وآياته ) .**

أفاد كلامه ـ رحمه الله ـ أن أهل السُّنَّة والجماعة لكمال إيمانهم بالله وأسمائه وآياته أنهم لا يلحدون فيها .

فالإلحاد إما أن يكون في أسماء الله وإما في آياته، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٤٠] .

**أما الإلحاد في أسماء الله ، فقد قال عنه العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد (١ / ١٩٦ـ١٩٧) :**

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠ ]،والإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها عن الحق الثابت لها،وهو مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته ( ل ح د ) .

فمنه اللَّحْدُ وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط .

ومنه المُلْحِدُ في الدين ، المائل عن الحق إلى الباطل .

**قال ابن السكّيت :** الملحد المائل عن الحق المُدْخل فيه ما ليس منه .

ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك . وقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ [ الجن : ٢٢ ] ، أي من تعدل إليه ، وتهرب إليه ، وتلتجئ إليه ، وتبتهل إليه ، فتميل إليه عن غيره .

تقول العرب « التحد فلان إلى فلان » إذا عدل إليه .

**إذا عُرف هذا فالإلحاد في أسماء الله أنواع :**

**أحدها:** أن يسمي الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإله و العزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً ، وهذا إلحاد حقيقة لأنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

**الثاني :** تسميته بما لا يليق بجلاله ؛ كتسمية النصارى له أباً ، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته أو علّة فاعلة بالطبع ، ونحو ذلك .

**ثالثها :** وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول أخبث اليهود : إنه فقير. وقولهم : إنه استراح بعد أن خلق خلقه . وقولهم : يد الله مغلولة . وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته .

**رابعها :** تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد ويقولون : لا حياة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسمائه وصفاته لآلهتهم،وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحد في أسمائه ، ثم الجهمية وفروخهم متفاوتون في هذا الإلحاد ، منهم الغالي والمتوسط والمنكوب .

**خامسها:** تشبيه صفاته بصفات خلقه،تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً.

فهذا الإلحاد في مقابل إلحاد المعطلة ، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها ، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه ، وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله ، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات ، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيهاً خالياً من التعطيل ، لا كمن شبَّه حتى كأنه يعبد صنماً أو عطل كأنه لا يعبد إلا عدماً .اهـ .

**وأما القسم الثاني من الإلحاد فهو الإلحاد في آياته :**

**فقد قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية(ص١٠٠-١٠٣) :**

وأما الإلحاد في آيات الله ـ تعالى ـ فالآيات جمع آية،وهي العلامة المميزة للشيء

عن غيره ، والله - عز وجل - بعث الرسل بالآيات لا بالمعجزات، لهذا كان التعبير بالآيات أحسن من التعبير بالمعجزات :

**أولاً :** لأن الآيات هي التي يُعبَّر بها في الكتاب والسُّنَّة .

**ثانياً :** أن المعجزات قد تقع من ساحر ومشعوذ وما أشبه ذلك ، تُعجز غيره .

**ثالثاً :** أن كلمة ( آيات ) أدل على المعنى المقصود من كلمة معجزات، فآيات الله هي العلامات الدالة على الله - عز وجل - وحينئذ تكون خاصة به ولولا أنها خاصة ماصارت آية له .

**وآيات الله - عز وجل - تنقسم إلى قسمين : آيات كونية ، وآيات شرعية :**

**فالآيات الكونية :** ما يتعلق بالخلق والتكوين مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ** ﴾ [ فصلت : ٣٧ ] ، وقال : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ (٢٠)** ﴾ [ الروم : ٢٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)** ﴾ [ الروم : ٢٢ ] ، فهذه آيات كونية وإن شئت فقل كونية قدرية ، وكانت آية الله لأنه لا يستطيع الخلق أن يفعلوها فمثلاً :

لا يستطيع أحد أن يخلق مثل الشمس والقمر ولا يستطيع أن يأتي بالليل إذا جاء النهار ولا بالنهار إذا جاء الليل ، فهذه الآيات كونية .

والإلحاد فيها أن ينسبها إلى غير الله استقلالاً أو مشاركة أو إعانة فيقول :هذا من الولي الفلاني . أو من النبي الفلاني أو شارك فيه النبي الفلاني أو الولي الفلاني . أو أعان الله فيه، قال الله تعالى :﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)** ﴾ .

[ سبأ : ٢٢ ] .

فهي كل شيء يتعلق به المشركون بكون معبوداتهم لا تملك شيئاً في السموات والأرض استقلالاً أو مشاركة ولا معينة لله عز وجل ثم جاء بالرابع : ﴿ **وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾ [ سبأ : ٢٣ ] .

لما كان المشركون قد يقولون : نعم هذه الأصنام لا تملك ولا تشارك ولم تعاون لكنها شفعاء قال : ﴿ **وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾ فقطع كل سبب يتعلق به المشركون .

**القسم الثاني من الآيات : الآيات الشرعية :**

وهي ما جاءت به الرسل من الوحي كالقرآن العظيم وهو آية لقوله تعالى :﴿ **تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)** ﴾ [ البقرة : ٢٥٢ ] ، ﴿ **وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ** ﴾ [ العنكبوت : ٥١ ] فجعله آيات .

ويكون الإلحاد فيها إما بتكذيبها أو تحريفها أو مخالفتها .

**فتكذيبها أن يقول** : ليست من عند الله فيكذب بها أصلاً أو يكذب بما جاء فيها من الخبر مع تصديقه بالأصل فيقول مثلاً : قصة أصحاب الكهف ليست صحيحة وقصة أصحاب الفيل ليست صحيحة ، والله لم يرسل عليهم طيراً أبابيل .

**وأما التحريف:**فهو تغيير لفظها أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله مثل أن يقول: الله استوى على العرش أي استولى أو ينزل إلى السماء الدنيا أي :ينزل أمره .

**وأما مخالفتها :** فبترك الأوامر أو فعل النواهي .

قال تعالى في المسجد الحرام : ﴿ **وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [ الحج : ٢٥ ] ، فكل المعاصي إلحاد في الآيات الشرعية لأنه خروج بها عما يجب لها ، إذ الواجب علينا أن نمتثل الأوامر وأن نجتنب النواهي فإن لم نقم بذلك فهذا إلحاد . اهـ.

## و لا يكيّفون و لا يمثّلون صفاته بصفات خلقه

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : (ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقة ) .**

قد سبق الكلام على التكييف والتمثيل إلا أني أورد هنا كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيمية له صلة بهذا ، حيث قال كما في مجموع الفتاوى ( ٣ / ٤٨- ٤٩ ) :

كثير من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة محاذير :

**أحدها :** كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

**الثاني :** أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطَّله، بقيت النصوص معطَّلة عما دلّت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل ـ قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى .

**الثالث :** أنه ينفي تلك الصفات عن الله ـ عز وجل ـ بغير علم فيكون معطلاً لما يستحقه الرب .

**الرابع :** أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات فيكون قد عطل النصوص عما دلَّت عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل ؛ فيكون ملحداً في أسماء الله وآياته .

مثال ذلك أن النصوص كلها دلَّت على وصف الإله بالعلو والفوقية على المخلوقات واستوائه على العرش، فأمَّا علوه ومباينته للمخلوق فيعلم بالعقل الموافق للسمع وأمَّا الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع ، وليس في الكتاب والسنة

وصف بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداحله

فيظن المتوهم أنه إذا وصف بالاستواء على العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان على ظهر الفلك والأنعام كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ⑫ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ [ الزخرف : ١٢ - ١٣ ] .

فيتخيل له أنه إذا كان مستو على العرش كان محتاجاً إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها ولو عثرت الدابة لخر المستوي عليها ، فقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى .

**ثم يريد بزعمه أن ينفي هذا فيقول :** ليس استواؤه بقعود ولا استقرار ولا يعلم أن مسمّى القعود والاستقرار يقال فيه ما يقال في مسمى الاستواء ، فإن كانت الحاجة داخلة في ذلك فلا فرق بين الاستواء والقعود والاستقرار وليس هو بهذا المعنى مستوي ولا مستقراً ولا قاعداً وإن لم يدخل في مسمى ذلك إلا ما يدخل في مسمّى الاستواء فإثبات أحدهما ونفي الآخر تحكم .

وقد علم أن بين مسمّى الاستواء والاستقرار والقعود فروقاً معروفة .

ولكن المقصود هنا أن يعلم خطأ من ينفي الشيء مع إثبات نظيره ، وكأن هذا الخطأ من خطئه في مفهوم استوائه على العرش حيث ظن أنه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك ، وليس في هذا اللفظ ما يدل على ذلك لأنه أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته .

فذكر أنه خلق ثم استوى ، كما ذكر أنه قدر فهدى ، وأنه بنى السماء بأيد وكما ذكر أنه مع موسى وهارون يسمع ويرى ، وأمثال ذلك .

فلم يذكر استواءً مطلقاً يصلح للمخلوق ولا عاماً يتناول المخلوق ، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته وإنما ذكر استواءً أضافه إلى نفسه الكريمة .

فلو قدّر على وجه الفرض الممتنع أنه مثل خلقه - تعالى عن ذلك - لكان استواؤه مثل استواء خلقه .

أمَّا إذا كان هو ليس مماثلاً لخلقه بل قد علم أنه الغني عن الخلق وأنه الخالق للعرش ولغيره ، وأن كل ما سواه مفتقر إليه ، وهو الغني عن كل ما سواه ، وهو لم يذكر إلا استواءً يخصه ولم يذكر استواءً يتناول غيره ولا يصلح له كما لم يذكر في علمه وقدرته ورؤيته وسمعه وخلقه إلا ما يختص به ، فكيف يجوز أن يتوهم أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه وأنه لو سقط العرش لخرَّ من عليه ؟ .

سبحانه وتعالى عمَّا يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

هل هذا إلا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه ، أو ظنَّه ظاهر اللفظ ومدلوله ، أو جوَّزَ ذلك على رب العالمين الغني عن الخلق ؟.

بل لو قُدِّر أن جاهلاً فهم مثل هذا أو توهمه لبين له أن هذا لا يجوز ،وأنه لم يدل اللفظ عليه أصلاً، كما لم يدل على نظائره في سائر ما وصف الرب به نفسه . اهـ .

## لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ :(لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له)**
هذا تعليل لما سبق من قول أهل السُّنَّة والجماعة : (لا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه .

**( سبحانه )** سبحان اسم مصدر ، والمصدر تسبيح .

ومعنى تسبيح الله تنزيهه عن النقائص والعيوب في ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله .

**(لا سمي له)** : قال العلامة محمد بن إبراهيم كما في تقريراته على العقيدة الواسطية ص ٣٠ :

المعنى لا يساميه أحد أو لا يستحق مثل اسمه ، وكلا المعنيين راجع إلى الآخر لكون اسمه تعالى دال على الكمال ، والخلق وإن كان لهم نوع كمال فإن الله هو الذي أكسبهم إياه . اهـ .

وكلمة (سمي) نكرة في سياق النفي فتفيد العموم فليس لله سمي مطلقاً قال تعالى : ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴿٦٥﴾ ﴾ [ مريم : ٦٥ ] ، و (سمي) نكرة في سياق الاستفهام فتفيد العموم ، والاستفهام هنا بمعنى النفي .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ولا كفء له .**

الكفء : المكافئ ، المماثل ، والله سبحانه وتعالى يقول عن نفسه :﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص : ٤ ] ، وذلك لعظمته وكماله وجلاله سبحانه وتعالى .

و(كفء) نكرة في سياق النفي فتفيد العموم .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ولا ند له .**

والند هو النظير،قال تعالى :﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:٢٣] .

والسمي والكفء والند متقاربة من حيث المعنى .

**[ ولا يقاس بخلقه - سبحانه وتعالى - فإنه - سبحانه- أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلاً ، وأحسن حديثاً من خلقه ]**

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى :**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ١٠٥- ١٠٦ :**

القياس ينقسم إلى ثلاثة أقسام : قياس شمول ، وقياس تمثيل ، وقياس أولوية.

**فهو سبحانه وتعالى لا يقاس بخلقه ، لا قياس تمثيل ، ولا قياس شمول :**

[ ١ ] **قياس الشمول :** هو ما يعرف بالعام الشامل لجميع أفراده بحيث يكون كل فرد منه داخلاً في مسمًّى ذلك اللفظ ومعناه. فمثلاً إذا قلنا : الحياة فإنه لا تقاس حياة الله بحياة الخلق من أجل أن الكل يشمله اسم ( حي ).

[ ٢ ] **وقياس التمثيل :** هو أن يلحق الشيء بمثيله فيجعل ما ثبت للخالق مثل ما ثبت للمخلوق .

[ ٣ ] **وقياس الأولوية :** هو أن يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل ولهذا يقول العلماء :

إنه مستعمل في حق الله لقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ ﴾ [ النحل : ٦٠ ] ، بمعنى كل صفة كمال فلله تعالى أعلاها ، والسمع والعلم والقدرة والحياة والحكمة وما أشبهها موجودة في المخلوق لكن لله أعلاها وأكملها .

ولهذا أحياناً نستدل بالأدلة العقلية من زاوية القياس بالأولى، فمثلاً :

**نقول :** العلو صفة كمال في المخلوق فإذا كانت صفة كمال في المخلوق فهو في الخالق من باب أولى ، وهذا دائماً نجده في كلام العلماء .

فقول المؤلف ـ رحمه الله ـ : « **ولا يقاس بخلقه** » بعد قوله « **لا سمي ولا كفء له ولا ند له** » يعني القياس المقتضي للمساواة وهو قياس الشمول وقياس التمثيل .

إذاً يمتنع القياس بين الله وبين الخلق للتباين بينهما ،وإذا كنا في الأحكام لا نقيس

الواجب على الجائز أو الجائز على الواجب ففي باب الصفات بين الخالق والمخلوق من باب أولى .

**لو قال لك قائل :** الله موجود والإنسان موجود ووجود الله كوجود الإنسان بالقياس .

**فنقول :** لا يصح ، لأن وجود الخالق واجب ، ووجود الإنسان ممكن .

**فلو قال:** أقيس سمع الخالق على سمع المخلوق .

**نقول:** لا يمكن ، سمع الخالق واجب له ، لا يعتريه نقص وهو شامل لكل شيء ، وسمع الإنسان ممكن إذ يجوز أن يولد الإنسان أصم ، والمولَدُ سميعاً يلحقه نقص السمع ، وسمعه محدود .

إذاً لا يمكن أن يقاس الله بخلقه ، فكل صفات الله لا يمكن أن تقاس بصفات خلقه لظهور التباين العظيم بين الخالق والمخلوق . ا هـ.

وقول المصنف ـ رحمه الله ـ : **( فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه )** .

هذا تعليل لما سبق من وجوب إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات الكمال ومنع قياسه بخلقه، فإنه إذا كان أعلم بنفسه من غيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً ، وجب إثبات ما أثبته لنفسه ، كما أن هذا الكلام كالتوطئة لما سيأتي تفصيلاً من الآيات الدالة على إثبات الصفات لله ، كما وصف بذلك نفسه سبحانه وتعالى .

**ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴾**

**فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب**

**قول المصنف: ( ثم رسله صادقون مصدقون ) .**

هذه الجملة عطف على قوله **(فإنه أعلم بنفسه ... الخ )** .

ورسل الله صادقون مبرؤون عن الكذب بإجماع أهل الملل كلها .

وهم مصدَّقون من الله ، فإنه ـ سبحانه ـ صدَّقهم بقوله وبفعله حيث نصرهم وأيدهم بالآيات الدالة على صدقهم ، ويجب على الناس تصديقهم ، فمن كذبهم أو كذب أحدهم فهو كافر ـ عياذاً بالله ـ .

**وقوله ـ رحمه الله ـ : (بخلاف الذين يقولون على الله مالا يعلمون ) .**

هذا راجع إلى أهل التعطيل وأهل التمثيل ،فكلهم قائل على الله بغير علم، فمن عطَّل صفات الله وحرَّف النصوص الدالة عليها فهو قائل على الله بلا علم ، ومن مثَّل صفات الله بصفات خلقه أو كيَّفها فهو قائل على الله بغير علم، وهكذا من ألحد في أسماء الله وآياته فهو قائل على الله بغير علم، وقد قال سبحانه وتعالى : **﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾** [ الأعراف : ٣٣ ] .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ : ولهذا.**

هذا تعليل لما سبق من كون كلام الله ورسوله حق وصدق .

وقوله تعالى : **﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴾** [ الصافات : ١٨٠ - ١٨٢ ] .

**قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :**

ينزِّه ـ تعالى ـ نفسه ويقدِّسها ويبرئها عما يقول له الظالمون المكذبون المعتدون ، تعالى وتنزه وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾ أي ذي العزة التي لا ترام .

﴿ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي عن قول هؤلاء المعتدين المفترين.

﴿ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه في ربهم وصحته وحقيقته ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي له الحمد في الأولى والآخرة في كل حال .

ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص قرن بينهما في هذا الموضوع وفي مواضع كثيرة من القرآن ، ولهذا قال : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) ﴾ . ا هـ .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ : فسبح نفسه عما يصفه المخالفون للرسل .**

قال ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى ( ١٧ / ١٤٤ ) تسبيح الرب نفسه يتضمن تنزيهه وتعظيمه جميعاً ،فقول العبد سبحان الله :يتضمن تنزيه الله وبراءته من السوء . ا هـ.

والمخالفون للرسل هم الذين مثَّلوا الخالق ـ سبحانه ـ بالمخلوق وكذلك الذين مثلوا المخلوق بالخالق ، وهكذا الذين عطَّلوا صفات الله وألحدوا في أسمائه وآياته .

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : (سلم على المرسلين)** لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ، لأن ما ذكروه في أسماء الله وصفاته ودينه وشرعه هو الصدق والكمال اللائق بالله ، ولأنهم نزهوا الله عن النقائص والعيوب .

## وهو - سبحانه - قد جمع فيما وصف به نفسه بين النفي والإثبات

قول المصنف - رحمه الله - : **وهو سبحانه قد جمع فيما وصف به نفسه من النفي والإثبات.**

**هذا كما قال العلامة الفوزان - حفظه الله - :** بيان للمنهج الذي رسمه الله في كتابه لإثبات أسمائه وصفاته، وهو المنهج الذي يجب أن يسير عليه المؤمنون في هذا الباب المهم. اهـ.

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله تعالى - في منهاج السُّنَّة (٢ / ١٨٤ - ١٨٧):**

فالرب تعالى مستحق للكمال على وجه التفصيل كما أخبرت به الرسل، فإن الله تعالى أخبر أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، وأنه عليم قدير، عزيز حكيم، غفور رحيم، ودود مجيد، وأنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر، وأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليماً، وناداه وناجاه، إلى غير ذلك مما جاء به الكتاب والسُّنَّة.

وقال في التنزيه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: ١١]، ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٢]، فنزَّه نفسه عن النظير باسم الكفء والمثل والند والسمي.

فهذه طريقة الرسل وأتباعهم من سلف الأمة وأئمتها: إثبات مفصَّلٌ ونفيٌ مجملٌ.

إثبات الكمال على وجه التفصيل ونفي النقص والتمثيل كما ورد ذلك في سورة ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢**﴾ [الإخلاص: ١-٢]، وهي تعدل ثلث القرآن كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح.

فاسمه (الصمد) يتضمن صفات الكمال كما روى الوالبي عن ابن عباس رضي الله عنهما

أنه قال : هو العليم الذي كمل في علمه ، والقدير الذي كمل في قدرته ، والسيد الذي كمل في سؤدده ، والشريف الذي كمل في شرفه، والعظيم الذي كمل في عظمته، والحليم الذي كمل في حلمه،والحكيم الذي كمل في حكمته، وهو الذي كمل في أنواع الشرف والسؤدد هو الله سبحانه وتعالى هذه صفته لا تنبغي إلا له .

( والأحد ) يتضمن نفي المثل عنه .

**والتنزيه الذي يستحقه الرب يجمعه نوعان :**

أحدهما : نفي النقص عنه .

الثاني : نفي مماثلة شيء من الأشياء فيما يستحقه من صفات الكمال .

فإثبات صفات الكمال له مع نفي مماثلة غيره له يجمع ذلك كما دلت عليه هذه السورة .

وأمَّا المخالفون لهم من المشركين والصابئة ومن اتبعهم من الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ونحوهم فطريقتهم : نفيٌ مفصلٌ وإثباتٌ مجملٌ .

ينفون صفات الكمال ويثبتون ما لا يوجد إلا في الخيال . فيقولون : ليس بكذا ولا كذا فمنهم من يقول : ليس له صفة ثبوتية بل إمَّا سلبية وإمَّا إضافية وإمَّا مركبة منهما، كما يقوله من يقول من الصابئة والفلاسفة كابن سينا وأمثاله ويقول : هو وجود مطلق بشرط سلب الأمور الثبوتية عنه،ومنهم من يقول : وجود مطلق بشرط الإطلاق . وقد قرروا في منطقهم ما هو معلوم في العقل الصريح : أن المطلق بشرط الإطلاق إنما وجوده في الأذهان لا في الأعيان، فلا يُتصور في الخارج حيوان مطلق بشرط الإطلاق ولا إنسان مطلق بشرط الإطلاق ولا جسم مطلق بشرط الإطلاق، فيبقى واجب الوجود ممتنع الوجود في الخارج وهذا مع أنه تعطيل وجهل وكفر فهو جمع بين النقيضين . اهـ.

**وقال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في التنبيهات اللطيفة ص ٢٠:**

وهذا الذي ذكره المصنف ضابط نافع في كيفية الإيمان بالله وبأسمائه الحسنى

وصفاته العليا وأنه مبني على أصلين : أحدهما : النفي ، وثانيهما : الإثبات.

**أما النفي :** فإنه ينفي عن الله ما يضاد الكمال من أنواع العيوب والنقائص وينفي عنه أيضاً أن يكون له شريك أو نديد أو شبيه في شيء من صفاته أو في حق من حقوقه الخاصة، فكل ما ينافي صفات الكمال فإن الله منزَّه عنه مقدَّس .

والنفي مقصود لغيره ، والقصد منه إثبات ما لم يرد نفي شيء منه في الكتاب والسُّنَّة عن الله إلا بقصد إثبات ضده، فنفي الشريك والنديد عن الله لكمال عظمته وتفرده بالكمال ، ونفي السِّنَة والنوم والموت لكمال حياته ، ونفي عزوب شيء عنه لعلمه وقدرته .

ولهذا كان التنزيه والنفي لأمور مجملة عامة.

**وأمَّا الإثبات فإنه يجمع الأمرين:** إثبات المجملات ، كالحمد المطلق والكمال المطلق والمجد المطلق ونحوها، وإثبات المفصلات ، كتفصيل علم الله وقدرته وحكمته ورحمته ونحو ذلك من صفاته .

**فلا عدول لأهل السنّة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ: ( فلا عدول لأهل السُنَّة والجماعة عما جاء به المرسلون)**

**قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرح الواسطية ص٢٢ :**

أي لا ميل لهم ولا انحراف عن ذالك بل هم مقتفون آثارهم مستضيئون بأنوارهم، ومن ذلك إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عما لا يليق به ، فإن الرسل قد قرروا ذلك الأصل العظيم ، وأما أعداء الرسل فإنهم قد عدلوا عن ذلك .

**وقوله : (فإنه الصراط المستقيم ).**

**تعليل لقوله : ( فلا عدول لأهل السُنَّة )** أي لأن ما جاء به المرسلون هو الصراط المستقيم، والصراط المستقيم هو الطريق المعتدل الذي لا تعدد فيه ولا انقسام، وهو المذكور في قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ وقوله في الآية ١٥٣ من سورة الأنعام ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ وهو الذي ندعو الله في كل ركعة من صلواتنا أن يهدينا إليه. اهـ .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ : « صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .**

هذا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [ النساء :٦٩ ] .

**قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره : ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾** أي النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة .

﴿ مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ الذين فضَّلهم الله بوحيه واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم إلى الخلق ودعوتهم إلى الله تعالى .

﴿ وَالصِّدِّيقِينَ ﴾ وهم : الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل فعلموا الحق وصدَّقوه بيقينهم وبالقيام به قولاً وعملاً وحالاً ودعوة إلى الله .

﴿ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فَقُتلوا.

﴿ الصَّالِحِينَ ﴾ الذين صلح ظاهرهم وباطنهم ، فصلحت أعمالهم ، فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبته .

﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقربهم في جوار رب العالمين . اهـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ص ٢١ :**

فأهل السُّنَّة والجماعة لزموا هذا الطريق الذي هو الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ، وبلزومهم لهذا الطريق النافع تمت لهم النعمة وصحت عقائدهم وكملت أخلاقهم، أما من سلك غير هذا السبيل فإنه منحرف في عقيدته وأخلاقه وآدابه .اهـ .

**وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن.** حيث يقول : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴾ [ الإخلاص] .

**قوله : وقد دخل في هذه الجملة .**

**قال العلامة ابن عثمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص ١٢٧ :**

يحتمل أنه يريد بها قوله : ( وهو قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات ) ، ويحتمل أن يريد ما سبق من أن أهل السُّنَّة والجماعة يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وما وصفه به رسوله، وأياً كان فإن هذه السورة وما بعدها داخلة في ضمن ما سبق من أن الله تعالى جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وأن أهل السُّنَّة يؤمنون بذلك .ا هـ .

**وقال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ص ٢١ :**

هذا شروع في تفصيل النصوص الواردة في الكتاب والسُّنَّة الداخلة في الإيمان بالله وأنه يجب إثباتها ونفي التعطيل والتحريف والتكييف والتمثيل عنها . ا هـ .

**قوله : ( في سورة الإخلاص ) .**

**السورة :** هي آيات من كلام الله معلومة الأول والآخر .

**الإخلاص:** قال الحافظ ابن حجر في الفتح ( ٩ / ٦١ ) : سُمِّيت بذلك لأنها أخلصت الخبر عن الله وخلصت قارئها من شرك الإعتقاد . ا هـ .

**فتكون قد سُمِّيت بذلك لثلاثة أسباب :**

**[ ١ ]** أنها أخلصت الوصف لله .

**[ ٢ ]** لأن قارئها تخلَّص من شرك الإعتقاد .

**[ ٣ ]** أنه يتخلص يوم القيامة من الخلود في النار إن دخلها .

**قوله : ( التي تعدل ثلث القرآن ) .**

دليل ذلك ما جاء في البخاري عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها فلما أصبح جاء إلى الرسول ﷺ فذكر ذلك له ـ وكأن الرجل يتقالُّها ـ فقال رسول الله ﷺ : **( والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن ) .**

وفي صحيح مسلم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : **( أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟** ، قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟، قال : **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تعدل ثلث القرآن ) .**

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال :( **سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟**، فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ : **أخبروه أن الله يحبه ) .**

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ص ٢٢ :**

**قال أهل العلم : إن القرآن يحتوي على علوم عظيمة كثيرة وهي ترجع إلى ثلاثة علوم :**

**أحدها :** علوم الأحكام والشرائع الداخل فيها علوم الفقه كلها عبادات ومعاملات وتوابعها .

**الثاني :** علوم الجزاء على الأعمال والأسباب التي يجازى بها العاملون على ما يستحقون من خير وشر ، وبيان تفصيل الثواب والعقاب .

**الثالث:** علوم التوحيد وما يجب على العباد من معرفة الإيمان به وهوأشرف العلوم الثلاثة وسورة الإخلاص كفيلة باشتمالها على أصول هذا العلم وقواعده . ا هـ .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص ١٢٥ :**

ولهذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لأنها أخلصت الإخبار عن الرب تعالى وصفاته دون خلقه وأحكامه وثوابه وعقابه . ا هـ .

**هل تعدل سورة الإخلاص ثلث القرآن في الجزاء أم في الإجزاء ؟**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ١٢٨ :**

فهذه السورة تعدل ثلث القرآن في الجزاء لا في الإجزاء وذلك كما ثبت عن النبي ﷺ أن من قال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهوعلى كل شيء قدير ، عشر مرات فكأنما أعتق أربع أنفس من بني إسماعيل .

فهل يجزئ ذلك عن إعتاق أربع رقاب ممن وجب عليه ذلك وقال هذا الذكر عشر مرات ؟.

**فنقول :** لا يجزىء أما في الجزاء فتعدل هذا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يلزم من المعادلة في الجزاء المعادلة في الإجزاء ، ولهذا لو قرأ سورة الإخلاص في الصلاة ثلاث مرات لم يجزئه عن قراءة الفاتحة . ا هـ .

**فضل هذه السورة .**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢ / ٤٣٨ ) ولم يصح عن النبي ﷺ في فضل سورة من القرآن ما صح في فضلها حتى أفرد الحفاظ مصنفات في فضلها كالدارقطني وأبي نعيم وأبي محمد الخلال وأخرج أصحاب الصحيح فيها أحاديث متعددة . ا هـ .

ولم يصح في سبب نزول هذه السورة شيء.

قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

**قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٧٤٠ ) :** يعني هوالواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير له ولا نديد له ولا شبيه ولا عديل ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلا على الله ـ عز وجل ـ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله . ا هـ .

وقوله : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ :

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى(٥/٣٥٣ ) :**

قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وخلق من السلف : الصمد الذي لا جوف له . وقال آخرون : هو السيد الذي كمل في سؤدده .وكلا القولين حق فإن لفظ الصمد في اللغة يتناول هذا وهذا . ا هـ .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص ١٥٨ :**

فإن الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة وذلك لكثرة خصال الخير فيه لهذا قال جمهور السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهما : الصمد الذي كمل في سؤدده وهو العالم الذي كمل علمه ، القادر الذي كملت قدرته ، الحليم الذي كمل حلمه ، الرحيم الذي كملت رحمته ، الجواد الذي كمل جوده .

ومن قال إنه الذي لا جوف له فقوله لا يناقض هذا التفسير . ا هـ .

وانظر زاد المعاد ( ١ / ٣١٦ – ٣١٨ ) .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعالى كما في مجموع الفتاوى (٣٢٩/٥).**

ولهذا كان مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لانقص فيه ، منزه عن صفات النقص مطلقاً ، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله . فهذان المعنيان جمعا التنزيه وقد دل عليهما قوله تعالى :﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ ﴾فالاسم ﴿ الصَّمَدُ ﴾ : يتضمن صفات الكمال ، والاسم ﴿ أَحَدٌ ﴾ يتضمن نفي المثل . اهـ

وأما قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ .

**فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٤٣٨/٢) وما بعدها :**

فنفى عن نفسه الأصول والفروع والنظراء ، وهي جماع ما ينسب إليه المخلوق من الآدميين والبهائم والملائكة والجن بل والنبات ونحو ذلك، فإنه ما من شيء من المخلوقات إلا ولا بد أن يكون له شيء يناسبه : إما أصلٌ أو فرعٌ وإما نضير أو اثنان من ذلك أو ثلاثة .

وهذا في الآدميين والجن والبهائم ظاهر وأما الملائكة فإنهم وإن لم يتوالدوا بالتناسل فلهم الأمثال والأشباه ، ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ ﴾ [ الذاريات : ٤٩ ] ، قال بعض السلف : لعلكم تتذكرون أن خالق الأزواج واحد .

ولهذا كان في هذه السورة الرد على من كفر من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين .

فإن قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ رد لقول من يقول : إن له بنين وبنات من الملائكة أو البشر مثل من يقول : الملائكة بنات الله . أويقول : المسيح ابن الله أو عزير بن الله

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ آيات تبطل أقوالهم ومنها قوله تعالى :﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ

الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [مريم: ٨٨ – ٩٥] ...إلى أن قال: فهذا نفي كونه سبحانه والداً لشيء أو متخذاً لشيء ولداً بأي وجه من وجوه الولادة، أو اتخاذ الولد أياً كان.

وأما نفي كونه مولوداً فيتضمن نفي كونه متولداً بأي نوع من التوالد من أحد من البشر وسائر ما تولد من غيره فهو رد على من قال: (المسيح هو الله)، ورد على الدجال الذي يقول: (إنه الله) ورد على من قال في بشر إنه الله ... إلى أن قال:

فقوله سبحانه: ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾: نفي لهذا كله، فإن هؤلاء كلهم مولودون والله لم يولد، ولهذا ذكر الله المسيح في القرآن فقال (ابن مريم) بخلاف سائر الأنبياء كقوله: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧]، وقوله: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقوله: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠) ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، وقوله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [النساء: ١٥٧]، وفي ذلك فائدتان:

**إحداهما**: بيان أنه مولود والله سبحانه لم يولد.

**الثانية: نسبته إلى مريم بأنه ابنها ليس هو ابن الله سبحانه:**

وأما قوله: ﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ ﴾ [النساء: ١٧٢]، وقوله: ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، فإنه حكى قولهم الذي قالوه وهم

نسبوه إلى أنه ابنه فلم يضمنوا ذلك قولهم المسيح بن مريم .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ نفي للشركاء والأنداد ، ويدخل فيه كل من جعل شيئاً كفواً لله في شيء من خواص الربوبية مثل خلق الخلق والإلهية كالعبادة له ودعائه ونحو ذلك .

فهذه نكت تبين اشتمال كتاب الله على إبطال قول من يعتقد في أحد من البشر الإلهية باتحاد أو حلول أو غير ذلك . ا هـ .

## وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول :

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [ البقرة : ٢٥٥ ] .

الدليل على أن آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله ما رواه مسلم في صحيحه عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : ( **يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم** ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : **يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم** ؟ . قال : قلت : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ ، قال فضرب في صدري وقال : **والله ليهنك العلم أبا المنذر** ) .

وتسمى بآية الكرسي لذكر الكرسي فيها .

**وأما ما تضمنته هذه الآية من أسماء الله وصفاته .**

**فقد قال العلامة ابن عثيمين في شرحه للواسطية ص ( ١٤١ - ١٤٦ ) .**

وهذه الآية تتضمن من أسماء الله خمسة وهي: الله، الحي، القيوم ، العلي، العظيم.

وتتضمن من صفات الله **ستاً وعشرين** صفة منها **خمس** صفات تتضمنها هذه الأسماء .

**والسادسة :** إنفراده بالألوهية .

**السابعة :** انتفاء السِّنَة والنوم في حقه لكمال حياته وقيوميته .

**الثامنة :** عموم ملكه لقوله : ﴿ **لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ .

**التاسعة :** انفراد الله - عز وجل - بالملك ، ونأخذه من تقديم الخبر .

**العاشرة :** قوة السلطان وكماله ، لقوله : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ .

**الحادية عشرة :** إثبات العِنْدية ،وهذا يدل على أنه ليس في كل مكان ففيه الرد على الحلولية .

**الثانية عشرة :** إثبات الإذن من قوله : ﴿ **إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ .

**الثالثة عشرة :** عموم علم الله تعالى لقوله: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾ .

**الرابعة عشرة : والخامسة عشرة : أنه سبحانه وتعالى لا ينسى ما مضى لقوله ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ولا يجهل ما يستقبل لقوله ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .**

**السادسة عشرة :** كمال عظمة الله لعجز الخلق عن الإحاطة به .

**السابعة عشرة : إثبات المشيئة لقوله ﴿ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ .**

**الثامنة عشرة : إثبات الكرسي وهو موضع القدمين .**

**التاسعة عشرة والعشرون والحادية والعشرون :** إثبات العظمة والقوة والقدرة . لقوله: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ** ﴾ لأن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق .

**الثانية والثالثة والرابعة والعشرون :** كمال علمه ورحمته وحفظه من قوله : ﴿ **وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا** ﴾ .

**الخامسة والعشرون :** إثبات علو الله لقوله ( وهو العلي ) ثم أطال الكلام حول صفة العلو وسيأتي - إن شاء الله - في موضعه .

**السادسة والعشرون :** إثبات العظمة لله - عز وجل - لقوله : ( **العظيم** ) . اهـ .

**قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية ( ١ / ١٤٣ ) :**

وهذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة فقوله: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ**

الْقَيُّومُ ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق .

﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ أي الحي في نفسه الذي لايموت أبداً ، القيم لغيره . وكان عمر يقرأ القيام ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ، لا قوام لها بدون أمره كقوله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) ﴾ [ الروم : ٢٥ ] .

وقوله : ﴿ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ ﴾ أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت ، شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ولايخفى عليه خافية،ومن تمام القيومية أنه لا يعتريه سِنة ولا نوم فقوله ﴿ لا تَأْخُذُهُ ﴾ أي لا تغلبه سِنة وهي الوسن والنعاس ، ولهذا قال : ولا نوم لأنه أقوى من السِنة .

وفي الصحيح عن أبي موسى قال : قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال : ( **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يحفظ القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل ، وعمل الليل قبل عمل النهار ، حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** ) .

وقوله : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده وفي ملكه وتحت قهره وسلطانه ، كقوله: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [ مريم :٩٣-٩٥ ] .

وقوله : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ كقوله :﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ (٢٦) ﴾ [النجم : ٢٦ ] ، وكقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ﴾ [ الأنبياء : ٢٨ ] .

وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه ـ عز وجل ـ أنه لا يتجاسرأحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة : ( **آتي تحت العرش فأخر ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال : إرفع رأسك، وقل تسمع ،**

واشفع تشفع ـ قال ـ : فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ) .

وقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها كقوله إخباراً عن الملائكة ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) ﴾ [ مريم : ٦٤ ] .

وقوله : ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه كقوله : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ .

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ ثم ذكر الأقوال الواردة في ذلك وسيأتي بيانها إن شاء الله .

وقوله :﴿ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ أي لا يثقله ولايكرثه حفظ السماوات والأرض ومن فيهما ،ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسيرلديه ،وهو القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على جميع الأشياء، فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء، والأشياء كلها حقيرة بين يديه الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون،وهو القاهر لكل شيء الحسيب على كل شيء الرقيب العلي العظيم لا إله غيره ولا رب سواه فقوله ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ كقوله :﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩] ،وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح أمّروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه . ا هـ .

وقد قيل إن هذه الآية تضمنت اسم الله الأعظم وهو : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ .

وقد اختلف في تحديد الاسم الأعظم على عدة أقوال وقد اعتنى بجمعها جلال الدين السيوطي في كتاب الدر المنتظم في الاسم الاعظم ضمن الحاوي للفتاوى ( ١ / ٣٩٤ ) فأوصلها إلى عشرين قولاً .

**وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في تحفة الذاكرين ص ١٢٨ :**

وقد اختلف في تعيين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً . ا هـ .

واشهر الأقوال في ذلك أن الاسم الأعظم هو : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ وقد رجح هذا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ في عدد من كتبهما ومما استدل به أصحاب هذا القول :

ما رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن : في البقرة وآل عمران وطه )** .

والحديث صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ تعالى في صحيح الجامع برقم ( ٩٧٩ ) ولكن يشكل على هذا أحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ أخبر عن عدة أدعية أن الله دعي باسمه الأعظم وليس فيها الحي القيوم ومن ذلك :

ما رواه أبو داود وابن ماجة واللفظ له عن أنس رضي الله عنه قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام فقال ﷺ : **( لقد سألت الله باسمه الأعظم ، الذي إذا سُئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب )** وقد صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ .

**ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن ماجة في سننه عن بريدة رضي الله عنه قال :**

سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فقال رسول الله ﷺ : **( لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دُعي به أجاب)** وقد صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ .

ومن ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : ﴿ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾** [الأنبياء: ٧٨ ] ، **فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا ( استجاب الله له )** وقد صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ تعالى .

وليس في الحديث الأخير : ﴿ الْحيُّ الْقيُّومُ ﴾ إلا أن فيه أنه سبب لإجابة الدعاء .

وأحسن ما يقال في الاسم الأعظم أنه اسم جنس يدخل تحته كل الأدعية السابقة وبهذا يجتمع شمل الأدلة ويزول الإشكال بحمد الله . وهذا ما قرره العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ تعالى في كتابه : مجمع الفوائد واقتناص الأوابد حيث قال ـ رحمه الله ـ ص ٢٥٠ - ٢٥١ سُئِلت عن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى ، هل هو اسم معين ، أو اسم غير معين ولا معروف ؟ .

**والجواب :**

بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى لا يعرفه إلا من خصَّه الله بكرامة خارقة للعادة وهذا ظن خطأ ، فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ حثَّنا على معرفة أسمائه وصفاته وأثنى على من عرفها وتفقه فيها ودعا الله بها دعاء مسألة ولا ريب أن الاسم الأعظم أولاها بهذا الأمر ، فإنه ـ تعالى ـ هو الجواد المطلق الذي لا منتهى لجوده وكرمه وهو يحب الجود على عباده ، ومن أعظم ما جاد به عليهم تعرفه لهم بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا .

فالصواب أن الأسماء الحسنى كلها حسنى وكل واحد منها عظيم ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل على جميع صفاته الذاتية والفعلية أو دل على جميع الصفات مثل :

( **الله** ) فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها ، وهي جميع أوصاف الكمال ومثل ( الحميد ، المجيد ) فإن ( الحميد ) الاسم الذي دلَّ على أوصاف العظمة والجلال ويقرب من ذلك : ( الجليل ، والجميل ، والغني الكريم ) ، ومثل ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ فإن الحي من له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات، و ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع خلقه ، وقام بجميع الموجودات ، فهذا الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلها .

ومثل اسمه ( العظيم، الكبير) الذي له جميع معاني العظمة والكبرياء في ذاته

وأسمائه وصفاته ، وله جميع معاني التعظيم من خواص خلقه .

ومثل قولك : ( يا ذا الجلال والإكرام ) ، فإن الجلال : صفات العظمة والكبرياء والكمالات المتنوعة ، و ( الإكرام ) : استحقاقه على عباده غاية الحب وغاية الذل وما أشبه ذلك .

فعلم بذلك أن الاسم الأعظم اسم جنس ، وهذا هو الذي تدور عليه الأدلة الشرعية والاشتقاق كما في السنن أنه سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . فقال ﷺ : **( والذي نفسي بيده ، لقد سأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى )** .

وكذلك الحديث الآخر حين دعا الرجل فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، المنان ، بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم ، فقال ﷺ : **(والذي نفسي بيده ، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى )** .

وكذلك قوله ﷺ : **اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين :**

**﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) ﴾** [ البقرة: ١٦٣ ] ، **﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾** [ البقرة: ٢٥٥ ] رواه أبو داود والترمذي .

فمتى دعا الله العبد باسم من هذه الأسماء العظيمة بحضور قلب ورقة وانكسار لم تكد تُرَدُّ له دعوة ، والله الموفق . ا هـ .

## وقوله سبحانه :

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾

**قال العلامة السعدي في التنبيهات اللطيفة ص ٢٦ :**

وقد فسر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة بتفسير مختصر جامع واضح حيث قال : (**أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء** ) رواه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وهذا يدل على كمال عظمته ، وأنه لا نهاية لها وبيان إحاطته من كل وجه،ففي ﴿ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ إحاطته الزمانية وفي ﴿ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ إحاطته المكانية . ثم صرَّح بإحاطة علمه بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلية ، ومن العالم العلوي والسُّفلي ، ومن الظواهر والبواطن، والواجبات والجائزات والمستحيلات ، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء . ا هـ .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ عن هذه الآية كما في مختصر الصواعق ( ٤١٢ - ٤١٣ ) :**

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ في تفسير قوله : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [ الحديد :٣ ] . بقوله : ( **أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء** ) .

فجعل كمال الظهور موجباً لكمال الفوقية ، ولا ريب أنه ظاهر بذاته فوق كل شيء،والظهور هنا العلو،ومنه قوله : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ [ الكهف : ٩٧ ] ، أي يعلوه ، وقرر هذا المعنى بقوله : ( **فليس فوقك شيء** ) أي أنت فوق الأشياء كلها ، ليس لهذا اللفظ معنى غير ذلك ، ولا يصح أن يحمل الظهور على الغلبة

لأنه قابله بقوله : **(وأنت الباطن)** .

**فهذه الأسماء الأربعة متقابلة :** اسمان لأزل الرب تعالى وأبده ، واسمان لعلوه وقربه، فأوَّليته ـ سبحانه ـ سابقة على أوَّلية كل ما سواه ، وآخريته ـ سبحانه ـ ثابتة بعد آخرية كل ما سواه . ا هـ . وانظر طريق الهجرتين ص ٥٠ – ٥١ .

**ويقول العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص ١٤٩ :**

( ... واستفدنا من هذه الآية الكريمة إثبات أربعة أسماء لله وهي الأول والآخر والظاهر والباطن ، واستفدنا منها خمس صفات : الأولية ، والآخرية ، والظاهرية والباطنية ، وعموم العلم .

واستفدنا من مجموع الأسماء إحاطة الله بكل شيء زماناً ومكاناً لأنه قد يحصل من اجتماع الأوصاف زيادة صفة، فإذا قال قائل: هذه الأسماء متلازمة ، بمعنى أنك إذا قلت : **(الأول)**: فلا بد أن تقول **(الآخر)**: أو يجوز فصل بعضها عن بعض؟!.

فالظاهر أن المتقابل منها متلازم ، فإذا قلت : **(الأول)** فقل **(الآخر)** ، وإذا قلت: **(الظاهر)** فقل : ( **الباطن)** لئلا تفوت صفة المقابلة الدالة على الإحاطة . ا هـ .

ينبني على كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ إشكال وهو هل يجوز أن يعبد لأحد هذه الأسماء كأن يقال : عبد الأول ، أو عبد الآخر ، أو عبد الظاهر ، أو عبد الباطن ؟ حيث أن المقابلة الدالة على الكمال لا تظهر إلا بالمجيء بالآخر مع الأول ، والظاهر مع الباطن فينظر .

**ثم قال ـ رحمه الله ـ :** والثمرة التي ينتجها الإيمان بأن الله بكل شيء عليم : كمال مراقبة الله ـ عز وجل ـ وخشيته بحيث لا يفقده حيث أمره ، ولا يراه حيث نهاه . اهـ.

## وقوله سبحانه :
## ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾

**قال صاحب التنبيهات السنية ص ٥٦ :**

وفيه الرد على المعتزلة والرافضة الذين يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها ، والرد على من يزعم أنه يعلم الكليات دون الجزئيات . اهـ .

قوله سبحانه : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ [ الفرقان:٥٨ ] :

في الآية إثبات اسم **(الحي)** لله المتضمن لصفة الحياة الكاملة فإن ( الحياة صفة كمال يستحقها بذاته ، والموت مناقض لها ، فلم يوصف بالحياة لأجل نفي الموت ، بل وصفه بالحياة يستلزم نفي الموت ، فينفى عنه الموت لأنه حي ) الجواب الصحيح ( ٣ / ٢١١ ) .

ومناسبة ( عدم صحة التوكل على غير المتصف بما ذكر من الحياة والبقاء ، أما عدم صحة التوكل على من لم يتصف بالحياة كالأصنام فظاهر، وأما عدم صحته على من لم يتصف بالبقاء بأن كان ممن يموت فلأنه عاجز ضعيف ، فالمتوكل عليه أشبه شيء بضعيف عاذ بقرملة ، وقيل : لأنه إذا مات ضاع من توكل عليه ) روح المعاني للألوسي ( ١٩ / ٥٠-٥١ ) .

**وأما معنى التوكل في اللغة** فهو التفويض .

**وفي الاصطلاح :** صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع الأخذ بالأسباب المأذون بها شرعاً .

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين ( ٢ / ١٢٣ وما بعدها ) مع شيء من الاختصار :**

**وحقيقة الأمر :** أن التوكل حال مركبة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها .

**فأول ذلك : معرفة الرب وصفاته** : من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه وصدورها عن مشيئته وقدرته ، وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل .

قال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ : ولذلك لايصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف ولا من القدرية النفاة القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء، ولا يستقيم أيضاً من الجهمية النفاة لصفات الرب جل جلاله ، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات ، فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفلية وعلوية ؟ ، ولا هو فاعل باختياره ؟ ، ولا له إرادة ومشيئة . ولا يقوم به صفة ؟ ، فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف كان توكله أصح وأقوى ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

**الدرجة الثانية : إثبات في الأسباب والمسبّبات :**

فإنه من نفاها فتوكله مدخول . وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي أن إثبات الأسباب يقدح في التوكل وأن نفيها تمام التوكل .

فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل . ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها . فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه ، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

**الدرجة الثالثة : رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل :**

فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده . بل حقيقة التوكل توحيد القلب .فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلوم مدخول،وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الإلتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة، ومن هنا ظن من

ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب وهذا حق ، لكن رفضها عن القلب لاعن الجوارح ، فالتوكل لايتم إلا برفض الأسباب عن القلب وتعلق الجوارح بها فيكون منقطعاً منها متصلا بها ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم .

**الدرجة الرابعة** : **اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه** بحيث لا يبقى فيه اضطراب من تشويش الأسباب ولا سكون إليها بل يخلع السكون إليها من قلبه ويلبسه السكون إلى مسببها .

**وعلاقة هذا** : أنه لا يبالي بإقبالها وإدبارها . ولا يضطرب قلبه ولا يخفق عند إدبار ما يحب منها وإقبال ما يكره لأن اعتماده على الله وسكونه إليه واستناده إليه قد حصنه من خوفها ورجائها، فحاله حال من خرج عليه عدو عظيم لا طاقة له به فرأى حصناً مفتوحاً فأدخله ربه إليه وأغلق عليه باب الحصن فهو يشاهد عدوه خارج الحصن، فاضطراب قلبه وخوفه من عدوه في هذه الحال لا معنى له .

وكذلك من أعطاه ملك درهماً فسرق منه فقال له الملك : عندي أضعافه فلا تهتم متى جئت إليَّ أعطيتك من خزائني أضعافه . فإذا علم صحة قول الملك ووثق به واطمأن إليه وعلم أن خزائنه مليئة بذلك لم يحزنه فوته .

وقد مثل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه وطمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره وليس في قلبه التفات إلى غيره كما قال بعض العارفين : المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه إلا ثدي أمه ، كذلك المتوكل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه .

**الدرجة الخامسة : حُسن الظن بالله - عز وجل - :**

فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه .

ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله .

**والتحقيق** : أن حسن الظن به يدعوه إلى التوكل عليه ، إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنك به ولا التوكل على من لا ترجوه ، والله أعلم .

**الدرجة السادسة: استسلام القلب له وانجذاب دواعيه كلها إليه وقطع منازعاته:**

وبهذا فسره من قال : أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير.

**الدرجة السابعة :التفويض :**

وهو روح التوكل ولُبُّه وحقيقته، وهو إلقاء أموره كلها إلى الله وإنزالها به طلباً واختياراً لا كرهاً واضطراراً بل كتفويض الابن العاجز الضعيف المغلوب على أمره كل أموره إلى أبيه العالم بشفقته عليه ورحمته وتمام كفايته وحسن ولايته له وتدبيره له، فهو يرى أن تدبير أبيه له خير من تدبيره لنفسه وقيامه بمصالحه وتوليه لها خير من قيامه هو بمصالح نفسه وتوليه لها، فلا يجد له أصلح ولا أرفق من تفويضه أموره كلها إلى أبيه وراحته من حمل كلفها وثقل حملها مع عجزه عنها وجهله بوجوه المصالح فيها وعلمه بكمال علم من فوض إليه وقدرته وشفقته .

فإذا وضع قدمه في هذه الدرجة انتقل منها إلى درجة الرضى . وهي ثمرة التوكل ومن فسر التوكل بها فإنما فسره بأجل ثمراته وأعظم فوائده ، فإنه إذا توكل حق التوكل رضي بما يفعله وكيله .

**وكان شيخنا ـ رحمه الله ـ يقول :** المقدور يكتنفه أمران : التوكل قبله ، والرضى بعده ، فمن توكل على الله قبل الفعل ورضي بالمقضي له بعد الفعل ، فقد قام بالعبودية أو معنى هذا. اهـ .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

وقوله : ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

**في هاتين الآيتين إثبات أربعة أسماء حسنى وأربع صفات :**

**أما الأسماء فهي :** الله ، العليم ، الحكيم ، الخبير .

وأما الصفات فصفة الألوهية ، والعلم ، والحكمة ، والخبرة .

**أما العليم :** فهو على وزن فعيل ، وهي صيغة مبالغة تدل على سعة علم الله وإحاطته بكل شيء ،كما قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [ غافر : ٧ ] ، وقال سبحانه: ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [ الطلاق : ١٢ ] ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [ النور :٦٤ ] ، وغير ذلك .

وعلمه سبحانه من صفات ذاته أحاط بكل شيء من الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة ومن العالم العلوي والسفلي ، ومن الظواهر والبواطن ، والواجبات والجائزات والمستحيلات، يعلم ما كان وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، فلا يغيب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء .

والفرق بين علم الله وعلم خلقه كالفرق بين ذاته وذواتهم ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [ الإسراء : ٨٥ ] .

وفي البخاري في قصة موسى مع الخضر - عليهما السلام - وفيها : **فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين قال له الخضر : يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر .**

**ومن الفوارق بين علم الله وعلمنا :**

[ ١ ] أن علم الله من لوازم ذاته - سبحانه - بخلاف علمنا .

[ ٢ ] أن علم الله غير مسبوق بجهل ولا يلحقه نسيان، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ

عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ [ طه :٥٢ ] بخلاف علمنا فهو مسبوق بجهل ويلحقه نسيان ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [ النحل : ٧٨ ] ، وقال سبحانه : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف : ٢٤ ] ، وقال : ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [ البقرة: ٢٨٦ ] .

[ ٣ ] أن علم الله يتعلق بالواجبات والممكنات والمستحيلات والممتنعات بخلاف علمنا.

[ ٤ ] أن علم الله يتعلق بالغيب والشهادة، والغيب ما مضى وإن بعد وما سيأتي وإن بعد، وكل ما غاب عن الشخص، بخلاف المخلوق الذي لا يستقل بمعرفة شيء من الغيب إلا بتعليم الله : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [ الجن : ٢٦ - ٢٨ ] .

[ ٥ ] أن علم الله عام وشامل بخلاف علم المخلوق .

**(الحكيم ) قال العلامة السعدي - رحمه الله - في تفسيره :**

هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [ المائدة: ٥٠ ] ، فلا يخلق شيئاً عبثاً ولا يشرع شيئاً سُدى الذي له الحكم في الأولى والآخرة ، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك : فيحكم بين عباده في شرعه وفي قدره وجزائه، والحكمة وضع الأشياء مواضعها وتنزيلها منازلها . اهـ .

وقد ذكرالعلامة ابن القيم في نونيته نظماً أن اسمه الحكيم - سبحانه - متضمن لوصفين كل منهما بالغ غاية الكمال ونهاية التمام وهما الحكم والإحكام وكلاهما قد تضمنه القرآن .

فالحكم كوني وشرعي وجزائي ، والإحكام في الشيء نفسه وفي الغاية منه .

**وحكمة الله نوعان :**

**قال العلامة السعدي - رحمه الله - :**

**وحكمته نوعان:** أحدهما : الحكمة في خلقه، فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملاً

على الحق وكان غايته المقصودة به الحق، خلق المخلوقات كلها بأحسن نظام ورتبها أكمل ترتيب، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، بل أعطى كل جزء من أجزاء المخلوقات وكل عضو من أعضاء الحيوانات خلقته وهيئته، فلا يرى أحد في خلقه خللا ولا نقصاً ولا فطوراً ، فلو اجتمعت عقول الخلق من أولهم إلى آخرهم ليقترحوا مثل خلق الرحمن أو ما يقارب ما أودعه في الكائنات من الحسن والإنتظام والإتقان لم يقدروا وأنى لهم القدرة على شيء من ذلك، وحسب العقلاء الحكماء منهم أن يعرفوا كثيراً من حكمه ويطلعوا على بعض ما فيها من الحسن والإتقان ، وهذا أمر معلوم قطعاً بما يعلم من عظمته وكمال صفاته وتتبع حكمه في الخلق والأمر .

وقد تحدى عباده أن ينظروا ويكرروا النظر والتأمل هل يجدون في خلقه خللاً أو نقصاً،وأنه لا بد أن ترجع الأبصار كليلة عاجزة عن الإنتقاد على شيء من مخلوقاته .

**النوع الثاني :**

الحكمة في شرعه وأمره، فإنه تعالى شرع الشرائع وأنزل الكتب وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه ، فأي حكمة أجلّ من هذا ؟ ، وأي فضل وكرم أعظم من هذا ؟ فإن معرفته تعالى وعبادته وحده لا شريك له وإخلاص العمل له وحمده وشكره والثناء عليه أفضل العطايا منه لعباده على الإطلاق، وأجَلّ الفضائل لمن يمن الله عليه بها وأكمل سعادة وسرور للقلب والأرواح، كما أنها هي السبب الوحيد للوصول إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم، فلو لم يكن في شرعه وأمره إلا هذه الحكمة العظيمة التي هي أصل الخيرات وأكمل اللذات ولأجلها خلقت الخليقة وحق الجزاء وخلقت الجنة والنار لكانت كافية شافية .

وهذا وقد اشتمل شرعه ودينه على كل خير، فأخباره تملأ القلوب علماً ويقيناً وإيماناً وعقائد صحيحة، وتستقيم بها القلوب ويزول انحرافها وتثمر كل خلق جميل وعمل صالح وهدى ورشد، وأوامره ونواهيه محتوية على غاية الحكمة والصلاح والإصلاح للدين والدنيا فإنه لا يأمر إلا بما مصلحته خالصة أو راجحة ، ولاينهى إلا عما مضرته خالصة أو راجحة.

ومن حكمة الشرع الإسلامي أنه كما أنه الغاية لصلاح القلوب والأخلاق والأعمال والاستقامة على الصراط المستقيم، فهو الغاية لصلاح الدنيا فلا تصلح أمور الدنيا صلاحاً حقيقاً إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ .وهذا مشاهد محسوس لكل عاقل ، فإن أمة محمد ﷺ لما كانوا قائمين بهذا الدين أصوله وفروعه وجميع ما يهدي ويرشد إليه كانت أحوالهم في غاية الاستقامة والصلاح ، ولما انحرفوا عنه وتركوا كثيراً من هداه ولم يسترشدوا بتعاليمه العالية انحرفت دنياهم كما انحرف دينهم .

وكذلك انظر إلى الأمم الأخرى التي بلغت في القوة والحضارة والمدنية مبلغاً هائلاً لكن لما كانت خالية من روح الدين ورحمته وعدله كان ضررها أعظم من نفعها ، وشرها أكبر من خيرها ، وعجزعلماؤها وساستها عن تلافي الشرورالناشئة عنها، ولن يقدروا على ذلك ما داموا على حالهم، ولهذا كان من حكمته تعالى أن ماجاء به محمد ﷺ من الدين والقرآن أكبر البراهين على صدق ماجاء به لكونه محكماً كاملاً لا يصلح الصلاح إلا به. ا هـ . شرح النونية للهراس ( ٢ / ٨٣- ٨٤ ) .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في المجلد السابع عشر من مجموع الفتاوى :**

والحكمة تتضمن كمال علمه وخبرته وأنه أمر ونهى وخلق وقدر لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد والإحكام في مخلوقاته دليل على علمه . ا هـ .

وفي إثبات صفة العلم رد على من نفاها، ورد على من قال: إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات ، وعلى من قال : إن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها .

وفي إثبات صفة الحكمة رد على من أنكرها من الجهمية والأشاعرة وغيرهم .

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص ١٥٤ :**

وفيها ـ الآية السابقة ـ من الفوائد المسلكية : أن الإيمان بعلم الله وحكمته يستلزم الطمأنينة التامة لما حكم به من أحكام كونية وشرعية، لصدور ذلك عن علم

وحكمة ، فيزول عنه القلق النفسي وينشرح صدره . اهـ .

﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ سبق الكلام على اسم الله العليم .

وأما ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ فقد قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه للواسطية ص ( ١٥٤ - ١٥٥ ) : الخبير هو العليم ببواطن الأمور فيكون هذا وصفاً أخص بعد وصف أعم فنقول : العليم بظواهر الأمور والخبير ببواطن الأمور فيكون العلم بالبواطن مذكوراً مرتين : مرة بطريق العموم ، ومرة بطريق الخصوص لئلا يظن أن علمه مختص بالظواهر . . . وفي هذه الآية من أسماء الله تعالى : العليم والخبير ، ومن صفاته : العلم والخبرة .

**وفيها من الفوائد المسلكية :** أن الإيمان بذلك يزيد المرء خوفاً من الله وخشية سراً وعلناً . اهـ .

**« إثبات صفة العلم لله والأدلة عليها » :**

**﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) ﴾** [ سبأ : ٢ ] ، **﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) ﴾** [ الأنعام : ٥٩ ] ، **﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾** [ فاطر : ١١ ] ، **﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾** [ الطلاق : ١٢ ] .

قوله تعالى : **﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) ﴾** .

هذه الآيات الأربع التي أوردها المؤلف فيها تفصيل لصفة العلم وأن الله أحاط بكل شيء علماً وأنه لا يخفى عليه خافية .

قوله : **﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ ﴾** **﴿ مَا ﴾** اسم موصول يفيد العموم لكل ما يلج في الأرض من المطر والبذور وأجساد الموتى وسائرما يلج في الأرض من

الحيوانات وغيرها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ ﴿ مَا ﴾ اسم موصول يفيد العموم لكل ما يخرج من الأرض من ماء ونبات وحيوان ومعادن وعذاب وغير ذلك .

وقوله تعالى :﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ مثل الوحي والملائكة والمطر وأمر الله وغير ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ مثل الملائكة والأعمال الصالحة والدعاء وأرواح المؤمنين وغير ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ الآية .

**قال ابن العربي - رحمه الله - في أحكام القرآن ( ٢ / ٧٣٥ ) :**

هذه الآية أصل من أصول عقائد المسلمين وركن من قواعد الدين معظمها يتفسر بها . اهـ .

وقوله سبحانه ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ﴾ .

**قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله - في أضواء البيان (٢ / ١٩٥) :**

والمفاتح : الخزائن جمع مفتح بفتح الميم بمعنى المخزن ، وقيل المفاتيح جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح . اهـ .

**ثم قال - رحمه الله - :** بيّن تعالى المراد بمفاتح بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [ لقمان : ٣٤ ] ، فقد أخرج البخاري وأحمد وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أن المراد بمفاتح الغيب الخمس المذكورة في الآية المذكورة . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ .

**قال القاسمي في تفسيره المسمى محاسن التأويل : ( ٦ / ٥٥٨ ) :**

﴿ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾ تأكيد لمضمون ما قبله وإيذان بأن المراد الاختصاص من حيث العلم . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .

هذا - كما سبق - يدل على سعة علم الله ، وشموله فهو يعلم ما في البر من إنس وجن وبهائم وطير وحشرات، وجميع ما يدب على وجه الأرض ، ويعلم ما في البر من شجر وحجر وغير ذلك .

وهكذا ما في البحر مما يعيش فيه من حيوان ونبات وما فيه من أحجار كريمة وغير ذلك، وقد قيل إن ما في البحر أضعاف ما في البر ، والعلم عند الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ .

كلمة « ورقة » ، و« حبة » ، و« رطب » ، و« يابس » ، نكرات في سياق النفي تفيد العموم ، وهذا يدل على سعة علم الله سبحانه وتعالى .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ ﴾ .

﴿ مَا ﴾ نافية و ﴿ أُنثَى ﴾ نكرة في سياق النفي فتعم كل أنثى من الإنس والجن والبهائم والطير والحيتان وغير ذلك، فابتداء حملها بعلم الله ووضعها له بعلم الله .

وقوله تعالى : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ [ الطلاق : ١٢ ] .

**قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه للواسطية ( ١٦٣- ١٦٥ ) :**

﴿ لِتَعْلَمُوا ﴾ : اللام للتعليل لأن الله قال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [ الطلاق : ١٢ ] ، فقد خلق هذه السماوات السبع والأرضين السبع وأعلمنا بذلك لنعلم ﴿ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

والقدرة وصف يتمكن به الفاعل من الفعل بدون عجز ، فهو على كل شيء قدير، يقدر على إيجاد المعدوم وعلى إعدام الموجود، فالسماوات والأرض كانت معدومة فخلقها الله - عز وجل - وأوجدها على هذا النظام البديع .

﴿ وأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ﴾ : كل شيء ، الصغير والكبير والمتعلق بفعله أو بفعل عباده ، والماضي واللاحق والحاضر ، كل ذلك قد أحاط الله ـ سبحانه ـ به علماً .

وذكر الله ـ عز وجل ـ العلم والقدرة بعد الخلق لأن الخلق لا يتم إلا بعلم وقدرة، ودلالة الخلق على العلم والقدرة من باب دلالة التلازم ، وقد سبق أن دلالات الأسماء على الصفات ثلاثة أنواع .

**تنبيه :** ذكر في تفسير الجلالين ـ عفا الله عنا وعنه ـ في آخر سورة المائدة ما نصه: وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر. اهـ .

**ونحن نناقش هذا الكلام من وجهين :**

**الوجه الأول :** أنه لا حكم للعقل فيما يتعلق بذات الله وصفاته بل لا حكم له في جميع الأمور الغيبية، ووظيفة العقل فيها التسليم التام ، وأن نعلم أن ما ذكره الله من هذه الأمور ليس محالاً ولهذا يقال :

إن النصوص لا تأتي بمحال وإنما تأتي بمحار أي بما يحير العقول لأنها تسمع ما لا تدركه ولا تتصوره .

**والوجه الثاني :** قوله : ( فليس عليها بقادر ) : هذا خطأ عظيم ، كيف لا يقدر على نفسه وهوقادر على غيره، فكلامه هذا يستلزم أنه لا يقدر أن يستوي ولا أن يتكلم ولا أن ينزل إلى السماء ولا يفعل شيئاً أبداً وهذا خطير جداً .

لكن لو قال قائل : لعله يريد : ( خص العقل ذاته فليس عليها بقادر ) يعني : لا يقدر على أن يلحق نفسه نقصاً .

**قلنا :** إن هذا لم يدخل في العموم حتى يحتاج إلى إخراج وتخصيص ، لأن القدرة إنما تتعلق بالأشياء الممكنة لأن غير الممكن ليس بشيء لا في الخارج ولا في الذهن ، فالقدرة لاتتعلق بالمستحيل بخلاف العلم .

فينبغي للإنسان أن يتأدب فيما يتعلق بجانب الربوبية ، لأن المقام مقام عظيم

والواجب على المرء نحوه أن يستسلم ويسلم .

إذاً نحن نطلق ما أطلقه الله ، ونقول إن الله على كل شيء قدير بدون استثناء .

وفي هذه الآية من صفات الله تعالى : إثبات عموم علم الله على وجه التفصيل ، وإثبات عموم قدرة الله تعالى .

والفائدة المسلكية من الإيمان بالعلم والقدرة :قوة مراقبة الله والخوف منه .ا هـ .

## وقوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾

**هذه الآية تضمنت ثلاثة أسماء لله ـ عز وجل ـ وأربع صفات .**

**أما الأسماء فهي :** الله ، الرزاق ، المتين .

**وأما الصفات فهي :** صفة الألوهية ، صفة الرزق ، صفة القوة ، صفة المتانة . وكلها ذاتية إلا الرزق فهي صفة فعلية .وكلها نثبتها لله ـ عز وجل ـ على الوجه اللائق بعظمته وكماله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١ ] .

وقوله ﴿ الرَّزَّاقُ ﴾ : فعّال من أبنية المبالغة ، ومعناه : الذي أعطى الخلائق أرزاقها وساقها إليهم ،والرزق بالفتح : العطاء وبالكسر لغة : الحظ والنصيب .

**وشرعاً :** هو ما ينفع من حلال أو حرام . التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ٦٢ .

**وينقسم الرزق إلى قسمين :** عام وخاص .

**فالعام :** كل ما ينتفع به البدن ، سواء كان حلالاً أو حراماً ، وسواء كان المرزوق مسلماً أو كافراً ، ولهذا قال السفاريني ـ رحمه الله ـ :

والرزق ما ينفع من حلال ... أو ضده فحل عن المحال
لأنه رازق كل الخلق ... وليس مخلوق بغير رزق

**لأنك لو قلت :** إن الرزق هو العطاء الحلال . لكان كل الذين يأكلون الحرام لم يرزقوا مع أن الله أعطاهم ما تصلح به أبدانهم .

**لكن الرزق نوعان :**

طيّب وخبيث ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [ الأعراف : ٣٢ ] ، ولم يقل : والرزق ، أما الخبائث من الرزق فهي حرام .

**أما الرزق الخاص :** فهو ما يقوم به الدين من العلم النافع والعمل الصالح، والرزق الحلال المعين على طاعة الله ، ولهذا جاءت الآية الكريمة : ﴿ الرَّزَّاقُ ﴾ ولم يقل الرازق لكثرة رزقه وكثرة من يرزقه، فالذي يرزقه الله ـ عز وجل ـ لا يُحصى باعتبار أجناسه ، فضلاً عن أنواعه ، فضلاً عن آحاده، لأن الله تعالى يقول : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [ هود : ٦ ] ، ويعطي الله الرزق بحسب الحال .

**ولكن إذا قال قائل : إذا كان الله هو الرزاق ، فهل أسعى بطلب الرزق أو أبقى في بيتي ويأتيني الرزق ؟**

**فالجواب نقول :** اسع لطلب الرزق ؛ كما أن الله غفور ، فليس معنى هذا أن لا تعمل وتتسبب للمغفرة .

**أما قول الشاعر :**

جنون منك أن تسعى لزرق ... ويرزق في غشاوته الجنين

فهذا القول باطل .

وأما استشهاده بالجنين . فالجواب : أن يقال : الجنين لا يمكن أن يوجه إليه طلب الرزق لأنه غير قادر بخلاف القادر ، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ۝١٥﴾ [ الملك :١٥ ] ، فلابد من سعي وأن يكون هذا السعي على وفق الشرع . شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ( ١٦٥ – ١٦٧ ) .

وهكذا استدلال البعض بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند الترمذي وغيره أن رسول الله ﷺ قال : « **لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصاً وتروح بطاناً** » .

فهذا الحديث حجة عليهم لا لهم ، لأن الطير تغدو وتروح ، وهذا يريد أن لا يبرح مكانه ويعرض عن جميع الأسباب .

## فائدة :

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٥٤٢ - ٥٤٤ ) عن الرجل إذا قطع الطريق وسرق أو أكل الحرام ونحو ذلك هل هو رزقه الذي ضمنه الله تعالى له أم لا ؟ أفتونا مأجورين .

## فأجاب :

الحمد لله :ليس هذا هو الرزق الذي أباحه الله له ، ولا يحب ذلك ولا يرضاه ، ولا أمره أن ينفق منه كقوله تعالى : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [ البقرة: ٣ ] ، وكقوله تعالى ﴿ **أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ [ البقرة : ٢٥٤ ] ، ونحو ذلك لم يدخل فيه الحرام بل من أنفق من الحرام فإن الله تعالى يذمه ويستحق بذلك العقاب في الدنيا والآخرة بحسب دينه. وقد قال الله : ﴿ **لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ** ﴾ [ النساء: ٢٩ ] وهذا أكل المال بالباطل .

ولكن هذا الرزق الذي سبق به علم الله وقدره كما في الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ( **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك،ثم يكون مضغة مثل ذلك،ثم يرسل إليه الملك ؛فيؤمر بأربع كلمات : فيكتب رزقه،وأجله،وعمله،وشقي أو سعيد** ) .

فكما أن الله كتب ما يعمله من خير وشر وهو يثيبه على الخير ويعاقبه على الشر فكذلك كتب ما يرزقه من حلال وحرام مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام .

ولهذا كل ما في الوجود واقع بمشيئة الله وقدره كما تقع سائر الأعمال لكن لا عذر لأحد بالقدر بل القدر يؤمن به ، وليس لأحد أن يحتج على الله بالقدر ، بل لله الحجة البالغة ،ومن احتج بالقدر على ركوب المعاصي فحجته داحضة، ومن اعتذر به فعذره غير مقبول كالذين قالوا: ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا** ﴾ [الأنعام : ١٤٨ ] ، والذين قالوا : ﴿ **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم** ﴾ [ الزخرف: ٢٠ ] ، كما قال تعالى : ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي**

جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾ [ الزمر: ٥٥-٥٨ ] .

وأما الرزق الذي ضمنه الله لعباده. فهو قد ضمن لمن يتقيه أن يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وأما من ليس من المتقين فضمن له ما يناسبه ، بأن يمنحه ما يعيش به في الدنيا ، ثم يعاقبه في الآخرة كما قال عن الخليل : ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) ﴾ [ البقرة : ٢١٦ ] .

والله إنما أباح الرزق لمن يستعين به على طاعته ولم يبحه لمن يستعين به على معصيته، بل هؤلاء وإن أكلوا ما ضمنه لهم من الرزق فإنه يعاقبهم كما قال : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ،وقال تعالى : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ [ المائدة : ١ ] ، فإنما أباح الأنعام لمن يحرم عليه الصيد في الإحرام .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣) ﴾ [ المائدة : ٩٣ ] ، فكما أن كل حيوان يأكل ما قدر له من الرزق فإنه يعاقب على أخذ ما لم يبح له سواء كان محرم الجنس أو كان مستعيناً به على معصية الله ، ولهذا كانت أموال الكفار غير مغصوبة بل مباحة للمؤمنين ، وتسمى فيئاً إذا عادت إلى المؤمنين لأن الأموال إنما يستحقها من يطيع الله لا من يعصيه بها، فالمؤمنون يأخذونها بحكم الإستحقاق والكفار يعتدون في انفاقها ، كما أنهم يعتدون في أعمالهم فإذا عادت إلى المؤمنين فقد فاءت إليهم كما يفيء المال إلى مستحقه .ا هـ .

**وسئل ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٥٤٥- ٥٤٦ ) : عن الخمر والحرام :** هل هو رزق الله للجهال ؟ ، أم يأكلون ما قدر لهم ؟ .

**فأجاب :**

إن لفظ ﴿ الرَّزَّاقُ ﴾ يراد به ما أباحه الله تعالى للعبد وملكه إياه ، ويراد به ما يتغذى به العبد .

**فالأول :** كقوله ﴿ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [ البقرة : ٢٥٤ ] ، ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [ البقرة : ٣ ] فهذا هو الحلال ، والمملوك لا يدخل فيه الخمر والحرام .

**والثاني:** كقوله :﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [ هود : ٦ ] والله تعالى يرزق البهائم ولا توصف بأنها تملك ولا بأنه أباح الله ذلك لها إباحة شرعية، فإنه لا تكليف على البهائم،وكذلك الأطفال والمجانين لكن ليس بمملوك لها وليس بمحرم عليها، وإنما المحرم بعض الذي يتغذى به العبد وهومن الرزق الذي علم الله أنه يتغذى به وقدر ذلك بخلاف ما أباحه وملكه كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال :«**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفة ،ثم يكون علقة مثل ذلك ،ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الملك فيؤمر بأربع كلمات : فيقال : اكتب رزقه ، وأجله ، وعمله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح ، قال : فوالله الذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**» .

والرزق الحرام مما قدره الله وكتبته الملائكة ، وهو مما دخل تحت مشيئة الله وخلقه ، وهو مع ذلك قد حرمه ونهى عنه ، فلفاعله من غضبه وذمه وعقوبته ما هو أهله ، والله أعلم . اهـ .

## فائدة أخرى :

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٥٤١ ) :**

**والرزق يراد به شيئان :**

**أحدهما :** ما ينتفع به العبد .

**والثاني** : ما يملكه العبد ،فهذا الثاني هوالمذكور في قوله : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [ البقرة : ٣ ] وقوله : ﴿ **أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ وهذا هو الحلال الذي ملكه الله إياه .

وأما الأول : فهو المذكور في قوله : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ وقوله ﷺ : ( **إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها** ) ونحو ذلك .

والعبد قد يأكل الحلال والحرام فهورزق بهذا الاعتبار ، لا بالاعتبار الثاني ، وما اكتسبه ولم ينتفع به هو رزق بالاعتبار الثاني دون الأول . فإن هذا في الحقيقة مال وارثه لا ما له ، والله أعلم . اهـ .

## مسألة : هل الرزق يزيد وينقص؟

**سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٨ / ٥٤٠ ) عن ذلك فأجاب ـ رحمه الله ـ :**

### الرزق نوعان :

**أحدهما** : ما علمه الله أنه يرزقه فهذا لا يتغير .

**والثاني** : ما كتبه وأعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب ، فإن العبد يأمر الله الملائكة أن تكتب له رزقاً وإن وصل رحمه زاده الله على ذلك ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : ( **من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه** ) .

وكذلك عُمْر داود عليه السلام زاد ستين سنة ، فجعله الله مئة بعد أن كان أربعين .

ومن هذا الباب قول عمر رضي الله عنه : اللهم إن كنت كتبتني شقياً فامحني واكتبني سعيداً ، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت .

ومن هذا الباب قوله تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [نوح : ٣ ـ ٤ ] وشواهده كثيرة . اهـ .

**السعي إلى الرزق نوعان :**

**قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٥٤١ ) :**

**السعي سعيان :** سعي فيما نصب للرزق ، كالصناعة والزراعة والتجارة .

وسعي بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك، فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . اهـ .

**قلت : فمن السعي الثاني :**

[ ١ ] تقوى الله، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾ [ الطلاق : ٢-٣ ]، وقوله في مريم ـ عليها السلام ـ : ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)** ﴾ [ آل عمران : ٣٧ ] .

[ ٢ ] التوكل على الله :قال تعالى :﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [ الطلاق :٣ ] أي كافيه .

[ ٣ ] القيام بحق العبودية لله،ومنه قوله تعالى : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)** ﴾ [الزمر : ٣٦ ] ، ومنه قوله تعالى في الحديث القدسي : « **يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ، وأسد فقرك ، ولا تباعد عني فأملأ يديك شغلاً ، ولا أسد فقرك** » .

[ ٤ ] الدعاء، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)** ﴾ [ غافر :٦٠ ] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)** ﴾ [ البقرة :١٨٦ ] ومنه حديث النزول وغير ذلك .

[ ٥ ] الاستقامة على أمر الله ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦)** ﴾ [ الجن : ١٦ ] .

[ ٦ ] الإحسان إلى الخلق ومنه : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [ الرحمن : ٦٠ ] ومنه قوله ﷺ : ( **والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه** ) .

**ولا رازق إلا الله وحده لا شريك له :**

قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [ الملك : ٢١ ] .

وقال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [ فاطر : ٣ ] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [ العنكبوت : ١٧ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [ العنكبوت : ٦٠ ] ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [ هود : ٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [ النحل : ٥٤ ] ، فعجباً لمن يرزقه الله ويشكر غيره ويحب غيره ويبارزه ـ سبحانه ـ بالمعاصي آناء الليل وأطراف النهار .

**إثبات صفة القوة لله :**

قوله : ﴿ ذُو الْقُوَّةِ ﴾ .

أي صاحب القوة التامة التي لا يعتريها ضعف ( والقوة صفة يتمكن بها الفاعل من الفعل بدون ضعف ،والدليل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ . [ الروم : ٥٤ ] .

وليست القوة هي القدرة؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [ فاطر : ٤٤ ] ، فالقدرة يقابلها العجز ،

والقوة يقابلها الضعف، والفرق بينهما : أن القدرة يوصف بها ذو الشعور ، والقوة يوصف بها ذو الشعور وغيره .

**ثانياً :** أن القوة أخص ، فكل قوي من ذوي الشعور قادراً وليس كل قادر قوياً .

**مثال ذلك :** تقول : الريح قوية ولا تقول : الريح قادرة ، وتقول : الحديد قوي ، ولاتقول: قادر ، لكن ذو الشعور تقول : إنه قوي وإنه قادر.

ولما قالت عاد : ﴿ **وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً** ﴾ قال الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ** (١٥) ﴾ [ فصلت : ١٥ ] ، شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ص ١٦٧ .

إثبات صفة المتانة لله :

وقوله تعالى : ﴿ **الْمَتِينُ** ﴾ .

فيه كما سبق إثبات صفة المتانة ، ومعناها : كمال القوة والشدة، وصفة المتانة من حيث المعنى توكيد لصفة القوة .

( والفائدة المسلكية في الإيمان بصفة القوة والرزق أن لا نطلب القوة والرزق إلا من الله تعالى ، وأن نؤمن بأن كل قوة مهما عظمت فلن تقابل قوة الله تعالى ) . شرح الواسطية ص١٦٨ .

## وقوله تعالى :
## ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

أورد المؤلف ـ رحمه الله ـ هذه الآية لإثبات إسمين من أسماء الله الحسنى وهما السميع والبصير، وإثبات ما تضمناه من صفة ، وهما صفة السمع وصفة البصر .

وهذه الآية فيها بيان طريقة القرآن في إثبات الأسماء والصفات لله مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل. ففي قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ رد على الممثلة وفي قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى : ١١ ] ، رد على المعطلة . انظر مجموع الفتاوى ( ٣ / ٤ ) .

**وقد قال الإمام الشوكاني - رحمه الله تعالى- في فتح القدير ( ٤ / ٧٤. ) :**

ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ، ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للمماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب، فاقدريا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة والبرهان القوي فإنك تحطم بها كثيراً من البدع وتهشم بها رءوساً من الضلالة وترغم بها آناف طوائف من المتكلمين، لا سيما إذا ضممت إليها قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [ طه : ١١٠ ] . اهـ .

**ويقول العلامة الشنقيطي في أضواء البيان ( ٢ / ٢٧٣ ) :**

ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه ـ جل وعلا ـ عن مشابهة الخلق فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل،والآية التي أوضح الله بها هذا هي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فنفى عن نفسه ـ جل وعلاـ مماثلة الحوادث

بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ فصرّح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الإتصاف بصفات الكمال والجلال .

والظاهر أن السرّ في تعبيره بقوله : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ دون أن يقول مثلاً : وهو العلي العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة : أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فبيَّن أن الله متصف بهما ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى وبين صفات خلقه، ولذا جاء بقوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ بعد قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحق في آيات الصفات لا لبس معه ولا شبهة البته . اهـ .

**ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٥/٢٦) في الكلام على هذه الآية :**

وهو - سبحانه - مع ذلك ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله - سبحانه - له ذات حقيقية وله أفعال حقيقية فكذلك له صفات حقيقية وهو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً ، فإن الله منزَّه عنه حقيقةً ، فإنه - سبحانه - مستحق للكمال الذي لاغاية فوقه . اهـ . وانظر مختصر الصواعق لابن القيم ، ص (١٥٧-١٥٩) .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

**السميع يرد على معان ثلاثة :**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٠٨/١ - ٢٠٩) :**

**لفظ السمع يراد به :**

إدراك الصوت ، ويراد به معرفة المعنى مع ذلك ، ويراد به القبول والاستجابة مع الفهم . اهـ .

**وقال تلميذه العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مفتاح دار السعادة ص ٩٩:**

والسمع يراد به إدراك الصوت، ويراد به فهم المعنى، ويراد به القبول والإجابة، والثلاثة في القرآن .

**فمن الأول قوله:** ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ① ﴾ [ المجادلة : ١ ] . وهذا أصرح ما يكون في إثبات صفة السمع ، وذكر الماضي والمضارع واسم الفاعل سمع ويسمع وهو سميع وله السمع ،كما قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في جانب البيت وإنه ليخفى عليَّ بعض كلامها فأنزل الله : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ .

**والثاني:** سمع الفهم كقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ [ الأنفال : ٢٣ ] ، أي لأفهمهم ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ㉓ ﴾ [ الأنفال : ٢٣ ] لما في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق ، ففيهم آفتان أحدهما: أنهم لايفهمون الحق لجهلهم ، ولو فهموا لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم وهذا غاية النقص والعيب .

**والثالث:** سمع القبول والإجابة؛ كقوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ [ التوبة :٤٧ ] .

أي قابلون مستجيبون لأهله .ومنه قول المصلي : سمع الله لمن حمده : أي أجاب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه .

وقول النبي ﷺ : ( **إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده ، فقولوا: ربنا ولك الحمد يسمع الله لكم** ) . اهـ .

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية (ص ١٦٨ ـ ١٦٩):**

**أما السميع بمعنى إدراك الصوت فإنهم قسّموه إلى عدة أقسام:**

**الأول:** سمع يراد به بيان عموم إدراك سمع الله ـ عز وجل ـ وأنه ما من صوت إلا

ويسمعه الله .

**الثاني :** سمع يراد به النصر والتأييد .

**الثالث :** سمع يراد به الوعيد والتهديد .

**مثال الأول :** قوله تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ⓵** ﴾ فهذا فيه بيان إحاطة سمع الله تعالى بكل مسموع ، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، والله إني لفي الحجرة وإن حديثها ليخفى عليَّ بعضه .

**ومثال الثاني :** كما في قوله تعالى لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ : ﴿ **إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ** ﴾ [ طه : ٤٦ ] .

**ومثال الثالث :** الذي يراد به التهديد والوعيد :قوله تعالى : ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ⓼⓪** ﴾ [ الزخرف : ٨٠ ] .

فإن هذا يراد به تهديدهم ووعيدهم حيث كانوا يسرون ما لا يرضى من القول .

والسمع بمعنى النصر والتأييد من الصفات الفعلية لأنه مقرون بسبب .

والسمع بمعنى الإجابة من الصفات الفعلية أيضاً . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ **الْبَصِيرُ** ﴾ .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية (ص ١٦٩ - ١٧٠ ):**

البصير: يعني المدرك لجميع المبصرات ،ويطلق البصير بمعنى العليم، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ بصير ، يرى كل شيء وإن خفي .وهو سبحانه بصير بمعنى : عليم بأفعال عباده ، قال تعالى :﴿ **وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾ [ البقرة : ٩٦ ] .

**وفيها من الفوائد المسلكية :**

الكف عن محاولة تمثيل الله بخلقه واستشعار عظمته وكماله ، والحذر من أن يراك على معصية أو يسمع منك ما لا يرضاه . اهـ .

## وقوله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

هذا بعد قول الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [ النساء : ٥٨ ] .

**قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره ( ١٤٨ ) :**

الأمانات :كل ما اؤتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به ، فأمر الله عباده بأدائها أي كاملة موفرة لا منقوصة ولا مبخوسة ولا ممطول بها ، ويدخل في ذلك أمانات الولاة والأموال والأسرار والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله .

وقد ذكر الفقهاء أن من ائتمن أمانة وجب عليه حفظها في حرزمثلها . قالوا لأنه لا يمكن أداؤها إلا بحفظها فوجب ذلك .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ دلالة على أنها لا تدفع وتؤدى لغير المؤتمن ووكيله بمنزلته، فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤدياً لها .

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض ، القليل من ذلك والكثير ، على القريب والبعيد ، والفاجر والولي والعدو .

والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام،وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية ويعلم من مصالح العباد مالا يعلمون . اهـ .

وفي الآية إثبات إسمين لله هما السميع والبصير ، وهما متضمنان لصفتي السمع والبصر على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته وكماله .

وقد أخرج أبو داود في سُننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قرأ الآية السابقة إلى قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً** ﴾ ويضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول : هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها ، ويضع إصبعيه .

وقد بين العلامة ابن القيم في مختصر الصواعق ص ٥١٢ أن النبي ﷺ إنما أشار إلى عينه وسمعه تحقيقاً لإثبات صفة السمع والبصر لا تشبيهاً وتمثيلاً .

## وقوله :

﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [ الكهف: ٣٩ ] .

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [ البقرة : ٢٥٣ ] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ① ﴾ [ المائدة : ١ ] .

﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [ الأنعام : ١٢٥ ] .

هذه الآيات الأربع تضمنت إثبات صفتي المشيئة والإرادة لله سبحانه وتعالى .

**وإرادة الله نوعان :**

الأولى : إرادة كونية قدرية .

الثانية : إرادة دينية شرعية . انظر مجموع الفتاوى ( ٨/٥٨-٥٩ ) وشفاء العليل لابن القيم( ١٠٦ / ٥٥٠-٥٥١ ) .

**والفرق بين الإرادتين من ثلاثة أوجه :**

**الأول :** أن الإرادة الكونية مرادفة للمشيئة، وأما الإرادة الشرعية فمرادفة للمحبة .

**الثاني :** أن الإرادة الكونية يلزم منها وقوع المراد بخلاف الإرادة الشرعية فلا يلزم منها وقوع المراد .

**الثالث :** أن الإرادة الكونية تتعلق بما يحبه الله وما لا يحبه ، أما الإرادة الشرعية فلا تتعلق إلا بما يحبه الله ويرضاه ، فالإرادة الكونية أعم من الإرادة الشرعية .

**ومن أدلة الإرادة الكونية قوله تعالى :** ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ⑯ ﴾ [البروج:١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [ هود : ٣٤ ] ، وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ﴾ [ القصص: ٥ ] .

وقوله : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ .

**ومن أدلة الإرادة الدينية قوله تعالى:**﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [ البقرة :١٨٥ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [ النساء:٢٧ ] .

**تنبيه : قال الشيخ الفوزان - حفظه الله - في شرحه للواسطية ( ٣٨ ) :**

تجتمع الإرادتان الكونية والشرعية في حق المخلص المطيع ، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي .

**تنبيه آخر** : من لم يثبت الإرادتين ويفرق بينهما فقد ضل كالجبرية والقدرية .

فالجبرية أثبتوا الإرادة الكونية فقط ، والقدرية أثبتوا الإرادة الشرعية فقط ، وأهل السُّنَّة أثبتوا الإرادتين وفرقوا بينهما . ا هـ .

( فإذا قال قائل :كيف يريد الله تعالى كوناً ما لا يحبه شرعاً ،بمعنى كيف يريد الله الكفر أو الفسق أو العصيان وهو لا يحبه ؟!

**فالجواب** : أن هذا محبوب إلى الله من وجه مكروه إليه من وجه آخر، فهو محبوب إليه لما يتضمنه من المصالح العظيمة مكروه إليه لأنه معصية . ولا مانع من أن يكون الشيء محبوباً مكروهاً باعتبارين .

– فها هو الرجل يقدم طفله الذي هو فلذة كبده وثمرة فؤاده إلى الطبيب ليشق جلده ويخرج المادة المؤذية فيه ولو أتى أحد من الناس يريد أن يشقه بظفره وليس بالمشرط لقاتله لكن هو يذهب إلى الطبيب ليشقه وهو ينظر إليه وهو فرح مسرور يذهب به إلى الطبيب ليحمي الحديد على النار حتى تلتهب حمراء ثم يأخذها ويكوي بها ابنه وهو راض بذلك . لماذا يرضى بذلك وهو ألم للابن ؟ لأنه مراد لغيره للمصلحة العظيمة التي تترتب على ذلك .

**ونستفيد بمعرفتنا للإرادة من الناحية المسلكية أمرين :**

**الأمر الأول** : أن نعلق رجاءنا وخوفنا وجميع أحوالنا وأعمالنا بالله لأن كل شيء بإرادته وهذا يحقق لنا التوكل .

**الأمر الثاني** : أن نفعل ما يريده الله شرعاً ، فإذا علمت أنه مراد لله شرعاً ومحبوب إليه فإن ذلك يقوي عزمنا على فعله .

هذا من فوائد معرفتنا بالإرادة من الناحية المسلكية،فالأول باعتبار الإرادة الكونية والثاني باعتبار الإرادة الشرعية ) .ا هـ .شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ص١٨٣ ـ ١٨٤ .

**قد قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في المشيئة كما في كتابه شفاء العليل ص ٨٠ :**

دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان ا.هـ

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله -كما في مجموع الفتاوى (٢ / ٦٢) :**

الماضي بمشيئة الله ، والمستقبل بمشيئة الله ، فمن قال في الماضي : إن الله خلق السماوات والأرض بمشيئته وأرسل الرسل بمشيئته فقد أصاب، ومن قال: إنه يكون في الوجود شيء بدون مشيئة الله فقد أخطأ، ومن قال : ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فقد أصاب ا.هـ

**وقد ذكر السخاوي في طبقات الشافعية :** أن عبد الجبار المعتزلي دخل على أبي إسحاق الإسفرائيني فقال : سبحان الذي تنزه عن الفحشاء ، فقال أبو إسحاق : سبحان الذي لا يكون في ملكه إلا مايشاء ، فقال عبد الجبار : أيريد ربنا أن يُعصى؟ فأجاب أبو إسحاق : أيُعصى ربنا قهراً ؟ ، فقال عبد الجبار : أرأيت إن قضى علي بالردى ومنعني الهدى أأحسن الله إليَّ أم أساء ؟ ، فأجاب أبو إسحاق : إن كان منعك ماهو لك فقد أساء ، وإن كان منعك ما هو فضله ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ا.هـ

**وذكر الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في كتابه دفع إيهام الإضطراب** في الكلام على سورة الشمس أن رجلاً من العوام جاء إلى أحد شيوخ المعتزلة فقال : يا شيخ إن حمارة لي قد سُرقت فادع الله لي أن يردها عليَّ . فقال المعتزلي : اللهم إن حمارة هذا سُرقت ولم تُرد سرقتها فردها عليه . فقال العامي : يا هذا كف عنّا دعاءك الخبيث،

فإن كان قد سرقت ولم يرد سرقتها فقد ترد ولا يريد ردها . ا.هـ .

وللإمام الشافعي أربعة أبيات قال عنها ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ إنها من أثبت ما نسب إليه ومن أحسن ما قيل في القدر نظماً :

ما شئت كان وإن لم أشأ ... وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ماعلمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

## وقولـــه :

## ( إثبات صفة المحبة والمودة لله والأدلة عليها )

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[ البقرة: ١٩٥ ] ،﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [ الحجرات: ٩ ] ، ﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [ التوبة : ٧ ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [ البقرة : ٢٢٢ ] ،وقوله:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [ آل عمران: ٣١ ] ، ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [ المائدة : ٥٤ ] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ الصف : ٤ ] ، وقوله :﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [ البروج : ١٤ ] .

أورد المؤلف ـ رحمه الله ـ هذه الآيات لإثبات صفتي المحبة والمودة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته وكماله، كما دلت هذه الآيات على أن الله يُحِب ويُحَب .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين ( ٣ / ٢٠ ) :**

وجميع طرق الأدلة عقلاً ونقلاً وفطرة وقياساً واعتباراً وذوقاً ووجداً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده، وقد ذكرنا لذلك قريباً من مئة طريق في كتابنا الكبير في المحبة وذكرنا فيه فوائد المحبة وماتثمر لصاحبها من الكمالات وأسبابها وموجباتها والرد على من أنكرها وبان فساد قوله . اهـ .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ طائفة مباركة من الآيات الدالة على أن الله يُحِب ويُحَب .

ومن دلالة السُّنَّة على ذلك ما في البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ يوم خيبر : ( **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ثم أعطاها عليًا بن أبي طالب** ) .

وأدلة هذا من السُّنَّة أكثر من أن تحصر .

وأما الإجماع ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٥٧ )

وإثبات محبة الله مشهور كما هو ثابت بالكتاب والسُّنَّة واتفاق السلف . اهـ .

**وقال كما في ( ١٠ / ٧٥ ) :**

ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسُّنَّة واتفاق سلف الأمة على أن الله يحب ويرضى . اهـ .

**وقال كما في ( ٢ / ٣٥٤ ):**

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له .اهـ .

**وقال أيضاً : ( ١٠ / ٧٥ ):**

وقد تبين أن محبة العباد لله أصل أعمال الإيمان ولم يتبين بين أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان نزاع في ذلك وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن تحرك به من أنواع العبادات الشرعية كالعرفان الإيماني والسماع الفرقاني . اهـ . وانظر منهاج السُّنَّة ( ١ / ٣٩٢ ).

**وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في المدارج ( ٣ / ٦ ) عن منزلة المحبة :**

وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون ،وإليها شخص العاملون ،وإلى عَلَمِها شمرالسابقون ،وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروَّحَ العابدون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها

دائماً إلى الحبيب ، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب .

تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب ، وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب ، فيالها من نعمة على المحبين سابغة ، تالله لقد سبق القوم السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ، وقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون .

من لي بمثل سيرك المدلل تمشي رويداً وتجي في الأول

أجابوا منادي الشوق إذ نادى بهم : حي على الفلاح . وبذلوا نفوسهم في طلب الوصول إلى محبوبهم ، وكان بذلهم بالرضى والسماح ، وواصلوا إليه المسير بالإدلاج والرواح . تالله لقد حمدوا عند الوصول سراهم ، وشكروا مولاهم على ما أعطاهم ، وإنما يحمد القوم السُّرَى عند الصباح . اهـ .

### هل المحبة ترادف المشيئة ؟

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في منهاج السُّنَّة (٥ / ٤١١):**

التفريق بين المحبة والمشيئة هو مذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء وأكثر متكلمي أهل السُّنَّة كالحنفية والكرامية .اهـ .

وقد سبق أن المشيئة ترادف الإرادة الكونية فقد يشاء الله ما لا يحب ويحب ما لا يشاء . وأول من عرف في الإسلام أنه أنكر أن الله يُحِب أو يُحَب الجهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم ، كما في منهاج السُّنَّة النبوية ( ٥ / ٣٩٢ ) ومجموع الفتاوى ( ٨ / ٣٥٧ ) .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في المدارج ((٣/١٨-١٩) :**

والكلام في هذه المنزلة معلق بطرفين : طرف محبة العبد لربه . وطرف محبة الرب لعبده .

**والناس في إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام :**

- فأهل يحبهم ويحبونه على إثبات الطرفين،وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة

تقدر ولا نسبة لسائر المحاب إليها وهي حقيقة ( لا إله إلا الله ) وكذلك عندهم محبة الرب لأوليائه وأنبيائه ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه وعطائه، فإن ذلك أثر المحبة وموجبها فإنه لما أحبهم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب .

والجهمية المعطلة عكس هؤلاء فإنه عندهم لا يُحِب ولا يُحَب ولم يمكنهم تكذيب النصوص فأوَّلوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته والإزدياد من الأعمال لينالوا بها الثواب، وإن أطلقوا عليهم بها لفظ المحبة فلما ينالون به من الثواب والأجر، والثواب المنفصل عندهم هوالمحبوب لذاته، والرب تعالى محبوب لغيره حسب الوسائل .

وأوَّلوا محبته لهم بإحسانه إليهم وإعطائهم الثواب ، وربما أوَّلوها بثنائه عليهم ومدحه لهم ونحو ذلك، وربما أوَّلوها بإرادته لذلك فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل وتارة يؤوِّلونها بنفس الإرادة ، ويقولون : الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات العلية سميت محبة ، وإن تعلقت بالعقوبة والإنتقام سميت غضباً، وإن تعلقت بعموم الإحسان والإنعام الخاص سميت براً، وإن تعلقت بإيصاله في خفاء من حيث لا يشعر ولا يحتسب سميت لطفاً، وهي واحدة لها أسماء وأحكام باعتبار متعلقاتها.

**ومن جعل محبته للعبد ثناؤه عليه ومدحه له :** ردها إلى صفة الكلام فهي عنده من صفات الذات لا من صفات الأفعال ، والفعل عنده نفس المفعول فلم يقم بذات الرب محبة لعبده ولا لأنبيائه ورسله البته .

ومن ردها إلى صفة الإرادة جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة ، ومن صفات الأفعال باعتبار تعلقها .

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة وأن الإرادة لا تتعلق إلا بالمحدث المقدور والقديم يستحيل أن يراد : أنكروا محبة العباد والملائكة والأنبياء والرسل وقالوا : لا معنى

لها إلا إرادة التقرب إليه والتعظيم له وإرادة عبادته فأنكروا خاصة الإلهية وخاصة العبودية، واعتقدوا أن هذا من موجبات التوحيد والتنزيه فعندهم لا يتم التوحيد والتنزيه إلا بجحد حقيقة الإلهية وجحد العبودية .

وجميع طرق الأدلة عقلاً ونقلاً وفطرة وقياساً واعتباراً وذوقاً ووجداً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده . اهـ . وانظرفي هذا أيضاً مجموع الفتاوى ( ١٠/ ٧٤/ ٧٥ ) ، ٦/ ٤٧٧ ) .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله نحو ماذكره ابن القيم عن الجهمية والمعتزلة ومن قال بقولهم من نفاة صفة المحبة وأنكروا أن الله يُحِب أو يُحَب .

- وتأولوا النصوص الواردة في محبة العباد لربهم بأن المقصود محبتهم لعبادته والتقرب إليه أو بمحبتهم لثوابه، وقد أجاب عن هذا التأويل شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٣٥٤ ) فقال :

**وإذا قيل:** محبته محبة عبادته وطاعته .

**قيل :** محبة العبادة والطاعة فرع عن محبة المعبود المطاع، وكل من لم يُحب في نفسه لم تُحَب عبادته وطاعته ، ولهذا كان الناس يبغضون طاعة الشخص الذي يبغضونه، ولايمكنهم مع بغضه محبة طاعته إلا لغرض آخر محبوب، مثل عوض يعطيهم على طاعته، فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض، فلا يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما إلا بمعنى أن العوض الذي يحصل من المخلوقات أحب إليهم من كل شيء.

ومحبة ذلك العوض مشروط بالشعور به فما لا يشعر به تمتنع محبته .

**فإذا قيل :** هم قد وعدوا على محبة الله ورسوله بأن يعطوا أفضل محبوباتهم المخلوقة قيل : لامعنى لمحبة الله ورسوله عندكم إلا محبة ذلك العوض،والعوض غير مشعور به حتى يحب ، وإذ قيل : بل إذا قال من قال : لا يحب غيره إلا لذاته ، المعنى : أنك إن أطعتني أعطيتك أعظم ماتحبه صار محبًا لذلك الآمر له .

**قيل** : ليس الأمر كذلك بل يكون قلبه فارغًا من محبة ذلك الآمر وإنما هو معلق بما وعده من العوض على عمله، كالفعلة الذين يعملون من البناء والخياطة والنساجة وغير ذلك ما يطلبون به أجورهم، فهم لا يعرفون صاحب العمل أو لا يحبونه ولا لهم غرض فيه، إنما غرضهم في العوض الذي يحبونه . اهـ .

**وقال كما في ( ١٠ / ٧٠-٧٣ ) :**

أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد العوض، ألا ترى أن من استأجر أجيرًا بعوض لا يقال إن الأجير يحبه بمجرد ذلك، بل قد يستأجر الرجل من لايحبه بحال بل من يبغضه، وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب لايقال إنه يحبه بل يكون مبغوضًا له.

فعلم أن ماوصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونه يمتنع أن لا يكون معناه إلا مجرد محبة العمل الذي ينالون به الأغراض المخلوقة من غير أن يكون ربهم محبوبًا أصلاً ...

وأيضًا فاسم الإنابة إليه يقتضي المحبة أيضًا وما أشبه ذلك من الأسماء كما تقدم .

وأيضًا فلو كان هذا الذي قالوه حقًا من كون ذلك مجازًا لما فيه من الحذف والإضمار، فالمجاز لايطلق إلا بقرينة تبين المراد، ومعلوم أنه ليس في كتاب الله وسُنَّة رسوله ما ينفي أن يكون الله محبوبًا وأن لا يكون المحبوب إلا الأعمال لا في الدلالة المتصلة ولا المنفصلة ولا في العقل أيضًا ..

وأيضًا : فقد فرق بين محبته ومحبة العمل له في قوله تعالى ﴿ **أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ** ﴾ [ التوبة : ٢٤ ] ..

كما فرق بين محبته ومحبة رسوله في قوله : ﴿ **أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ .

فلو كان المراد بمحبته ليس إلا محبة العمل لكان هذا تكريرًا ومن باب عطف الخاص على العام، وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير إليه إلا بدلالة تبين المراد، وكما أن محبته لا يجوز أن تفسر بمجرد محبة رسوله فكذلك لا

يجوز تفسيرها بمجرد العمل له، وإن كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل له .

**وأيضًا :** فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا عن محبة نفسه أمر لايعرف في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً، فحمل الكلام عليه تحريف محض أيضًا وقد قررنا في مواضع من القواعد الكبار أنه لا يجوز أن يكون غير الله محبوباً مراداً لذاته، كما لا يجوز أن يكون غير الله موجوداً بذاته، بل لا رب إلا الله ولا إله إلا هو المعبود الذي يستحق أن يحب لذاته ويعظم لذاته كمال المحبة والتعظيم .

**وأيضًا :** فكل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق له على الكمال، وكل ما في غيره من محبوب فهو منه ـ سبحانه وتعالى ـ فهو المستحق ، لأن يحب على الحقيقة والكمال، وإنكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة إنكار لكونه إلاهاً معبوداً، كما أن إنكار محبته لعبده يستلزم إنكار مشيئته وهو يستلزم إنكار كونه رباً خالقاً، فصار إنكارها مستلزماً لإنكار كونه رب العالمين ولكونه إله العالمين.

وهذا هو قول أهل التعطيل والجحود . اهـ . وانظر أيضًا مجموع الفتاوى ( ٨ / ٣٥٤ ) منهاج السُّنَّة ( ٥ / ٣٩٤ ) .

ولنفاة المحبة شبهة أخرى وهي قولهم: المحبة لاتكون إلا لما يناسب المحبوب ولا مناسبة بين القديم والمحدث، وبين الواجب والممكن وبين الخالق والمخلوق .

**وقد ذكر شبهتهم هذه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في منهاج السُّنَّة ( ٥/ ٤٠٠ ) ثم أجاب عنها قائلاً :**

لفظ المناسبة لفظ مجمل،فإنه يقال : لا مناسبة بين كذا وكذا، أي أحدهما أعظم من الآخر فلا ينسب هذا إلى هذا، كما يقال: لا نسبة لمال فلان إلى مال فلان، ولا نسبة لعلمه أو جوده أو ملكه إلى علم فلان وجود فلان وملك فلان، يراد به أن هذه النسبة حقيرة صغيرة كَلا نسبة. كما يقال : لا نسبة للخردلة إلى الجبل، ولا نسبة

للتراب إلى رب الأرباب .

فإذا أريد بأنه لا نسبة للمحدث إلى القديم هذا المعنى ونحوه فهو صحيح وليست المحبة مستلزمة لهذه النسبة وإن أريد أنه ليس في القديم معنى يحبه لأجله المحدث فهذا رأس المسألة . فلم قلت : إنه ليس بين المحدث والقديم ما يحب المحدث القديم لأجله ؟ ولم قلت إنه ليس متصفًا بمحبة مايحبه من مخلوقاته؟ ، والمحبة لا تستلزم نقصا بل هي صفة كمال بل هي أصل الإرادة، فكل إرادة فلا بد أن تستلزم محبة، فإن الشيء إنما يراد لأنه محبوب أو لأنه وسيلة إلى محبوب ، ولو قُدِّرعدم المحبة لامتنعت الإرادة، فإن المحبة لازمة للإراداة، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم، وكذلك المحبة مستلزمة للإرادة فمن أحب شيئًا ، فلا بد أن يتضمن حبه إياه إرادة لبعض متعلقاته.

ولهذا كان خلقه تعالى لمخلوقاته لحكمة ، والحكمة مرادة محبوبة ، فهو خلق ما خلق لمراد محبوب ، كما تقدم .

وهو ـ سبحانه ـ يحب عباده المؤمنين فيريد الإحسان إليهم ، وهم يحبونه فيريدون عبادته وطاعته ثم ذكر بعض أدلة المحبة من الكتاب والسُّنَّة . اهـ .

وانظر بنحو ما سبق مجموع الفتاوى ( ١٠ / ٧٤ ) فإنه مهم .

**وقد حصل بمجموع الآيات التي أوردها المصنف ـ رحمه الله ـ عدة أسباب لمحبة الله لعبده :**

**الأول :** الإحسان في عبادة الله وإلى عباد الله.

**الثاني :** العدل في الأقوال والأعمال وفي جميع الأحوال.

**الثالث :** التقوى.

**الرابع :** التوبة من جميع الذنوب والإكثار منها.

**الخامس :** تطهير الظاهر والباطن.

**السادس :** اتباع النبي ﷺ .

**السابع :** الجهاد في سبيل الله على الصفة المذكورة في الآية .

والأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده كثيرة ذكر منها ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين( ٣ / ١٧ـ١٨ )عشرة أسباب فقال :

**الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة:**

**أحدها:** قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه ، وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليفهم مراد صاحبه منه .

**الثاني:** التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة .

**الثالث :** دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال ، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

**الرابع :** إيثار محابّه على محابّك عند غلبات الهوى ، والتسنم إلى محابّه وإن صعب المرتقى .

**الخامس :** مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها،فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة ، ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

**السادس :** مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته .

**السابع :** وهو من أعجبها إنكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.

**الثامن :** الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتادب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالإستغفار والتوبة.

**التاسع:** مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً

لحالك ومنفعة لغيرك .

**العاشر:** مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ـ عز وجل ـ .

**فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب ، وملاك ذلك كله أمران:**

إستعداد الروح لهذا الشأن ، وانفتاح عين البصيرة ، وبالله التوفيق . ا هـ .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوي (١٠/٨١) :**

ينبغي التفطن له أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال في كتابه : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [ آل عمران: ٣١ ]

قال طائفة من السلف : ادعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ ، فبيَّن سبحانه أن محبته توجب اتباع الرسول ، وأن اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد ، وهذه محبة امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله ، فإن هذا الباب تكثر فيه الدعاوى والاشتباه. ولهذا يروى عن ذي النون المصري أنهم تكلموا في مسألة المحبة عنده فقال : اسكتوا عن هذه المسألة لئلا تسمعها النفوس فتدعيها أ.هـ .

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٠ / ٨٤ ) أن أصل المحبة معرفة الله ، ولها أصلان :

**الأول:** محبته سبحانه لأجل ما له من كمال الذات والأسماء والصفات والأفعال .

**الثاني :** محبته سبحانه لإحسانه إلى عباده أ.هـ بتصرف .

لاتكون محبة الله صحيحة نافعة إلا إذا وزنت بميزان الكتاب والسُّنَّة .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٨ / ٣٦٠ ) :**

فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدعون المحبة ،ولم يزنوها بميزان العلم والكتاب والسُّنَّة دخل فيها نوع من الشرك واتباع الأهواء ،والله تعالى قد جعل

محبته موجبة لاتباع رسوله فقال ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله، وليس شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه، وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه، فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين، بل هذا هو هذا في ذاته وإن تنوعت الصفات. فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ، ليست محبته لله وحده بل إن كان يحبه فهي محبة شرك، فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب، فكانوا يتبعون الرسول فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين .

وهكذا أهل البدع فمن قال إنه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد اتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة، فإن البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله، فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر . اهـ .

**وقال قبل ذلك ص ٣٥٩ - ٣٦٠ :**

والنفوس قد تدعي محبة الله وتكون في نفس الأمر محبة شرك، تحب ما تهواه وقد أشركته في الحب مع الله، وقد يخفى الهوى على النفس ، فإن حبك الشيء يعمي ويصم ، وهكذا الأعمال التي يظن الإنسان أنه يعملها لله وفي نفسه شرك قد خفي عليه وهو يعمله إما لحب رياسة وإما لحب مال وإما لحب صورة ولهذا قالوا : يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياءً فأي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا ، فهو في سبيل الله )** . اهـ .

وأما قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [ البروج : ١٤ ] .

فقد أورد المؤلف - رحمه الله - هذه الآية لإثبات صفة المودة.

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في جلاء الأفهام ( ٤٤٧ ):**

**وأما الودود ففيه قولان :**

**أحدهما :** أنه بمعنى فاعل وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين.

**والثاني :** أنه بمعنى مودود وهو المحبوب الذي يستحق أن يحب الحب كله وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره ونفسه وجميع محبوباته . اهـ .

**قلت :** و لا مانع أن يفسر الودود بالمعنيين جميعاً لأن اللفظ يحتمل ذلك ولا تنافي بين المعنيين ، والله أعلم .

## وقولـــه :

## إثبات صفة المغفرة والرحمة والأدلة عليها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [ غافر: ٧ ] ،﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [ الأحزاب: ٤٣ ] ، ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [ الأعراف: ١٥٦ ] ، ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [ الأنعام: ١٢ ] ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [ الأحقاف: ٨ ]، ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [ يوسف : ٦٤ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه الآيات لإثبات صفة المغفرة والرحمة لله على الوجه اللائق بجلاله وكماله سبحانه، خلافاً للمعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

**والرحمة المضافة إلى الله على قسمين :**

١- الرحمة التي هي صفته سبحانه .

٢- الرحمة التي هي خلق من خلقه .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد ( ٢ / ١٨٣ ) :**

**الرحمة المضافة إلى الله نوعان :**

**أحدهما :** مضاف إليه إضافة مفعول إلى فاعله .

**والثاني :** مضاف إليه إضافة صفة إلى الموصوف بها .

فمن الأول قوله في الحديث الصحيح ( **احتجت الجنة والنار** ) فذكر الحديث وفيه ( **فقال للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء** ) فهذه رحمة مخلوقة مضافة إليه إضافة المخلوق بالرحمة إلى الخالق تعالى ، وسماها رحمة لأنها خلقت بالرحمة وللرحمة وخص بها أهل الرحمة وإنما يدخلها الرحماء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ [ هود : ٩ ] ومنه تسمية تعالى للمطر رحمة بقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [ الأعراف : ٥٧ ] .

وعلى هذا فلا يمتنع الدعاء المشهور بين الناس قديماً وحديثاً وهو قول الداعي: اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك.

وذكره البخاري في كتاب الأدب المفرد له عن بعض السلف وحكى فيه الكراهة قال: إن مستقر رحمته ذاته وهذا بناءً على أن الرحمة صفة، وليس مراد الداعي ذلك بل مراده الرحمة المخلوقة التي هي الجنة، ولكن الذين كرهوا ذلك لهم نظر دقيق جداً وهو أنه إذا كان المراد بالرحمة الجنة نفسها لم يحسن إضافة المستقر إليها، ولهذا لا يحسن أن يقال: إجمعنا في مستقر جنتك. فإن الجنة نفسها هي دار القرار وهي المستقر نفسه كما قال: ﴿ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [ الفرقان: ٧٦ ] ، فكيف يضاف المستقر إليها ،والمستقر هو المكان الذي يستقر فيه الشيء ولا يصح أن يطلب الداعي الجمع في المكان الذي تستقر فيه الجنة، فتأمله، ولهذا قال: مستقر رحمته ذاته .

والصواب أن هذا لا يمتنع وحتى لو قال صريحاً: اجمعنا في مستقر جنتك لم يمتنع، وذلك أن المستقر أعم من أن يكون رحمة أو عذاباً ، فإذا أضيف إلى أحد أنواعه أضيف إلى ما يبيّنه ويميّزه من غيره، كأنه قيل: في المستقر الذي هو رحمتك لا في المستقر الآخر ، ونظير هذا أن يقول اجلس في مستقر المسجد أي المستقر الذي هو المسجد، والإضافة في مثل ذلك غير ممتنعة ولا مستكرهة، وأيضاً فإن الجنة وإن سميت رحمة لم يمتنع أن يسمى ما فيها من أنواع النعيم رحمة و لا ريب أن مستقر ذلك النعيم هو الجنة.

فالداعي يطلب أن يجمعه الله ومن يحب في المكان الذي تستقر فيه تلك الرحمة المخلوقة في الجنة، وهذا ظاهر جداً فلا يمتنع الدعاء بوجه ، والله أعلم . اهـ.

**قلت:** وأما الرحمة التي هي صفته سبحانه وتعالى فيدل عليها الآيات التي أوردها المؤلف ـ رحمه الله ـ ومنها أيضاً قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وقوله تعالى في الحديث القدسي كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: **( إن رحمتي سبقت غضبي )** ، ومن ذلك قوله ﷺ: **( اللهم برحمتك أستغيث )** .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد (٢/١٨٤ ـ ١٨٥) :**

فإن الرحمة هنا صفته ـ تبارك وتعالى ـ وهي متعلق الإستغاثة، فإنه لا يستغاث بمخلوق ، ولهذا كان هذا الدعاء من أدعية الكرب لما تضمنه من التوحيد والاستغاثة برحمة أرحم الراحمين .. إلى أن قال : والمقصود أن الرحمة المستغاث بها هي صفة الرب تعالى لا شيء من مخلوقاته كما أن المستعيذ بعزته في قوله : أعوذ بعزتك ، مستعيذ بعزته التي هي صفته لا بعزته التي خلقها يعز بها عباده المؤمنين . اهـ .

أما الآيات التي ذكرها المؤلف فقوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

متضمنة لثلاثة أسماء وصفتين ، أما الأسماء فهي : الله ، الرحمن ، الرحيم .

وأما الصفات فهي ، الألوهية ، الرحمة .

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد ( ١ / ٢٤ ) :**

وأما الجمع بين الرحمن الرحيم ففيه معنى هو :أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل .

**فالأول :** دال على أن الرحمة صفته .

**والثاني :** دال على أنه يرحم خلقه برحمته .

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾، ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ولم يجئ قط : رحمن بهم،فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة ، ورحيم هو الراحم برحمته ، وهذه نكته لاتكاد تجدها في كتاب . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ .

هذا من دعاء الملائكة المقربين للمؤمنين،وفيه توسل إلى الله بسعة رحمته التي وصلت إلى جميع خلقه، وهكذا سعة علمه المحيط بكل شيء ولهذا قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم ، ومن رحمة إلى علم .

**وقال ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد ( ٢ / ١٨٥ ) في الكلام على الآية السابقة :**

فهذه رحمة الصفة التي وسعت كل شيء كما قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ

كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وسعتها عموم تعلقها بكل شيء كما أن سعة علمه تعالى عموم تعلقه بكل شيء . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .

فيها إخبار بأنه رحيم بالمؤمنين وهذا يشمل رحمته بهم في الدنيا بهدايتهم إلى العمل النافع والعمل الصالح، وفي الآخرة بنجاتهم من النار وفوزهم بالجنة التي أعظم نعيمها وأكمله نظرهم إلى وجه ربهم الكريم .

وقوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ .

**قال العلامة السعدي في تفسيره لهذه الآية:**

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ من العالم العلوي والسفلي والبر والفاجر والمؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [ الأعراف : ١٥٦] . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ .

أي كتابة كونية على سبيل التفضل والإحسان إلى عباده .

وقوله : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ .

فيه أن الغفور والرحيم من أسماء الله ، والغفور متضمن لصفة المغفرة التي هي الستر على الذنب والتجاوز عنه .

وقوله تعالى ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

**حفظ الله لمخلوقاته على نوعين :**

**الأول** : حفظ عام وذلك بتيسير ما يحتاجون إليه وما تقوم به حياتهم لئلا يهلكوا أو يعطبوا .

**الثاني** : حفظ لأوليائه وهذا حفظ خاص عما يضرهم في دينهم ودنياهم، وفي

حديث ابن عباس عند الترمذي وغيره قال رسول الله ﷺ : ( **احفظ الله يحفظك** ) .

﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ كما في الصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه - وفي الحديث قصة (**لله أرحم بعباده من هذه بولدها** ) .

( ومما ينبغي أن يعلم أن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد ، وإن كرهتها نفسه وشقت عليه ، هذه هي الرحمة الحقيقية ، فأرحم الناس بك من شق عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك .

فمن رحمة الأب بولده : أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه شهواته التي تعود بضرره ، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به ، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم .

**ولهذا كان من تمام رحمة أرحم الراحمين :** تسليط أنواع البلاء على العبد فإنه أعلم بمصلحته ، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته : من رحمته به ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه .

**وقد جاء في الأثر :** إن المبتلى إذا دعي الله له : اللهم ارحمه ، يقول الله سبحانه وتعالى : كيف أرحمه من شيء به أرحمه ؟ .

**وفي أثر آخر :** إن الله إذا أحب عبده حماه الدنيا وطيباتها وشهواتها كما يحمي أحدكم مريضه .

فهذا من تمام رحمته به لا من بخله عليه .

كيف وهو الجواد الماجد الذي له الجود كله ، وجود جميع الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها .

فمن رحمته - سبحانه - بعباده : ابتلاؤهم بالأوامر والنواهي رحمة وحمية لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به، فهو الغني الحميد، ولا بخلاً منه عليهم بما نهاهم عنه فهو

الجواد الكريم .

**ومن رحمته :** أن نغَّص عليهم الدنيا وكدَّرها لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان ، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم ، وأماتهم ليحييهم .

**ومن رحمته :** أن حذرهم نفسه لئلا يغتروا به فيعاملوه بما لاتحسن معاملته به كما قال تعالى : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [ آل عمران : ٣٠ ] ، قال غير واحد من السلف : من رأفته بالعباد حذرهم من نفسه لئلا يغتروا به .اهـ . إغاثة اللهفان ( ٥٤٤ ـ ٥٤٥ ) .

وصفة الرحمة من الصفات الثابتة في الكتاب والسُّنَّة كما سبق.

وقد أجمع على إثباتها أهل السُّنَّة والجماعة سلفاً وخلفاً خلافاً للمعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين حرفوا النصوص الدالة على إثباتها ثم فسرها من فسرها منهم بالإرادة أو بإرادة الثواب والإحسان، حتى إن ابن القيم ـ رحمه الله ـ ذكر في إغاثة اللهفان ( ٥٤٧ ) عن الجهم بن صفوان ـ عامله الله بعدله ـ أنه كان يخرج بأصحابه إلى الجذمى وأهل البلاء ويقول : انظروا أرحم الراحمين يفعل مثل هذا ؟ إنكاراً لرحمته كما أنكر حكمته .

**وقال آخر من كبار القوم :** ما على الخلق أضر من الخالق . اهـ .

ومن أولئك المعطلة من علَّل عدم إثباته لصفة الرحمة بأنها ضعف وخور وتألم على المرحوم ، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٦ / ١١٨ ) فقال : هذا باطل أولاً: لأن الضعف والخور مذموم في الآدميين ، والرحمة ممدوحة، قال تعالى : ﴿ **وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾ [البلد :١٧ ] ، وقد نهى الله عن الوهن والحزن فقال : ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴿١٣٩﴾ ﴾ [ آل عمران : ١٣٩ ] ، وندبهم إلى الرحمة فقال ﷺ في الحديث الصحيح : ( **لا تنزع الرحمة إلا من شقي** ) .

وقال : ( **من لا يرحم لا يرحم** ) ، وقال : ( **الراحمون يرحمهم الله** ) ، ولكن لما كانت الرحمة في حق المخلوقين مستلزمة لذلك لم يجب أن تكون في حق الله مستلزمة لذلك، كما أن العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام فينا يستلزم النقص والحاجة بحيث يتنزه الله عنه وهذه مثبته لله، فإن لم يكن في حق الله كما في حقنا فكذلك الرحمة وأيضاً نحن نعلم بالإضطرار أنا إذا فرضنا موجودَيْن أحدهما يرحم غيره فيجلب له المنفعة ويدفع عنه المضرة، والآخر قد استوى عنده هذا وهذا وليس عنده ما يقتضي جلب منفعة ولا دفع مضرة كان الأول أكمل . اهـ .

**كما أجاب العلامة ابن القيم على المعطلة النافين لصفة الرحمة القائلين بأنها مجاز عن الثواب**، وعللوا ذلك بأن الرحمة ضعف وخور وتألم على المرحوم ، فقال كما في مختصر الصواعق ( ٣٤٣ – ) ما خلاصته :

**أولاً :** إن القول بأن صفات الله مجاز من أعظم الإلحاد في أسمائه وذلك بإنكارها أو إنكار معانيها التي دلت عليها ، فمن ادعى أن الرحمن مجاز لا حقيقة له فإنه يجوز إطلاق القول بنفيها فلا يستنكف أن يقول ليس بالرحمن ولا بالرحيم ، كما يصح أن يقال للرجل الشجاع ليس بأسد على الحقيقة .

**ثانياً :** قولهم ( الرحمة رقة القلب ) يقال لهم : تريدون رحمة المخلوق ؟! أم رحمة الخالق ؟! أم كل ما سمي رحمة شاهداً أو غائباً ؟ .

فإن قلتم بالأول صدقتم ولم ينفعكم ذلك شيئاً ،وإن قلتم بالثاني والثالث كنتم قائلين غير الحق، فإن الرحمة صفة الرحيم ، وهي في كل موصوف بحسبه، فإن كان الموصوف حيواناً له قلب فرحمته من جنسه رقة قائمة بقلبه ، وإن كان ملكاً فرحمته تناسب ذاته، فإذا اتصف أرحم الراحمين بالرحمة حقيقة لم يلزم أن تكون رحمته من جنس المخلوق لمخلوق، وهذا يطرد في سائر الصفات كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإرادة إلزاماً وجواباً، فكيف يكون رحمة أرحم الراحمين مجازاً دون السميع العليم .

**ثالثاً :** إن اسم الرحمة يستعمل في وصف الخالق والمخلوق فإما أن تكون حقيقة فيهما جميعاً وهي في كل موضع بحسبه أو مجازاً فيهما جميعاً أو أنها حقيقة في حق الخالق مجاز في حق المخلوق أو العكس ولا شك أن المتعين هو الأول لا غير وما سواه فباطل .

**ويوضحه الوجه الرابع :** أنه من أعظم المحال أن تكون رحمة أرحم الراحمين التي وسعت كل شيء مجازاً ورحمة العبد الضعيفة القاصرة المخلوقة المستعارة من ربه التي هي من آثار رحمته حقيقة، وهل قلب في قلب الحقائق أكثر من هذا فالعباد إنما حصلت لهم هذه الصفات التي هي كمال في حقهم من آثار صفات الرب تعالى، فكيف تكون لهم حقيقة وله مجاز .

**خامساً :** أن الرحمة مقرونة في حق العبد بلوازم المخلوق من الحدوث والنقص والضعف وغيره، وهذه اللوازم ممتنعة على الله تعالى، فإما أن تكون الرحمة إسماً للقدر الممدوح فقط أو الممدوح وما يلزمه من النقص، فإن كانت إسماً للقدر الكامل الذي لا يستلزم نقصاً وذلك ثابت للرب تعالى كانت حقيقة في حقه قطعاً، وإن كانت إسماً للمجموع فالثابت للرب تعالى هو القدر الذي لا نقص فيه .

**سادساً :** أن الله سبحانه وتعالى فرق بين رحمته والرضوان وثوابه المنفصل فقال تعالى : ﴿ **يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ** (٢١) ﴾ [التوبة: ٢١] ، فالرحمة والرضوان صفته والجنة ثوابه، وهذا يبطل قول من جعل الرحمة والرضوان ثواباً منفصلاً مخلوقاً ، وقول من قال : هي إرادته الإحسان. فإن إرادته الإحسان هي من لوازم الرحمة فإنه يلزم من الرحمة أن يريد الإحسان إلى المرحوم ، فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها وهو إرادة الاحسان ، وكذلك لفظ اللعنة والغضب والمقت هي أمور مستلزمة للعقوبة ، فإذا انتفت حقائق تلك الصفات انتفى لازمها .اهـ . ملخصاً .

## وقولـــه :

## [ الآيات الدالة على صفات : الرضا ، والغضب ، واللعن ، والسخط ، واللهـــو ، والمقت ]

﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [ البينة :٨ ] ، وقوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ [ النساء:٩٣ ]،وقوله:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ [ محمد:٢٨ ]،وقوله: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [ الزخرف:٥٥ ] ، وقوله: ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [ التوبة :٤٦ ] ، وقوله: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ الصف : ٣ ].

تضمنت هذه الآيات التي أوردها شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عدد من صفات الله الفعلية الاختيارية وهي صفة الرضى والغضب، واللعن والسخط ، والكره والمقت .

وهذه الصفات مما يثبته أهل السُّنَّة والجماعة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته وكماله، وهي صفات أزلية النوع حادثة الآحاد وهي ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار .

فالله موصوف بالصفات الفعلية الاختيارية خلافاً للمعطلة حتى إن العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص( ١٩٢ ) قد ذكر أن أدلة هذه الصفات تزيد على عشرة آلاف دليل، ثم ذكر أن سورة الفاتحة تدل على ثبوت الأفعال الاختيارية لله من سبعة وجوه ثم ذكرها ـ رحمه الله ـ .

أما الآية الأولى وهي قوله تعالى : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

ففيها إثبات صفة الرضى لله تعالى، وهذه الصفة من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله وقد دل على ثبوتها الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل .

**أما الكتاب** فمنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ وقوله : ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [ الزمر : ٧ ] .

**ومن أدلة السُّنَّة** على ذلك ما رواه مسلم في صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ..** ) .

وما رواه مسلم أيضاً عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها** ) .

وما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الأقرع والأبرص والأعمى وفي آخره أن الملك قال للأعمى : ( **فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك** ) .

وهذه الصفة ثابتة بإجماع أهل السُّنَّة سلفاً وخلفاً .

**وأما دلالة العقل عليها** فكونه ـ عز وجل ـ يثيب من أطاعه ويجزيه على عمله دليل على رضاه سبحانه .

**فإن قلت :** استدلالك بالمثوبة على رضى الله ـ عز وجل ـ قد ينازع فيه لأن الله ـ سبحانه ـ قد يعطي الفاسق من النعم أكثر مما يعطي الشاكر ، وهذا إيراد قوي .

**ولكن الجواب عنه أن يقال :** إعطاؤه الفاسق المقيم على معصيته استدراج وليس عن رضى ، كما قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣)** ﴾ [ الأعراف : ١٨٢-١٨٣ ] .

وقال النبي ﷺ : ( **إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** ) ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢)** ﴾ .
[ هود : ١٠٢ ] .

وقال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)** ﴾ [ الأنعام : ٤٤-٤٥ ] .

وأما إذا جاءت المثوبة والإنسان مقيم على طاعة الله فإننا نعرف أن ذلك صادر عن رضى الله عنه . ورضى الله يتعلق بالعمل ويتعلق بالعامل .

أما بالعمل فمثل قوله تعالى ﴿ **وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾ أي يرضى الشكر لكم .

وكما في قوله تعالى : ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [ المائدة : ٣ ] ، وكما في

الحديث الصحيح : ( **إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثا** ) فهذا الرضى متعلق بالعمل .

ويتعلق الرضى أيضاً بالعامل مثل هذه الآية التي ساقها المؤلف﴿ **رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [ البينة :٨ ].ا هـ . شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين رحمه الله ص( ٢١٥ ) .

ومن ذلك قوله أيضاً ﷺ كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة الأقرع والأبرص والأعمى فقال الملك للأعمى : (**فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك** ) .

وأما قوله تعالى ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ** ﴾[ النساء : ٩٣ ] .

ففيها صفتان فعليتان لله ـ عز وجل ـ وهما صفة اللعن وصفة الغضب وقد دل على ثبوتهما الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، ودل العقل أيضاً على إثبات صفة الغضب لله .

وأدلة الكتاب والسُّنَّة على ذلك كثيرة ومعروفة .

**وأما دلالة العقل** على صفة الغضب فإن كونه ـ عز وجل ـ يعاقب العاصين ويجازيهم على أعمالهم دليل على الغضب،وقد نفى أهل التعطيل اتصاف الله بالغضب،قالوا:لأن الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا يستحيل في حق الله.

**وقد رد عليهم شيخ الاسلام ابن تيمة ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١١٩/٦ ) بقوله :**

ليس بصحيح في حقنا بل الغضب قد يكون لدفع المنافي قبل وجوده، فلا يكون هناك انتقام أصلاً ، أيضاً فغليان دم القلب يقارنه الغضب وليس أن مجرد الغضب هو غليان دم القلب، كما أن الحياء يقارنه حمرة في الوجه، والوجل يقارن صفرة في الوجه لا أنه هو ، وهذا لأن النفس إذا قام بها دافع المؤذي فإن استشعرت العجز عاد الدم إلى الداخل فاصفر الوجه كما يصيب الحزين،وهذا إن قدر أنه حقيقة غضب لم

يلزم أن يكون غضب الله مثل غضبنا ،كما أن حقيقة ذات الله ليست مثل ذواتنا، فليس هو مماثلاً لنا لا لذواتنا ولا لأرواحنا وصفاته كذاته . ا هـ .

**واللعن** : هو الطرد والإبعاد من رحمة الله .

و﴿ **مَن** ﴾ في الآية شرطية من ألفاظ العموم فتعم جميع المكلفين .

و﴿ **مُؤْمِنًا** ﴾ خرج بذلك الكافر سواء كان كافراً كفراً أصلياً أو منافقاً أو مرتداً .

وقوله ﴿ **مُتَعَمِّدًا** ﴾ يدل على إخراج الصغير وغير العاقل لأن هؤلاء ليس لهم قصد معتبر ولا عمد وعلى إخراج المخطئ . شرح الواسطية لابن عثيمين ص( ٢١٠ ) .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا** ﴾ [ النساء : ٩٢ ] .

وقوله :﴿ **فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)** ﴾ [النساء:٩٣] .

في هذا وعيد شديد لمن اقترف هذه الكبيرة ، وقد صح عند النسائي وغيره من حديث بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا** ) .

وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( **لن يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً** ) .

وفي البخاري أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **أول ما يقضى بين الناس في الدماء** ) .

وأخرج أبو داود في سننه بسند صحيح قال: حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني حدثنا محمد بن شعيب عن خالد بن دهقان قال : كنا في غزوة القسطنطينية بذلقية فأقبل رجل من أهل فلسطين من أشرافهم وخيارهم يعرفون ذلك له يقال له هانئ بن كلثوم بن شريك الكناني، فسلم على عبد الله بن أبي زكريا وكان يعرف له حقه ، قال لنا خالد : فحدثنا عبد الله بن أبي زكريا قال : سمعت أم الدرداء تقول : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت رسول الله ﷺ قال : ( **كل ذنب عسى الله أن**

**يغفره إلا من مات مشركاً ، أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً )** فقال هانئ بن كلثوم: سمعت محمود بن الربيع يحدِّث عن عبادة بن الصامت أنه سمعه يحدِّث عن رسول الله ﷺ أنه قال : **(من قتل مؤمناً فاعتبط** [١] **بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً )** قال لنا خالد : ثم حدثني ابن أبي زكريا عن أم الدرداء عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال : **( لا يزال المؤمن معنقاً** [٢] **صالحاً مالم يصب دماً حراماً ، فإذا أصاب دماً حراماً بلّح )** [٣] .

ومن عظيم جرم قتل المؤمن بغير حق أن العلماء اختلفوا هل تقبل توبة القاتل أم لا ؟ .

« **فقال الجمهور:** التوبة تأتي على كل ذنب، فكل ذنب يمكن التوبة منه وتقبل، وقالت طائفة : لا توبة للقاتل ، وهذا مذهب ابن عباس المعروف عنه وإحدى الروايتين عن أحمد، وقد ناظر ابن عباس في ذلك أصحابه فقالوا : أليس قد قال الله تعالى في سورة الفرقان ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾** ﴾ [الفرقان : ٦٨-٧٠] .

فقال : كانت هذه الآية في الجاهلية وذلك أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وزنوا، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : إن الذي تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة فنزل : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾ الآية فهذه في أولئك وأما التي في سورة النساء وهي قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾** ﴾ فالرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه

---

( ١ ) أي قتله بلا جناية منه ولا جريرة توجب قتله كما في لسان العرب مادة عبط .

( ٢ ) أي خفيف الظهر سريع السير ، وقال ابن الأثير في النهاية أي مسرعًا في طاعته منبسطًا في عمله .

( ٣ ) أي أعيا وانقطع .

ثم قتل فجزاؤه جهنم ،وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه : لما نزلت التي في الفرقان ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ عجبنا من لينها فلبثنا سبعة أشهر فنزلت الغليظة بعد الليّنة فنسخت الليّنة .

وأراد بالغليظة هذه الآية التي في سورة النساء وبالليّنة آية الفرقان .

**قال ابن عباس** رضي الله عنهما **:** آية الفرقان مكية وآية النساء مدنية نزلت ولم ينسخها شيء .

**قال هؤلاء :** ولأن التوبة من قتل المؤمن عمداً متعذرة إذ لا سبيل إليها إلا باستحلاله أوإعادة نفسه – التي فوتها عليه – إلى جسده إذ التوبة من حق الآدمي لا تصح إلا بأحدهما وكلاهما متعذر على القاتل فكيف تصح توبته من حق آدمي لم يصل إليه ولم يستحله منه ؟ .

ولا يرد عليهم هذا في المال إذا مات ربه ولم يوفه إياه لأنه يتمكن من إيصال نظيره إليه بالصدقة .

**قالوا :** ولايرد علينا أن الشرك أعظم من القتل وتصح منه ، فإن ذلك محض حق الله ، فالتوبة منه ممكنه ، وأما حق الآدمي فالتوبة موقوفة على أدائه إليه واستحلاله له وقد تعذر .

واحتج الجمهور بقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) ﴾ [ الزمر :٥٣ ] ، فهذه في حق التائب وبقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [ النساء : ٤٨ ] ، فهذه في حق غير التائب لأنه فرق بين الشرك وما دونه وعلق المغفرة بالمشيئة فخصص وعلق وفي التي قبلها عم وأطلق .

واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ﴾ [ طه :٨٢ ] ، فإذا تاب هذا القاتل وآمن وعمل صالحاً فإن الله ـ عز وجل ـ غفار له .

**قالوا :** وقد صح عن النبي ﷺ حديث الذي قتل المائة ثم تاب فنفعته توبته ، وألحق بالقرية الصالحة التي خرج إليها .

وصح عنه ﷺ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :(ـ وحوله عصابة من أصحابه ـ **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا لا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولاتعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك**) .

قالوا : وقد قال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : ( **ابن آدم لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لقيتك بقرابها مغفرة** ) .

وقال ﷺ : ( **من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة** ) .

وقال ﷺ : ( **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** ) .

وقال ﷺ :(**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** ) .

وفي حديث الشفاعة : (**أخرجوا من النار من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان** ) .

وفيه يقول الله تعالى ( **وعزتي وجلالي لأخرجن من النار من قال لا إله إلا الله**) وأضعاف هذه النصوص كثير تدل على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

**قالوا :** وأما هذه الآية التي في النساء فهي نظائر أمثالها من نصوص الوعيد كقوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾ [ الجن:٢٣ ] .

وقوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ⑩ ﴾ [ النساء :١٠ ] ، وقوله ﷺ : ( **من قتل نفسه بحديدة فحديدته يتوجأ بها خالداً مُخلداً في نار جهنم** ) ونظائره كثيرة.

**وقد اختلف الناس في هذه النصوص على طرق :**

**أحدها :** القول بظاهرها وتخليد أرباب هذه الجرائم في النار، وهو قول الخوارج والمعتزلة ثم اختلفوا : فقالت الخوارج : هم كفار لأنه لا يخلد في النار إلا كافر .

**وقالت المعتزلة:** ليسوا بكفار بل فساق مخلدون في النار،هذا كله إذا لم يتوبوا .

**وقالت فرقة :** بل هذا الوعيد في حق المستحل لها لأنه كافر، وأما من فعلها معتقداً تحريمها : فلا يلحقه هذا الوعيد ، وعيد الخلود وإن لحقه وعيد الدخول .

وقد أنكر الإمام أحمد هذا القول وقال : لو استحل ذلك ولم يفعله كان كافراً ، والنبي ﷺ إنما قال : من فعل كذا وكذا .

**وقالت فرقة ثالثة :** الاستدلال بهذه النصوص مبني على ثبوت العموم .

وليس في اللغة ألفاظ عامة، ومن هنا أنكر العموم من أنكره ، وقصدهم تعطيل هذه الأدلة عن استدلال المعتزلة والخوارج بها لكن ذلك يستلزم تعطيل الشرع جملة بل تعطيل عامة الإخبار، فهؤلاء ردوا باطلاً بأبطل منه وبدعة بأقبح منها وكانوا كمن رام أن يبني قصراً فهدم مصراً .

**وقالت فرقة رابعة :** في الكلام إضمار .

قالوا : والإضمار في كلامهم كثير معروف .

ثم اختلفوا في هذا المضمر فقالت طائفة : بإضمار الشرط والتقدير ، فجزاؤه كذا إن جازاه ، أو إن شاء .

**وقالت فرقة خامسة :** بإضمار الاستثناء والتقرير فجزاؤه كذا إلا أن يعفو .

وهذه دعوى لادليل في الكلام عليها ألبتة . ولكن إثباتها بأمر خارج عن اللفظ .

**وقالت فرقة سادسة :** هذا وعيد، وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح ، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد ولا يجوز عليه خلف الوعد .

والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة وإسقاط وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه ، والوعد حق عليه أوجبه على نفسه والله لا يخلف الميعاد .

قالوا : ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله ﷺ حيث يقول :

نبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

وتناظر في هذه المسألة أبو عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد فقال عمرو بن عبيد :

يا أبا عمرو لا يخلف الله وعده .

وقد قال : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية فقال له أبو عمرو : ويحك يا عمرو من العجمة أتيت إن العرب لا تعد إخلاف الوعيد ذماً بل جوداً وكرماً أما سمعت قول الشاعر :

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي ولا يختشى من سطوة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

**وقالت فرقة سابعة :** هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة .

ولا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه ، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتض لها وقد قام الدليل على ذكر الموانع .

فبعضها بالإجماع ، وبعضها بالنص،فالتوبة مانع بالإجماع والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التي لا مدفع لها والحسنات العظيمة الماحية مانعة ، والمصائب الكبار المكفرة مانعة،وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص ولا سبيل إلى تعطيل هذه النصوص فلا بد من إعمال من الجانبين ) . اهـ .مدارج السالكين ١ / ٤٢٤ - ٤٢٨ .

قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ﴾ .

في هذه الآية إثبات صفة السخط لله وهي من الصفات الفعلية الدالة على عظمته وكماله نثبتها لله على الوجه اللائق بعظمته وجلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى : ١١ ]

وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنَّة والإجماع .

**أما دلالة الكتاب** فمنها الآية التي أوردها المؤلف ، **وأما دلالة السنَّة** فمن ذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في قصة الأعمى والأقرع والأبرص ، فقال الملك للأعمى : ( **إن الله قد رضي عنك ، وسخط على صاحبيك** ) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ [ الزخرف :٥٥ ] .

فقوله تعالى : ﴿ آسَفُونَا ﴾ أي أغضبونا وأسخطونا .

وفي هذه الآية أداة شرط وفعل شرط وجوابه وجزاؤه فالأداة ( لما ) وفعل الشرط ﴿آسَفُونَا ﴾ وجوابه وجزاؤه : ﴿ انتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ .

وفي هذا رد على المعطلة الذين فسروا السخط والغضب بالانتقام لأن السخط غير الإنتقام ، فالانتقام نتيجة الغضب و السخط .

**والأسف يأتي في اللغة على معنيين :**

١- بمعنى الغضب الشديد كما في الآية .

٢- بمعنى الحزن والندم مثل قوله تعالى عن يعقوب عليه السلام ﴿ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [ يوسف : ٨٤ ] ، وهذا المعنى ممتنع في حق الله تعالى وهو ـ سبحانه ـ مُنَزَّه عنه .

وفي الآية إثبات صفة الإنتقام لله ـ عز وجل ـ على الوجه اللائق به سـ

وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ [ التوبة : ٤٦ ] .

في هذه الآية إثبات صفة الكره وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع .

**أما الكتاب :** فقوله تعالى : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الإسراء:٣٨] ، والآية التي أوردها المصنف .

**ومن أدلة السُّنَّة على ذلك:** ما رواه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال : ( **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعا وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال** ) .

وما رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ( **.. وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه ، كره لقاء الله ، وكره الله لقاءه** ) .

وقوله تعالى : ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [ الصف : ٢-٣ ] .

وهذه الآية تعليل للآية التي قبلها وبيان لعاقبتها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ

**مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)** ﴾ .

﴿ كَبُرَ ﴾ بمعنى ( عظم ) .

﴿ مَقْتًا ﴾ المقت أشد البغض .

وقد تضمنت الآية السابقة إثبات صفة المقت لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله وكماله ، وهي صفة ثابتة لله بالكتاب والسُّنَّة والإجماع .

**ومن أدلة الكتاب** ما ذكره المصنف رحمه الله ، **ومن أدلة السُّنَّة** ما ورواه مسلم في صحيحة من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : ( .. **وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب** ) .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في التدمرية ص ٢٦ :**

وكذلك وصف نفسه ـ سبحانه ـ بأنه يمقت الكفار، ووصفهم بالمقت فقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ [ غافر: ١٠ ] ، وليس المقت مثل المقت .ا هـ .

وكل الصفات الفعلية السابقة لا يشتق منها أسماء لله باتفاق ، والله أعلم.

## وقولـــه :

قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ [ البقرة: ٢١٠ ] ، وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [ الأنعام: ١٥٨ ] ،وقوله : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) ﴾ [ الفجر: ٢٠-٢١ ] ، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً (٢٥) ﴾[ الفرقان: ٢٥ ].

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه الآيات الأربع لإثبات صفة المجئ والإيتان لله على الوجه اللائق بعظمته وكماله وكبريائه، وهما من الصفات الفعلية الاختيارية التي يثبتها أهل السُّنَّة والجماعة لله دون تمثيل وتكييف.

فقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ ﴾ في هذه الآية تحذير شديد للمكذبين من هول ذلك اليوم الذي يأتي فيه الله والملائكة على الصفة المذكورة .

### قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ٢٢٩ :

قوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ هل: استفهام بمعنى النفي يعني ما ينظرون ، وكلما وجدت ﴿ إلاَّ ﴾ بعد الإستفهام فالإستفهام يكون للنفي ، هذه قاعدة .

قال النبي ﷺ ( **هل أنت إلا أصبع دميت** ) أي : ما أنت .

ومعنى ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ هنا ينتظرون لأنها لم تتعد بـ( إلى ) فلو تعدت بـ( إلى ) لكان معناها النظر بالعين غالباً أما إذا تعدت بنفسها فهي بمعنى ينتظرون . أي : ما ينتظر هؤلاء المكذبون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وذلك يوم القيامة .

﴿ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ ﴾ و﴿ فِي ﴾ هنا بمعنى ( مع ) فهي للمصاحبة وليست للظرفية قطعاً ، لأنها لو كانت للظرفية لكانت الظلل محيطة بالله ، ومعلوم أن الله تعالى واسع عليم ولا يحيط به شيء من مخلوقاته . اهـ .

والعلماء قالوا : إن الغمام هو السحاب الأبيض الذي يبقى معه الجو مستنيراً كما قال تعالى ممتناً على بني إسرائيل : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ [ البقرة:٥٧ ] .

وقوله تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ .

هل :استفهام بمعنى النفي كما سبق،وهكذا ينظرون بمعنى ينتظرون في هذا السياق .

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٦٧ ):**

.. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ [ النحل:٣٣ ] ، فلما ذكر إتيانه ـ سبحانه ـ ربما توهم أن المراد إتيان بعض آياته أزال هذا الوهم ورفعه بقوله ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ فصار الكلام مع هذا التقسيم والتنويع نصاً صريحاً في معناه لا يحتمل غيره . اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ :

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

﴿ كَلاَّ ﴾أي ليس كل ما أحببتم من الأموال وتنافستم فيه من اللذات بباق لكم بل أمامكم يوم عظيم وهول جسيم تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعاً صفصفاً لا عوج فيه ولا أمتا ، ويجئ الله لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجئ الملائكة الكرام أهل السماوات كلهم صفاً صفاً أي صفاً بعد صف ، كل سماء يجئ ملائكتها صفاً يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذلك للملك الجبار .اهـ .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً (٢٥) ﴾ .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٢٣٢ ـ ٢٣٣ ) :**

يعني أذكر يوم تشقق السماء بالغمام و ﴿ تَشَقَّقُ ﴾ : أبلغ من تنشق لأن ظاهرها تشقق شيئاً فشيئاً ويخرج هذا الغمام يثور ثوران الدخان ينبعث شيئاً فشيئاً ، تشقق السماء بالغمام مثل ما يقال : تشقق الأرض بالنبات يعني يخرج الغمام من

السماء ويثور متتابعاً وذلك لمجيء الله ـ عز وجل ـ للفصل بين عباده فهو يوم رهيب عظيم ، وقوله :﴿ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنزِيلاً ﴾ ينزلون من السماوات شيئاً فشيئاً ، تنزل ملائكة السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة وهكذا، وهذه الآية في سياقها ليس فيها ذكر مجئ الله ولكن فيها الإشارة إلى ذلك، لأن تشقق السماء بالغمام إنما يكون لمجئ الله تعالى بدليل الآيات السابقة . ا هـ .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٤٢٧ ) :**

والإتيان والمجيء من الله تعالى نوعان : مطلق ومقيد .

فإذا كان مجيء رحمته أو عذابه كان مقيداً كما في الحديث ( **حتى جاء الله بالرحمة والخير** ) ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ [الأعراف : ٥٢] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ** ﴾ [ المؤمنون : ٧١ ] ، وفي الأثر لا يأتي بالحسنات إلا الله .

**النوع الثاني :** المجيء والاتيان المطلق كقوله ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)** ﴾ [ الفجر: ٢١ ] ،وقوله: ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ** ﴾ وهذا لا يكون إلا مجيئه ـ سبحانه ـ هذا إذا كان مطلقاً فكيف إذا قيّد بما يجعله صريحاً في مجيئه نفسه كقوله : ﴿ **إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ** ﴾ فعطف مجيئه على مجيء الملائكة ثم عطف مجيء آياته على مجيئه . ا هـ .

وقد حرف أهل التعطيل صفة المجيء والإتيان ، وقالوا : إنهما مجاز عن مجيء ملك من ملائكته .

**وقد رد عليهم العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق٣٣٩ وأبطل دعواهم من وجوه :**

**الأول :** أنه إضمار ما لا يدل عليه بمطابقة ولا تضمن ولا لزوم وإدعاء حذف ما لا دليل عليه .

**الثاني**: أن صحة التركيب واستقامة اللفظ لا تتوقف على هذا المحذوف بل الكلام مستقيم تام قائم المعنى بدون إضمار ، فإضماره مجرد خلاف الأصل فلا يجوز.

**الثالث**: أنه إذا لم يكن في اللفظ دليل على تعيين المحذوف كان تعيينه قولاً على المتكلم بلا علم وإخباراً عنه بإرادة مالم يقم به دليل على إرادته وذلك كذب عليه .

**الرابع** : أن في السياق ما يبطل هذا التقدير وهو قوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ فعطف مجيء الملك على مجيئه ـ سبحانه ـ يدل على تغاير المجيئين ، وأن مجيئه ـ سبحانه ـ حقيقة ، كما أن مجيء الملك حقيقة ، بل مجيء الرب ـ سبحانه ـ أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك.

وكذلك قوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك، فقَسَّم ونَوَّع ، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحداً فتأمله ، ولهذا منع عقلاء الفلاسفة حمل مثل هذا اللفظ على مجازه وقالوا : هذا يأباه التقسيم والترديد والإطراد.

**خامساً** : أنه لوصح بهذا المحذوف المقدر لم يحسن وكان كلاماً ركيكاً، فادعاء صدق ما يكون النطق به مشتركاً باطل، فإنه لو قال: هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ملك ربك أو أمر ربك أو يأتي بعض آيات ربك كان مستهجناً .

**سادساً** : أن المجاز لو كان ثابتاً فإنما يصار إليه عند تعذر الحمل على الحقيقة إذ هي الأصل فما الذي أحال حمل ذلك على حقيقتة من عقل أو نقل أو اتفاق من اتفاقهم حجة.

فأما النقل والاتفاق فهو من جانب الحقيقة بلا ريب ، وأما العقل فإنكم تزعمون أنكم أولى به منهم، وهم قد أبطلوا جميع عقلياتكم التي لأجلها ادعيتم أن نسبة المجيء والإتيان والنزول والاستواء إلى الله مجاز، فسلم لهم النقل واتفاق السلف فكيف والعقل الصريح من جانبهم كما تقدم تقريره فإن من لا يفعل شيئاً ولا يتمكن من فعل يقوم به بمنزلة الجماد .ا هـ . بتصرف يسير .

## وقولـــه :

﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [ الرحمن: ٢٧ ] ، وقوله :﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [ القصص: ٨٨ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هاتين الآيتين لإثبات صفة الوجه لله وهذه الصفة من الصفات الذاتية التي يثبتها أهل السُّنَّة والجماعة دون تحريف أو تكييف أو تمثيل.

أما الآية الأولى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

فهي معطوفة على قوله ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ولهذا قال بعض السلف ينبغي إذا قرأت ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ أن تصلها بقوله ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ حتى يتبين نقص المخلوق وكمال الخالق ، وذلك للتقابل ، هذا فناء وهذا بقاء .

والوجه معناه معلوم ولكن كيفيته مجهولة لا نعلم كيف وجه الله ـ عز وجل ـ كسائر صفاته، لكننا نؤمن بأن له وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام ، وموصوفاً بالبهاء والعظمة والنور العظيم حتى قال النبي ﷺ : **( حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه )** .

( سبحات وجهه ) يعني بهاؤه وعظمته وجلاله ونوره .

( ما انتهي إليه بصره من خلقه ) وبصره ينتهي إلى كل شيء ، وعليه فلو كشف هذا الحجاب ـ حجاب النور من وجهه ـ لأحرق كل شيء.

**لهذا نقول :** هذا الوجه وجه عظيم لا يمكن أبداً أن يماثل أوجه المخلوقات ، فإن حاول أحد أن يتصور هذه الكيفية بقلبه أو يتحدث عنها بلسانه قلنا : إنك مبتدع ضال قائل على الله ما لاتعلم ، وهنا قال :﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ أضاف الربوبية إلى محمد ﷺ ، وهذه الربوبية أخص ما يكون من أنواع الربوبية ، لأن الربوبية عامة وخاصة، والخاصة خاصة أخص ،وخاصة فوق ذلك كربوبية الله تعالى لرسله ،

فالربوبية الأخص أفضل بلا شك .

وقوله : ﴿ ذُو ﴾ صفة للوجه ،والدليل الرفع ، ولو كانت صفة للرب لقال ذي الجلال ، كما قال في نفس السورة : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٧٨) ﴾ [ الرحمن: ٧٨ ] ، فلما قال : ﴿ ذُو الْجَلالِ ﴾ علمنا أنه وصف للوجه .

﴿ الْجَلالِ ﴾ معناه العظمة والسلطان .

﴿ وَالإِكْرَامِ ﴾ هي مصدر من أكرم صالحة للمُكْرِم والمُكْرَم ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ مُكْرَمٌ ، وإكرامه ـ تعالى ـ القيام بطاعته، ومُكْرِمٌ لمن يستحق الإكرام من خلقه بما أعده لهم من الثواب .

وقوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ .

قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ أي : فان كقوله ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) ﴾ .

وقوله: ﴿ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ توازي قوله ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ .

فالمعنى كل شيء فانٍ وزائل إلا وجه الله ـ عز وجل ـ فإنه باق ولهذا قال: ﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ فهو الحكم الباقي الذي يرجع إليه الناس ليحكم بينهم .

وقيل في معنى الآية : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ :

أي : إلا ما أريد به وجهه قالوا : لأن سياق الآية يدل على ذلك ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ كأنه يقول : لا تدع مع الله إلهاً آخر فتشرك به لأن عملك وإشراكك هالك أي ضائع سدى إلا ما أخلصته لوجه الله فإنه يبقى، لأن العمل الصالح له ثواب باقٍ لا يفنى في جنات النعيم ، لكن المعنى الأول أَسَدُّ وأقوى .

**وعلى طريقة من يقول بجواز استعمال المشترك في معنييه نقول :**

يمكن أن تُحمل الآية على المعنيين إذ لا منافاة بينهما فتحمل على هذا وهذا فيقال: كل شيء يفنى إلا وجه الله ـ عز وجل ـ وكل شيء من الأعمال يذهب هباءً إلا ما أريد به وجه الله .

وعلى أي التقديرين ففي الآية دليل على ثبوت الوجه لله ـ عز وجل ـ وهو من الصفات الذاتية الخبرية التي مسماها بالنسبة إلينا أبعاض وأجزاء ، ولا نقول من الصفات الذاتية المعنوية ، ولو قلنا بذلك لكنا نوافق من تأوله تحريفاً ، ولا نقول : إنها بعض من الله أو جزء من الله لأن ذلك يوهم نقصاً لله سبحانه وتعالى (١) .

هذا ولأهل البدع والأهواء من المعطلة أقوال باطلة حقيقتها إنكار صفة الوجه،وقد ساق العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ أقوالهم كما في مختصر الصواعق ثم أبطلها فقال :

**المثال الخامس :** وجه الرب ـ جل جلاله ـ حيث ورد في الكتاب والسُّنَّة ، فليس بمجاز على حقيقته، واختلف المعطلون في جهة التجوز في هذا فقالت طائفة :

لفظ الوجه زائد والتقدير ويبقى ربك ، إلا ابتغاء ربه الأعلى ، ويريدون ربهم .

**وقالت فرقة أخرى منهم :** الوجه بمعنى الذات وهذا قول أولئك وإن اختلفوا في التعبير عنه .

**وقالت فرقة :** ثوابه وجزاؤه ؛ فجعله هؤلاء مخلوقاً منفصلاً ، قالوا : لأن الذي يراد هو الثواب .

وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها .

قال عثمان بن سعيد الدارمي : وقد حكى بشر المريسي أنه قال في قول النبي ﷺ : « **إذا قام العبد يصلي أقبل الله عليه بوجهه** » ، يحتمل أن يقبل الله عليه بنعمته وإحسانه وأفعاله ، وما أوجب للمصلي من الثواب، فقوله ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ** ﴾، أي ما تتوجه به إلى ربك من الأعمال الصالحة ، وقوله: ﴿ **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** ﴾ [ البقرة : ١١٥ ] ، أي قبلة الله .

**قال الدارمي:** لما فرغ المريسي من إنكار اليدين عن الله أقبل قِبَل وجه الله ذي الجلال والإكرام لينفيه عنه كما نفى عنه اليدين، فلم يدع غاية من إنكار وجه الله ذي الجلال والإكرام والجحود به حتى ادعى أن وجه الله ـ الذي وصفه بأنه ذو الجلال

---

( ١ ) شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين ( ٢٣٧ ـ ٢٤٠ ) بتصرف .

والإكرام ـ مخلوق لأنه ادعى أنه أعمال مخلوقة يتوجه بها إليه ، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل وزعم أنه قبلة الله، وقبلة الله لا شك مخلوقة، ثم ساق الكلام في الرد عليه.

**والقول بأن لفظ الوجه مجاز باطل من وجوه :**

**أحدها :** أن المجاز لايمتنع نفيه ، فعلى هذا لا يمتنع أن يقال : ليس لله وجه ولا حقيقة لوجهه ، وهذا تكذيب صريح لما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه ﷺ .

**الثاني :** أنه خروج عن الأصل والظاهر بلا موجب .

**الثالث :** أن ذلك يستلزم كون حياته وسمعه وبصره وقدرته وكلامه وإرادته وسائر صفاته مجاز لا حقيقة كما تقدم تقريره .

**الرابع :** أن دعوى المعطل أن الوجه صلة كذب على الله وعلى رسوله وعلى اللغة فإن هذه الكلمة ليست مما عهد زيادتها .

**الخامس :** لو ساغ ذلك لساغ لمعطل آخر أن يدعي الزيادة في قوله : **(أعوذ بعزة الله وقدرته )** ويكون التقدير : أعوذ بالله ، ويدعي معطل آخر الزيادة في سمعه وبصره وغير ذلك .

**السادس:** أن هذا يتضمن إلغاء وجهه لفظاً ومعنى،وأن لفظه زائد ومعناه منتفٍ .

**السابع :** ماذكره الخطابي والبيهقي وغيرهما قالوا : لما أضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال : ﴿ **وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (٢٧) ﴾ . دلَّ على أن ذكر الوجه ليس بصلة وأن قوله :﴿ **ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ صفة للوجه وأن الوجه صفة للذات .

**قلت ـ ابن القيم ـ :** فتأمل رفع قوله ﴿ **ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** ﴾ عند ذكره الوجه ، وجره في قوله : ﴿ **تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ** (٧٨) ﴾ فذو الوجه المضاف بالجلال والإكرام لما كان القصد الإخبارعنه ، وذي المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة لما كان المقصود عين المسمى دون الإسم ، فتأمله .

**الثامن :** أن حمله على الثواب المنفصل من أبطل الباطل فإن اللغة لا تحتمل ذلك ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجازي .

**التاسع :** أن الثواب مخلوق فقد صح عن النبي ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال : **( أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني ، لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون )** . رواه أبو داود وغيره .

ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعيذ بمخلوق .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ أنزل عليه ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [ الأنعام: ٦٥ ] قال : **أعوذ بوجهك** .

**العاشر :** أن النبي ﷺ كان يدعو في دعائه : **(أسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقائك )** .

ولم يكن ليسأل لذة النظر إلى الثواب ولا يعرف تسمية ذلك وجهاً لغةً ولاشرعًا ولا عرفاً .

**الحادي عشر :** أن النبي ﷺ قال : **( من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سألكم بوجه الله فأعطوه )** .

وفي السنن من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **( لاينبغي لأحد أن يسأل بوجه الله إلا الجنة )** .

فكان طاووس يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله ، وجاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز، فرفع إليه حاجته ثم قال : أسألك بوجه الله ، فقال عمر : لقد سألت بوجه الله فلم يسأل شيئاً إلا أعطاه إياه ، ثم قال عمر : ويحك ، ألا سألت بوجه الله الجنة .

ولو كان المراد بوجهه مخلوقاً من مخلوقاته لما جاز أن يقسم عليه ويسأل به ولا كان ذلك أعظم من السؤال به سبحانه، وهذه الآثار صريحة في أن السؤال بوجهه أبلغ وأعظم من السؤال به ، فقد قال رسول الله ﷺ :**(لا يسأل بوجه الله إلا الجنة)**، فدل على بطلان قول من قال : هو ذاته .

**الثاني عشر :** ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : **( إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه )** .

فإضافة السبحات التي هي الجلال والنور إلى الوجه ، وإضافة البصر إليه تبطل كل مجاز وتبين أن المراد به وجهه .

**الثالث عشر :** أن الصحابة - ﭫ - والتابعين وجميع أهل السُّنَّة والحديث والأئمة الأربعة ، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد .

**الرابع عشر :** أن الوجه حيث ورد فإنما ورد مضافاً إلى الذات في جميع موارده ، والمضاف إلى الرب تعالى نوعان :

أعيان قائمة بنفسها ، كبيت الله ، وناقة الله ، وروح الله ، وعبد الله ، ورسول الله ، فهذا إضافة تشريف وتخصيص وهي إضافة مملوك إلى مالكه .

**الثاني :** صفات لا تقوم بنفسها ، كعلم الله وحياته وقدرته وعزته وسمعه وبصره ونوره وكلامه ، فهذه إذا وردت مضافة إليه فهي إضافة صفة إلى الموصوف بها .

إذا عُرف ذلك فوجهه الكريم وسمعه وبصره إذا أضيف إليه وجب أن تكون إضافته إضافة وصف لا إضافة خلق، وهذه الإضافة تنفي أن يكون الوجه مخلوقاً وأن يكون حشواً في الكلام، وفي سنن أبي داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال : **( أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم )** .

فتأمل كيف قرن في الاستعاذة بين استعاذته بالذات وبين استعاذته بالوجه الكريم وهذا صريح في إبطال قول من قال :إنه الذات نفسها،وقول من قال :إنه مخلوق .ا هـ. مختصر الصواعق ٣٨٦ - ٣٩٢ بتصرف .

ومما سبق يتضح بجلاء أن صفة الوجه لله ثابتة بدلالة الكتاب والسُّنَّة الصحيحة وإجماع أهل السُّنَّة والجماعة سلفاً وخلفاً، وأنه ليس لأهل البدع المحرفين لهذه الصفة دليل نقلي ولا عقلي، والحمد لله رب العالمين .

**فـــائدة :**

أختلف في المراد بالوجه في قوله تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ على قولين :

**الأول :** أن المراد بذلك القبلة لدلالة السياق على ذلك، وهو قول قتادة والشافعي فقد نقله البيهقي عن الشافعي في الأسماء والصفات، وقد نصر هذا القول شيخ الاسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ( ٢ / ٤٢٨ ) وما بعدها ، فلا تبخل على نفسك بمراجعة ذلك .

**الثاني :** أن المراد بالوجه إثبات صفة الله ـ عز وجل ـ وممن قال به العلامة ابن القيم وانتصر له انتصاراً بالغاً كما في مختصر الصواعق ( ٣٣٧ ) وما بعدها وذكره ابن خزيمة في التوحيد وغيرهما .

**فـــائدة أخرى :**

**قـال بعض العلمـاء:** يستثنى مما يهلك ويفنى ثمانية أشياء وليس في ذلك مخالفة لعموم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ و ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) ﴾ لأن المعنى: كل شيء هالك مما كتب الله عليه الهلاك كقوله تعالى عن ريح قوم عاد ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ مع أن الله تعالى قال: ﴿ فَأَصْبَحُوا لا يُرَىٰ إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ ﴾ [ الأحقاف: ٢٥ ] ، فالمساكن لم تدخل في عموم التدمير ، ومثل هذا قوله تعالى في حق ملكة اليمن ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [ النمل : ٢٣ ] مع أنها لم تؤت مثل ما أوتي سليمان من تسخير الريح والجن وغيره ، وإنما يكون المعنى : أوتيت من كل شيء يحتاج إليه في الملك ، وقد جمعت هذه الثمانية في بيتين من الشعر نظمها السيوطي فقال :

ثمــانيــة حكـم البـقــاء يعــمــهــا من الخلق والبـاقـون في حيـز العـدم
هي العـــرش والكرسي ونار وجنة وعــجـب وأرواح كـذا اللوح والقلم

وقد ذكر نحو هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٨ / ٣٠٧ ) .

## وقوله :

﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ ص:٧٥ ] ، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [ المائدة:٦٤ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هاتين الآيتين لإثبات اليدين لله تعالى .

وصفة اليدين من الصفات الذاتية الخبرية التي دل على ثبوتها الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل السُّنَّة سلفاً وخلفاً على الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله وكماله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى : ١١ ]

فقوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ٢٤٤:**

﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ : الخطاب لإبليس و ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ استفهام للتوبيخ ، يعني أي شيء منعك أن تسجد .

وقوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ولم يقل : لمن خلقت لأن المراد هنا آدم باعتبار وصفه الذي لم يشركه أحد فيه وهو خلق الله إياه بيده لا باعتبار شخصه .

ولهذا لما أراد إبليس النيل من آدم وحط قدره ، قال : ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [ الإسراء: ٦١ ] .

فهنا قال : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ ﴾ أي : هذا الموصوف العظيم الذي أكرمته بأنني خلقته بيدي ، ولم يقصد : لمن خلقت ، أي لهذا الآدمي بعينه .

﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ يعني: أن الله ـ عز وجل ـ خلق آدم بيده وهنا قال: ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ وهي صيغة تثنية وحذفت النون من التثنية من أجل الإضافة .

في هذه الآية توبيخ لإبليس في تركه السجود لما خلقه الله بيده وهو آدم عليه الصلاة والسلام .

وفيها : إثبات صفة الخلق ﴿ لِمَا خَلَقْتُ ﴾ .

وفيها : إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى : اليدين اللتين بهما يفعل كالخلق هنا .

وقوله :﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ : فيها أيضاً تشريف لآدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حيث خلقه الله تعالى بيده .

**الآية الثانية** : قوله ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ .

اليهود هم أتباع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

**سموا يهوداً** : قيل لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [ الأعراف : ١٥٦ ] ، وبناء على هذا يكون الإسم عربياً لأن هاد ـ يهود إذا رجع ـ عربي .

**وقيل** : إن أصله يهوذا : إسم أحد أولاد يعقوب واليهود من نسبوا إليه لكن عند التعريب صارت الذال دالاً فقيل: يهود ، وهؤلاء اليهود من أشد الناس عتواً ونفوراً لأن عتو فرعون وتسلطه عليهم جعل ذلك ينطبع في نفوسهم،فصار فيهم العتو على الناس بل وعلى الخالق ـ عز وجل ـ فهم يصفون الله تعالى بأوصاف العيوب ـ قبَّحهم الله ـ وهم أهلها .

يقولون : ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ أي محبوسة عن الإنفاق كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [ الإسراء : ٢٩ ] ، أي محبوسة عن الإنفاق .

وقالوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾ [ آل عمران : ١٨١ ] ، وهاهنا يقول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ : ﴿ يَدُ ﴾ أفردوها لأن اليد الواحدة أقل عطاء من اليدين الثنتين، ولهذا جاء الجواب بالتثنية والبسط فقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ .

ولما وصفوا الله بهذا العيب عاقبهم الله بما قالوا فقال:﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾أي منعت عن الإنفاق، ولهذا كان اليهود أشد الناس جمعاً للمال ومنعاً للعطاء، فهم أبخل عباد الله وأشدهم شحاً في طلب المال،ولا يمكن أن ينفقوا فلساً إلا وهو يظنون أنهم سيكسبون بدله درهماً، ونرى نحن الآن لهم جمعيات كبيرة وعظيمة لكن هم يريدون من وراء هذه الجمعيات والتبرعات أكثر وأكثر، يريدون أن يسيطرو على العالم .

فإذاً لا تقل أيها الإنسان : كيف نجمع بين قوله تعالى : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ وبين الواقع اليوم بالنسبة لليهود ؟ ! لأن هؤلاء القوم يبذلون ليربحوا أكثر .

﴿ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ أي : طردوا وأبعدوا عن رحمة الله ـ عز وجل ـ لأن البلاء موكل بالمنطق ، فهم لما وصفوا الله بالامساك طردوا وأبعدوا عن رحمته ، قيل لهم إذا كان الله ـ عز وجل ـ كما قلتم لا ينفق فليمنعكم رحمته ، حتى لا يعطيكم من جوده ؛ فعوقبوا بأمرين:

- تحويل الوصف الذي عابوا به الله سبحانه وتعالى إليهم بقوله ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ .
- وبإلزامهم بمقتضى قولهم إبعادهم عن رحمة الله حتى لا يجودوا جود الله وكرمه وفضله .

﴿ بِمَا قَالُوا ﴾ الباء هنا للسببية وعلامة الباء التي في السببية أن يصح أن يليها كلمة ( سبب ) .

ثم أبطل الله ـ سبحانه وتعالى ـ دعواهم فقال : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ .

﴿ بَلْ ﴾ للإضراب الابطالي .

وانظر كيف اختلف التعبير ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ لأن المقام مقام تمدح بالكرم والعطاء ، باليدين أكمل من العطاء باليد الواحدة .

و﴿ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ :ضد قولهم :﴿ مَغْلُولَةٌ ﴾ فيدا الله تعالى مبسوطتان واسعتا العطاء كما قال النبي ﷺ : ( **يد الله ملأى سحاء ( كثيرة العطاء ) الليل والنهار أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يمينه** ) . متفق عليه .

من يحصي ما أنفق الله منذ خلق السموات والأرض ؟ ! لا يحصيه أحد ، ومع ذلك لم يغض ما في يمينه .

وهذا كقوله تعالى في الحديث القدسي : ( **يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد فسألوني،فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر** ) .

وليس إنفاق الله تعالى بما نحصل من الدراهم والمتاع، بل كل ما بنا من نعمة فهو من الله تعالى سواء كانت من نعم الدين أم الدنيا، فذرات المطر من إنفاق الله علينا، وحبات النبات من إنفاق الله علينا، أفبعد هذا يقال كما قالت اليهود عليهم لعائن الله ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ لا والله، بل يقال : إن يدي الله ـ عز وجل ـ مبسوطتان بالعطاء والنعم التي لا تعد ولا تحصى.

لكن إذا قالوا : لماذا أعطى زيداً ولم يعطي عمرواً ؟ .

قلنا : لأن الله تعالى له السلطان المطلق والحكمة البالغة، ولهذا قال رداً على شبهتهم : ﴿ **يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ فمن الناس من يعطيه الله كثيراً، ومنهم من يعطيه قليلاً، ومنهم من يعطيه وسطاً، تبعاً لما تقتضيه الحكمة على أن هذا الذي أعطي قليلاً ليس محروماً من فضل الله وعطائه من جهة أخرى، فالله أعطاه صحة وسمعاً وبصراً وعقلاً، وغير ذلك من النعم التي لا تحصى، ولكن لطغيان اليهود وعدوانهم وأنهم لم ينزهوا الله عن صفات العيب قالوا : ﴿ **يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ . اهـ . بتصرف .

وقد قام المعطلة بتحريف هذه الصفة العظيمة لله فقالوا : إن اليد مجاز عن النعمة أو القدرة ونحو ذلك. ومن أحسن من تصدى لهم وكشف زيف مقالتهم ودافع عن المعتقد الحق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتلميذه ابن القيم.

**فقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله كما في مختصر الصواعق ( ٣٧٠ – ٣٨٠ )** المثال الرابع : قوله : تعالى ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ ، ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ .

**قالت الجهمية مجاز عن النعمة أو القدرة، وهذا باطل من وجوه :**

**أحدها :** أن الأصل الحقيقة، فدعوى المجاز مخالفة للأصل .

**الثاني :** أن ذلك خلاف الظاهر، فقد اتفق الأصل والظاهر على بطلان هذه الدعوى.

**الثالث :** أن مدعي المجاز المعين يلزمه أمور :

**أحدها :** إقامة الدليل الصارف عن الحقيقة ، إذ مدعيها معه الأصل والظاهر مخالفها ومخالف لهما جميعاً .

**ثانيهما :** بيان احتمال اللفظ لما ذكره من المجاز لغة وإلا كان منشئاً من عنده وضعاً جديداً .

**ثالثهما :** إحتمال ذلك المعنى في هذا السياق المعين، فليس كل ما احتمله اللفظ من حيث الجملة يحتمله هذا السياق الخاص ، وهذا موضع غلط فيه من شاء الله ولم يبين أويميز بين ما يحتمله اللفظ بأصل اللغة وإن لم يحتمله في هذا التركيب الخاص وبين ما يحتمله فيه .

**رابعاً :** بيان القرائن الدالة على المجاز الذي عينه بأنه المراد إذ يستحيل أن يكون هذا هو المراد من غير قرينة في اللفظ تدل عليه البتة ، وإذا طولبوا بهذه الأمور الأربعة تبين عجزهم .

**الوجه الرابع :** إن إطراد لفظها ـ اليد ـ في موارد الاستعمال وتنوع ذلك وتصريف استعماله يمنع المجاز ، ألا ترى إلى قوله :﴿ **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ وقوله: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ وقوله : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾** ﴾ [ الزمر : ٦٧ ] ، فلو كان مجازاً في القدرة والنعمة لم يستعمل منه لفظ ( يمين ) .

وقوله في الحديث الصحيح : ( **المقسطون عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين** ) (١) .

فلا يقال : هذا يد النعمة والقدرة .

وقوله : ( **يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى ، ثم يهزهن ، ثم يقول : أنا الملك** ) (٢) .

---

( ١ ) أخرجه مسلم برقم ١٨٢٧ .

( ٢ ) أخرجه البخاري برقم ٧٤١٢ ، ومسلم برقم ٢٧٨٨ .

فهنا هز وقبض وذكر يدين ولما أخبرهم رسول الله ﷺ جعل يقبض يديه ويبسطها تحقيقاً للصفة لا تشبيهاً لها ، ووضع يديه على عينيه وأذنيه تحقيقاً لصفة السمع والبصر وأنهما حقيقة لا مجازاً .

**الوجه الخامس:** أن اقتران لفظ الطي والقبض والإمساك باليد يصير المجموع حقيقة، وهذا في الفعل، وهذا في الصفة بخلاف اليد المجازية، فإنها إن أريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد حقيقة بل ما يدل على المجاز كقوله: له عندي يد ، وأنا تحت يدهم ونحو ذلك، وأما إذا قيل قبض بيده وأمسك بيده أوقبض بإحدى يديه كذا وبالأخرى كذا وجلس عن يمينه أو كتب كذا وعمله بيمينه أو بيديه فهذا لا يكون إلا حقيقة .

**الوجه السادس :** أن مثل هذا المجاز لا يستعمل بلفظ التثنية ولا يستعمل إلا مفرداً أو مجموعاً كقولك : له عندي يد يجزيه الله بها ، وله عندي أياد وأما إذا جاء بلفظ التثنية لم يعرف استعماله قط إلا في اليد الحقيقية وهذه موارد الاستعمال أكبر شاهد فعليك بتتبعها .

**الوجه السابع :** أنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى القدرة والنعمة بلفظ التثنية بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله : ﴿ **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾ [ البقرة:١٦٥ ] ، وكقوله : ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [ النحل : ١٨ ] ، وقد يجمع النعم كقوله : ﴿ **وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً** ﴾ [ لقمان: ٢٠ ] و إما أن يقول : خلقتك بقدرتين أو بنعمتين ، فهذا لم يقع في كلامه ولا كلام رسول الله ﷺ .

**الوجه الثامن :** أنه لو ثبت استعمال ذلك بلفظ التثنية لم يجز أن يكون المراد به هاهنا القدرة، فإنه يبطل فائدة تخصيص آدم، فإنه وجميع المخلوقات حتى إبليس مخلوق بقدرته ـ سبحانه ـ فأي مزية لآدم على إبليس في قوله ﴿ **مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾ [ ص:٧٥] يوضحه :

**الوجه التاسع :** أن الله جعل ذلك خاصَّة خصَّ بها آدم دون غيره ، ولهذا قال له موسى وقت المحاجة : أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ،وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، وكذلك يقول له أهل الموقف إذا سألوه الشفاعة، فهذه أربع خصائص له ، فلو كان المراد باليد القدرة لكان بمنزلة أن يقال له : خلقك الله بقدرته فأي فائدة في ذلك يوضحه :

**الوجه العاشر :** أنك لو وضعت الحقيقة التي يدعي هؤلاء أن اليد مجاز فيها موضع اليد لم يكن في الكلام فائدة ولم يصح وضعها هناك، فإنه ـ سبحانه ـ لو قال : ما منعك أن تسجد لما خلقت بقدرتي ، وقال له موسى : أنت أبو البشر الذي خلقك الله بقدرته ، وقال له أهل الموقف ذلك لم يحسن ذلك الكلام ولم يكن فيه من الفائدة شيء ، وتعالى الله أن ينسب إليه مثل هذا التخصيص إنما خرج مخرج الفضل له على غيره ، وإن ذلك أمر اختص به لم يشاركه فيه غيره ، فلا يجوز حمل الكلام على ما يبطل ذلك .

**الوجه الحادي عشر :** أن نفس هذا التركيب المذكور في قوله:﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ يأبى حمل الكلام على القدرة لأنه نسب الخلق إلى نفسه ـ سبحانه ـ ثم عدَّى الفعل إلى اليد ،ثم ثناها،ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على قولك :كتبت بالقلم ، ومثل هذا النص صريح لا يتحمل المجاز بوجه ، بخلاف ما لو قال : عملت كما قال تعالى ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [ الشورى: ٣٠ ] ، ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ [ الحج: ١٠ ] ، فإنه نسب الفعل إلى اليد ابتداء وخصَّها بالذكر لأنها آلة الفعل في الغالب،ولهذا لم يكن خلق الأنعام مساوياً لخلق أبي الأنام قال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [ يس : ٧١ ] ، فأضاف الفعل إلى الأيدي وجمعها ولم يدخل عليها الباء،فهذه ثلاثة فروق تبطل إلحاق أحد الموضعين بالآخر ويتضمن التسوية بينهما عدم مزية أبينا آدم على الأنعام،وهذا من أبطل الباطل وأعظم العقوق للأب إذ ساوى المعطل بينه وبين إبليس والأنعام في الخلق باليدين .

**الوجه الثاني عشر :** أن الله تعالى أنكر على اليهود نسبة يده إلى النقص والعيب ولم ينكر عليهم إثبات اليد له تعالى فقال : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [ المائدة : ٦٤ ] . فلعنهم على وصف يده بالعيب دون إثبات يده وقدر إثباتها زيادة على ما قالوه بأنهما يدان مبسوطتان وبهذا يعلم تلبيس الجهمية المعطلة على أشباه الأنعام حيث قالوا : إن الله لعن اليهود على إثبات اليد له سبحانه ، وأنهم مشبهة وهم أئمة المشبهة ، فتأمل هذا الكذب من هذا القائل والتلبيس ، وأن الآية صريحة بخلاف قوله .

**فإن قيل : كيف تصنعون بيد الحائط في قول لبيد : إذا أصبحت بيد الشمال ذمامها .**

**وقول المتنبي :**

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب

وقد استعملت اليد في ذلك كله ؟

**قيل :** لا يلزمنا هذا السؤال ، لأنا قلنا متى أضيفت يد القدرة والنعمة إلى الحي استلزمت اليد الحقيقية ، وهذا استعمال مطرد غير منتقض ، وهذا يتعين بالوجه السابع عشر : وهو أن الإضافة في يد الشمال ويد الحائط ويد الليل بينت أن المضاف من جنس المضاف إليه ، والإضافة في البعير والفرس وغيرهما من الحيوانات كذلك ، والإضافة في يد الملك والجن تبين أيضاً أن يديهما من جنسهما ، وكذلك الإضافة في يد الإنسان ، وكل ذلك حقيقة .

كذلك إضافة اليدين إلى الرحمة في قوله :﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [ النمل :٦٣ ] ، وإلى النجوى في قوله : ﴿ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ [ المجادلة : ١٢ ] ، فإن بين يدي الشيء أمامه وقدامه ، وهذا مما يتنوع فيه المضاف إليه وإن اختلفت ماهية الحقيقة وصفاتها وتنوعت بتنوع المضاف إليه .

**فإذا قيل :** يد الله ووجهه وسمعه وبصره وحياته وعلمه وقدرته ومشيئته وإتيانه

واستواؤه كان ذلك حقيقة والمضاف فيه بحسب المضاف إليه ، فإذا لم يكن المضاف إليه مماثلاً لغيره لزم أن يكون المضاف كذلك ضرورة، فدعوى لزوم التشبيه والتمثيل في إثبات المضاف حقيقة زعم كاذب ، فإن لزم من إثبات اليد حقيقة لله التمثيل والتشبيه لزم ذلك في إثبات سائر الصفات له حقيقة، ويلزم ذلك في إثبات صفاته فإن الصفة القديمة متى أشبهت صفات المخلوقين لزم وقوع التشبيه بين الذاتين .

**الوجه الثامن عشر :** أن يقال ما الَّذي يضركم من إثبات اليد حقيقة وليس معكم ما ينفي ذلك من أنواع الأدلة لا نقليها ولا عقليها ولا ضروريها ولا نظريها ، فإن فررتم من الحقيقة خشية التشبيه والتمثيل ففروا من إثبات السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة والكلام خشية هذا المحذور .

**ثم يقال لكم :** توهمكم لزوم التشبيه والتمثيل من إثبات هذه الصفة وغيرها وهْمٌ باطل ، وليس في المخلوقات يد تمسك السموات والأرض وتطويها ويد تقبض السبع ، فلو كان في المخلوقات يد هذا شأنها لكان لهم عذر ما في توهم التشبيه من إثبات اليد لله حقيقة وإنما هذا منهم تلبيس على ضعفاء العقول . ا هـ . بتصرف .

**قلت :** الوجه الثامن عشر رد على الأشاعرة وإن كان فيما قبله رد عليهم أيضاً .

## وقولــه :

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [ الطور : ٤٨ ] ، ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [ القمر : ١٣-١٤ ] ، وقوله : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [ طه : ٣٩ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه الآيات لإثبات صفة العينين لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه، وصفة العينين من الصفات الذاتية الخبرية التي دل على ثبوتها الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف الصالح .

**فأما دلالة الكتاب** فقد ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ .

**وأما دلالة السُّنَّة** فمن ذلك ما رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم ٧٤٠٧ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور ـ وأشار إلى عينيه ـ وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية** ) .

وما رواه أبو داوود في سننه بإسناد حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [ النساء : ٥٨ ] ، فوضع إبهامه على أذنيه والتي تليها على عينيه .

**وأما كلام أهل العلم** فمنه ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى( ٥ / ٩٠ ) عن أبي الحسن الأشعري في حكاية معتقد أهل السُّنَّة حيث قال : قول أصحاب الحديث وأهل السُّنَّة الإقرار بالله وملائكته .. إلى أن قال : وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ . ا هـ .

**وقال الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد ( ١ / ٩٧ ) بعد أن ذكر بعض الآيات في إثبات هذه الصفة :**

فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبّت الخالق البارئ لنفسه من

العين ، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثَبَّته الله في محكم تنزيله ببيان النبي ﷺ الذي جعله الله مبيناً عنه - عز وجل - في قوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [ النحل : ٤٤ ] ، فبين النبي ﷺ أن لله عينين ، فكان بيانه موافقاً لبيان محكم التنزيل الذي هو مسطور بين الدفتين مقروء في المحاريب والكتاتيب أ. هـ .

**وقال ( ١ / ١١٤ ) :** نحن نقول : لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى وتحت الأرض السابعة السفلى وما في السماوات العلى . ا هـ .

**ويوب اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السُنَّة والجماعة ( ٣ / ٤١٢ ) بقوله :**

سياق ما دل من كتاب الله - عز وجل - وسُنَّة رسوله ﷺ ، على أن من صفات الله - عز وجل - الوجه والعينين واليدين . ا هـ .

**وقال ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ( ٤٠ ) :**

وقد استدل السلف على إثبات العينين له تعالى بقوله ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ ا.هـ .

**فإن قال قائل :** إن العين قد وردت في النصوص السابقة تارة مفردة وتارة مثنَّاة وأخرى مجموعة ، فكيف الجمع ؟ .

**فالجواب ما قاله ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ٣٨-٣٩ :**

ذكر العين المفردة مضافة إلى الضمير المفرد ، والأعين مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع ، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة ليس إلا كقولك : إفعل هذا على عيني وأحبك على عيني ولا يريد أن له عيناً واحدة .

وإنما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً ومضمراً فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ كقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ وقوله : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [ هود:٣٧ ] ، وهذا نظر المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [ الملك : ١ ] ، و﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦ ] ،وإن أضيفت إلى ضمير جمع، جمعت كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾ [ يس : ٧١ ] وكذلك

إضافة اليد والعين إلى اسم الجمع الظاهر كقوله : ﴿ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ [ الروم: ٤١ ] ، وقوله : ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ [ الأنبياء : ٦١ ] .

وقد نطق الكتاب والسُّنَّة بذكر اليد مضافة إليه بلفظ مفردة ومجموعة ومثنَّاة، وبلفظ العين مضافة إليه مفردة ومجموعة ونطقت السُّنَّة بإضافتها إلى اليد مثنَّاة.ا هـ.

والحديث صريح الدلالة على أن لله عينين اثنتين فقط ووجه ذلك ( أنه لو كان لله أكثر من اثنتين لكان البيان أوضح من البيان بالعور، لأنه لو كان لله أكثر من عينين لقال : إن ربكم له أعين لأنه إذا كان له أعين أكثر من ثنتين صار وضوح أن الدجال ليس برب أبين .

**وأيضاً :** لو كان لله ـ عز وجل ـ أكثر من عينين لكان ذلك من كماله وكان ترك ذكره تفويتاً للثناء على الله، لأن الكثرة تدل على القوة والكمال والتمام، فلو كان لله أكثر من عينين لبيّنها الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لئلا يفوتنا اعتقاد هذا الكمال وهو الزائد على العينين الثنتين )[١] .

**(فإن قيل :** إن من السلف من فسَّر قوله تعالى : ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بقوله : بمرأى منا ، فسره بذلك أئمة سلفيون معروفون وأنتم تقولون : إن التحريف محرم وممتنع ، فما الجواب ؟ .

**فالجواب :** أنهم فسروها باللازم مع إثبات الأصل وهي العين وأهل التحريف يقولون : بمرأى منا بدون إثبات العين ، وأهل السُّنَّة والجماعة يقولون : ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ بمرأى منا مع إثبات العين .

لكن ذكر العين هنا أشد توكيداً وعناية من ذكر مجر الرؤية ، ولهذا قال : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

**قالت المعطلة :** أجلبتم علينا بالخيل والرَّجْل في إنكاركم علينا التأويل وأنتم أولتم فأخرجتم الآية عن ظاهرها ، فالله يقول : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فخذوا بالظاهر وإذا

---

( ١ ) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ( ٢٦٣ - ٢٦٤ ) .

أخذتم بالظاهر كفرتم وإذا لم تأخذوا بالظاهر تناقضتم فمرة تقولون : يجوز التأويل ومرة تقولون : لا يجوز التأويل ،وتسمونه تحريفاً، وهل هذا إلا تحكم بدين الله ؟ ! .

**قلنا :** نأخذ بالظاهر وعلى العين والرأس وهو طريقنا ولا نخالفه .

**قالوا :** الظاهر من الآية أن محمداً ﷺ بعين الله وسط العين كما تقول : زيد بالبيت وزيد بالمسجد ، فالباء للظرفية ، فيكون زيد داخل البيت وداخل المسجد ، فيكون قوله : بأعيننا أي داخل أعيننا ؟ .

وإذا قلتم بهذا كفرتم لأنكم جعلتم الله محلاً للخلائق فأنتم حلولية وإن لم تقولوا به تناقضتم ؟

**قلنا لهم :** معاذ الله ، ثم معاذ الله ، ثم معاذ الله أن يكون ما ذكرتموه ظاهر القرآن، وأنتم إن اعتقدتم أن هذا ظاهر القرآن كفرتم ، لأن من اعتقد أن ظاهر القرآن كفر وضلال؛ فهذا كافر ضال .

فأنتم توبوا إلى الله من قولكم : إن هذا هو ظاهر اللفظ ! واسألوا جميع أهل اللغة من الشعراء والخطباء : هل يقصدون بمثل هذه العبارة أن الإنسان المنظور إليه بالعين حالٌ في جفن العين؟! .

اسألوا من شئتم من أهل اللغة أحياءً وأمواتاً .

فأنت إذا رأيت أساليب اللغة العربية عرفت أن هذا المعنى الذي ذكروه وألزمونا به لا يرد في اللغة العربية ، فضلاً عن أن يكون مضافاً إلى الرب ـ عز وجل ـ فإضافته إلى الرب كفر منكر ، وهو منكر لغة وشرعاً وعقلاً .

**فإن قيل :** بماذا تفسرون الباء في قوله : ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ ؟ .

قلنا نفسرها بالمصاحبة ، إذا قلت أنت بعيني ، يعني أن عيني تصحبك وتنظر إليك ، لا تنفك عنك ، فالمعنى أن الله ـ عز وجل ـ يقول لنبيه : اصبر فإنك محوَّطٌ بعنايتنا وبرؤيتنا لك بالعين حتى لا ينالك أحد بسوء .

ولا يمكن أن تكون الباء هنا للظرفية ، لأنه يقتضي أن يكون رسول الله ﷺ في

عين الله ، وهذا محال ، وأيضاً : فإن رسول الله ﷺ حوطب بذلك وهو في الأرض ، فإذا قلتم : أنه كان في عين الله كانت دلالة القرآن كذباً . وهذا وجه آخر في بطلان دعوى القرآن وأن الرسول ﷺ في عين الله تعالى ) (١) .

وخلاصة الجواب على من زعم أن أهل السنة لم يجروا الآيات السابقة على ظاهرها حيث قالوا في قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بمرأى منا وحفظ لها .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ أي لتربى وتغذى بمرأى مني أراك وأحفظك .

وفي قوله تعالى ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ . أي بمرأى منا وحفظ ونحو ذلك .

**أولاً :** أن أهل السُّنَّة أثبتوا لله صفة العين ابتداءً ، وما ذكروه إنما هو من باب التفسير باللازم .

**ثانياً :** أن أهل السُّنَّة لم ينظروا إلى النصوص بعين عوراء، بل نظروا إلى النصوص كلها، فقد أخبر الله أنه مستوٍ على عرشه وأنه في السماء وأنه لا يحاط به علماً، فيستحيل مع ذلك أن تكون السفينة جرت على عين الله أي فوقها ، وأن موسى الذي نشأ في بيت فرعون تربى في عين الله ، بل معنى الباء هنا للمصاحبة ، فيكون المعنى تجري بمرأى منا وحفظ ورعاية مع إثبات الصفة .

**ثالثاً :** أن ما فهمه أهل البدع من مسلك أهل السُّنَّة مخالف للكتاب والسُّنَّة وطريقة السلف الصالح ، والله أعلم .

( أما الآية الأولى وهي قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ .

فالخطاب فيها للنبي ﷺ .

**والصبر :** بمعنى الحبس ، ومنه قولهم : قُتِل صبراً ، أي قُتل وقد حُبس للقتل .

**فالصبر في اللغة :** بمعنى الحبس .

**وفي الشرع :** قالوا : هو الصبر لأحكام الله ، يعني حبس النفس لأحكام الله .

---

(١) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ( ٢٦٤ - ٢٦٦ ) .

وأحكام الله ـ عز وجل ـ شرعية وكونية : الشرعية ، أوامره ونواهيه .

فالصبر على طاعة الله صبر على الأوامر ، والصبر عن معصيته صبر عن النواهي .

والكونية : أقدار الله تعالى ، فيصبر على أقداره وقضائه .

**وهذا معنى قول بعضهم : الصبر ثلاثة أقسام :**

- صبر على طاعة الله .
- وصبر عن معصيته .
- وصبر على أقدار الله المؤلمة .

فقوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ : يتناول الأقسام الثلاثة :

[ ١ ] الصبر على طاعة الله .

[ ٢ ] وعن معصية الله .

[ ٣ ] وعلى أقدار الله .

أي : إصبر لحكم ربك الكوني والشرعي [١] .

وقوله تعالى : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [ القمر: ١٣-١٤ ] .

﴿ وَحَمَلْنَاهُ ﴾ : الضمير يعود على نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

وقوله ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ أي على سفينة ذات ألواح ودسر ، وهذه السفينة كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يصنعها وكان يمر به قومه فيسخرون منه فيقول: ﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [ هود : ٣٨ ] .

صنعها بأمر الله وعنايته،وقال الله له:﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [ هود : ٣٦ ] ، فالله تعالى ينظر إليه وهو يصنع الفلك ويلهمه كيف يصنعها .

ووصفها الله هنا في قوله ﴿ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ .

﴿ ذَاتِ ﴾ بمعنى صاحبة، والألواح : الخشب ، والدسر : ما يربط به الخشب

---

( ١ ) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ( ٢٥٩ - ٢٦٠ ) .

كالمسامير والحبال وما أشبه ذلك ، وأكثر المفسرين على أن المراد بها المسامير التي تربط بها الأخشاب .

﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ هذا الشاهد : ﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي ذات الألواح والدسر بأعين الله -عز وجل- ، والمراد بالأعين هنا عينان فقط كما مرَّ ، ومعنى تجري بها أي مصحوبة بنظرنا بأعيننا ، فالباء هنا للمصاحبة ، تجري على الماء الذي نزل من السماء ونبع من الأرض ، لأن نوحاً عليه الصلاة والسلام دعا ربه ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [ القمر : ١٠ ] ، قال تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [ القمر : ١١-١٢ ] ، فكانت هذه السفينة تجري بعين الله -عز وجل- .

قد يقول قائل : لماذا لم يقل : وحملناه على السفينة ، أو حملناه على فلك ، بل قال : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [ القمر : ١٣ ] ؟ .

**والجواب على هذا أن نقول :** عدل عن التعبير بالفلك والسفينة إلى التعبير بذات ألواح ودسر لوجوه ثلاثة :

**الوجه الأول :** مراعاة للآيات وفواصلها ، فلو قال : حملناه على فلك لم تتناسب هذه الآية مع ما بعدها ولا ما قبلها ، ولو قال : على سفينة كذلك ، ولكن من أجل تناسب الآيات في فواصلها وكلماتها قال : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .

**الوجه الثاني :** من أجل أن يتعلم الناس كيف يصنعون السفن وبيان أنها من الألواح والمسامير، ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [ القمر : ١٥ ] فأبقى الله علمها للخلق يصنعون كما ألهم الله نوحاً .

**الوجه الثالث :** الإشارة إلى قوتها ، حيث كانت من ألواح ودسر ، والتنكير هنا للتعظيم (١) .

## فائدة :

**قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد ( ٢ / ٥-٦ ) :** نقلاً عن

---

( ١ ) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ( ٢٦٦ - ٢٦٨ ) .

السهيلي ومقراً له :

( .. ومن فوائد هذه المسألة أن يسئل عن المعنى الذي لأجله قال الله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ بحرف على ، وقال تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ بالباء ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ وما الفرق ؟ .

فالفرق أن الآية الأولى وردت في إظهار أمر كان خفياً وإبداء ما كان مكتوماً،فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون سراً ، فلما أراد أن يُصنع ويُغذى ويُربى على حال أمن وظهور لا تحت خوف واستسرار دخلت ( على ) في اللفظ تنبيهاً على المعنى لأنها تعطي الاستعلاء،والاستعلاء ظهور وإبداء، فكأنه يقول سبحانه وتعالى: ولتصنع على أمن لا تحت خوف ، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة .

وأما قوله تعالى ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فإنه إنما يريد برعاية منا وحفظ ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم ، فلم يحتج في الكلام إلى معنى ( على ) بخلاف ما تقدم . ا هـ .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ .

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي فكل من رآه أحبه .

﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ أي : ولتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي ، وأي نظر وكفالة أجلُّ وأكمل من ولاية البر الرحيم القادر على إيصال مصالح عبده ودفع المضار عنه ؟! فلا ينتقل من حالة إلى حالة إلا والله تعالى هو الذي دبَّر ذلك لمصلحة موسى ومن حسن تدبيره أن موسى لما وقع في يد عدوه قلقت أمه قلقاً شديداً وأصبح فؤادها فارغاً ، وكادت تخبر به لولا أن الله ثبتَّها وربط على قلبها . ا هـ .

## وقولـــه :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [ المجادلة : ١ ] ، وقوله : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [ آل عمران : ١٨١ ] ، وقوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف : ٨٠] ، وقوله : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [ طه : ٤٦ ] .

وقوله : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق: ١٤ ] ، وقوله : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [ الشعراء : ٢١٨-٢١٩ ] ، وقوله : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [ التوبة : ١٠٥ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه الآيات لإثبات صفة السمع والبصر، وهما صفتان ذاتيتان لله على الوجه الذي يليق بعظمته وجلاله، وقد دلَّ عليهما الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف الصالح .

**ومن دلالة الكتاب** إضافة إلى ما ذكره المؤلف الآية التي هي شجي في حلوق المبتدعة ممثلة ومعطلة وهي قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١]

**والأحاديث الدالة على إثبات هاتين الصفتين كثيرة منها :**

( ١ ) ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبَّرنا فقال : ( **أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً ، تدعون سميعاً بصيراً قريباً** ) .

( ٢ ) ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم هو أشد عليك من يوم أُحد ؟، فقال : ( **لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة** .. إلى أن قال ﷺ : **فناداني ملك الجبال فسلَّم**

عليَّ ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ) .

( ٣ ) ما رواه أبو داوود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قرأ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيراً ﴾ [ النساء : ٥٨ ] ، فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ) .

**وأما الإجماع،فقد قال أبو الحسن الأشعري في رسالة أهل الثغر ص ٢٢٥ :**

وأجمعوا على أنه ـ عز وجل ـ يسمع ويرى .ا هـ .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٢١٨):**

ومن المعلوم باتفاق المسلمين أن الله حي حقيقة عليم حقيقة قدير حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته . اهـ .

**والسمع يأتي في القرآن ويراد به ما يلي :**

( ١ ) إدراك الصوت .

( ٢ ) فهم المعنى .

( ٣ ) القبول والإجابة .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مفتاح دار السعادة ( ٩٩ ) :**

والسمع يراد به إدراك الصوت ويراد به فهم المعنى ويراد به القبول والإجابة والثلاثة في القران ، فمن الأول : قوله : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) ﴾ .

وهذا أصرح ما يكون في إثبات صفة السمع ، وذكر الماضي والمضارع واسم الفاعل سمع ويسمع وهو سميع وله السمع ،كما قالت عائشة رضي الله عنها : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وأنا في جانب البيت ، وإنه ليخفى علي بعض كلامها ، فأنزل الله ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ .

**الثاني :** سمع الفهم ،كقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ أي لأفهمهم

﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الأنفال: ٢٣ ] ، لما في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق، ففيهم آفتان إحداهما أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لكبرهم ، وهذا غاية النقص والعيب .

**والثالث :** سمع القبول والإجابة ،كقوله تعالى : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ [ التوبة: ٤٧ ] ، أي قابلون مستجيبون لأهله.

ومنه قول المصلي : سمع الله لمن حمده ، أي أجاب الله حمد من حمده ودعاء من دعاه .

وقول النبي ﷺ : ( **إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد ، يسمع الله لكم** ) . أي يجيبكم . اهـ.

**وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - كما في شرحه للسفارينية ص ١٨٤-١٨٦ :**

**والسمع الذي أثبته الله لنفسه نوعان :**

( ١ ) سمع إدراك المسموع .

( ٢ ) سمع إجابة المسموع .

وهناك فرق بين الإدراك وبين الإجابة ، قال تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأنفال: ٢١ ] ﴿ سَمِعْنَا ﴾ أي سمع إدراك ، ﴿ وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ ﴾ سمع استجابة،سمع الله - عز وجل - يشمل سمع الإدراك سمع الإستجابة، ففي قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ﴾ سمع إدراك،وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [ إبراهيم :٣٩ ] ، سمع الاستجابة،وفي قول المصلي : سمع الله لمن حمده سمع الأمرين جميعاً، يعني يسمع ويجيب من حمده بالإثابة .

**وهل هما من الصفات الذاتية أو لا ؟**

**الجواب :** أما سمع الإدراك فهو من الصفات الذاتية ، وأما سمع الاستجابة فهو

من الصفات الفعلية لأنه إن شاء استجاب وإن شاء لم يستجب .

فألوا الألباب الذي يقولون : ربنا إننا آمنا، قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ [ آل عمران :١٩٥ ] .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[ غافر: ٦٠ ]،فالإستجابة حصلت بعد الدعاء.

وكل شيء من صفات الله يكون له سبب فهو من الصفات الفعلية ، سمع الاستجابة من الصفات الفعلية، فمن استجاب الله له فقد سمعه ، لكن سمع الإدراك ذكرنا أنه من الصفات الذاتية لكن الحادث هو المسموع لا السمع .

**قال العلماء : والسمع بمعنى الإدراك ينقسم إلى عدة أقسام :**

**الأول :** سمع عام ، لكل شيء مثاله قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [ المجادلة :١ ] ، فهذا يشمل المؤمن والكافر وما يرضاه وما لا يرضاه .

**الثاني :** سمع خاص مقتضاه النصر والتأييد وهذا الخاص له أمثلة منها :

قوله تعالى لموسى وهارون : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [ طه : ٤٦ ]، فالمراد أسمع وأرى فأنتصر لكما .

وقد يكون للتهديد والوعيد : مثل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [ آل عمران :١٨١ ] .

وقوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [ الزخرف : ٨٠ ] .

فصار الخاص يراد به النصر والتأييد وقد يراد به التهديد والوعيد .

وقولي : قد يراد به أي قد يكون مقتضاه النصر والتأييد ، وقد يكون مقتضاه التهديد والوعيد .

**فإذا قال قائل : ما هو الضابط لما يقتضي هذا وهذا ؟ .**

**الجواب :** أن الضابط القرائن أي قرائن الأحوال ، وسياق الكلام يدل على أن مقتضاه كذا وكذا . اهـ.

**وأما البصر الثابت لله تعالى فهو نوعان :**

( ١ ) بصر رؤية

( ٢ ) بصر علم .

**قال العلامة ابن عثيمين في شرح السفارينية (١٨٣-١٨٤ ) :**

والبصر هو رؤية الأشياء ، وقد أثبت الله في كتابه أنه بصير بما يعمل العباد وأخبر النبي ﷺ أن لله بصراً في قوله : ( **حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** ) [١] .

وعلى هذا ، فالبصر ثابت لله بالكتاب والسُّنَّة ، ولكن هذا الحديث الذي ذكرناه هو بصر الرؤية .

**أما بصر العلم فيستفاد من الآية ، ولهذا نقول : إن بصر الله تعالى نوعان :**

( ١ ) بصر رؤية ( ٢ ) بصر علم .

كلاهما يشمله قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [ غافر: ٤٤ ] ، ﴿ **وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [ الحجرات: ١٨ ] ، وما أشبه ذلك، فإن هذا البصر شامل لبصر العلم وبصر الرؤية .

**وأما قوله عليه الصلاة والسلام : ( لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه )** ، فإنه يختص ببصر الرؤية على حال،والبصر ثابت لله ـ عز وجل ـ وهو من الصفات الذاتية التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها فهو لم يزل ولا يزال عليماً ولم يزل ولا يزال بصيراً بخلقه ـ عز وجل ـ أي يبصرهم .

**وهل يلزم من البصر العين ؟ .**

**الجواب :** لا ، ولولا النصوص الدالة على ثبوت العين لم يجز أن نثبتها بثبوت البصر ، ولهذا كانت الأشاعرة يثبتون لله البصر ولا يثبتون له العين[٢] ، يقولون : إن الله يرى لكن لا بعين . اهـ .

---

( ١ ) رواه مسلم .

( ٢ ) بيان تلبيس الجهمية ( ٢ / ٣٤٥ ) .

أما الآية الأولى التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ وهي قوله تعالى: ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾ الآية .

**فقد قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار وهو أوس بن الصامت ـ اشتكته زوجته إلى الله ـ وهي خولة بنت ثعلبة ـ وجادلته إلى رسول الله ﷺ لما حرمها على نفسه بعد الصحبة الطويلة والأولاد، وكان هو رجلاً شيخاً كبيراً فشكت حالها وحاله إلى الله ورسوله ﷺ وكررت ذلك وأبدت فيه وأعادت، فقال تعالى ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا** ﴾ أي تخاطبكما فيما بينكما ﴿ **إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾ : لجميع الأصوات في جميع الأوقات على تفنن الحاجات .

﴿ **بَصِيرٌ** ﴾ يبصر دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء .

وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره وإحاطتهما بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله سيزيل شكواها وبلواها ، ولهذا ذكر حكمها وحكم غيرها على وجه العموم . اهـ .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٦٥ ) :**

فلا يشك صحيح الفهم البتة في هذا الخطاب أنه نص صريح لا يحتمل التأويل بوجه في إثبات صفة السمع للرب تعالى حقيقة وأنه بنفسه يسمع . اهـ .

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ** ﴾ .

الذي عليه أكثر المفسرين أن المعني بهذه الآية اليهود عليهم لعائن الله وأنهم قالوا ذلك لما أنزل الله قوله تعالى : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ** ﴾ [الحديد: ١١] ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، والله له ملك السموات والأرض ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

**قال العلامة السَّعدي في تفسيره :** ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ ﴾ بجهلهم وظلمهم .

﴿ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ﴾ الذي لم يتكلموا به بل هو سر في قلوبهم ﴿ وَنَجْوَاهُم ﴾ أي كلامهم الخفي الذي يتناجون به، أي فلذلك أقدموا على المعاصي وظنوا أنهم لا تبعة لها ولا مجازاة على ما خفي منها .

فرد الله عليهم بقوله: ﴿ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ﴾ ﴿ وَرُسُلُنَا ﴾ الملائكة الكرام .

﴿ لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ كل ما عملوه سيحفظ ذلك عليهم حتى يردوا القيامة فيجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) ﴾ :

في هذه الآية إثبات صفة الرؤية لله تعالى، والخطاب في هذه الآية موجه إلى موسى وهارون لما قال : ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) ﴾ فقال الله تعالى لهما ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) ﴾ [ طه :٤٥ ـ ٤٦ ] .

**قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

أي أنتما بحفظي ورعايتي أسمع قولكما وأرى جميع أحوالكما فلا تخافا منه ، فزال الخوف عنهما واطمأنت قلوبهما بوعد ربهما . اهـ.

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤) ﴾ [العلق : ١٤ ]

فيها أيضاً إثبات صفة الرؤية لله ، والمقام يقتضي تهديداً ووعيداً.

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩] .

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

أي : يراك في هذه العبادة العظيمة التي هي الصلاة وقت قيامك وتقلبك راكعاً وساجداً ،خصها بالذكر لفضلها ، وشرفها ولأن من استحضر فيها قرب ربه خشع وذلَّ وأكملها وبتكميلها يكمل سائر عمله ويستعين بها على جميع أموره . اهـ.

وقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

[ التوبة : ١٠٥ ] .

**قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره (٢ / ٥٠٩ ) :**

**قال مجاهد ـ رحمه الله ـ :** هذا وعيد يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه ـ تبارك وتعالى ـ وعلى الرسول ﷺ ، وعلى المؤمنين ، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة . اهـ.

قال العلامة ابن ـ رحمه الله ـ عثيمين في شرح العقيدة الواسطية ص ( ٢٧٧ ) بعد أن نقل الكلام السابق : وقد يظهر ذلك للناس في الدنيا . ا هـ .

## وقولـــه :

﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ [ الرعد : ١٣ ] ، وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) ﴾ [ آل عمران : ٥٤ ] ، وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) ﴾ [ النمل : ٥٠ ] ،وقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) ﴾ [ الطارق : ١٥-١٦ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ هذه الآيات لإثبات صفة المكر والكيد والمحال على ما ورد في النصوص وعلى ما فهمه السلف كما يليق بجلال الله وعظمته وكماله.

وقد سلط المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة معاول التعطيل والتحريف على هذه الصفات وقالوا : إنها مجاز. وقد أجاب عليهم العلامة ابن القيم كما في مختصر الصواعق ( ٢٨٩ - ٢٩٢ ) حيث قال :

**فالجواب:** أن هذا الذي ذكرتموه مبني على أمرين :أحدهما معنوي والآخر لفظي.

فأما المعنوي فهو أن مسمى هذه الألفاظ ومعانيها مذمومة فلا يجوز اتصاف الرب تعالى بها .

**وأما اللفظي :** فإنها لا تطلق عليه إلا على سبيل المقابلة فتكون مجازاً .

ونحن نتكلم معكم في الأمرين جميعاً .

**فأما الأمر المعنوي فيقال :** لا ريب أن هذه المعاني يذم بها كثيراً فيقال : فلان صاحب مكر وخداع وكيد واستهزاء، ولا تكاد تطلق على سبيل المدح بخلاف أضدادها وهذا هو الذي غر من جعلها مجازاً في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيب وذم ، والصواب أن معانيها تنقسم إلى محمود و مذموم، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب، فما يذم منها إنما يذم لكونه متضمناً للكذب أو الظلم أو لهما جميعاً .

وهذا هو الذي ذمه الله تعالى لأهله كما في قوله تعالى :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ⑧ ﴾ [البقرة: ٨]، فإن ذكر هذا عقب قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ⑧ ﴾[البقرة:٩] فكان هذا القول منهم كذباً وظلماً في حق التوحيد والإيمان بالرسول واتباعه، وكذلك قوله: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ ﴾ [النحل: ٤٥ ] .

وقوله : ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر :٤٣] ، وقوله : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ⑤⓪ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ ﴾ [النمل:٥٠] ، فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها، فإذا أطلقت لغير الذم كان مجازاً، والحق خلاف هذا الظن وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم فهو مذموم وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبح فهو حسن محمود، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حَسُن من المجازي له أن يخدعه بحق وعدل، وكذلك إذا مكر واستهزأ ظالماً معتدياً كان المكر به والاستهزاء عدلاً حسناً، كما فعله الصحابة بكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وأبي رافع وغيرهم ممن كان يعادي رسول الله ﷺ فخادعوه حتى كفوا شره وأذاه بالقتل، وكان هذا الخداع والمكر نصرة لله ورسوله . . . إلى أن قال :

فعلم أنه لا يجوز ذم هذه الأفعال على الإطلاق كما لا تمدح على الإطلاق ، والمكر والكيد والخداع لا يذم من جهة العلم ولا من جهة القدرة ، فإن العلم والقدرة من صفات الكمال ، وإنما يذم ذلك من جهة سوء القصد وفساد الإرادة، وهو أن الماكر والمخادع يجور ويظلم بفعل ما ليس له فعله ، أو ترك ما يجب عليه فعله .

**إذا عرف ذلك فنقول :** إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى ، ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد

فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغر هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء وأسماؤه كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها وقرنها بالرحيم الودود والحكيم الكريم وهذا جهل عظيم ، فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقاً فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها . . . إلى أن قال : والمقصود أن الله ـ سبحانه ـ لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه .

**وأما الأمر اللفظي :**

فإطلاق هذه الألفاظ عليه ـ سبحانه ـ لا يتوقف على إطلاقها على المخلوق ليعلم أنها مجاز لتوقفها على المسمى الآخر كما قدمنا من قوله ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ وقوله : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)﴾ [الأعراف : ٩٩]، فظهر أن هذا الفرق الذي اعتبروه فاسداً لفظاً ومعنى . اهـ .

أما الآية الأولى التي ذكرها المؤلف وهي قوله تعالى ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ .

فقد فُسِّر المحال بالكيد كما قاله ابن القيم كما في مختصر الصواعق ( ٢٨٩ ) وقيل :أي شديد الأخذ بالعقوبة والأول هو ظاهر صنيع المؤلف الذي أورد الآية لأجله.

أما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)﴾ .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح العقيدة الواسطية( ٢٨٠ ):**

هذه الآية نزلت في عيسى بن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ مكر به اليهود ليقتلوه ولكن كان الله تعالى أعظم منهم مكراً ، رفعه الله وألقى شبهه على أحدهم على الذي تولى كبره وأراد أن يقتله، فلما دخل عليه هذا الذي يريد القتل وإذا عيسى قد رفع فدخل الناس ، فقالوا أنت عيسى قال : لست أنا فقالوا : أنت هو لأن الله

ألقى عليه شبهه، فقتل هذا الرجل الذي كان يريد أن يقتل عيسى ابن مريم فكان مكره عائداً عليه ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

**وأما الآية الثالثة**:وهي قوله تعالى :﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فهي في قوم صالح حيث قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [ النمل : ٤٥-٥٣ ] .

وقد ذكر المفسرون أن قوم صالح لما فرغوا من قتل الناقة قال بعضهم: لنبيتنه وأهله أي لنقتلنه وأهله بالليل ثم نقول لأوليائه ما شهدنا مهلك أهله ، فأهلك الله هؤلاء دون أن يمسوا نبيه بسوء ثم أهلك قومهم أجمعين و ﴿ مَكْرًا ﴾ في الموضعين نكرة للتعظيم ، فمكر أولئك عظيم ومكر الله أعظم وأعظم .

**وأما الآية الرابعة** :وهي قوله تعالى﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

**قال العلامة ابن عثيمين في شرح الواسطية ( ٢٨١ ) :**

﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ يَكِيدُونَ ﴾ للرسول ﷺ ﴿ كَيْدًا ﴾ لا نظير له في التنفير منه ومن دعوته ولكن الله تعالى يكيد كيداً أعظم وأشد . اهـ .

وتنكير الكيد في الموضعين يدل على عظمته ولكن كيد الله أعظم من كيد عباده .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إغاثة اللهفان ص ٤٩١- ٤٩٣ :**

**وكيد الله ـ سبحانه ـ لا يخرج عن نوعين :**

**أحدهما :** أن يفعل ـ سبحانه ـ فعلاً خارجاً عن قدرة العبد الذي كاد له،فيكون

الكيد قدراً محضاً ليس من باب الشرع كما كاد الذين كفروا بأن انتقم منهم بأنواع العقوبات،وكذلك كانت قصة يوسف عليه السلام فإن يوسف أكثر ما قدر عليه أن ألقى الصواع في رحل أخيه ، وأرسل مؤذنًا يؤذن ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [ يوسف: ٧٠ ] ، فلما أنكروا قال : ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ [ يوسف : ٧٤-٧٥ ] أي جزاؤه استعباد المسروق ماله للسارق أما مطلقاً وإما إلى مدة، وهذه كانت شريعة آل يعقوب عليه السلام .

وكان إلهام الله تعالى لإخوة يوسف عليه السلام قولهم:﴿ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ كيداً من الله تعالى ليوسف عليه السلام أجراه على ألسن إخوته وذلك خارج عن قدرته وكان يمكنهم أن يتخلصوا من ذلك بأن يقولوا : لا جزاء عليه حتى يثبت أنه هو الذي سرق فإن مجرد وجوده في رحله لا يوجب أن يكون سارقاً .

وقد كان يوسف عليه السلام عادلاً لا يأخذهم بغير حجة وكان يمكن التخلص أيضاً بأن يقولوا جزاؤه أن يفعل به ما تفعلونه بالسراق في دينكم، وقد كان في دين ملك مصر فيما ذكر أن السارق يضرب ويغرم قيمة المسروق مرتين، فلو قالوا له ذلك لم يمكنه أن يلزمهم بما لا يلزم به غيرهم، فلذلك قال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [ يوسف : ٧٦ ] ، أي ما كان ليمكنه أخذه في دين ملك مصر لأنه لم يكن في دينه طريق إلى أخذه .

وقوله : ﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ استثناء منقطع أي لكن إن شاء الله أخذه بطريق آخر ويجوز أن يكون متصلاً والمعنى : إلا أن يهيئ الله سبباً آخر يؤخذ به في دين الملك غير السرقة .

**النوع الثاني :** أن يلهمه أمراً مباحاً أو مستحباً أو واجباً يوصله به إلى المقصود الحسن فيكون على هذا إلهامه يوسف عليه السلام أن يفعل ما فعل هو من كيده ـ سبحانه ـ أيضاً،فيكون قد كاد له نوعي الكيد،ولهذا قال سبحانه: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾

وفي ذلك تنبيه على أن العلم الدقيق بلطيف الحيل الموصلة إلى المقصود الشرعي الذي يحبه الله تعالى ورسوله من نصر دينه وكسر أعدائه ونصر المحق وقمع المبطل صفة مدح يرفع بها درجة عبده، كما قال سبحانه في قصة إبراهيم عليه السلام ومناظرته قومه وكسر حجتهم ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)** ﴾ [ الأنعام : ٨٣ ] . اهـ .

## وقولـــه :

﴿ إِن تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً (١٤٩) ﴾ [النساء: ١٤٩] ، ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٢] .

أورد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ هذه الآيات لإثبات العفو والرحمة والقدرة. والآيتان السابقتان نأخذ منها إثبات أربعة أسماء لله هي: العفو والقدير والغفور والرحيم .

أما صفة العفو والمغفرة فهما صفتان فعليتان من صفات الله الدالة على عظمته وكماله ـ سبحانه ـ وهما من الصفات الثابته في الكتاب والسُّنَّة .

**أما العفو :** فترك المؤاخذة على ارتكاب الذنب .

**وقال الأزهري في تهذيب اللغة ( ٣ / ٢٢٢ ) قال أبو بكر الأنباري :**

الأصل في قوله جل وعز :﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [ التوبة : ٤٣ ] ، محا الله عنك. مأخوذ من قولهم : عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها . اهـ .

**وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته :**

وهو العفو فعفوه وسع الورى      لولاه غار الأرض بالسكان

والأدلة على هاتين الصفتين من القرآن كثيرة منها قوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً ﴾ [النساء: ٤٣] ، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ [ طه : ٨٢ ] ، وقوله: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ (٥٠) ﴾[الحجر: ٤٩-٥٠] .

**وأما السُّنَّة فمن ذلك :**

( ١ ) ما رواه مسلم في دعاء النبي ﷺ على الجنازة: (**اللهم اغفر له ، وارحمه ، وعافه ، واعف عنه** ) الحديث .

( ٢ ) حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال : ( **اللهم إني أعوذ**

**برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك )** .

( ٣ ) ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :( **يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها ، أو أغفر ، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة ، لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة )** .

( ٤ ) ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى ؛ فيغفر لهم )** .

**قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٥ / ٣٠٠ ) :**

العفو ، الغفور ، الغفار الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفاً وبالغفران والصفح عن عباده موصوفاً . ا هـ .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مفتاح دار السعادة ( ١٨ ) :**

قال غير واحد من السلف : ينجون من النار بعفو الله ومغفرته ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرته ويتقاسمون المنازل بأعمالهم . ا هـ .

**ومن أسمائه :** الغفور والغفار لكثرة ما يغفر من الذنوب ولكثرة من يغفر الله له ، وكل ما سبق يدل على عظيم رحمة الله ورأفته بعباده ، فله الحمد والشكر عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

وقد سبق الكلام على صفة الرحمة وسيأتي إن شاء الله الكلام على صفة القدرة .

**أما الآية الأولى التي ذكرها المؤلف وهي قوله تعالى :**

﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾

[ النساء : ١٤٩ ] .

**فقد قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في هذه الآية :**

﴿ إن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ هذا يشمل كل خير قولي وفعلي ، ظاهر وباطن ، من واجب ومستحب .

﴿ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ ﴾ أي عمن أساء إليكم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم فتسمحوا عنه ، فإن الجزاء من جنس العمل،فمن عفا لله عفا الله عنه، ومن أحسن أحسن الله إليه، فلهذا قال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ أي يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة، فيسدل عليهم ستره ثم يعاملهم بعفوه التام الصادرعن قدرته .

وفي هذه الآية إرشاد إلى التدبر في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادرعنها وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى كما في هذه الآية . ا هـ .

**قلت :** وفي الآية دليل على أن عفو الله عن عباده عن قدرة .

## مسـألة :

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص( ٢٨٧ ) :**

العفو يشترط للثناء على فاعله أن يكون مقروناً بالإصلاح لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [ الشورى: ٤٠ ] وذلك أن العفو قد يكون سبباً للزيادة في الطغيان والعدوان ، وقد يكون سبباً للإنتهاء عن ذلك وقد لايزيد المعتدي ولا ينقصه:

( ١ ) فإذا كان سبباً للزيادة في الطغيان كان العفو هنا مذموماً وربما يكون ممنوعاً مثل أن نعفو عن هذا المجرم ونعلم أو يغلب على الظن أنه يذهب فيجرم إجراماً أكبر فهنا لا يمدح العافي عنه بل يذم .

( ٢ ) وقد يكون العفو سبباً للانتهاء عن العدوان بحيث يخجل ويقول : هذا الذي عفا عني لا يمكن أن أعتدي عليه مرة أخرى ولا على أحد غيره،فيخجل أن

يكون هو من المعتدين وهذا الرجل من العافين.

فالعفو هنا محمود ومطلوب وقد يكون واجبًا .

(٣) وقد يكون العفو لا يؤثّر لا ازدياداً ولا نقصاً فهو أفضل لقوله تعالى: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] .ا هـ .

وأما الآية الثانية التي ذكرها المصنف وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) ﴾ [ النور : ٢٢ ] .

**فقد قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره لها :**

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي : لايحلف . ﴿ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾ قال :كان من جملة الخائضين في الإفك مسطح بن أثاثة وهو قريب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه،وكان مسطح فقيراً من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه لقوله الذي قال . فنزلت هذه الآية ينهاهم عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه ويحثُّه على العفو والصفح ،ويعده بمغفرة الله إن غفر له ، فقال : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢) ﴾ إذا عاملتم عبيده بالعفو والصفح عاملكم بذلك فقال أبو بكر ـ لما سمع هذه الآية ـ : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، فأرجع النفقة إلى مسطح .

وفي هذه الآية دليل على النفقة على القريب وأنه لاتترك النفقة والإحسان بمعصية الإنسان والحث على العفو والصفح ولو جرى منه ما جرى من أهل الجرائم .ا هـ .

**الفرق بين العفو والصفح :**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ٢٨٩ :**

والفرق بين العفو والصفح أن الإنسان قد يعفو ولا يصفح بل يذكر هذا العدوان وهذه الإساءة لكنه لايأخذ بالذنب ، فالصفح أبلغ من مجرد العفو ا.هـ .

## وقولـه :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ [ المنافقون : ٨ ] ، وقوله عن إبليس : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ ص : ٨٢ ] .

أورد شيخ الإسلام - رحمه الله - هاتين الآيتين لإثبات صفة العزة لله وهي من الصفات الذاتية التي دل عليها الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف الصالح .

**وأدلتها في القرآن كثيرة جداً ومنها ماذكره المصنف - رحمه الله - ومنها قوله تعالى :**

﴿ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [ فاطر : ١٠ ] .

**وأمَّا أدلة السُّنَّة فمنها :**

( ١ ) مارواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( قال الله عزّ وجل : العزّ إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني عذّبْتُه )** .

( ٢ ) مارواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **( لاتزال جهنم تقول : هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول : قط قط ، وعزّتك ويزوى بعضها إلى بعض )** .

**وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد :**

باب : قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [ إبراهيم : ٤ ] ، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [ الصافات : ١٨٠ ] .

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴾ ومن حلف بعزّة الله وصفاته .ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في شفاء العليل ص ١٨٠ :**

العزيز الذي له العزّة التامة ومن تمام عزّته براءته عن كل سوء وشر وعيب ، فإن ذلك ينافي العزّة التامة .ا هـ.

**وقال الخطابي كما في الأسماء والصفات للبيهقي ( ١ / ٧٠-٧١ ) :**

العزيز هو المنيع الذي لا يغلب ، والعزّ قد يكون بمعنى الغلبة ،يقال منه عزَّ يعُز

بضم العين .

وقد يكون بمعنى الشدة والقوة يقال منه عزّ يعَز بفتح العين .

وقد يكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عزّ الشيء يعِز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا أنه لايعادله شيء وأنه لامثل له . ا هـ .

**وقد ذكر العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ نظماً في نونيته أن لعزة الله ثلاثة معان :**

( ١ ) عزة الإمتناع .

( ٢ ) عزة القهر والغلبة .

( ٣ ) عزة القوة .

**فقال ـ رحمه الله ـ :**

وهو العزيز فلن يرام جنابه ... أنى يرام جناب ذو السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم ... يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه ... فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه ... من كل وجه عادم النقصان

**قال الشيخ الدكتور محمد خليل هرّاس ـ رحمه الله ـ في شرحه للنونية ( ١ / ٧٨-٧٩ ) :**

**أما العزيز : فهو الموصوف بالعزة ، وقد ذكر المؤلف لها ثلاث معان :**

( ١ ) العزة بمعنى الامتناع على من يرومه من أعدائه ، فلن يصل إليه كيدهم ولن يبلغ أحد منهم ضره وأذاه ،كما في الحديث القدسي ( **ياعبادي ، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني** ) ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله : ( فلن يرام جنابه ) .أي لن يقصد أحد حماه الأقدس فيقهره أو يغلبه .

والعز بهذا المعنى من عزّ يعزّ بكسر العين في المضارع . قال الشاعر :

لنا جبل يحتله من نُجيره ... يَعِزُّ على من رامه ويطول

( ٢ ) والثاني : العزة بمعنى القهر والغلبة وهي عز يعز بضم العين في المضارع يقال : عزه إذا غلبه فهو - سبحانه - القاهر لأعدائه الغالب لهم ولكنهم لا يقهرونه ولا يغلبونه وهذا المعنى هو أكثر معاني العزة استعمالاً .

( ٣ ) والثالث : العزة بمعنى القوة والصلابة من عز يعز بفتحها، ومنه قولهم أرض عزاز للصلبة والشديدة، وهذه المعاني الثلاثة للعزة ثابتة كلها لله - عز وجل - على أتم وجه وأكمله وأبعده عن العدم والنقصان . ا هـ .

أما الآية الأولى التي ذكرها المصنف وهي قوله تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .

**فقد قال عنها العلامة ابن عثيمين في شرحه للواسطية ( ٢٩١ - ٢٩٢ ) :**

وهذه الآية نزلت في مقابلة قول المنافقين: ﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ** ﴾ [ المنافقون : ٨ ] ، يريدون أنهم الأعز وأن رسول الله والمؤمنين الأذلون، فبيَّن الله تعالى أنه لا عزة لهم فضلاً عن أن يكونوا هم الأعزون ، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ومقتضى قول المنافقين أن الرسول ﷺ والمؤمنين هم الذين يخرجون المنافقين لأنهم أهل العزة ، والمنافقين أهل الذلة ، ولهذا كانوا يحسبون كل صيحة عليهم وذلك لذلهم وهلعهم ، وكانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا خوفاً وجبناً ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، وهذا غاية الذل .

أما المؤمنون فكانوا أعزاء بدينهم ، قال الله عنهم في مجادلة أهل الكتاب: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٦٤ ] ، فيعلنونها صريحة لا يخافون في الله لومة لائم .

وفي هذه الآية الكريمة إثبات العزة لله سبحانه وتعالى .

**ثم ذكر تقسيم العلماء للعزة إلى أقسام ثلاثة :**

ثم قال :هذه معاني العزة التي أثبتها الله تعالى لنفسه وهي تدل على كمال قهره وسلطانه ، وعلى كمال صفاته ، وعلى تمام تنزهه عن النقص .

تدل على كمال قهره وسلطانه في عزة القهر ، وعلى تمام تنزهه عن العيب والنقص في عزة الامتناع .

قوله : ﴿ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني : أن الرسول ﷺ له عزة وللمؤمنين ـ أيضًا ـ عزة وغلبة .

لكن يجب أن نعلم أن العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين ليست كعزة الله ، فإن عزة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والمؤمنين قد يشوبها ذلة لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) ﴾ [ آل عمران : ١٢٣ ] ، وقد يغلبون أحياناً لحكمة يريدها الله ـ عز وجل ـ ، ففي أُحد لم يحصل لهم تمام العزة لأنهم غُلبوا في النهاية لحكم عظيمة، وكذلك في حُنَيْن ولَّوا مدبرين ولم يبق مع النبي ﷺ من اثني عشر ألفاً إلا نحو مائة رجل، هذا أيضاً فَقْدٌ للعزة لكنه مؤقت، أما عزة الله ـ عز وجل ـ فلا يمكن أبداً أن تفقد .

وبهذا عرفنا أن العزة التي أثبتها الله لرسوله والمؤمنين ، ليست كالعزة التي أثبتها لنفسه .

وهذا أيضاً يمكن أن يؤخذ من القاعدة العامة وهي أنه لا يلزم من اتفاق الاسمين أن يتماثل المسميان ، ولا من اتفاق الصفتين أن يتماثل الموصوفان . ا هـ.

وأما الآية الثانية التي ذكرها المصنف ـ رحمه الله ـ وهي قوله تعالى :﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) ﴾ [ ص : ٨٢ ] .

**فقد قال عنها العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية (٢٩٣) :**

الباء هنا للقسم ، لكنه اختار القسم بالعزة دون غيرها من الصفات ، لأن المقام

مقام مغالبة فكأنه قال : بعزتك التي تغلب بها من سواك لأغوين هؤلاء وأسيطر عليهم ـ يعني بني آدم ـ حتى يخرجوا من الرشد إلى الغي ، ويستثنى من هذا عباد الله المخلصون فإن إبليس لا يستطيع أن يغويهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [ الحجر : ٤٢ ] .

ففي هاتين الآيتين إثبات العزة لله ، وفي الآية الثانية أن الشيطان يقر بصفات الله .

فكيف نجد من بني آدم من ينكر صفات الله أو بعضها ؟ ، أيكون الشيطان أعلم بالله وأعقل مسلكاً من هؤلاء النفاة ؟ . ا هـ.

## وقولـــه :

﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [ الرحمن : ٧٨ ] ، وقوله: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [ مريم : ٦٥ ] .

قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾ الآية .

البركة : ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في البدائع (٢ / ١٨٦ ) :**

**البركة:** كثرة الخير ودوامه ولا أحد أحق بذلك وصفاً وفعلاً منه تبارك وتعالى .اهـ.

والبركة يوصف بها اسم الله تارة كما في هذه الآية أي أن اسم الله إذا صاحب شيئاً صارت فيه البركة، فمن أكل وسمى الله لم يأكل معه شيطان، ومن دخل بيته وسم الله لم يبت فيه الشياطين، ومن أغلق الباب وسم الله لم يفتحه شيطان، ومن جامع أهله وسم الله وقدر بينهما ولد لم يضره شيطان ، وهكذا .

وتأتي البركة يوصف بها فعل الله وتارة أخرى يوصف بها الله فهذه ثلاثة .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في النوعين الأخيرين في كتابه بدائع الفوائد ( ١٨٥/٢ ) أما البركة فكذلك نوعان :**

**أحدهما :** بركة هي فعله ـ تبارك وتعالى ـ والفعل منها ( بارك ) ويتعدى بنفسه تارة وبأداة ( على ) تارة ، وبأداة ( في ) تارة ، والمفعول منها مبارك وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً يجعله تعالى .

**والنوع الثاني :** بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعز ، والفعل منها ( تبارك ) ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له ـ عز وجل ـ فهو ـ سبحانه ـ المبارك وعبده ورسوله المبارك كما قال المسيح : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ [ مريم : ٣١ ] .

فمن بارك الله فيه وعليه فهو المبارك .

وأما صفة ( تبارك ) فمختصة به تعالى، كما أطلقها على نفسه بقوله ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ

رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ الأعراف : ٥٤ ]، ﴿ تَبارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [ الملك : ١ ] ، ﴿ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [ المؤمنون : ١٤ ] ، ﴿ وَتَبارَكَ الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمَوات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) ﴾ [ الزخرف : ٨٥ ] ، ﴿ تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ [ الفرقان : ١ ] ، ﴿ تَبارَكَ الَّذي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾[ الفرقان : ١٠ ] ، ﴿ تَبارَكَ الَّذي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ [ الفرقان : ٦١ ]، أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة كـ( تعالى وتعاظم ) ونحوهما، فجاء بناء ( تبارك ) على بناء ( تعالى ) الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك ( تبارك ) دال على كمال بركته وعظمها وسعتها ، وهذا معنى قول من قال من السلف : تبارك وتعاظم .ا هـ .

وقوله تعالى ﴿ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ .

﴿ ذِي ﴾ بمعنى صاحب وهي صفة لـ ( رب ) وليست صفة لـ ( اسم ) إذا كانت صفة لـ ( اسم ) لكانت ذو.

**أما الجلال والإكرام فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٦ / ٢٩٦ ) :**

وهو ـ سبحانه ـ ذو الجلال والإكرام، فهو المستحق لأن يُجَلَّ ولأن يُكْرَم ، والإجلال يتضمن التعظيم ، والإكرام يتضمن الحمد والمحبة . ا هـ .

وقوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ .

قوله ﴿ فَاعْبُدْهُ ﴾ **قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في المدارج ( ١ / ١٢٠ ) :**

**أصل معنى اللفظة :** الذلّ والخضوع ، يقال : طريقٌ معبَّدٌ إذا كان مذللاً بوطئ الأقدام . ا هـ .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :** العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، الظاهرة والباطنة . ا هـ .

**والعبادة تجمع أصلين :** غاية الحب بغاية الذل والخضوع .

**والعرب تقول :** طريقٌ مُعبَّدٌ أي مذلل ، والتعبد : التذلل والخضوع ، فمن أحببته ولم تكن خاضعاً له لم تكن عابداً له ، ومن خضعت له بلا محبة لم تكن عابداً له حتى تكون محباً خاضعاً . اهـ . مدارج السالكين ( ١ / ٨٥ ) .

**والعبودية نوعان : عامة وخاصة :**

**فالعبودية العامة :** عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله ، برَّهم وفاجرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، فهذه عبودية القهر والملك ، قال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣)** ﴾ [ مريم :٨٨-٩٣ ] فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم.

وقال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي** ﴾ [ الفرقان : ١٧ ] ، فسماهم عباده مع ضلالهم ، لكن تسمية مقيَّدة بالإشارة ، وأما المطلقة: فلم تجيء إلا لأهل النوع الثاني ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

**وأما النوع الثاني :** فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر، قال تعالى : ﴿ **يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨)** ﴾ [ الزخرف : ٦٨ ] ، وقال : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] ، وقال : ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا (٦٣)** ﴾ [الفرقان: ٦٣] ، وقال تعالى عن إبليس : ﴿ **لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)** ﴾ [ ص :٨٢-٨٣ ] ، وقال تعالى عنهم ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ [ الحجر: ٤٢ ] ، وهناك آيات تتناول العبودية الخاصة والعامة .

قال تعالى : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ**

بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [ الزمر:٤٦ ] ، وقال : ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [ غافر:٣١ ] ،وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴾ [ غافر:٤٨ ] ، فهذا يتناول العبودية الخاصة والعامة ، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته ، وأهل طاعته وولايته هم عبيد إلاهيته. اهـ . بتصرف من مدارج السالكين ( ١ / ١١٨-١١٩ ) .

**وقد قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

﴿ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾ أي :صبِّر نفسك عليها وجاهدها وقم عليها أتم القيام وأكمله بحسب قدرتك ، وفي الاشتغال بعبادة الله تسلية للعابد عن جميع التعلقات والمشتهيات كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [ طه : ١٣١ ] ، إلى أن قال : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [ طه : ١٣٢ ] .

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ : أي هل تعلم لله مسامياً ومشابهاً ومماثلاً من المخلوقين ؟، وهذا استفهام بمعنى النفي المعلوم بالعقل ، أي لا تعلم له مسامياً ولا مشابهاً لأنه الرب وغيره مربوب ، والخالق وغيره مخلوق ، والغني من جميع الوجوه وغيره فقير بالذات من كل وجه ، والكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه وغيره ناقص ليس فيه من الكمال إلا ما أعطاه الله تعالى، فهذا برهان قاطع على أن الله هو المستحق لإفراده بالعبودية وأن عبادته حق وعبادة ما سواه باطل ، فلهذا أمر بعبادته وحده والاصطبار عليها ، وعلل بكماله وانفراده بالعظمة والأسماء الحسنى . اهـ .

## وقولــه :

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤]

وقوله: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [ البقرة : ٢٢ ] ، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [ البقرة : ١٦٥ ] ، ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [ الإسراء: ١١١ ] .

قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ .

الكفؤ : هو الند المساوي. و ﴿ كُفُوًا ﴾ نكرة في سياق النفي فتفيد العموم، فليس له كفؤٌ ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا صفاته ولا أفعاله .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢/ ٤٤٩ ):**

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ نفي للشركاء والأنداد يدخل فيه كل من جعل شيئاً كفؤاً لله في شيء من خواص الربوبية مثل خلق الخلق ، والإلهية كالعبادة له ودعائه ونحو ذلك . ا هـ .

**وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ( ٤ / ١٨٠ ) :**

وفي نفي الكفء التنزيه عن الشبيه والمثال . ا هـ .

وقد تقدم الكلام على سورة الإخلاص بشيء من التفصيل ولله الحمد فليراجع .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ .

هذا أول نهي في القرآن الكريم وهو نهي عن الشرك ، كما أن أول أمر في القرآن الكريم هو الأمر بتوحيده في قوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ [البقرة: ٢١ ] .

﴿ أَندَادًا ﴾ نكرة في سياق النهي فتفيد العموم بكل من جعل نداً لله من الملائكة والأنبياء والصالحين والجن والأشجار والأحجار وما أشبه ذلك ، والله لا ند له لا في ألوهيته ولا ربوبيته ولا أسماءه وصفاته وذلك لكماله المطلق سبحانه وتعالى .

قوله ﴿ وأنتمْ تعْلمُونَ ﴾ : أي وأنتم تعلمون أنه لا ند له .

**قال العلامة السَّعدي - رحمه الله - في تفسيره :**

﴿ فلا تجعلوا للهِ أندادًا ﴾ . أي أشباهاً ونظراء من المخلوقين فتعبدونهم كما تعبدون الله وتحبونهم كما تحبونه وهم مثلكم مخلوقون ومرزوقون مدبرون لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا ينفعونكم ولا يضرون .

﴿ وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ : أن الله ليس له شريك ولا نظير لا في الخلق والرزق والتدبير ولا في ألوهيته ، والكمال ، فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك ، هذا من أعجب العجب وأسفه السفه . ا هـ .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا ﴾ .

**قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين (٣ / ٢٠-٢١ ) :**

أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فإن أحد من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم ، ثم قال ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ وفي تقدير الآية قولان :

**أحدهما :** والذين آمنوا أشد حباً لله من محبة المشركين بالأنداد لله ، فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها ، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة والقولان مرتبان على القولين في قوله تعالى: ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ فإن فيها قولان :

**أحدهما :** يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم محبة الله ، ولكنها محبة يشركون فيها مع الله أنداداً .

**والثاني :** أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله ، ثم بيَّن أن محبة الله أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم،وكان شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله -

يرجح القول الأول ويقول : إنما ذموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له .

وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم وهم في النار يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [ الشعراء: ٩٧-٩٨ ]،ومعلوم أنهم لم يسووهم برب العالمين في الخلق والربوبية إنما سووهم به في المحبة والتعظيم، وهذا أيضاً هو العدل المذكور في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [ الأنعام : ١ ] ، أي يعدلون به غيره في العبادة التي هي المحبة والتعظيم وهذا أصح القولين. ا هـ .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ( ٣٠٠ ) :**

**وهنا يجب أن نعرف الفرق بين المحبة مع الله والمحبة لله :**

**المحبة مع الله** : أن تجعل غير الله مثله في محبته أو أكثر وهذا شرك .

**المحبة في الله أو لله** : هي أن تحب الشيء تبعاً لمحبة الله عز وجل أ . هـ

قوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ الآية .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ( ٣٠١-٣٠٢ ):**

﴿ وَقُلِ ﴾ الخطاب في مثل هذا إما خاص بالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو عام لكل من يصح توجيه الخطاب إليه .

فإن كان خاصاً بالرسول ﷺ فهو خاص به بالقصد الأول وأمته تبع له .

وإن كان عاماً فهو يشمل الرسول ﷺ وغيره بالقصد الأول .

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ سبق تفسيرها ، وأن الحمد هو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم .

وقوله : ﴿ لِلَّهِ ﴾ اللام هنا للاستحقاق والإختصاص :

للاستحقاق لأن الله ـ تعالى ـ يحمد وهو أهل الحمد والاختصاص لأن الحمد الذي

يحمد الله به ليس كالحمد الذي يحمد به غيره بل هو أكمل وأعظم وأعم وأشمل .

وقوله : ﴿ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ هذا من الصفات السلبية ﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ لكمال صفاته وكمال غناه عن غيره ولأنه لا مثيل له ، فلو اتخذ ولداً ، لكان الولد مثله ولو كان محتاجاً إلى الولد يساعده ويعينه، لو كان له ولد لكان ناقصاً لأنه إذا شابهه أحد من خلقه فهو نقص .

وقوله :﴿ وَلَدًا ﴾ يشمل الذكر والأنثى ،ففيه رد على اليهود والنصارى والمشركين.

اليهود قالوا : لله ولد وهو عزير .

والنصارى قالوا : لله ولد وهو المسيح ، والمشركين قالوا : لله ولد وهم الملائكة .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ هذا معطوف على قوله﴿ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ يعني : والذي لم يكن له شريك في الملك ولا في الخلق ولا في التدبير .

كل ما سوى الله فهو مخلوق لله مملوك له يدبره كما يشاء،لم يشاركه أحد في ذلك كما قال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾ [ سبأ : ٢٢ ] ، على سبيل التعيين ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ على سبيل الشيوع ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) ﴾ لم يعاونه أحد في هذه السماوات والأرض ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [ سبأ :٢٣ ] ، وبهذا تقطعت جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون في آلهتهم .

فالآلهة هذه لا تملك من السموات والأرض شيئاً معيناً وليست شريكة لله ولا معينة ولا شافعة إلا بإذنه . يقول : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ لم يكن له ولي لكنه قيد بقوله ﴿ مِّنَ الذُّلِّ ﴾ و ﴿ مِّنَ ﴾ هنا للتعليل لأن الله تعالى له أولياء ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [ يونس:٦٢-٦٣ ] .

وقال تعالى في الحديث القدسي : « **من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب** » .

ولكن الولي المنفي هو الولي من الذل لأن الله تعالى له العزة جميعاً فلا يلحقه الذل بوجه من الوجوه لكمال عزته .

وقوله : ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ يعني : كبر الله ـ عز وجل ـ تكبيراً بلسانك وجنانك : اعتقد في قلبك أنه أكبر من كل شيء وأن له الكبرياء في السماوت والأرض وكذلك بلسانك تكبره تقول : الله أكبر .

وكان من هدي النبي ﷺ وأصحابه أنهم يكبرون كلما علوا شرفاً أي مرتفعاً وهذا في السفر لأن الإنسان إذا علا في مكان قد يشعر في قلبه أنه مستعل على غيره فيقول : الله أكبر من أجل أن يخفف تلك العلياء التي شعر بها حين علا وارتفع .

وكانوا إذا هبطوا قالوا : سبحان الله لأن النزول سفول فيقول : سبحان الله : أي أنزهه عن السفول الذي أنا الآن فيه .

وقوله :﴿ تَكْبِيراً ﴾ هذا مصدر مؤكد يراد به التعظيم،أي كبره تكبيراً عظيماً.ا هـ .

## وقوله :

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① ﴾ [ التغابن: ١٠ ] .

قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ الآية .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص (٣٠٤ـ٣٠٥) :**

﴿ يُسَبِّحُ ﴾ بمعنى : ينزه عن كل نقص وعيب و ( سبح ) تتعدى بنفسها وتتعدى باللام .

أما تعديها بنفسها فمثل قوله تعالى : ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ⑨ ﴾ [ الفتح : ٩ ] .

أما تعديها باللام فهي كثيرة فكل السور المبدوءة بهذا متعدية باللام .

**قال العلماء :** وإذا أريد بيان القصد والإخلاص تعدت باللام ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾ أي سبحوا إخلاصاً واستحقاقاً .

وإذا أريد مجرد الفعل تعدت بنفسها﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي تقولوا : سبحان الله .

فاللام هنا تبين كمال الإرادة من الفاعل وكمال الاستحقاق من المسبَّح وهو الله .

وقوله : ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ عام يشمل كل شيء .

**لكن التسبيح نوعان :** تسبيح بلسان المقال ، وتسبيح بلسان الحال .

**أما التسبيح بلسان الحال فهو :** عام ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء:٤٤] .

**وأما التسبيح بلسان المقال فهو:** عام كذلك لكن يخرج منه الكافر، فإن الكافر لم يسبح الله بلسانه،ولهذا يقول تعالى:﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الطور:٤٣]، ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [ المؤمنون :٩١] ، فهم لم يسبحوا الله تعالى لأنهم أشركوا به ووصفوه بما لا يليق به .

فالتسبيح بلسان الحال يعني أن حال كل شيء في السماوات والأرض تدل على تنزيه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن العيب وعن النقص، حتى الكافر إذا تأملت حاله وجدتها تدل على تنزه الله تعالى عن النقص والعيب .

وأما التسبيح بلسان المقال فينبغي أن يقول : سبحان الله .

وقوله : ﴿ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ .

هذه الصفات الأخيرة صفات ثبوتية وسبق ذكر معناها لكن ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ ﴾ صفة سلبية لأن معناها تنزيهه عما لا يليق به . اهـ .

## وقولــه :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ۝١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝٢ ﴾ [ الفرقان : ١-٢ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه الآيات وما قبلها وما بعدها لبيان عظمة الله وكماله عن كل نقص وعيب، ولبيان نفي الشريك والولد لله لكمال غناه وقدرته وسلطانه سبحانه وتعالى .

**وقد قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره في الكلام عن هاتين الآيتين:**

هذا بيان لعظمته الكاملة وتفرده بالوحدانية من كل وجه وكثرة خيراته وإحسانه فقال : ﴿ تَبَارَكَ ﴾ أي تعاظم وكملت أوصافه وكثرت خيراته الذي من أعظم خيراته ونعمه أن ( نزل هذا القرآن ) الفارق بين الحلال والحرام والهدى والضلال وأهل السعادة من أهل الشقاوة .

﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ محمد ﷺ الذي كمل مراتب العبودية وفاق جميع المرسلين .

﴿ لِيَكُونَ ﴾ ذلك الإنزال للفرقان على عبده ﴿ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ ينذرهم بأس الله ونقمه وبيَّن لهم مواقع رضا الله من سخطه حتى إن من قَبِلَ نذارته وعمل بها كان من الناجين في الدنيا والآخرة الذين حصلت لهم السعادة الأبدية والملك السرمدي، فهل فوق هذه النعمة وهذا الفضل والإحسان شيء ؟ ، فتبارك الذي هذا بعض إحسانه وبركاته .

﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أي : له التصرف فيهما وحده وجميع ما فيهما مماليك وعبيد له مذعنون لعظمته خاضعون لربوبيته فقراء إلى رحمته الذي ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ وكيف يكون له ولد أو شريك وهو المالك وغيره مملوك ، وهو القاهر وغيره مقهور ، وهو الغني بذاته من جميع الوجوه، والمخلوقون مفتقرون إليه فقراء من جميع الوجوه .

وكيف يكون له شريك في الملك ونواصي العباد كلهم بيديه، فلا يتحركون أو يسكنون ولا يتصرفون إلا بإذنه ، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فلم يقدره حق قدره من قال فيه ذلك ولهذا قال : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ شمل العالم العلوي والعالم السفلي من حيواناته ونباته وجماداته .

﴿ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾ أي أعطى كل مخلوق منها ما يليق به ويناسبه من الخلق وما تقتضيه حكمته من ذلك، بحيث صار كل مخلوق لا يتصور العقل الصحيح أن يكون بخلاف شكله وصورته المشاهدة، بل كل جزء وعضو من المخلوق الواحد لا يناسبه غير محله الذي هو فيه . ا هـ .

## وقوله :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ [ المؤمنون: ٩١ ] ، ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧٤) ﴾ [النحل : ٧٤ ] .

قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ الآية .

نزَّه ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في العبادة والملك والتدبير وأكد هذا النفي بدخول ﴿ مِن ﴾ في قوله : ﴿ مِن وَلَدٍ ﴾ وقوله: ﴿ مِنْ إِلَهٍ ﴾ لأن ذكر حرف الجر في سياق النفي ونحو ذلك يفيد التوكيد .

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الكلام على هذه الآية في الصواعق المرسلة ( ٢ / ٤٦٣-٤٦٤ ) :**

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البيِّن فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابديه النفع ويدفع عنهم الضر، فلو كان معه ـ سبحانه ـ إله لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره والتفرد بالإلهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه .

**فلا بد من أحد أمور ثلاثة :**

- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .
- وإما أن يعلو بعضهم على بعض .
- وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد

المربوبون المقهورون .

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لا رب له غيره .

فذاك تمانع في الفعل والإيجاد وهذا تمانع في العبادة والإلهية فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون له إلاهان معبودان .ا هـ.

وقوله :﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

**قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره:**

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ قد نطقت بلسان حالها وأفهمت ببديع أشكالها أن المدبر لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات في ربوبيته لها وفي إلاهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة ، ولهذا نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك وهو علمه المحيط .

فقال : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ أي الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا من الواجبات والمستحيلات والممكنات .

﴿ وَالشَّهَادَةِ ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿ فَتَعَالَىٰ ﴾ أي ارتفع وعظم .

﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به ولا علم عندهم إلا ما علمه الله . ا هـ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ [ النحل : ٧٤ ] الآية .

هذه الآية لها ارتباط بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) ﴾ [ النحل:٧٣ ] .

**وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هاتين الآيتين ( ٢ / ٧٦٣ ) :**

يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو المنعم المتفضل

الخالق الرازق وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون من دونه الأصنام والأنداد والأوثان ما لايملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً، أي لا يقدر على إنزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر، ولا يملكون ذلك لأنفسهم أي ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ أي أنه يعلم ويشهد أنه لا إله إلا هو وأنتم بجهلكم تشركون به غيره . اهـ .

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص ٣١١ :**

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ بمعنى أنه ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم بأنه ليس له مثل وقد أخبركم بأنه لا مثل له في قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى : ١١ ] ، وقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ وقوله : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ وما أشبه ذلك ، فالله يعلم وأنتم لا تعلمون . اهـ .

**وقال ـ رحمه الله ـ ص ٣١٢ :**

فإن قلت : كيف نجمع بين هذه الآية ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ وبين قوله تعالى : ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ؟ !

**الجواب :** أنه هناك يخاطب الذين يشركون به في الألوهية فيقول : ﴿ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ في العبادة والألوهية ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه لا ند له في الربوبية بدليل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ البقرة : ٢١ـ ٢٢ ] .

أما هنا ففي باب الصفات ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ فتقولوا : مثلاً ، إن يد الله مثل يد كذا ، ووجه الله مثل وجه كذا ، وذات الله مثل الذات الفلانية وما أشبه هذا، لأن الله تعالى يعلم وأنتم لا تعلمون وقد أخبركم بأنه لا مثيل له .

أو يقال : إن إثبات العلم لهم خاص في باب الربوبية ونفيه عنهم خاص في باب الألوهية حيث أشركوا بالله فيها فنزلوا منزلة الجاهل.

**وهذه الآية تتضمن من الكمال كمال صفات الله ـ عز وجل ـ حيث إنه لا مثيل له ، ثم قال ـ رحمه الله ـ ص ٣١٣ :**

**أما الفائدة المسلكية التي تؤخذ من هذه الآية :** فهي كمال تعظيمنا للرب ـ عز وجل ـ لأننا إذا علمنا أنه لا مثيل له تعلقنا به رجاءً وخوفاً، وعظمناه وعلمنا أنه لا يمكن أن يماثله سلطان ولا ملك ولا وزير ولا رئيس مهما كانت عظمة ملكيتهم ورئاستهم ووزارتهم لأن الله ـ سبحانه ـ ليس له مثل . ا هـ .

## وقولـه :

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [الأعراف:٣٣] .

**قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في الكلام على هذه الآية في إعلام الموقعين (١/٤١٣) :**

ودخل في قوله تعالى تحريم كل فاحشة ظاهرة وباطنة، وكل ظلم وعدوان في مال أو نفس أو عرض وكل شرك بالله وإن دق في قول أو عمل أو إرادة بأن يجعل لله عدلاً بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد، وكل قول على الله لم يأت به نص عنه ولا عن رسوله في تحريم أو تحليل أو إيجاب أو إسقاط أو خبر عنه باسم أو صفة نفياً أو إثباتاً أو خبراً عن فعله، فالقول عليه بلا علم حرام في أفعاله وصفاته ودينه . اهـ .

**وقال - رحمه الله - في الكلام على مسألة السماع (٣٢٤ - ٤٢٥) :**

فذكر - سبحانه - المحرَّمات الأربع مبتدئاً بالأسهل منها ثم ماهو أصعب منه، ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدها وهو القول عليه بلا علم فكيف بالكذب عليه، قالوا : ولأن الكذب عليه بأنه قال كذا ولم يقله نسبة للقول المكذوب إليه بأنه قاله فالكاذب يعلم أن ما اختلقه كذب، فإذا نسبه إلى رسول الله فقد نسب إليه الكذب . اهـ .

**وقال - رحمه الله - في مفتاح دار السعادة ( ٤٥٨ ) :**

فهذه الأنواع الأربعة التي حرمها تحريماً مطلقاً لم يبح منها شيئاً لأحد من الخلق ولا من حال من الأحوال، بخلاف الميتة والدم ولحم الخنزير فإنها تحرم في حال وتباح في حال، وأما هذه الأربعة فهي محرمة، فالفواحش متعلقة بالشهوة وتعديل قوة

الشهوة باجتنابها ، والبغي بغير الحق متعلق بالغضب وتعديل القوة الغضبية باجتنابها ، والشرك بالله ظلم عظيم ، بل هو الظلم على الإطلاق ، وهو مناف العدل والعلم . وقوله : ﴿ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾ متضمن تحريم أصل الظلم في حق الله ، وذلك يستلزم إيجاب العدل في حقه وهو عبادته وحده لا شريك له . ا هـ .

**وقال في الكلام على مسألة السماع ( ٣٣٧ ) :**

فاشتمل هذا السماع على هذه الأمور الأربعة التي هي قواعد المحرمات ، فإن فيه من الفواحش الظاهرة والباطنة ، والإعانة على أسبابها ، والإثم والبغي بغير الحق والشرك بالله مالم ينزل به سلطانًا ، والقول على الله بغير علم . ا هـ .

**وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه للواسطية ( ٣١٥ ) :**

وقد قال **أهل العلم** : إن هذه المحرمات الخمسة مما أجمعت الشرائع على تحريمها . ا هـ .

## وقولـــه :

وقوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [ طه : ٥ ] ، في سبعة مواضع في سورة الأعراف قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [ الأعراف : ٥٤ ] ، وقال في سورة يونس عليه السلام : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [ يونس : ٣ ] ، وقال في سورة الرعد : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [ الرعد : ٢ ] ، وقال في سورة طه : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ ، وقال في سورة الفرقان : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَٰنُ ﴾ [ الفرقان :٥٩ ] ، وقال في سورة الم السجدة : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [ السجدة : ٤ ] ، وقال في سورة الحديد : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [ الحديد : ٤ ] .

أورد المؤلف هذه الآيات ليقرر العقيدة الراسخة عند أهل السُّنَّة والجماعة إبتداءً بأصحاب رسول الله ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في إثبات استواء الله على عرشه استواءً يليق بعظمته وجلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

**والعرش كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص ٢٧ :**
هو سرير ملكه الذي اتفقت عليه الرسل وأقرت به الأمم إلا من نابذ الرسل . ا هـ .

**وقال البيهقي ـ رحمه الله ـ :** إتفقت أقاويل أهل التفسير أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله . ا هـ .

واستواء الله على عرشه : هو علوه عليه وارتفاعه .

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٣٥٢ ) :**
لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان : مطلق ومقيد .

فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف مثل قوله : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ﴾ [القصص:١٤] ، وهذا معناه كمل وتم .

يقال : استوى النبات واستوى الطعام .

**وأما المقيد : فثلاثة أضرب :**

**أحدها :** مقيدٌ بإلى كقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [ فصلت: ١١ ] ، واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة ، وقد ذكر ـ سبحانه ـ هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [ البقرة : ٢٩ ] ، الثاني في سورة فصلت ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف .

**والثاني :** مقيدٌ بعلى كقوله : ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ﴾ [الزخرف:١٣]، وقوله : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ [ هود: ٤٤ ] ، وقوله : ﴿ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ [الفتح:٢٩] ، وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والإعتدال بإجماع أهل اللغة .

**والثالث :** المقرون بواو ( مع ) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة أي ساواها .

وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم وإنما قاله متأخروا النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية . اهـ .

وتأمل سراً عظيماً في كون الله قرن استواءه على العرش باسم الرحمن .

فإن العرش أعظم المخلوقات وهو محيط بها ( واسم الله الرحمن على وزن فعلان من سعة هذا الوصف وثبوت جميع معناه الموصوف به ، ألا ترى أنهم يقولون غضبان للممتلئ غضباً، وندمان وحيران وسكران ولهفان لمن ملئ بذلك فبناء فعلان للسعة والشمول ) (١) .

---

( ١ ) مدارج السالكين ( ١ / ٤٢ ) .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في المدارج ( ١ / ٤٢-٤٣ ) :**

ولهذا يقرن استواءه على العرش بهذا الاسم كثيراً كقوله تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ۝ ﴾ ، ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ فاستوى على عرشه باسم الرحمن لأن العرش محيط بالمخلوقات وقد وسعها .

والرحمة محيطة بالخلق وواسعة لهم كما قال تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف : ١٥٦] ، فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات فلذلك وسعت رحمته كل شيء .

وفي الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش إن رحمتي تغلب غضبي** ) ، وفي لفظ ( **فهو عنده على العرش** ) .

فتأمل اختصاص هذا الكتاب بذكر الرحمة ووضعه عنده على العرش وطابق بين ذلك وبين قوله : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ۝ ﴾ وقوله : ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** ﴾ [ الفرقان : ٥٩ ] ، ينفتح لك باب عظيم من معرفة الرب ـ تبارك وتعالى ـ إن لم يغلقه التعطيل والتجهم . اهـ .

**واستواء الله على عرشه ثابت في الكتاب والسنَّة والإجماع:**

**أما دلالة الكتاب :** فقد سبقت .

**وأما دلالة السنَّة:** فمن ذلك ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق : إن رحمتي سبقت غضبي ، فهو مكتوب عنده فوق العرش** ) .

وما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **من آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وصام رمضان كان حقاً على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ،** قالوا : يا رسول الله أفلا ننبئ الناس

بذلك ؟ ، قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض ،فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة ) .

**وأما الإجماع ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٢٩٧/٢) :**

**فالسلف والأئمة يقولون :** إن الله فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ٥٠١ ) :** وقد أجمع المسلمون من أهل السُّنَّة على أن الله على عرشه بائن من جميع خلقه . ا هـ.

**وقال - رحمه الله -(٢٥/٥) :**روى ابن أبي حاتم في كتاب :(الرد على الجهمية ) عن سعيد بن عامر الضبعي إمام أهل البصرة علماً وديناً من شيوخ الإمام أحمد أنه ذكر عنده الجهمية فقال :أشر قولاً من اليهود والنصارى،وقد أجمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين أن الله على العرش وهم قالوا : ليس على شيء . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ص (٤١٨) :**

أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه وقال أبو نصر السجزي الحافظ في كتاب الإبانة : وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينه وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وابن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد وإسحاق متفقون على أن الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان .

وقال أبو نعيم الحافظ صاحب الحلية في الاعتقاد الذي ذكر أنه اعتقاد السلف وإجماع الأمة قال فيه :وإن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وأن الله بائن من خلقه .

وكذلك أبو الحسن الأشعري نقل الإجماع على أن الله استوى على عرشه . ا هـ. بتصرف يسير واختصار .

وانظر كلاماً كثيراً للسلف في إثبات استواء الله على عرشه وذم من أنكر ذلك في مجموع الفتاوى ( ٥ / ٤٧-٥٤ ) ، ( ٣ / ٢٢٢ -٢٢٦ ) ومختصر الصواعق ص ٣٥٧ وغير ذلك .

وقول شيخ الاسلام - رحمه الله - : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ ﴾ في سبعة مواضع .

يريد أن لفظ الاستواء على العرش اطرد بهذا اللفظ والتركيب في المواضع السبعة وهذا الإطراد نص في معناه الحقيقي الذي لا يحتمل التأويل ، وهذا من أقوى ما يبطل تحريف المعطلة لهذه الصفة فقالوا : إن المعنى : استولى وانظر في هذا مختصر الصواعق لابن القيم - رحمه الله - ( ص ٦٣ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧ ) .

والإستواء من صفات الله الفعلية الثابتة في الكتاب والسُّنَّة والإجماع كما سبق

**وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٥/١٣٩**

وروى الخلال بأسانيد - كلهم أئمة - عن سفيان بن عيينة قال : سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ كيف استوى ؟ ، قال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة ، ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - ( ٣ / ٤ ) :**

ولما سئل مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - فقيل له : يا أبا عبد الله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك وعلاه الرحضاء - يعني العرق - وانتظر القوم ما يجئ منه فيه ، فرفع رأسه إلى السائل وقال : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فأخرج . ا هـ.

**وأورد شيخ الإسلام هذه القصة كما في مجموع الفتاوى ( ٣ / ٢٥ ) ثم قال :**

والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر ولا يمكنهم الإجابة

عنه . ا هـ.

**فـائـدة** : ما يروى عن أم سلمة رضي الله عنها أن الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ؛ فلا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً .

أما المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، فلم يثبتوا عرشاً حقيقياً ولم يثبتوا الإستواء على العرش ، فقد تأولوا العرش وتأولوا الاستواء عليه .

أما العرش ، فقد قالوا إن المراد به الملك ، وتأويلهم هذا باطل مخالف للكتاب والسُّنَّة والإجماع .

**فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٦/٥٨٤)** العرش موجود بالكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة وأئمتها ) . ا هـ.

ووجه ما سبق أن العرش في اللغة التي أنزل القرآن الكريم بها هو : سرير الملك .

**وقد وصفه الله بأوصاف كثيرة تدل على بطلان قول هؤلاء المعطلة منها :**

(١) **أنه محمول:** قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] ، وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [ غافر: ٧ ] .

(٢) **أنه محفوف بالملائكة:** قال تعالى :﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ ﴾ [ الزمر: ٧٥ ] .

(٣) **أنه مجيد:** فقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [ البروج : ١٥ ] ، علي إحدى القراءتين .

(٤) **أنه كريم :** قال سبحانه وتعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [ المؤمنون: ١١٦ ] .

(٥) **أنه عظيم:** قال سبحانه وتعالى :﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ النمل: ٢٦ ] .

ووصفه رسول الله ﷺ بأن له ، قوائم فقال كما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **يصعقون يوم القيامة ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش** ) .

وهكذا ما عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **إذا سألتم الله فسلوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن** ) .

**وأما تأويلهم للإستواء : فقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص (٣٥٢) :**

**فإنهم قالوا :** هو مجاز ثم اختلفوا في مجازه .

والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم وبدَّعهم وضللهم فيه بمعنى استولى أي ملك وقهر .

**وقالت طائفة منهم :** بل معنى قصد وأقبل على خلق العرش .

**وقالت فرقة أخرى :** بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهاً كلها لا يعلم أيها المراد إلا أنَّا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل . ا هـ.

**قلت :** أما شبهتهم الأولى وهي أن الاستواء بمعنى الاستيلاء مستدلين ببيت مصنوع ينسب إلى الأخطل النصراني وهو قوله :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

**فالجواب عنهم من وجوه :**

( ١ ) أن الاستواء على العرش اطرد في سبعة مواضع من القرآن لم يأت في موضع منها بلفظ الاستيلاء وهذا الاطراد يدل على أنه استواء حقيقي ، وانظر: مختصر الصواعق ص ( ٣٥٤ ) .

( ٢ ) أن الاستواء المقيَّد بـ( على ) معناه العلو والارتفاع بإجماع أهل اللغة، وانظر: مختصر الصواعق ص ( ٥٣٢ ) .

( ٣ ) أن تفسير الاستواء بالاستيلاء تفسير محدث لم يقل به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة الإسلام المعتبرين.

**قال شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٤٤ ) :**

هذا التفسير لم يفسره أحد من السلف من سائر المسلمين من الصحابة والتابعين فإنه لم يفسره أحد في الكتب الصحيحة عنهم بل أول من قال ذلك : بعض الجهمية والمعتزلة كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتاب المقالات وكتاب الإبانة . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ( ٣٥٣ ) :**

إن هذا تفسير لكلام الله بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع،ولا قاله إمام من أئمة المسلمين ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون أقوال السلف . ا هـ.

( ٤ ) أن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين : إما أن يكون خطأ في نفسه أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من أقوال السلف ) [١] .

( وذلك أن معنى الاستواء معلوم علماً ظاهراً بين الصحابة والتابعين وتابعيهم ، فيكون التفسير المحدث بعده باطلاً قطعاً ، وهذا قول يزيد بن هارون الواسطي ، فإنه قال : إن من قال : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ خلاف ما تقرر في نفوس العامة فهو جهمي،ومنه قول مالك : الاستواء معلوم ، وليس المراد أن هذا اللفظ في القرآن معلوم كما قال بعض الناس : استوى أم لا ؟ ، أو أنه سئل عن الكيفية ومالك جعلها معلومة ، والسؤال عن النزول ولفظ الاستواء ليس بدعة ولا الكلام فيه ، فقد تكلم فيه الصحابة والتابعون ، وإنما البدعة السؤال عن الكيفية ) [٢] .

( ٥ ) أن القائل بأن معنى استوى استولى شاهد على الله أنه أراد بكلامه هذا المعنى وهذه شهادة لا علم لقائلها بمضمونها بل هي قول على الله بلا علم، فلو كان

---

( ١ ) مختصر الصواعق ( ص٣٥٣ ) .

( ٢ ) مجموع الفتاوى ( ٥/١٤٨ - ١٤٩ ) .

اللفظ محتملاً لها في اللغة - وهيهات - لم يجز أن يشهد على الله أنه أراد هذا المعنى، بخلاف من أخبر عن الله تعالى أنه أراد الحقيقة والظاهر فإنه شاهد بما أجرى الله سبحانه عادته من خطاب خلقه بحقائق لغاتهم وظواهرها كما قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [ إبراهيم :٤ ] ، فإذا كان الاستواء في لغة العرب معلوماً كان هو المراد لكون الخطاب بلسانهم وهو المقتضي لقيام الحجة عليهم، فإذا خاطبهم بغير ما يعرفونه كان بمنزلة خطاب العربي بالعجمية . ا هـ. مختصر الصواعق ٣٥٦ .

( ٦ ) أن الإجماع منعقد على أن الله مستوٍ على عرشة حقيقة لا مجازاً ، وقد سبق بيانه ولله الحمد .

( ٧ ) أن تفسير الاستواء بالاستيلاء يلزم عليه لوازم باطله ، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم ، ومن تلك اللوازم الباطلة :

[ أ ] أن نصف الله بأنه مستو على السماء والأرض والشجر الماء وسائر المخلوقات لأن الله مستول عليها كلها .

[ ب ] ( أن نصف الله بأنه كان مستوياً على العرش قبل أن يخلقه ، والاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض كما أخبر بذلك في كتابه فدل على أنه تارة كان مستوياً عليه وتارة لم يكن مستوياً عليه ولهذا كان العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل ، وأما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع فقط دون العقل ) . ا هـ. مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٢١- ١٢٢ ) .

[ ج ] أن الله كان عاجزاً ثم ظهر - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فإن الله لا يعجزه شيء - فإن الاستيلاء لا يكون إلا عند وجود المنازع المغالب، فإذا غلب أحدهما خصمه : قيل: استولى، والله - سبحانه وتعالى - لم ينازعه في عرشه أحد .

**أما استدلالهم بالبيت المنسوب إلى الأخطل ، فالجواب عليهم في ذلك من عدة وجوه :**

**الأول :** أنه لم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي،وكان غير واحد من أئمة اللغة

أنكروه وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة ،وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده ؟ ، وقد طعن فيه أئمة اللغة وذكر عن الخليل كما ذكر أبو المظفر في كتابه ( الإفصاح ) قال :

سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ .

فقال : هذا مالا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها ، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله . اهـ. مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٤٦ ).

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ( ٣٥٣ ) :**

وهذا البيت ليس من شعر العرب فإن أهل اللغة لما سمعوا ذلك أنكروه غاية الإنكار ، ولم يجعلوه من لغة العرب .

قال ابن الأعرابي وقد سئل : هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى ؟ ، فقال : لا تعرف العرب ذلك وهذا من أكابر أئمة اللغة . اهـ. بتصرف يسير .

**الثاني :** أن هذا البيت محرف وإنما هو هكذا : « بشر قد استولى على العراق » .

هكذا لو كان معروفاً من قائل معروف فكيف وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يرجع إليها .

**الثالث :** أنه لو صح هذا البيت وصح أنه غير محرف لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم وهو على حقيقة الاستواء، فإن بشراً هذا كان أخا عبد الملك بن مروان وكان أميراً على العراق فاستوى على سريرها كما هي عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى: ﴿ **لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ** ﴾ [الزخرف:١٣]، وقوله ﴿ **وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ** ﴾ [ هود: ٤٤ ] ، وقوله : ﴿ **فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ** ﴾ [الفتح:٢٩] ،وفي الصحيح أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبَّر مُلبيًّا .

وقال علي رضي الله عنه :أتي رسول الله ﷺ بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الغرز قال:

( بسم الله ) فهل نجد في هذه المواضع موضعاً واحداً أنه بمعنى الاستيلاء والقهر ؟ .
. ا هـ. مختصر الصواعق ٣٦٠-٣٥٩ .

**الرابع :** يقال لهؤلاء المعطلة : ألستم تردون الأحاديث الصحيحة التي ينقلها العدول الضابطون مع اتصال أسانيدها وسلامتها من الشذوذ والعلة، ولا تثبتون بها العقائد بحجة أنها أحاديث آحاد، فكيف قبلتم هذا البيت المكذوب المنسوب إلى رجل نصراني وحرفتم به كلام الله ؟ .

**الخامس:** ( أن الأخطل الذي ينسب إليه ذلك البيت لا عبرة به رغم كونه مولداً، فعقيدته سيئة لكونه لم يسلم بل بقي على نصرانيته، فلا يغتر بكلامه وهو ممن أصر وبقي على النصرانية ، ويدل على ذلك شعره ، ومن شعره قوله :

ولست بقائم كالعير يدعو    قبيل الصبح حي على الفلاح
ولست بصائم رمضان طوعاً    ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بسائق عيساً بكوراً    إلى بطحاء مكة للنجاح
ولكني سأشربها شمولاً    وأسجد عند منبلج الصباح

أي أسجد للشمس ، فإن كان باقياً على كفره فكيف يتخذ عمدة ويعتمد على شعره ؟ .

**ولهذا يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في قصيدته اللامية :**

قبحاً لمن نبذ الكتاب وراءه    وإذا استدل يقول قال الأخطل

يعني كيف تتركون هذه الآيات والأحاديث الصريحة وتعتمدون على بيت منحول تقولون : قال الأخطل ، وكذلك ابن القيم يقول في نونيته :

ودليلهم في ذاك بيت قاله    فيما يقال الأخطل النصراني

. ا هـ. التعليقات الزكية على الواسطية ( ١ / ٢١٤ ) .

## شبهات أخرى والجواب عنها :

■ وأما الطائفة التي قالت إن معنى ﴿ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ أي قصد وأقبل على خلق العرش .

فقد سبق أن الاستواء المعدى بـ ﴿ عَلَى ﴾ معناه العلو والارتفاع بالإجماع ، فلا حاجة إلى الإعادة .

■ وأما الطائفة التي قالت أن الاستواء مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهاً كلها لا يعلم أيها المراد إلا أنَّا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل :

**فقد أجاب عن هذه الشبهة العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق (٣٦٧ ) قائلاً :**

فيقال له : كلا، والذي استوى على العرش لا يحتمل هذا اللفظ ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ البتة والمدعي الاحتمال عليه بيان الدليل، إذ الأصل عدم الاشتراك والمجاز، ولم يذكر على دعواه دليلاً ولا بيَّن الوجوه المحتملة حتى يصح قوله : ( فأيها تريدون وأيها تعنون ) وكان ينبغي له أن يبيِّن كل احتمال ويذكر الدليل على ثبوته، ثم يطالب حزب الله ورسوله ﷺ بتعيين أحد الاحتمالات وإلا فهم يقولون لا نسلم احتماله لغير معنى واحد، فإن الأصل في الكلام الإفراد والحقيقة دون الاشتراك والمجاز فهم في منعهم أولى بالصواب منك في تعدد الاحتمال، فدعواك أن هذا اللفظ يحتمل خمسة عشر معنى دعوى مجردة ليست معلومة بضرورة ولا نص ولا إجماع يوضحه : أن يقال :

الاحتمالات التي ادعيتها تتطرق إلى لفظ الاستواء وحده المجرد عن اتصاله بأداة ، أم إلى المقترن بواو المصاحبة،أم إلى المقترن بإلى ، أم إلى المقترن بعلى ، أم إلى كل واحد من ذلك ؟ ، فأين مواد الاحتمال حتى يعلم هل هي صحيحة أم باطله، فلا يمكنك أن تدَّعي ذلك في موضع معين من هذه المواضع، ودعواك بَهْتٌ صريح ، وغاية ما تقدر عليه أنك تدَّعي مجموع الاحتمالات في مجموع المواضع ، بحيث

يكون كل موضع له معنى ، فأي شيء ينفعك هذا في الموضع المعين ... إلى أن قال : والمقصود أن استواء الرب على عرشه المختص به الموصول بأداة ﴿ عَلَى ﴾ نص في معناه لا يحتمل سواه . ا هـ. باختصار وانظر مختصر الصواعق أيضاً ص ( ٢٧ ) .

## وقولـه :

﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [ آل عمران : ٥٥ ] ، وقال : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [ النساء : ١٥٨ ] ، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [ فاطر : ١٠ ] ، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [ غافر : ٣٦-٣٧ ] ، ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) ﴾ [ الملك : ١٦-١٧ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه النصوص لإثبات علو الله سبحانه على خلقه.

وقد اتفق المسلمون جميعًا على إثبات علو القدر والقهر لله تعالى، وأما علو الذات فقد أثبته أهل السُّنَّة سلفاً وخلفاً وخالفهم أهل البدع والأهواء قديماً وحديثاً.

ويلزم من أثبت علو القدر والقهر أن يثبت علو الذات .

**فقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق (١٩٨ ) :**

الجهمية المعطلة معترفون بوصفه تعالى بعلو القهر وعلو القدر وأن ذلك كمال لانقص، وأنه من لوازم ذاته . فيقال : ما أثبتم به هذين النوعين من العلو والفوقية هو بعينه حجة خصومكم عليكم في إثبات علو الذات له سبحانه ، وما نفيتم به علو الذات يلزمكم أن تنفوا به ذينك الوجهين من العلو، فأحد الأمرين لازم لكم ولابد إما أن تثبتو له ـ سبحانه ـ العلو المطلق من كل وجه ذاتاً وقهراً وقدراً ، وإما أن تنفوا ذلك كله . ا هـ.

**وقد اختلف الناس في هذا الباب على أربعة أقوال:**

( **فالسلف والأئمة يقولون:** إن الله فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه ، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة، وكما علم المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه من

إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى .

**والقول الثاني :** قول معطلة الجهمية ونفاتهم وهم الذين يقولون : لاهو داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ، ولا محايث له فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لايخلو موجود عن أحدهما ، كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم .

**والقول الثالث :** قول حلولية الجهمية الذين يقولون : إنه بذاته في كل مكان كما يقول ذلك البخارية - أتباع حسين البخار - وغيرهم من الجهمية وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد : من جنس هؤلاء فإن الحلول أغلب على عباد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم ، والنفي و التعطيل أغلب على نظّارهم ومتكلميهم كما قيل : متكلمة الجهمية لايعبدون شيئاً ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء .

**والقول الرابع :** قول من يقول : إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ وأمثاله ، وقد ذكر الأشعري في المقالات هذا عن طوائف ويوجد في كلام السالمية - كأبي طالب وأتباعه كأبي الحكم بن برجان وأمثاله ما يشير إلى نحو هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا . اهـ. مجموع فتاوى ابن تيمية( ٢ /٢٩٧ - ٢٩٩ ) .

## فائدة في الفرق بين الاستواء والعلو :

( ١ ) العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل وأما الاستواء فمن الصفات المعلومة بالسمع دون العقل .انظر: مجموع الفتاوى( ٣ / ٤٩ )،( ٥ / ٢٢٧، ١٥٢، ١٢٢ ) .

( ٢ ) أن العلو صفة ذاتية والاستواء صفة فعلية .

## الأدلة على علو الله تعالى بذاته على خلقه :

دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة المتواترة والإجماع والفطرة والعقل .

وسأذكر كلام العلماء على هذه الأدلة إجمالاً ثم أذكرها مفصلة إن شاء الله تعالى .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى( ٢ / ٢٩٧ ):**

**فالسلف والأئمة يقولون :** إن الله فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه

كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة، وكما علم المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله على ذلك خلقه . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٥ / ١٢٥):**

**فكل من قال :** إن الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة . ا هـ.

**وقال - رحمه الله -** (٥ / ١٦٤) : إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع الدلالات ووجوه الصفات وأصناف من العبارات . ا هـ.

**وقال - رحمه الله -** ( ٥ / ١٧٧ ) : ومعلوم أن في الكتاب والسُّنَّة من إثبات العلو والصفات أعظم مما فيهما من إثبات الوضوء والتيمم والصيام وتحريم ذوات المحارم وخبث المطاعم ونحو ذلك من الشرائع . ا هـ.

**وإليك الآن ما سبق بشيء من التفصيل :**

أمّا دلالة الكتاب العزيز على علو الله تعالى بذاته فقد تنوعت وكثرت حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي كما في مجموع فتاوى ابن تيمية ( ٥ / ١٢١ ) : في القرآن ألف دليل أو أزيد على أن الله تعالى عالٍ على الخلق وأنه فوق عباده . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ص٥٩ :**

( ...حتى قيل: إن الآيات والأخبار الدالّة على علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه تقارب الألوف ، وقد أجمعت عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم . ا هـ.

**وقد تنوعت دلالة القرآن على علو الله على وجوه كثيرة منها :**

( ١ ) التصريح بالفوقية مقرونة بأداة « مِنْ » المعينة لفوقية الذات نحو﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [ النحل: ٥٠ ] .

( ٢ ) التصريح بالفوقية مجردة عن الأداة كقوله : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] .

( ٣ ) التصريح باستوائه ـ سبحانه وتعالى ـ على عرشه في سبعة مواضع في القرآن .

( ٤ ) التصريح بالعروج إليه نحو ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [ المعارج: ٤ ] .

( ٥ ) التصريح بالصعود إليه كقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠] .

( ٦ ) التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله : ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [ النساء : ١٥٨] ، وقوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [ آل عمران : ٥٥ ] .

( ٧ ) التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وشرفاً كقوله : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [ الشورى : ٥١] .

( ٨ ) التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله : ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) ﴾ [ الزمر: ١] . ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [ فصلت: ٤٢ ] ، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [ النحل : ١٠٢] ، وهذا يدل على شيئين :

**الأول :** على أن القرآن ظهر منه لامن غيره وأنه الذي تكلم به لاغيره .

**الثاني :** على علوه على خلقه وأن كلامه نزل به الروح الأمين من عنده من أعلى مكان إلى رسوله .

( ٩ ) التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض كقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [ الأعراف: ٢٠٦] ، وقوله : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) ﴾ [ الأنبياء: ١٨-١٩] ، ففرق بين من له عموماً ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصاً .

( ١٠ ) التصريح بأنه ـ سبحانه ـ في السماء وهذا عند أهل السُّنَّة على أحد وجهين: إما أن تكون ( في ) بمعنى ( على ) .

وإما أن يراد بالسماء العلو،لا يختلفون في ذلك ولا يجوز حمل النص على غيره.

( ١١ ) التصريح بالاستواء مقروناً بأداة ( على ) بمختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات مصاحباً في الأكثر لأداة ( ثم ) الدالة على الترتيب والمهلة وهوبهذا السياق صريح في معناه الذي لايفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع ولا يحتمل غيره البتة .

( ١٢ ) إخباره ـ سبحانه ـ عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبر به من أنه فوق السماوات فقال : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [ غافر:٣٦-٣٧ ] ، فكذب فرعون موسى في إخباره إياه بأن ربه فوق السماء وعند الجهمية لافرق بين الإخبار بذلك وبين الإخبار بأنه يأكل ويشرب ، وعلى زعمهم يكون فرعون قد نزّه الرب عما لايليق به ،وكذب موسى في إخباره بذلك .

إذاً من قال عندهم : إن ربه فوق السماوات فهو كاذب ،فهم في هذا التكذيب موافقون لفرعون مخالفون لموسى ولجميع الأنبياء ، ولذلك سماهم أئمة السنّة فرعونية ، قالوا وهم شرٌّ من الجهمية ، فإن الجهمية يقولون :إن الله في كل مكان بذاته وهؤلاء عطلوه بالكلية وأوقعوا عليه الوصف المطابق للعدم المحض .

فأي طائفة من طوائف بني آدم أثبتت الصانع على أي وجه كان قولهم خيراً من قولهم . اهـ. إعلام الموقعين ( ٢ / ٣١٤ ـ ٣١٧ ) .

**وانظر في هذا :** مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٢١ ـ ١٦٤ـ١٦٦ ) ، التوحيد لابن خزيمة ( ١ / ٢٥٥ـ٢٥٦ )، التمهيد لابن عبد البر ( ٧ / ١٢٩ـ ١٣١ )، والاستذكار ( ٨ / ١٤٩ـ١٥٢ ).

**أما دلالة السنّة** على ذلك فإنها كما قال شيخ الإسلام : قد استفاضت وتواترت كما سبق، وقال أيضاً كما في ( ٥ / ١٦٦ ) من مجموع الفتاوى : وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله تعالى. اهـ.

**فقد دلت السُّنَّة على علو الله بدلالاتها الثلاث :**

القولية والفعلية والتقريرية .

**أما السُّنَّة القولية فمنها :**

( ١ ) ما في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الخوارج أن رسول الله ﷺ قال : **( ألا تأمنوني وأن أمين من في السماء )** .

( ٢ ) ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : **( إن الله تعالى طيب لايقبل إلا طيباً ، إلى أن قال : ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام، يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، فأنى يستجاب لذلك )** .

( ٣ ) مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ : **( يتعاقبون فيكم ملائكة باليل وملائكة في النهار ، ويجتمعون في صلاة الصبح ، وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم :كيف تركتم عبادي ؟، فيقولون تركناهم وهم يصلُّون، وأتيناهم وهم يصلُّون )** .

**وأما أدلة السُّنَّة الفعلية فمنها :**

( ١ ) ما رواه مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث حجة الوداع وفيه :

أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال :**(إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ،في شهركم هذا ،في بلدكم هذا ،ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ،ودماء الجاهلية موضوعة ،وأول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ،وربا الجاهلية موضوع ،وأول ربا أضع ربانا ،ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء ،فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مبرح ،ولهن عليكم رزقهن**

**وكسوتهن المعروف ، وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعدُ إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟** ، قالوا : نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت . **فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد )** .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إعلام الموقعين (٢ / ٣١٦ )معلِّقًا على هذا الحديث :**

ليشهد الجميع أن الرب الذي أرسله ودعا إليه ، واستشهده هو الذي فوق سماواته على عرشه . ا هـ.

( ٢ ) مافي الصحيحين في رفعه ﷺ يديه إلى السماء قائلاً : ( **اللهم اسقنا** ) . وهكذا رفعه يديه في الاستسقاء وغير ذلك .

**ومن أدلة السُنَّة التقريرية وأشهرها :**

مارواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : كانت لي جارية ترعى غنماً قبل أُحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم فإذا بالذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها، فأتيت رسول الله ﷺ فعظَّم ذلك عليَّ . قلت : يارسول الله أفلا أعتقها؟، **قال : ائتني بها** ، فأتيته بها **فقال لها : أين الله ؟** ، قالت : في السماء . **قال : ومن أنا ؟**، قالت : رسول الله . قال : **أعتقها ؛ فإنها مؤمنة)** .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٦١ـ ٦٢ ):**

الإقرار بعلو الله على الخلق أمر فطري ضروري نجده في قلوبنا نحن وجميع من يدعو الله ، فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ، والجارية التي قال لها النبي ﷺ : ( **أين الله ؟** ، قالت : في السماء. **قال : أعتقها ؛ فإنها مؤمنة** ) .

جارية أعجمية . أرأيت من فقهها وأخبرها بما ذكرت ؟ ، وإنما أخبرت عن الفطرة التي فطرها الله عليها ، وأقرَّها النبي ﷺ على ذلك ، وشهد لها بالإيمان . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إعلام الموقعين ( ٢ / ٣١٦ ) في صدد ذكر الأدلة على علو الله :**

**الخامس عشر:** شهادته ﷺ التي هي أصدق شهادة عند الله وملائكته وجميع المؤمنين لمن قال : ( إن ربه في السماء ) بالإيمان ، وشهد عليه أفراخ جهم بالكفر . وصرَّح الشافعي بأن هذا الذي وصفته من أن ربها في السماء إيمان، فقال في كتاب الأم في باب عتق الرقبة المؤمنة ، وذكر حديث الأمة السوداء التي سودت وجوه الجهمية وبيضت وجوه المحمدية،فلما وصفت الإيمان قال : ( **أعتقها ؛ فإنها مؤمنة** ) .

وهي إنما وصفت كون ربها في السماء وأن محمداً عبده ورسوله فقرنت بينهما في الذكر فجعل الصادق المصدوق مجموعهما هو الإيمان . ا هـ.

**هذا وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (١٥/٥ ) بعد أن ذكر جملة من الأحاديث الدالة على ما سبق :**

إلى أمثال ذللك مما لايحصيه إلا الله مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله ـ سبحانه ـ على العرش ، وأنه فوق السماء ، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم ، عربهم وعجمهم ، في الجاهلية والإسلام ، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته .

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال مالو جمع لبلغ مئين أو ألوفاً .

ثم ليس في كتاب الله ولا في سُنَّة رسوله ﷺ ولاعن أحد من سلف الأمة، لامن الصحابة ولامن التابعين لهم بإحسان ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك ، لا نصاً ولا ظاهراً . ا هـ.

**وأما دلالة الإجماع :** فقد سبق نقله ، ولله الحمد .

**وأما دلالة الفطرة على علو الله بذاته :**

**فقد قال إمام الأئمة محمد بن خزيمة ـ رحمه الله ـ في كتابه التوحيد (١/٢٥٤):**

باب ذكر البيان أن الله ـ عز وجل ـ في السماء كما أخبرنا في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه ﷺ ، وكما هو مفهوم في فطرة المسلمين علمائهم وجهالهم ، وأحرارهم ومماليكهم ، ذكرانهم وإناثهم ، بالغيهم وأطفالهم، كل من دعا الله ـ جل وعلا ـ فإنه يرفع رأسه إلى السماء ، ويمد يديه إلى الله إلى أعلاه لا إلى أسفل. ا هـ.

**وقال الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ في التمهيد ( ٧ / ١٣٤ ):**

ومن الحجة أيضاً في أنه ـ عز وجل ـ على العرش فوق السماوات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم ، إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدّة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون بربهم تبارك وتعالى، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى( ٤ / ٤٤،٤٥ ):**

وهذا موضع الحكاية المشهورة عن الشيخ العارف أبي جعفر الهمداني لأبي المعالي الجويني . لما أخذ يقول على المنبر: كان الله ولا عرش ، فقال : يا أستاذ دعنا من ذكر العرش ـ يعني لأن ذلك إنما جاء في السمع ـ أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ماقال عارف قط ( ياألله ) إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو ، لاتلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن قلوبنا ؟، قال : فلطم أبو المعالي على رأسه وقال : حيرني الهمداني ، حيرني الهمداني ، ونزل .

**قال شيخ الإسلام معلقًا :**

وذلك أن نفس استوائه على العرش بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام علم بالسمع الذي جاءت به الرسل ، كما أخبر الله به في القرآن والتوراة .

وأما كونه عاليًا على مخلوقاته بائنًا منهم ، فهذا أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم .

وكل من كان بالله أعرف وله أعبد ودعاؤه له أكثر وقلبه له أذكر ،كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل ، فالفطرة مكملة بالفطرة المنزلة ، فإن الفطرة تعلم الأمر مجملاً ، والشريعة تفصله وتبينه وتشهد بما لاتستقل الفطرة به فهذا هذا ، والله أعلم . ا هـ.

**وأما دلالة العقل على إثبات العلو لله :**

فقد سبق ذكرها في كلام الأئمة فيما سبق وقد جلاها العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- في قواعده المثلى ص ( ٦٧ ) فقال : وأما العقل فقد دلَّ على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص، والعلو صفة كمال، والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو وتنزيهه عن ضده . ا هـ.

أما الآية الأولى التي ذكرها المؤلف وهي قوله تعالى :﴿ **يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ [ آل عمران: ٥٥ ] .

**فقد قال فيها العلامة ابن عثيمين في شرحه للواسطية ص ٣٢٧-٣٢٩ :**

الخطاب لعيسى ابن مريم الذي خلقه الله من أم بلا أب ، ولهذا ينسب إلى أمه ، فيقال عيسى ابن مريم . يقول الله :﴿ **إِنِّي مُتَوَفِّيكَ** ﴾ ذكر العلماء فيها ثلاثة أقوال :

**القول الأول :** ﴿ **مُتَوَفِّيكَ** ﴾ بمعنى : قابضك . ومنه قولهم :توفى حقه أي : قبضه.

**القول الثاني :** ﴿ **مُتَوَفِّيكَ** ﴾ منيمك لأن النوم وفاة ، كما قال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى** ﴾ [الأنعام: ٦٠ ] .

**القول الثالث :** أنه وفاة موت : ﴿ **مُتَوَفِّيكَ** ﴾ مميتك ومنه قوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** ﴾ [ الزمر: ٤٢ ] .

والقول بأن ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ بمعنى مميتك بعيد ، لأن عيسى عليه السلام لم يمت ، وسينزل في آخر الزمان ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [ النساء : ١٥٠ ] ، أي : قبل موت عيسى على أحد القولين وذلك إذا نزل في آخر الزمان .

وقيل : قبل موت الواحد ، يعني : ما من أحد من أهل الكتاب إلا إذا حضرته الوفاة آمن بعيسى حتى وإن كان يهودياً ، وهذا القول ضعيف .

**بقي النظر في وفاة القبض ووفاة النوم فنقول :**

إنه يمكن أن يجمع بينهما فيكون قابضاً له حال نومه ، أي أن الله تعالى ألقى عليه النوم ثم رفعه ولا منافاة بين الأمرين .

قوله : ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ الشاهد هنا ، فإن ﴿ إِلَيَّ ﴾ تفيد الغاية .

وقوله : ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ يدل على أن المرفوع إليه كان عالياً وهذا يدل على علو الله ـ عز وجل ـ .

فلو قال قائل : المراد ( رافعك منزلة ) كما قال تعالى : ﴿ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [ آل عمران : ٤٥ ] .

قلنا : هذا لا يستقيم لأن الرفع هنا عُدِّي بحرف يختص بالرفع الذي هو الفوقية رفع الجسد وليس رفع المنزلة . ا هـ.

ما معنى قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [ الملك : ١٦ ] .

**الجواب :** أن الذي عليه علماء أهل السُّنَّة والجماعة سلفاً وخلفاً أن هذه الآية على أحد وجهين :

**الأول :** أن تكون ﴿ فِي ﴾ بمعنى ( على ) فإن حروف الجر تتناوب ومن مجيء ( في ) بمعنى ( على ) قوله تعالى : ﴿ فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [ التوبة : ٢ ] ، أي على الأرض ، وقوله : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [ الملك : ١٥ ] ، أي : على مناكبها ، وقوله تعالى : ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [ طه : ٧١ ] أي : على جذوع النخل .

**الثاني :** أن السماء بمعنى العلو فإن كل ما علاك فقد سماك فيكون معنى الآية أأمنتم من في العلو .

**قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في معرض ذكر أدلة علو الله في كتابه إعلام الموقعين ( ٢ / ٣١٥ ) :**

**التاسع :** التصريح بأنه - سبحانه - في السماء وهذا عند أهل السُّنَّة على أحد وجهين :

إما أن تكون في بمعنى ( على ) ، وإما أن يراد بالسماء العلو لا يختلفون في ذلك ولا يجوز حمل النص على غيره . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٠٦ ) :**

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهذا كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقده في ربه ، وما سمعنا أحداً يفهم هذا من اللفظ ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد ، ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول الله ورسوله ( **إن الله في السماء** ) أن السماء تحويه لبادر كل واحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - كما في ( ٣ / ٥٢ ) من مجموع الفتاوى :**

وكذلك قوله : ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ** ﴿١٦﴾ ﴾ من توهم أن مقتضى هذه الآية أن يكون الله في داخل السموات فهو جاهل ضال بالإتفاق وإن كنا إذا قلنا : إن الشمس والقمر في السماء يقتضي ذلك ، فإن حرف ﴿ **فِي** ﴾ متعلق بما قبله وبما بعده فهو بحسب المضاف إليه ، ولهذا يفرق بين كون الشيء في المكان وكون الجسم في الحيّز ، وكون العرض في الجسم وكون الوجه في المرآة ، وكون الكلام في الورق، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصة يتميز بها عن غيره وإن كان حرف ﴿ **فِي** ﴾ مستعملاً في ذلك . ا هـ.

وانظر: التمهيد لابن عبد البر ( ٧ / ١٣٠ ) ومجموع الفتاوى ( ٥ / ٢٥٨ ) .

## وقولــه :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ④ ﴾ [ الحديد : ٤ ] ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑦ ﴾ [ المجادلة : ٧ ] ، وقوله : ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] ، ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه :٤٦ ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨ ] ، ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ الأنفال: ٤٦ ] ، ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة: ٢٤٩ ] .

أراد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بإيراد هذه الآيات إثبات معيّة الله لعباده وهذا من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة .

ومناسبة ذكر نصوص المعيّة بعد إيراد النصوص الدالة على إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه الذي يعتبر من أعظم الأصول التي باين بها أهل السُّنَّة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة،لئلا يظن ظان أن هناك تناقضاً بين هذه النصوص وتلك،

**فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٣):**

وما ذكر في الكتاب والسُّنَّة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وهو عليٌّ في دنوه ، قريب في علوه . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٤٥٧ ) :**

فعلوه لا يناقض معيّته ، ومعيّته لا تبطل علوه ، بل كلاهما حق. ا هـ.

**وقد ذكر العلماء عدة مباحث في معيّة الله لخلقه أذكر أهمها :**

# المبحث الأول
## في أدلة ثبوتها

معية الله تعالى لعباده ثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في هذه العقيدة الواسطية كما سيأتي ما نصه:**

وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه ـ سبحانه ـ فوق سماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون . ا هـ.

# المبحث الثاني
## في أقسامها

قسم العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ معيّة الله لعباده إلى قسمين : عامة وخاصة :

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٢٢ ):**

والمعيّة معيّتان عامة وخاصة فالأولى : قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ .

والثانية قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق (ص ٤٥٦ ) :**

فمعيّة الله تعالى مع عبده نوعان : عامة وخاصة. ا هـ . وانظر: أيضاً مدارج السالكين ( ٢ / ١٥٩ ) ، وتفسير ابن كثير ( ٢ / ٧٨٢ ) آخر سورة النحل .

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية (٣٤٠-٣٤١ ) :**

معيّة الله ـ عز وجل ـ تنقسم إلى قسمين : عامة وخاصة .

**والخاصة تنقسم إلى قسمين :** مقيّدة بشخص ومقيّدة بوصف .

أما العامة فهي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر،ودليلها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ .

أما الخاصة المقيّدة بوصف فمثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ وأما الخاصة المقيدة بشخص معين فمثل قوله تعالى عن نبيه ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [ التوبة: ٤٠ ] ، وقال لموسى وهارون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾وهذه أخص من المقيّد بوصف .

فالمعيّة درجات : عامة مطلقة، وخاصة مقيّدة بوصف ، وخاصة مقيّدة بشخص .

فأخص أنواع المعيّة ما قُيّد بشخص ثم ما قيّد بوصف ثم ما كان عاماً .

فالمعيّة العامة تسلتزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته،والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد . ا هـ.

**وقال سماحة العلامة ابن باز ـ رحمه الله ـ في تعليقه على التنبيهات اللطيفة للسعدي ( ص ٤٥ ) :**

**المعيّة صفة من صفات الله وهي قسمان :**

معيّة خاصة لا يعلم كيفيتها إلا الله كسائر صفاته وتتضمن الإحاطة والنصرة والتوفيق والحماية من المهالك، ومعيّة عامة : تتضمن علم الرب بأحوال عباده واطلاعه على جميع أحوالهم وتصرفاتهم الظاهرة والباطنة ولا يلزم منها الاختلاط والامتزاج، لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يقاس بخلقه ، فعلوه على خلقه لا ينافي معيّته لعباده، بخلاف المخلوق فإن وجوده في مكان وجهة يلزم منه عدم اطلاعه على المكان الآخر والجهة الأخرى، والرب ليس كمثله شيء لكمال علمه وقدرته. ا هـ.

**كيف يمكن أن نعرف أن المراد المعية العامة أو الخاصة ؟**

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة (ص ٤٦ ) :**

وإذا أردت أن تعرف : هل المراد المعيّة العامة أو الخاصة ؟ ، فانظر إلى سياق الآيات

فإن كان المقام مقام تخويف ومحاسبة على أعمالهم وحث على المراقبة فإن المعيّة عامة مثل قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ﴾ الآية .

وإن كان المقام مقام لطف وعناية من الله بأنبيائه وأصفيائه وقد رتب المعية على الاتصاف بالأوصاف الحميدة، فإن المعيّة معيّة خاصة وهو أغلب إطلاقها في القرآن مثل ﴿ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [ التوبة: ١٢٣ ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ الأنفال: ٤٦ ]، ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [ التوبة: ٤٠ ] ، ونحوها أ.هـ .

## المبحث الثالث

### أنها معيّة حقيقية كسائر صفات الله على الوجه اللائق بعظمته وكماله

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [ الشورى : ١١ ]

**قال ابن عبد البر كما في مجموع الفتاوى لابن تيمية . رحم الله الجميع . ( ٥ / ٨٧ ) :**

أهل السُّنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيّفون شيئاً من ذلك ولا يحدّون فيه صفة محصورة . ا هـ.

وسيأتي مزيد بيان لهذا عند كلام شيخ الإسلام على هذا بعد عدة فصول إن شاء الله .

# المبحث الرابع

## هل المعيّة من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية ؟

**قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه للواسطية ص ٣٤٢-٣٤٣ :**

**فيه تفصيل :**

أما المعيّة العامة فهي ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال محيطاً بالخلق علماً وقدرة وسلطاناً ، وغير ذلك من معاني ربوبيته .

وأما المعيّة الخاصة فهي صفة فعلية لأنها تابعة لمشيئة الله، وكل صفة مقرونة بسبب هي من الصفات الفعلية، فقد سبق لنا أن الرضى من الصفات الفعلية لأنه مقرون بسبب إذا وجد السبب الذي به يرضى الله وجد الرضى ، وكذلك المعيّة الخاصة إذا وجدت التقوى أو غيرها من أسبابها في شخص كان الله معه. ا هـ.

# المبحث الخامس

## ما معنى المعيّة وهل تختلف أحكامها بحسب اختلاف مواردها ؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٥/١٠٣-١٠٥ ) ( مع ) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قُيّدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى ، فإنه يقال : ما زلنا نسير والقمر معنا والنجم معنا. ويقال : هذا المتاع معي. لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة .

ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد ، فلما قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعيّة ومقتضاها أنه مطّلع عليكم شهيد عليكم ومهيمن،عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف : إنه معهم بعلمه ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.

وكذلك في قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ الآية .

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ كان هذا أيضاً حقاً على ظاهره ودلت الحال على أن حكم هذه المعيّة هنا معيّة الإطلاع والنصر والتأييد .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ وكذلك قوله لموسى وهارون : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ هنا المعيّة على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد .

وقد يدخل على صبي من يخيفه فيبكي فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول : لا تخف أنا معك أو أنا هنا ، أو أنا حاضر ونحو ذلك ، ينبهه على المعيّة الموجبة بحكم الحال دفع المكروه، ففرق بين معنى المعيّة وبين مقتضاها وربما صار

مقتضاها من معناها فيختلف باختلاف المواضع، فلفظ المعيّة قد استعمل في الكتاب والسُّنَّة في مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا تقتضيها في الموضع الآخر ، فأما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق حتى يقال : قد صرفت عن ظاهرها .

ونظير هذا من بعض الوجوه ( الربوبية والعبودية ) فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال : ﴿ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٧ - ٤٨ ] ، كانت ربوبية موسى وهارون لهما اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق، فإن من أعطاه الله الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره . ا هـ.

# المبحث السادس

## في شبهة القائلين بأن الله معنا في أمكنتنا والرد عليهم

شبهتهم : يقولون هذا ظاهر اللفظ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ لأن كل الضمائر تعود على الله ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ ﴾﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ ﴾﴿ يَعْلَمُ ﴾﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ وإذا كان معنا فنحن لا نفهم من المعيّة إلا المخالطة والمصاحبة في المكان .

**والرد عليهم من جوه :**

**أولاً :** أن ظاهرها ليس كما ذكرتكم ، إذ لو كان الظاهر ، كما ذكرتكم لكان في الآية تناقض :

أن يكون مستوياً على العرش وهو مع كل إنسان في أي مكان ، والتناقض في كلام الله تعالى مستحيل .

**ثانياً :** قولكم ( إن المعية لا تعقل إلا مع المخالطة أو المصاحبة في المكان ) . هذا ممنوع ، فالمعيّة في اللغة العربية اسم لمطلق المصاحبة وهي أوسع مدلولاً مما زعمتم ، فقد تقتضي الاختلاط ، وقد تقتضي المصاحبة في المكان ، وقد تقتضي مطلق المصاحبة ، وإن اختلف المكان ، وهذه ثلاثة أشياء.

( ١ ) مثال المعيّة التي تقتضي المخالطة أن يقال: اسقوني لبناً مع ماء أي مخلوطاً بماء.

( ٢ ) ومثال المعيّة التي تقتضي المصاحبة في المكان أن يقال : وجدت فلاناً مع فلان يمشيان جميعاً وينزلان جميعاً .

( ٣ ) ومثال المعيّة التي لا تقتضي الاختلاط ولا المشاركة في المكان أن يقال : فلان مع جنوده وإن كان هو في غرفة القيادة لكن يوجههم ، فهذا ليس فيه اختلاط ولا مشاركة في مكان .

ويقال : زوجة فلان معه وإن كانت هي في المشرق وهو في المغرب .

فالمعيّة إذاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وكما هو ظاهر من

شواهد اللغة : مدلولها مطلق المصاحبة ثم هي بحسب ما تضاف إليه .

فإذا قيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ فلا يقتضي ذلك لا اختلاطاً ولا مشاركة في المكان بل هي معيّة لائقة بالله ومقتضاها النصر والتأييد .

**ثالثاً : نقول :** وصفكم الله بهذا من أبطل الباطل وأشد التنقص لله عز وجل ، والله ـ عز وجل ـ ذكرها هنا عن نفسه متمدحاً أنه مع علوه على عرشه فهو مع الخلق وإن كانوا أسفل منه ، فإذا جعلتم الله في الأرض فهذا نقص ، وإذا جعلتم الله نفسه معكم في كل مكان وأنتم تدخلون الكنيف هذا أعظم النقص ولا نستطيع أن نقوله ولا لملك من ملوك الدنيا : إنك أنت في الكنيف لكن كيف نقوله لله عز وجل ؟ !

وهل هذا إلا أعظم النقص والعياذ بالله ؟! .

**رابعاً :** يلزم على قولكم هذا أحد أمرين لا ثالث لهما ، وكلاهما ممتنع .

إما أن يكون الله متجزءاً ، كل جزء منه في مكان .

وإما أن يكون متعدداً ، يعني كل إله في جهة ضرورة لتعدد الأمكنة .

**خامساً : أن نقول :** قولكم هذا يستلزم أن يكون الله حالاً في الخلق ، فكل مكان في الخلق فالله تعالى فيه وصار هذا سلماً لقول أهل وحدة الوجود .

فانت ترى أن هذا القول باطل ، ومقتضى هذا القول الكفر .

ولهذا نرى أن من قال : إن الله معنا في الأرض فهو كافر يستتاب ويبين له الحق فإن رجع وإلا وجب قتله . ا هـ.شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ص ( ٣٤٨ ) .

# المبحث السابع

## في المعيّة : هل بينها وبين العلو تناقض ؟

قد سبق في ثنايا بعض المباحث السابقة أنه لا تناقض بينهما ، وسيأتي مزيد كلام على هذا - إن شاء الله - في الفصل الذي خصصه شيخ الاسلام - رحمه الله - لبيان هذا الغرض .

أما الآيات التي أوردها المؤلف - رحمه الله - .

فالآية الأولى وهي قوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [ الحديد : ٤ ] .

فقد أوضح معناها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - نفسه في هذه العقيدة كما سيأتي حيث قال : وليس معنى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة ، وهو خلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان ، وهو - سبحانه - فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته .

وكل هذا الكلام الذي ذكره الله - سبحانه - من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله : ( في السماء ) أن السماء تقله أو تظله ، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان ، فإن الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ [ الروم : ٢٥ ] . اهـ.

**وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٣ / ٢١٩ ) :**

وقال الطلمنكي أحد أئمة المالكية ـ قبل ابن عبد البر والباجي وطبقتهما في كتاب الوصول إلى معرفة الأصول :

أجمع المسلمون من أهل السُّنَّة على أن معنى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ونحو ذلك من القرآن : أن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على العرش كيف شاء . ا هـ.

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑦ ﴾ [ المجادلة : ٧ ] .

**قال الإمام ابن عبد البر - رحمه الله - في التمهيد ( ٧ / ١٣٨-١٣٩ ) :**

وأما احتجاجهم بقوله عز وجل : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله ، ذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية قال : هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا قال : وبلغني عن سفيان الثوري مثله ثم ساق بسنده إلى ابن مسعود رضي الله عنه قال : الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . ا هـ.

**ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٤٠ ) :**

أن علي بن المديني سئل عن قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية . قال : اقرأ ما قبلها ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ [ المجادلة : ٧ ] ، الآية . ا هـ.

والآيتان السابقتان دليل على المعيّة العامة وما بعدها من أدلة المعيّة الخاصة ، ومنها

المتعلق بشخص ومنها المتعلق بوصف .

**وأما الآية الثالثة :** وهي قوله تعالى : ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ .

**قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه للواسطية ( ٣٥٠-٣٥١ ) :**

الخطاب لأبي بكر رضي الله عنه من النبي ﷺ قال الله تعالى : ﴿ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] .

**أولاً :** نصره حين الإخراج ﴿ إذ أخرجه الذين كفروا ﴾ .

**ثانياً :** وعند المكث في الغار ﴿ إذ هما في الغار ﴾ .

**ثالثاً :** عند الشدة ، حينما وقف المشركون على فم الغار : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴾ فهذه ثلاثة مواقع بيَّن الله تعالى فيها نصره لنبيه ﷺ .

وهذا الثالث حين وقف المشركون عليهم يقول أبو بكر ( يا رسول الله والله لو نظر أحدهم إلى قدمه لأبصرنا ) يعني أننا على خطر كقول أصحاب موسى لما وصلوا إلى البحر ﴿ إنا لمدركون (٦١) ﴾ ، فقال : ﴿ قال كلا إن معي ربي سيهدين (٦٢) ﴾ [ الشعراء : ٦١ ] وهنا قال النبي ﷺ ﴿ إن الله معنا ﴾ . اهـ .

**وأما الآية الرابعة :**

وهي قوله تعالى : ﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [ طه : ٤٦ ] .

**فقد قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (٣ / ٢٠٩) :**

أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى عليّ من أمركم شيء ، واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري ، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي .. اهـ .

**وأما الآية الخامسة :**

وهي قوله تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

**فقد قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره ( ٢ / ٧٨٢-٧٨٣ ) :**

أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وهذه معيّة خاصة كقوله : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [ الأنفال : ١٢ ] . . . إلى أن قال : ومعنى ﴿ الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ أي تركوا المحرمات ﴿ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ أي فعلوا الطاعات .

فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم . ا هـ .

**وأما الآية السادسة :**

وهي قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

فقد سبق الكلام على تعريف الصبر وأقسامه ،وفي هذه الآية يأمر الله عباده بالصبر وأوجب لهم معيّته الخاصة التي تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم جزاءً وفاقاً .

**وأما الآية السابعة :**

وهي قوله تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [ البقرة : ٢٤٩ ] .

﴿ كَم ﴾ خبرية تفيد التكثير يعني : فئة قليلة غلبت فئة كثيرة عدة مرات أو فئات قليلة متعددة غلبت فئات كثيرة متعددة لكن لا بحولهم ولا بقوتهم بل بإذن الله ، أي بإرادته وقدرته .

ومن ذلك أصحاب طالوت غلبوا عدوهم وكانوا كثيرين ، ومن ذلك أصحاب بدر غلبوا قريشاً وهم كثيرون ، لأن الفئة القليلة صبرت ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ صبرت كل أنواع الصبر على طاعة الله ، وعن معصية الله ، وعلى ما أصابها من الجهد والتعب والمشقة في تحمل أعباء الجهاد ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ " (١) .

---

( ١ ) شرح الواسطية ، للعلامة ابن عثيمين ( ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ) باختصار .

**ثمرات الإيمان بمعيّة الله لعباده العامة والخاصة :**

«**أولاً :** الإيمان بإحاطة الله - عز وجل - بكل شيء وأنه مع علوه فهو مع خلقه لايغيب عنه شيء من أحوالهم أبداً .

**ثانياً :** أننا إذا علمنا ذلك وآمنا به فإن ذلك يوجب لنا كمال مراقبته بالقيام بطاعته وترك معصيته، بحيث لا يفقدنا حيث أمرنا ولا يجدنا حيث نهانا، وهذه ثمرة عظيمة لمن آمن بهذه المعية » (١) .

**ثالثاً :** معرفة عظيم عناية الله بأوليائه ؛ وذلك بحفظه لهم ونصرهم على عدوهم وتأييدهم وتوفيقهم .

**رابعاً :** التحلّي بتلك الأوصاف الموجبة لمعيّة الله لمن اتصف بها يرجو ثواب الله . تفضلاً منه - سبحانه - وإحساناً إلى عباده المؤمنين .

---

(١) المرجع السابق ، (ص ٣٥٥) .

## وقولـــه تعالـــى :

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [ النساء: ٨٧ ] ، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ [ النساء: ١٢٢ ] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [ المائدة: ١١٦ ] ، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا ﴾ [ الأنعام : ١١٥ ] ، ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [ النساء : ١٦٤ ] ، ﴿ مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ [ البقرة : ٢٥٣ ] ، ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [ الأعراف : ١٤٣ ] ، ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) ﴾ [ مريم : ٥٢ ] ، ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) ﴾ [ الشعراء: ١٠ ] .

﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [ الأعراف: ٢٢ ] ، ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) ﴾ [ القصص: ٦٥ ] ، ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ٦ ] .

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [ البقرة : ٧٥ ] ، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [ الفتح: ١٥ ] .

﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [ الكهف : ٢٧ ] ، ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) ﴾ [ النمل: ٧٦ ] .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه النصوص القرآنية لإثبات صفة الكلام لله وأن القرآن من كلام الله .

### قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص(٤٧٨) :

وقد دلَّ القرآن وصريح السُّنَّة والمعقول وكلام السلف على أن الله ـ سبحانه ـ يتكلم بمشيئته كما دل على أن كلامه صفة قائمة بذاته وهي صفة ذات وفعل قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٠) ﴾ [ النحل: ٤٠ ] ، وقوله : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾ [ يس: ٨٢ ] . .

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في المصدر السابق ص ( ٤٧١ ) :**

وقد نوع الله تعالى هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويعاً يستحيل معه نفي حقائقها بل ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب ـ تبارك وتعالى ـ وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة ، والرب ـ تبارك وتعالى ـ يخلق بقوله وكلامه كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ فإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفى الخلق .

وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تُكَلِّم ولا تُكَلِّم عابديها ، ولا ترجع إليهم قولاً ، والجهمية وصفوا الرب ـ تبارك وتعالى ـ بصفة هذه الآلهة وقد ضرب الله تعالى لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحر يمده من بعده سبعة أبحر وأشجار الأرض كلها أقلام فيفنى المداد والأقلام ولا تنفد كلماته .

أفهذا صفة من لا يتكلم ولا يقوم به كلام ؟.

فإذا كان كلامه وتكليمه وخطابه ونداؤه وقوله وأمره ونهيه ووصيته وعهده وإذنه وحكمه وإنباؤه وإخباره وشهادته كل ذلك مجاز لا حقيقة له بطلت الحقائق كلها فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينه ﴿ **وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** (٨٢) ﴾ [ يونس : ٨٢ ] ، فما حقت الحقائق إلا بقوله وفعله . ا هـ.

وقول المصنف : وقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ ، ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** ﴾ .

وجه الدلالة من الآية الأولى على إثبات الكلام لله من قوله : ﴿ **أَصْدَقُ** ﴾ و﴿ **حَدِيثًا** ﴾ لأن الصدق يوصف به الكلام والحديث هو الكلام .

**ومعنى الآية :** لا أحد أصدق من الله حديثًا لأن كلمة ﴿ **حَدِيثًا** ﴾ نكرة في سياق الاستفهام فتفيد العموم ، والاستفهام بمعنى النفي .

ووجه الدلالة من الآية الثانية على إثبات صفة الكلام لله من قوله تعالى :

﴿ أَصْدَقُ ﴾ و﴿ قِيلاً ﴾ وقد سبق الكلام على أصدق ، والقيل هو القول والقول لا يكون إلا باللفظ .

ووجه الدلالة من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١١٦] .

**ما قاله العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٣٥٦) حيث قال :**

في هذا إثبات أن الله يقول وأن قوله مسموع فيكون بصوت،وأن قوله كلمات وجمل فيكون بحرف .

ولهذا كانت عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة أن الله يتكلم بكلام حقيقي متى شاء وكيف شاء بما شاء بحرف وصوت لا يماثل أصوات المخلوقين .

متى شاء: باعتبار الزمن ، بما شاء باعتبار الكلام ويعني: موضوع الكلام من أمرٍ أو نهي أو غير ذلك،كيف شاء:يعني الكيفية والصفة التي يريدها الله سبحانه وتعالى.

قلنا : أنه بصوت وحرف لا يشبه أصوات المخلوقين . الدليل على هذا من الآية الكريمة ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ .

هذا حرف وبصوت لأن عيسى يسمع ما قال .

لا يماثل أصوات المخلوقين لأن الله قال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] . اهـ.

ووجه الدلالة على إثبات صفة الكلام من قوله تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ [ الأنعام : ١١٥ ] ، أن الكلمة في لغة العرب لا تطلق إلا على الجملة المفيدة ، وقد ذكر الله أن كلمته تمت صدقاً وعدلاً .

**قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٢ / ٢٢٥ ) :**

قال قتادة : صدقاً فيما قال وعدلاً فيما حكم ، يقول صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الطلب، فكل ما أخبر به فحق لا مرية فيه ولاشك، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه، وكل ما نهى عنه فباطل فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة . اهـ.

ووجه الدلالة من قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [ النساء:١٦٤ ] ، أن الله أخبر أنه كلم موسى ثم أكد ذلك بالمصدر ﴿ تَكْلِيمًا ﴾ .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص ٦٥ :**

رفع ـ سبحانه ـ توهم المجاز في تكليمه لكليمه بالمصدر الذي لا يشك عربي القلب واللسان أن المراد به إثبات تلك الحقيقة كما تقول العرب مات موتاً ونزل نزولاً ونظائره . ا هـ.

وقوله تعالى: ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ [ البقرة:٢٥٣ ] ، أي من الرسل من كلمه الله وهذا دليل واضح على إثبات صفة الكلام لله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ [ الأعراف: ١٤٣ ] .

**فقد قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية( ٣٥٨ ) :**

أفادت هذه الآية أن الكلام يتعلق بمشيئته وذلك لأن الكلام صار حين المجيء لا سابقاً عليه، فدل هذا على أن كلامه يتعلق بمشيئته فيبطل به قول من قال : إن كلامه هو المعنى القائم بالنفس وأنه لا يتعلق بمشيئته كما تقوله الاشاعرة . وفي هذه الآية إبطال زعم من زعم أن موسى فقط هو الذي كلم الله وحرَّف قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ إلى نصب الاسم الكريم لأنه في هذه الآية لا يمكن زعم ذلك ولا تحريفها . ا هـ.

وأما قوله تعالى :﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [ مريم:٥٢ ]، وقوله: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشعراء:١٠ ] ، وقوله : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢ ] ، وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [ القصص:٦٥ ] ، فوجه الدلالة من هذه الآيات إثبات النداء ، ولا يكون النداء إلا بصوت .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في منهاج السنَّة (٥/٤٢٣- ٤٢٦) :**

وقد أخبر الله بالقرآن بندائه لعباده في أكثر من عشرة مواضع ،والنداء لا يكون إلا

صوتاً باتفاق أهل اللغة وسائر الناس ... إلى أن قال :

فمن قال : أنه لم يزل منادياً في الأزل ولكن خلق نداءً في شجرة أو غيرها لزم أن تكون الشجرة هي القائلة : إني أنا الله وليس هذا كقول الناس : نادى الأمير إذا أمر منادياً فإن المنادي عن الأمير يقول : أمر الأمير بكذا ورسم السلطان بكذا لا يقول : أنا أمرتكم ولو قال ذلك لأهانه الناس .

والمنادي قال لموسى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [ طه : ١٤ ] ، وقال : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [ القصص : ٣٠ ] ، وهذا لا يجوز أن يقوله ملك إلا إذا بلّغه عن الله كما نقرأ نحن القرآن .

والملك إذا أمره الله بالنداء قال كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « **إذا أحب الله عبداً نادى جبريل : إني أحب فلاناً فأحبه ثم ينادي جبريل في السماء : إن الله يحب فلاناً فأحبوه** » فجبريل إذا نادى في السماء قال : إن الله يحب فلاناً فأحبوه .والله إذا نادى جبريل يقول : يا جبريل، إني أحب فلاناً .

ولهذا لما نادت الملائكة زكريا قال تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [ آل عمران : ٣٩ ] ، وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) ﴾ [ آل عمران : ٤٢ ] .

ولا يجوز قط للمخلوق أن يقول : إني أنا الله رب العالمين .

ولا يقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ ومن يسألني فأعطيه ؟ ومن يستغفرني فأغفر له ؟ ، والله تعالى إذا خلق صفة في محل كان المحل متصفاً بها ، فإذا خلق في محل علماً أو قدرة أو حياة أو حركة أو لوناً أو سمعاً أو بصراً كان ذلك المحل هو العالم به القادر المتحرك الحي المتلون السميع البصير، فإن الرب لا يتصف بما يخلقه في مخلوقاته، وإنما يتصف بصفاته القائمة به، بل كل موصوف لا يوصف إلا بما يقوم به لا بما يقوم بغيره ولم يقم به .

فلو كان النداء مخلوقاً في الشجرة لكانت هي القائلة : إني أنا الله .

وإذا كان ما خلقه الرب في غيره كلاماً له وليس له كلامٌ إلا ما خلقه لزم أن يكون إنطاقه لأعضاء الإنسان يوم القيامة كلاماً له، وتسبيح الحصى كلاماً له ، وتسليم الحجر على الرسول كلاماً له .

بل يلزم أن يكون كل كلام في الوجود كلامه، لأنه قد ثبت أنه خالق كل شيء وهكذا طرد قول الحلولية الاتحادية كابن عربي فإنه قال :

وكل كلامٍ في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

ولهذا قال سليمان بن داوود الهاشمي : من قال : إن قوله :﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ مخلوق فقوله من جنس قول فرعون الذي قال : أنا ربكم الأعلى. فإن هذا مخلوق وهذا مخلوق.

يقول : إن هذا يوجب أن يكون ما خُلق فيه هذا القول هو القائل له كما كان فرعون هو القائل لما قام به . اهـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٤٥٦ ) :**

مما يظن أنه مجاز وليس بمجاز لفظ ( النداء الإلهي ) وقد تكرر في الكتاب والسُّنَّة تكراراً مطرداً في محالِّه متنوعاً تنوعاً يمنع حمله على المجاز .

فأخبر تعالى أنه نادى الأبوين في الجنة ونادى كليمه وأنه ينادي عباده يوم القيامة.

وقد ذكر ـ سبحانه ـ النداء في تسعة مواضع في القرآن، أخبر فيها عن ندائه بنفسه ولا حاجة إلى أن يقيد النداء بالصوت، فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة ، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعاً.

ولهذا جاء إيضاحه في الحديث الصحيح الذي بلَّغناه الصحابة والتابعون وتابعوهم وسائر الأمة تلقته بالقبول، وتقييده بالصوت إيضاحاً وتأكيداً كما قيد التكليم بالمصدر كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾ .

**قال البخاري في صحيحه :** حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : يقول

الله تعالى : «يا آدم ، فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار» . ا هـ.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٦] ،المراد بكلام الله هنا القرآن إجماعاً، وهذا يدل على أن القرآن كلام الله .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة (٥ / ٤١٦):**

الأئمة والسلف اتفقوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق بل هو الذي تكلم به بقدرته ومشيئته ولم يقل أحد منهم إنه مخلوق ولا إنه قديم . ا هـ.

وأمَّا قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة: ٧٥ ] ، المقصود عند المفسرين بكلام الله في هذه الآية التوراة والمحرفون هم اليهود .

ووجه الدلالة منها أن الله قال : ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ فسمَّى التوراة المنزلة على موسى كلاماً له .

وأما قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [ الفتح : ١٥] .

فالشاهد منها قوله تعالى : ﴿ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ والمراد به القرآن ، حيث وعد الله أصحاب بيعة الرضوان بالمغانم دون غيرهم من المخلفين الذين أرادوا الخروج معهم ، وفيها أيضاً إثبات القول لله ، حيث قال سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ .

وأما قوله تعالى :﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الكهف : ٢٧ ]. فوجه الدلالة منها على إثبات صفة الكلام لله قوله تعالى : ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ والكلمات هنا تشمل الكلمات الكونية والكلمات الشرعية التي هي وحيه المنزَّل على رسوله ﷺ .

وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [ النمل: ٧٦ ] .

**فقد قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- في شرح الواسطية (ص٣٧١) :**

الشاهد قوله : ﴿ يَقُصُّ ﴾ والقصص لا يكون إلا قولاً ، فإذا كان القرآن هو الذي يُقَصُّ فهو كلام الله لأن الله تعالى هو الذي قص هذه القصص ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [ يوسف : ٣ ] ، وحين إذ يكون القرآن كلام الله . ا هـ.

## وقـــولـــه :

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام : ١٥٥] ، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [ الحشر:٢١ ] ، ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾ [ النحل: ١٠١-١٠٢ ] .

لما فرغ المؤلف - رحمه الله - من إيراد بعض الآيات الدالة على إثبات الكلام لله تعالى ومنه القرآن الكريم شرع في إيراد بعض الآيات الدالة على أن القرآن منزَّل من عند الله ، وأنه منه بدأ - سبحانه وتعالى - ، فالمنزَّل هو القرآن، والمنزَّل من عنده هو المتكلم به سبحانه وتعالى ، والنَّازلُ به هو جبريل عليه السلام ، والمنزَّل إليه هو المأمور بإبلاغه وهو نبينا محمد ﷺ .

**وقد قالت المعتزلة والجهمية القائلون بخلق القرآن:** إن المراد بالنزول مطلق الوصول وأسندوا دعواهم هذه بقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ [ الحديد :٢٥ ] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ [ الزمر :٦ ] ، قالوا : ومن المعلوم أن الحديد والأنعام لم تنزل من السماء إلى الأرض .

**وقد تصدى للرد على هؤلاء المبطلين العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ( ٤٢٠-٤٢٣ ) حيث أجاب عليهم من وجوه أهمها :**

( ١ ) أن لفظ النزول والتنزيل والإنزال حقيقة مجيء الشيء، أو الإتيان به من علو إلى أسفل،هذا هو المفهوم منه لغة وشرعاً كقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا ﴾ [ ق :٩ ] ، وقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر :٤ ] .

( ٢ ) أن ما ذكروه من مجاز النزول وأنه مطلق الوصول لا يعرف في كتاب ولا سُنَّة ولا لغة ولا شرع ولا عرف ولا استعمال ، فلا يقال لمن صعد إليك من سلم إنه نزل إليك، ولا لمن جاءك من مكان مستو نزل ، ولا يقال نزل الليل والنهار إذا جاء

وذلك وضع جديد ولغة غير معروفة .

( ٣ ) أنه لو عرف استعمال ذلك بقرينة لم يكن موجباً لإخراج اللفظ عن حقيقته حيث لا قرينة .

( ٤ ) أن هذا يرفع الأمان والثقة باللغات ويبطل فائدة التخاطب إذ لا يشاء السامع أن يخرج اللفظ عن حقيقته إلا وجد إلى ذلك سبيلاً .

( ٥ )أن قولهم : ومعلوم أن الحديد لم ينزل جرمه من السماء إلى الأرض وكذلك الأنعام . يقال لهم : هذا معلوم لكم بالضرورة أم بالاستدلال ؟ ولا ضرورة يعلم بها ذلك وأين الدليل ؟

( ٦ ) أنه قد عُهِدَ نزول أصلِ الانسان وهو آدم ﷺ من علو إلى أسفل ، كما قال تعالى : ﴿ **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا** ﴾ [ طه : ١٢٣ ] ، فما المانع أن ينزل أصل الأنعام مع أصل الأنام ؟ ، ونحن وإن لم نجزم بذلك فالمدعي أن الحديد لم ينزل من السماء ليس معه ما يبطل ذلك.

( ٧ ) أن الله ـ سبحانه ـ لم يقل : أنزلنا الحديد من السماء ، ولا قال : وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من السماء ، فقوله معلوم أن الحديد والأنعام لم ينزل من السماء إلى الأرض ، لا يُخرج لفظة النزول عن حقيقتها، إذ عدم النزول من مكان معين لا يستلزم عدمه مطلقاً .

( ٨ ) أن الحديد إنما يكون في المعادن التي في الجبال وهي عالية على الأرض ، وقد قيل إن كل ما كان معدنه أعلى كان حديده أجود ، وأما قوله : ﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ** ﴾ فإن الأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث ولهذا يقال أنزل ولم ينزل ، ثم إن الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض ، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها عند الوطئ وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى ، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى أسفل ، وعلى هذا فيحتمل قوله :﴿ **وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ** ﴾ وجهين :

**أحدهما :** أن يكون المراد الجنس كما هو الظاهر ويكون كقوله :﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ فتكون ( من ) لبيان الجنس .

**الثاني :** أن تكون ( من ) لابتداء الغاية كقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء : ١ ] ، فيكون قد ذكر المحل الذي أنزلت منه وهو أصلاب الفحول .

( ٩ ) أن الله ـ سبحانه ـ ذكر الإنزال على ثلاث درجات :

**أحدها :** إنزال مطلق كقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾ فأطلق الإنزال ولم يذكرمبدأه كقوله : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ [ الزمر : ٦ ] .

**الثانية :** الإنزال من السماء كقوله : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ .

[ الفرقان: ٤٨ ] .

**الثالثة :** إنزال منه كقوله : ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ① ﴾ [ الزمر : ١ ] ، وقوله : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [ فصلت : ٤٢ ] ، وقوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [ النحل :١٠٢ ] .

فأخبر أن القرآن منزل منه ، والمطر منزل من السماء ، والحديد والأنعام منزلان مطلقاً ، وبهذا يظهر تلبيس المعطلة والجهمية والمعتزلة حيث قالوا :

إن كون القرآن منزلاً لا يمنع أن يكون مخلوقاً كالماء والحديد والأنعام حتى غلا بعضهم فاحتج على كونه مخلوقاً بكونه منزلاً ، والإنزال بمعنى الخلق .

**وجوابه :** أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فرق بين النزول منه والنزول من السماء ، فجعل القرآن منزلاً منه ، والمطر منزل من السماء ، وحكم المجرور بمن في هذا الباب حكم المضاف .

## والمضاف إليه ـ سبحانه ـ نوعان :

**أحدهما :** أعيان قائمة بنفسها كبيت الله ، وناقة الله ، وروح الله ، وعبده، فهذا إضافة مخلوق إلى خالقه ، وهي إضافة اختصاص وتشريف .

**الثاني :** إضافة صفة إلى موصوفها كسمعه ، وبصره ،وعلمه، وحياته ،وقدرته ،

وكلامه، ووجهه ،ويديه، ومشيئته ،ورضاه، وغضبه، فهذا يمتنع أن يكون المضاف فيه مخلوقاً منفصلاً بل هو صفة قائمة به سبحانه .

إذا عرف هذا فهكذا حكم المجرور بمن، فقوله : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [ الجاثية : ٤٢ ] ، لا يقتضي أن تكون أوصافاً له قائمة به ، وقوله : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة:١٣]،وقوله:﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢ ] ، يقتضي أن يكون هو المتكلم به وأنه منه بدأ وإليه يعود .

ولَبَّست المعتزلة ولم يهتدوا إلى هذا الفرقان وجعلوا الجميع باباً واحداً وقابلهم طائفة الاتحادية وجعلوا الجميع منه بمعنى التبعيض والجزئية ولم يهتد الطائفتان للفرق .

( ١٠ ) أن الله ـ سبحانه ـ قال :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ الحديد: ١٥ ]، فالكتاب كلامه والميزان عدله فأخبر أنه أنزلهما مع رسوله ثم قال : ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [ الحديد:٢٥] ، ولم يقل وأنزلنا معهم الحديد فلما ذكر كلامه وعدله أخبر أنه أنزلهما مع رسله ولما ذكر مخلوقه الناصر لكتابه وعدله أطلق إنزاله ولم يقيّده بما قيد به إنزال كلامه ، فالمسوي بين الانزالين مخطئ في اللفظ والمعنى . ا هـ. باختصار وتصرف يسير.

**وبقي الكلام على الآيات التي أوردها المؤلف ـ رحمه الله ـ :**

أما الآية الأولى :وهي قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام:١٥٥] .

**فقد قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية (٣٧١ / ٣٧٢)**

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ ﴾ المشار إليه القرآن الكريم .

﴿ كِتَابٌ ﴾ أي : مكتوب لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ ، ومكتوب في الصحف التي بأيدي السفرة ، ومكتوب في المصاحف التي بأيدينا .

وقوله : ﴿ مُبَارَكٌ ﴾ أي : ذو بركة .

فهو مبارك لأنه شفاء لما في الصدور ، إذا قرأه الإنسان بتدبر وتفكر فإنه يشفي

القلب من المرض ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [ الإسراء : ٨٢ ] .

﴿ مُبَارَكٌ ﴾ في اتباعه ، إذ به صلاح الأعمال الظاهرة والباطنة .

﴿ مُبَارَكٌ ﴾ في آثاره العظيمة ، فقد جاهد المسلمون به بلاد الكفر ، لأن الله يقول : ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [ الفرقان : ٥٢ ] .

والمسلمون فتحوا مشارق الأرض ومغاربها بهذا القرآن حتى ملكوها ولو رجعنا إليه لملكنا مشارق الأرض ومغاربها كما ملكها أسلافنا ، ونسأل الله ذلك .

﴿ مُبَارَكٌ ﴾ في أن من قرأه له بكل حرف عشر حسنات فكلمة ( قال ) مثلاً فيها ثلاثون حسنة ، وهذا من بركة القرآن فنحن نحصل خيرات كثيرة لا تحصى بقراءة آيات وجيزة من كلام الله عز وجل .

**والحاصل:** أن القرآن كتاب مبارك ،فكل أنواع البركة حاصلة بهذا القرآن العظيم .

**والشاهد في قوله:** ﴿ وَنُنَزِّلُ ﴾ وثبوت نزوله من الله دليل على أنه كلامه . ا هـ.

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ [ الحشر: ٢١ ] ،

فالشاهد منها قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ ﴾

**وقد قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره عن هذه الآية :**

لما بيَّن تعالى لعباده ما بيَّن وأمر عباده ونهاهم في كتابه العزيز كان هذا موجباً لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه وحثَّهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، أي لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس وأيسرها على الأبدان خالية من التكلف لا تناقض فيها ولا اختلاف ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان وتليق لكل أحد . ا هـ.

**وأما الآية الثالثة وهي قوله تعالى :**

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) ﴾ [ النحل : ١٠٢ - ١٠٣ ] .

**فقد قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه للواسطية (٣٧٥-٣٧٩) :**

فقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ قوله : ﴿ بَدَّلْنَا ﴾ أي جعلنا آية مكان آية وهذا إشارة إلى النسخ المذكور في قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾ [ البقرة : ١٠٦ ] ، فالله - سبحانه وتعالى - إذا نسخ آية جعل بدلها آية ، سواء نسخها لفظاً أو نسخها حكماً .

وقوله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ [١] هذه جملة اعتراضية وهي من أحسن ما يكون في هذا الموضع والمعنى أن تبديلنا للآية بدل الآية ليس سفهاً وعبثاً بل هو صادر عن علم بما يصلح الخلق فنبدل آية مكان آية لعلمنا أن ذلك أصلح للخلق وأنفع لهم .

وفيها أيضاً فائدة أخرى وهي أن هذا التبديل ليس من عمل الرسول - عليه الصلاة والسلام - بل هو من الله أنزله بعلمه وأبدل آية مكان آية بعلمه وليس منك أيها الرسول .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [ يونس : ١٥ ] .

**فما كان الجواب ؟** كان الجواب بأن أجاب عن شيء من كلامهم وترك شيئاً

---

( ١ ) قال العلامة ابن القيم في أقسام القرآن ( ٢٢٤ ) : فقوله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ اعتراض بين الشرط وجوابه أفاد أموراً :

- منها : الجواب عن سؤال سائل : ما حكمة هذا التبديل وما فائدته ؟ .
- ومنها : أن الذي بدل وأتى بغيره منزل محكم نزوله قبل الإخبار بقولهم .
- ومنها : أن مصدر الأمرين عن علمه تبارك وتعالى وأن كلا منهما منزل فيجب التسليم والإيمان بالأول والثاني . ا هـ .

فقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ﴾ [ يونس : ١٥ ] ولم يقل : ولا آتي بقرآن غيره لماذا ؟

لأنه قد يأتي بتبديل من عنده وإذا كان لا يمكنه تبديله فالإتيان بغيره أولى بالامتناع.

فالمهم أن الذي يبدل آية مكان آية سواء لفظها أو حكمها هو الله سبحانه .

قوله : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ﴾ الجملة جواب : ( وإذا ) .

قوله : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ ﴾ الخطاب هنا لمحمد ﷺ .

قوله : ﴿ مُفْتَرٍ ﴾ أي : كذاب ، بالأمس تقول لنا كذا واليوم تقول لنا كذا ، هذا كذب إنما أنت مفتر. لكن هذا القول الذي يقولونه إزاء إتيانه بآية مكان آية هو قول سفه ولو أمعنوا النظر علم اليقين أن الذي يأتي بآية مكان آية هو الله سبحانه، وذلك يدل على صدقه ﷺ ، لأن الكذاب يحذر غاية الحذر أن يأتي بكلام غير كلامه الأول لأنه يخشى أن يطلع على كذبه، فلو كان كاذباً كما يدعون أن ذلك من علامة الكذب ما أتى بشيء يخالف الأول، لأنه إذا أتى بشيء يخالف الأول على زعمهم - تبين كذبه - بل إتيانه بما يخالف الأول دليل على صدقه بلا شك .

ولهذا قال هنا : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ وهذا إضراب إبطالي معناه : بل لست مفترياً ولكن أكثرهم لا يعلمون ، ولو أنهم كانوا من ذوي العلم لعلموا أنه إذا بدلت آية مكان آية فإنما ذلك دليل على صدق الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

قوله تعالى :﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ : ﴿ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ هو جبريل ووصفه بذلك لطهارته من الخيانة - عليه الصلاة والسلام -، ولهذا قال في آية أخرى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) ﴾ [التكوير:١٩-٢٠] .

قوله : ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ قال : ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ ولم يقل : من رب العالمين إشارة إلى الربوبية الخاصة ، ربوبية الله للنبي ﷺ وهي ربوبية أخص الخاصة .

وقوله : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ إما أن يكون وصفاً للنازل أو للمنزول به .

**فإن كان وصفاً للنازل فمعناه** : أن نزوله حق وليس بكذب .

**وإن كان وصفاً للمنزول به فمعناه** : أن ما جاء به فهو حق .

وكلاهما مراد فهو حق من عند الله ونازل بالحق .

قال تعالى : ﴿ **وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ** ﴾ [ الإسراء : ١٠٥ ] . .

فالقرآن حق وما نزله به حق .

قوله : ﴿ **لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ هذا تعليل وثمرة عظيمة يثبت الله الذين آمنوا به ويمكنهم من الحق ويقويهم عليه .

قوله تعالى : ﴿ **وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ** ﴾ أي : هدى يهتدون به ومناراً يستنيرون به وبشارة لهم يستبشرون به ، بشارة لأن من عمل به واستسلم له كان ذلك دليلاً على أنه من أهل السعادة ، قال الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ** ⑤ **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ** ⑥ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ** ⑦ ﴾ [ الليل : ٥-٧ ] .

ولهذا ينبغي للإنسان أن يفرح إذا رأى من نفسه الخير والثبات عليه والاقبال عليه يفرح لأن هذه بشارة له . . . إلى أن قال ـ رحمه الله ـ :

قوله : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾ قال : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ** ﴾ ولم يقل : ( لقد علمنا ) لأن قولهم هذا يتجدد فكان التعبير في المضارع أولى من التعبير بالماضي لأنه لو قال : ( لقد علمنا ) لتبادر إلى ذهن بعض الناس أن المعنى : علمنا أنهم قالوا ذلك سابقاً لا أنهم يستمرون عليه .

**وسبب نزول هذه الآية** : أن قريشاً قالت : إن هذا القرآن الذي يأتي به محمد ليس من عند ربه وإنما هو من شخص يعلمه ويقص عليه من قصص الأولين ويأتي ليقول لنا هذا من عند الله ؟ أعوذ بالله ؟ .

ادَّعوا أنه كلام البشر، والعجيب أنهم يدَّعون أنه كلام بشر، ويقال لهم ائتوا بمثله ولا يستطيعون ، وقد أبطل الله افتراءهم هذا بقوله تعالى : ﴿ **لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ** ﴾ ومعنى ﴿ **يُلْحِدُونَ** ﴾ أي : يميلون لأن قولهم هذا ميل عن الصواب بعيد

عن الحق .

والأعجمي هو الذي لا يفصح بالكلام وإن كان عربياً والعجمي بدون همزة : هو المنسوب إلى العجم وإن كان يتكلم بالعربية .

فلسان هذا الذي يلحدون إليه أعجمي لا يفصح بالكلام العربي .

وأما القرآن فإن الله قال فيه :﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ بَيِّنٌ في نفسه مُبَيِّنٌ لغيره .

فالقرآن كلام عربي وهو أفصح الكلام كيف يأتي من هذا الرجل الأعجمي الذي لسانه لا يفصح بالكلام ؟ .

والشاهد هو قوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ وقوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ وقوله :﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ .

وكل هذه تدل على أن القرآن كلام الله تعالى منزل من عنده . ا هـ.

## وقولـــه :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [ القيامة : ٢٢-٢٣ ] ، ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) ﴾ [ المطففين : ٢٣ ] ، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [ يونس : ٢٦ ] ، ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾ [ ق : ٣٥ ] .

أورد المؤلف هذه الآيات لإثبات أصل من أعظم أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة وهو إثبات رؤية المؤمنين لربهم - سبحانه وتعالى - يوم القيامة .

**وقد عقد العلامة ابن القيم باباً لإثبات الرؤية في كتابه حادي الأرواح (٢٥٨/٢٩٩) ذكر فيه الآيات والأحاديث والآثار الدالة على ذلك وقال في مطلع الباب:**

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلُّها قدراً وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السُّنَّة والجماعة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون، إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم، وحرمانه والحجاب عنه لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم.

اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون ، والجهمية المتهوكون ،والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون ، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون ، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله ﷺ ، عاكفون وللسُّنَّة وأهلها محاربون ، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون . ا هـ.

**وقد دل على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة :**

القرآن الكريم في آيات كثيرة منها ما ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ .

السُّنَّة المتواترة كما نص على ذلك جمع (١) من أهل العلم وقد قيل نظماً :

---

( ١ ) منهم ابن تيمية كما في مجموع الفتاوي ( ٦ / ٤٦٩ ) ، وابن القيم في حادي الأرواح ( ٢٦٨ ) .

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهذي بعض

ومنها ما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سأله ناس : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : ( **هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر** ؟ ، قالوا : لا يا رسول الله . **قال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب** ؟ ، قالوا : لا ، **قال فإنكم ترونه كذلك** ) . الحديث .

ومنها ما في الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال : كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال : ( **إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع -الشمس وقبل الغروب فافعلوا ، ثم قرأ قوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾** [ طه : ١٣٠ ] .

**وأما الإجماع فقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السُّنَّة (٢/٣١٥) :**
رؤية ينكرها الجهمية والمعتزلة والخوارج ، وقدماء الإمامية يثبتونها وجمهور متأخريهم ينفونها، وأما الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ؛ كمالك والثوري والأوزاعي والليث والشافعي وأحمد وإسحاق وأبو حنيفة وأبو يوسف، وأمثال هؤلاء وسائر أهل السُّنَّة والحديث والطوائف المنتسبة لأهل السُّنَّة ، كالكرامية والأشعرية والسالمية وغيرهم ، متفقون على إثبات الرؤية على ما جاءت الأحاديث بها متواترة عن رسول الله ﷺ عند أهل العلم بحديثه ، وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان .

وقد ذكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يُرى في الآخرة بالأبصار، ومتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينيه ولم يتنازعوا من ذلك إلا في رؤيته ﷺ لربه خاصة، فمنهم من نفى رؤيته بالعين في الدنيا ومنهم من أثبتها، والمقصود نقل إجماع

السلف على إثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا إلا الخلاف في رسول الله ﷺ . ا هـ.

**وقال شيخ الاسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٥١٢ ) :**

أجمع سلف الأمة على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة ، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم ،ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ وثبت عنه في الصحيح أنه قال : ( **اعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت** ) ومن قال من الناس إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو مبتدع ضال مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى ، فإن هؤلاء يستتابون ، فإن تابوا وإلا قتلوا ، والله أعلم . ا هـ.

## وأما دلالة العقل على الرؤية :

**فقد قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ( ٢٠١ ) :**

ثبت بالعقل إمكان رؤية الله تعالى وبالشرع وقوعها في الآخرة، فاتفق الشرع والعقل على إمكان الرؤية ووقوعها ، فإن الرؤية أمر وجودي لا يتعلق إلا بموجود ، وما كان أكمل وجوداً كان أحق أن يُرى، فالباري - سبحانه - أحق أن يُرى من كل ما سواه ، لأن وجوده أكمل من وجود ما سواه ، يوضحه أن تعذر الرؤية إما لخفاء المرئي وإما لآفة وضعف من الرائي ،والرب تعالى أظهر من كل موجود وإنما تعذرت رؤيته في الدنيا لضعف القوة الباصرة عن النظر إليه ،فإذا كان الرائي في دار البقاء كانت قوة البصر في غاية القوة ،لأنها دائمة فقويت على رؤيته تعالى، والرؤية المعقولة عند جميع بني آدم عربهم وعجمهم أن يكون المرئي مقابلاً للرائي مواجهاً له بائناً عنه ، ولا تعقل الأمم رؤية غير ذلك ،وقد دل العقل الصريح أنهم إنما يرونه من فوقهم . ا هـ.

## أقسام الناس في الرؤية :

**انقسم الناس في الرؤية إلى ثلاثة أقسام :**

**الأول :** الصحابة والتابعون وأئمة المسلمين قالوا : إن الله يُرى في الآخرة بالأبصار

عياناً ولا يراه أحد في الدنيا بعينه .

**الثاني :** قول الجهمية والمعتزلة ومن جرى مجراهم إن الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة .

**الثالث :** قول بعض المتصوفة إنه يُرى في الدنيا والآخرة .

فهناك من غلا في الإثبات ، وهناك من غلا في النفي ، وهناك من توسط ، وانظر - إن شئت - مجموع الفتاوى ( ٢ / ٣٣٦-٣٣٧ ) .

**وقد استدل المؤلف - رحمه الله - بعدة آيات من القرآن على إثبات الرؤية :**

الآية الأولى : قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ .

« قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾ يعني بذلك اليوم الآخر .

قوله : ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ أي حسنة من النضارة بالضاد وهي الحسن يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) ﴾ [ الإنسان : ١١ ] ، أي حسناً في وجوههم وسروراً في قلوبهم .

وقوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ بالظاء من النظر وهنا عدي النظر بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ الدالة على الغاية وهو نظر صادر من الوجوه ، والنظر الصادر من الوجوه يكون بالعين بخلاف النظر الصادر من القلوب فإنه يكون بالبصيرة والتدبر والتفكر ، فهنا صدر النظر من الوجوه إلى الرب - عز وجل - لقوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا ﴾ .

**فتفيد الآية الكريمة :** أن هذه الوجوه الناظرة الحسنة تنظر إلى ربها عز وجل فتزداد حسناً إلى حسنها ، وانظر كيف جعل هذه الوجوه مستعدة متهيئة للنظر إلى وجه الله - عز وجل - لكونها نضرة حسنة متهيئة للنظر إلى وجه الله » .

**وقد أورد العلامة ابن القيم - رحمه الله - هذه الآية في كتاب حادي الأرواح ( ٢٦٧ ) في أدلة إثبات الرؤية ثم قال :**

وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها ، والكذب على المتكلم بها - سبحانه - فيما أراده منها وجدتها منادية نداءً صريحاً أن الله - سبحانه - يُرى عياناً

بالأبصار يوم القيامة ... إلى أن قال : وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام عن قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾ خلاف حقيقته وموضوعه صريح في أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله ، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه :

فإن عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : ﴿ انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ [الحديد : ١٣] .

وإن عدي بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [ الأعراف : ١٨٥ ] .

وإن عدي بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار ، كقوله : ﴿ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [الأنعام : ٩٩ ] ، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر ؟ !

عن الحسن قال : نظرت إلى ربها ـ تبارك وتعالى ـ فنضرت بنوره .

وعن ابن عباس : ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال : تنظر إلى وجه ربها عز وجل .

وقال عكرمة : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ قال : من النعيم ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ قال : تنظر إلى ربها نظراً حتى حكى عن ابن عباس مثله ، وهذا قول كل مفسر من أهل السُّنَّة والحديث . اهـ.

وأما قوله تعالى : ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ المطففين : ٢٣ ] .

**فقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٤ / ٦٢٦ ) :**

﴿ الأَرَائِكِ ﴾ : السرر تحت الحجال .

﴿ يَنظُرُونَ ﴾ : قيل : معناه : ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقص ولا يبيد وقيل :معناه ﴿ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴾ إلى الله ـ عز وجل ـ وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين : ١٥ ] ، فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله ـ عز وجل ـ وهم على

سررهم وفرشهم . اهـ.

وأما قوله تعالى : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [ يونس : ٢٦ ] .

**فقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٢ / ٥٤٥ ) :**

يخبر تعالى أن لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان ، والعمل الصالح : الحسنى في الدار الآخرة كقوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) ﴾ [الرحمن: ٦٠] وقوله : ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وزيادة على ذلك أيضاً، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنات من القصور والحور والرضا عنهم وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه لا يستحقونها بأعمالهم بل بفضله ورحمته. وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف . اهـ.

وأما قوله تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥) ﴾ [ ق : ٣٥ ] .

قوله : ﴿ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا ﴾ أي للمؤمنين في الجنة ما يشاءون مما يتنعمون به كقوله تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) ﴾ [الزخرف: ٧١] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) ﴾ [ فصلت : ٣١ ] .

وقوله : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ أي زيادة على ذلك وهو النظر إلى وجه الله الكريم .

**أدلة نفاة الرؤية :**

**إستدل نفاة الرؤية من المعتزلة والجهمية ومن قال بقولهم بما يلي :**

( ١ ) قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ [ الأنعام: ١٠٣ ] ،

قالوا : وهذا نفي للرؤية .

**وقد أجاب علماء أهل السُنَّة عن هذا فقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في منهاج السُنَّة ( ٢ / ٣١٣ ) :**

والآية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية المقيّدة بالإحاطة .

والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئاً يقال : أنه أدركه، كما لا يقال : أحاط به ، كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال : ألست ترى السماء ؟ ، قال : بلى ، قال : أكلها : قال : لا .

ومن رأى جوانب الجيش والبستان والمدينة لا يقل أنه أدركها .

فالمستدل بالآية عليه أن يبيِّن أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية وهذا لا سبيل إليه ، كيف وبين لفظ الرؤية والإدراك عموم وخصوص، فقد تقع رؤية بلا إدراك وإدراك بلا رؤية، فإن الإدراك يستعمل في إدراك العلم، فقد يدرك الشيء بالقدرة وإن لم يُشاهد ، كالأعمى الذي طلب رجلاً هارباً منه فأدركه ولم يره.

وقد قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴿٦١﴾ **قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ** ﴿٦٢﴾ ﴾ [ الشعراء : ٦١-٦٢ ] ، فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي، فعليه فقد تكون الرؤية بلا إدراك . . . وإذا انتفى الإدراك فقد تنتفي إحاطة البصر أيضاً .

ومما يدل على ذلك أن الله ذكر هذه الآية يمدح نفسه ، ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح لأن النفي المحض لا يكون مدحاً . ا هـ.

**وقال الإمام أبو محمد بن حزم في (الفصل في الملل والأهواء والنحل)(٣ / ٢) :**

واحتجت المعتزلة بقوله ـ عز وجل ـ : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك عندنا في اللغة معنى زائد على النظر وهو معنى الإحاطة ليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على

كل حال في الدنيا والآخرة ، برهان ذلك قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ ففرق الله ـ عز وجل ـ بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ﴾ وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام لهم : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ فأخبر تعالى أنه رأى أصحاب فرعون بني إسرائيل ولم يدركوهم، ولا شك في أن ما نفاه الله تعالى غير الذي أثبته ، فالإدراك غير الرؤية والحجة لقولنا هو قول الله تعالى . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في حادي الأرواح ( ٢٢٩ ) :**

فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية ولم يريدوا بقولهم : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ إنا لمرئيون فإن موسى عليه السلام نفى إدراكهم إياهم بقوله : ﴿ كَلَّا ﴾ وأخبر الله ـ سبحانه ـ أنه لا يخاف دركهم بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ [ طه :٧٧ ] .

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يُعلم ولا يُحاط به ، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من بعدهم من الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ لا تحيط به الأبصار وقال قتادة : هو أعظم من أن تدركه الأبصار ، وقال ابن عطية : ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره محيط بهم . ا هـ.

**قلت : خلاصة الجواب عما استدلوا به يتلخص فيما يلي :**

( ١ ) أن الآية الكريمة حجة عليهم لا لهم وذلك أنه ما استدل مبطل بدليل صحيح ليقوي به باطله إلا كان دليله حجة عليه لا له .

( ٢ ) أن تفسير الإدراك بالرؤية مخالف للغة العرب .

( ٣ )أن الرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه،فالرب تعالى يُرى ولا يُدرك، كما يُعلم ولا يُحاط به، وهذا الذي فهمه الصحابة ومن بعدهم من الآية .

( ٤ ) أن الآية فيها إثبات الرؤية لكن بدون إحاطة ، ولذلك مدح الله نفسه بذلك ، ومعلوم أن كون الشيء لا يُرى ليس صفة مدح لأن النفي المحض لا يكون مدحاً .

( ٥ ) لو سلمنا جدلاً أنه ليس في هذه الآية دليل على إثبات الرؤية فهناك أدلة أخرى من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل تدل على ذلك ، وانتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول المعين .

( ٦ ) قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

قالوا : إن ﴿ لَن ﴾ تفيد النفي المؤبد بدليل أنه ـ سبحانه ـ علق الرؤية باستقرار الجبل والجبل لم يستقر .

**وقد أجاب أهل السُّنَّة عليهم بعدة أجوبة منها :**

أ ـ أن قولهم إن ( لن تفيد النفي المؤبد ) كذب على اللغة ، فقد قال ابن مالك في ألفيته :

ومن رأى النفي بلن مؤبداً ... فقوله اردد وخلافه اعضدا

**وقال صاحب النحو الوافي (٢٨١/٤) :**

﴿ لَن ﴾ حرف يفيد النفي بغير دوام ولا تأبيد إلا بقرينة خارجية عنه ، فإذا دخل على المضارع نفى معناه في الزمن المستقبل المحض يكون غالباً نفياً مؤقتاً يقصر ويطول من غير أن يدوم ويستمر فمن يقول : لن أسافر أو لن أشرب فإنما يريد نفي السفر أو غيره في قابل الأزمنة مدة معينة يعود بعدها إلى السفر ونحوه إن شاء ولا يريد النفي الدائم المستمر في المستقبل إلا إن وجدت قرينة مع الحرف ﴿ لَن ﴾ تدل على الدوام والاستمرار . ا هـ.

**قلت :** ومما يدل على ذلك قوله تعالى عن مريم - عليها السلام - ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [ مريم : ٢٦ ] ، فلو كانت ﴿ لَن ﴾ هنا لتأبيد النفي لوقع التعارض بينها وبين كلمة ( اليوم ) لأن اليوم محدد معين وهي غير محددة ولا معينة .

ولو كانت ﴿ لَن ﴾ تفيد النفي المؤبد بنفسها لكان ذكر التأبيد بعدها لغو لا فائدة منه كما في قوله تعالى ﴿ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ [ البقرة : ٩٤ - ٩٥ ] ، ومع أن ﴿ لَن ﴾ ذكر بعدها التأبيد إلا أنها لا تدل عليه في هذا الموضع إلا في الدنيا لقوله تعالى عن أهل النار : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ [ الزخرف : ٧٧ ] ، ومما يدل على أنها لا تفيد التأبيد المطلق : تحديد الفعل بعدها .

قال تعالى عن ابن يعقوب : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ [ يوسف : ٨٠ ] .

**ب- قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في حادي الأرواح ( ٢٥٩-٢٦٠ ) إن هذه الآية من أدلة إثبات الرؤية وبيان الدلالة منها من وجوه عديدة :**

**أحدها :** أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال ، فيا لله العجب صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية أعلم بالله تعالى من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهاً له منه ؟ ! .

**الوجه الثاني :** أن الله - سبحانه وتعالى - لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه ، ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه - تبارك وتعالى - أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه، ولما سأل نوح نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ۝ ﴾ [ هود : ٤٦-٤٧ ] .

**الوجه الثالث :** أنه أجاب بقوله : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ ولم يقل : ( لا تراني ) ولا : ( إني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي ) والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله وهذا يدل

على أنه - سبحانه وتعالى - يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

**الوجه الرابع :** وهو قوله :﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف .

**الوجه الخامس :** أن الله - سبحانه وتعالى - قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته .

**الوجه السادس :** قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته - تبارك وتعالى - فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأولياءه في دار كرامته ويريهم نفسه ؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف .

**الوجه السابع :** أن ربه - سبحانه وتعالى - قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يُسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم ، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فانكروا أنه يكلم أحداً أو يراه أحدٌ ، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَن تَرَانِي ﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي، ولو قيّدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت ؟،قال تعالى : ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾ مع قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ . ا هـ.

ولو سلمنا جدلاً أنه لا دلالة في هذه الآية على إثبات الرؤية - وليس كذلك - فقد سبق أن الكتاب والسُّنَّة المتواترة والإجماع والعقل قد دلّت على إثبات الرؤية ، فانتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول المعين .

**شبهـــة :**

**من شبه المعطلة للرؤية أن قالوا :** ( إن أهل السُّنَّة شبهوا الله بالقمر حيث استدلوا بحديث جرير بن عبد الله ، أن رسول الله ﷺ قال : **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر . .** ) .

**والجواب :** أن التشبيه ليس للمرئي بالمرئي وإنما هو تشبيه للرؤية بالرؤية .

**قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه على صحيح مسلم ( ٥ / ٢٧٣ ) :**

أي ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة ، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٠٧ ) :**

وقال ﷺ : «**إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**» فشبه الرؤية بالرؤية ، وإن لم يكن المرئي مشبهاً للمرئي . ا هـ. وانظر : ( ٥ / ١٧٥ ) .

**قلت :** ووجه ذلك أن الكاف في قوله ( كما ) داخلة على مصدر مقدر وتقديره : كرؤيتكم هذا القمر .

**ووجه تشبيه الرؤية بالرؤية من عدة جهات :**

( ١ ) من جهة أن القمر يُرى من فوق والله - سبحانه وتعالى - يراه المؤمنون من فوقهم .

**قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٠٧ ) :**

فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه ، كل يراه فوقه قبل وجهه ، كما يُرى الشمس والقمر . ا هـ.

( ٢ ) أن الله يُرى يوم القيامة بالأبصار كما أن الشمس والقمر ترى بالأبصار .

( ٣ ) أن المؤمنين لا يتضررون برؤيتهم لله يوم القيامة ، كما أنهم لا يتضررون برؤية

القمر لقول رسول الله ﷺ : ( **لا تضارون** ) .

( ٤ ) أن المؤمنين لا يزدحمون عند رؤيتهم لله يوم القيامة كما أنهم لا يزدحمون عند رؤيتهم للشمس والقمر لقوله ﷺ : ( **لا تضامون** ) بفتح أوله والتشديد .

( ٥ ) أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة ولا يحصل لهم ضيم كما أنهم يرون القمر ولا يحصل لهم ضيم لقوله ﷺ : ( **لا تضامون** ) بضم أوله مخففاً .

## وهذا الباب في كتاب الله كثير
## " ومن تدبر القرآن طالباً للهدى منه تبين له طريق الحق »

**قوله - رحمه الله - : (وهذا الباب في كتاب الله كثير) .**

أي باب الأسماء والصفات لأن حاجة الناس إلى معرفة ربهم فوق كل حاجة .

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في درء تعارض العقل والنقل (٣ / ٣٣٠ ) :**

ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه . ا هـ.

وقوله : ( ومن تدبر القرآن طالباً الهدى منه تبين له طريق الحق ) .

**قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرحه للواسطية ( ٣٩٠ ) :**

**تدبر الشيء :** التفكر فيه كأن الإنسان يستدبره مرة بعد مرة ويستقبله أخرى فهو يكرر اللفظ ليفهم المعنى ، فالذي يتدبر القرآن بهذا الفعل ، وأما النية فهي أن يكون طالباً للهدى منه فليس قصده بتدبر القرآن أن ينتصر لقوله أو أن يتخذ منه مجادلة بالباطل ولكن قصده طلب الحق فإنه سوف تكون النتيجة قول المؤلف : ( تبين له طريق الحق ) وما أعظمها من نتيجة لكنها مسبوقة بأمرين التدبر وحسن النية بأن يكون الإنسان طالباً للهدى من القرآن فحينئذ يتبين له طريق الحق . ا هـ.

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في درء تعارض العقل والنقل (١٠٢/٥) :**

وذلك أن الكتاب والسُّنَّة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه وقصد اتباع الحق وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه والإلحاد في أسماء الله وآياته . ا هـ.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) ﴾ [ طه : ١٢٣-١٢٦ ] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [ الإسراء : ٩ ] .

وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [ الشورى : ٥٢ ] .

وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ [ ص : ٢٩ ] .

**ورحم الله ابن القيم إذ قال في نونيته :**

فتدبر القرآن إن رمت الهدى ... فالعلم تحت تدبر القرآن

# فصـــل

**ثم في سنة رسول الله ﷺ فالسّنة تفسر القرآن وتبينه ، وتدل عليه وتعبر عنه وما وصف الرسول به ربه -عز وجل-من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك .**

أورد شيخ الإسلام هذا الفصل ليبيّن منزلة السُّنَّة وأن ما صح عن رسول الله ﷺ من الأحاديث في باب الاعتقاد في الأسماء والصفات أو غيرها من أبواب الاعتقاد سواء كانت تلك الأحاديث متواترة أو آحاداً فإننا نثبت ما دلت عليه خلافاً لأهل البدع من المعتزلة ومن جرى مجراهم .

**وقد سبق أن السُّنَّة في اللغة :** هي الطريقة محمودة كانت أو مذمومة .

**وأنها في الإصطلاح :** أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته .

ويدخل في هذا الواجب والمستحب ، فالسُّنَّة بالمفهوم العام أعم منها عند الفقهاء والأصوليين .

والناظر في القرآن إنما ينظر إليه من جهة دلالته لا من جهة ثبوته فهو قطعي الثبوت إجماعاً ، فوصوله إلينا كان بنقل الكافة عن الكافة .

**وأما السُّنَّة فننظر إليها من جهتين :**

**الأولى :** من جهة الثبوت لأن منها الصحيح والضعيف .

**الثانية :** من جهة الدلالة .

**وقول شيخ الإسلام :** ( فالسُّنَّة تفسر القرآن وتبينه ، وتدل عليه وتعبر عنه ) .

**قال شيخ الإسلام نفسه كما في مجموع الفتاوى ( ١٧ / ٤٣٢ ) :**

وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين أن السُّنَّة تفسر القرآن وتبيّنه وتدل عليه وتعبر عن مجمله وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر. ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في درء تعارض العقل والنقل ( ٢ / ١٤٦ ) :**

والأحاديث جاءت في هذا الباب كما جاءت الآيات مع زيادة تفسير في الحديث كما أن أحاديث الأحكام تجئ موافقة لكتاب الله مع تفسيرها لمجمله ومع ما فيها من الزيادات التي لا تعارض القرآن ، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل على نبيه الكتاب والحكمة . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في إعلام الموقعين ( ٢ / ٢٨٨ ) :**

**والسنة مع القرآن على ثلاثة أوجه :**

( ١ ) أن تكون موافقة له من كل وجه ، فيكون توارد القرآن والسُّنَّة على الحكم الواحد من باب توارد الأدلة وتظافرها .

( ٢ ) أن تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له .

( ٣ ) أن تكون موجبة لحكم سكت القرآن على إيجابه ، أو محرمة لما سكت عن تحريمه . ا هـ.

**ثم أوضح ـ رحمه الله ـ أقسام بيان السُّنَّة للقرآن ، فقال في إعلام الموقعين ( ٢ / ٢٩٥ ) :**

**وبيان الرسول على أقسام :**

( ١ ) بيان نفس الوحي بظهوره على لسانه بعد أن كان خفياً .

( ٢ ) بيان معناه وتفسيره لمن احتاج ذلك كما في الظلم المذكور في قوله ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢ ] ،وكبيانه للحساب اليسير بأنه العرض .

( ٣ ) بيانه بالفعل كما بيّن أوقات الصلاة للسائل بفعله .

( ٤ ) بيان ما سئل عنه من الأحكام التي ليست في القرآن فنزل القرآن ببيانها كما سئل عن قذف الزوجة فجاء القرآن باللعان ونظائره .

( ٥ ) بيانه للأحكام بالسُّنَّة ابتداءً من غير سؤال كما حرم عليهم لحوم الحُمر والمتعة وصيد المدينة ونكاح المرأة على خالتها أو عمتها .

( ٦ ) بيان جواز الشيء بإقراره لهم على فعله وهو يشاهده أو يعلمهم يفعلونه .

( ٧ ) أن يحكم القرآن بإيجاب شيء أو تحريمه أو إباحته ، ويكون لذلك الشيء شروط وموانع وقيود وأوقات مخصوصة وأحوال وأوصاف ، فبيَّن ذلك رسول الله ﷺ . اهـ.

**وقول المؤلف ـ رحمه الله ـ :** ( وما وصف به الرسول ربه ـ عز وجل ـ من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك ) .

سبق أن المؤلف أشار إلى الرد على المعتزلة ومن جرى مجراهم الذين لا يثبتون العقائد بأحاديث الآحاد وإن كانت أسانيدها كالشمس في وضح النهار ، ولو رويت بأصح الأسانيد، أما أهل السُّنَّة فمتى توفرت في الحديث شروط الصحة فإنهم يثبتون ما دل عليه من العقائد ويسلمون بما جاء فيه، ولا يعارضون ذلك بعقولهم بل يقولون : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [ النور : ٥١ ] .

وقد روى الإمام أحمد وأبو داوود بسند صحيح عن المقداد بن معد يكرب أن رسول الله ﷺ قال : ( **ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السبع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، فإن لم يقروه فله أن يغصبهم بمثل قراه** ) .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٤٤٥ ) :**

**قال أبو العباس بن شريح :** وقد صح عن جميع أهل الديانة والسُّنَّة إلى زماننا أن جميع الآثار والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ في الصفات يجب على المسلم الإيمان بها، وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة مثل قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝ ﴾ [ طه : ٥ ] ، ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ ﴾ [ الفجر : ٢٢ ] .

ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية والنفس واليدين والسمع والبصر وصعود الكلام الطيب إليه والضحك والتعجب والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ص ٤٤٦ : قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ :**

أهل السُّنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز لأنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك . ا هـ.

**ثم قال :** وقال الخلال : أخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم قال : سألت أبا عبدالله عن الأحاديث التي تروى أن الله ـ عز وجل ـ ينزل إلى سماء الدنيا وأن الله يُرى وأن الله يضع قدمه وما أشبه ذلك فقال : أبو عبد الله نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى ولا نرد منها شيئاً ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح . ا هـ.

فمن ذلك مثل قوله ﷺ : ( **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له** ) متفق عليه .

بعد أن بيَّن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ أن من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ومن ذلك إثبات الأسماء والصفات الواردة في كتاب الله والسُّنَّة الصحيحة، وبيَّن أن السُّنَّة تبين القرآن وتأتي بأمور زائدة على ما في القرآن ومنها الأسماء والصفات، فقد ثبت بالسُّنَّة من الأسماء والصفات ما ليس في القرآن، ومنها صفة النزول وفيها عدة مباحث :

# المبحث الأول

**دليل إثبات صفة النزول لله - سبحانه وتعالى - على الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله بلا تمثيل عملاً بقوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ .**

وقد دل على إثبات نزول الله إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل السُّنَّة المتواترة والإجماع .

أما كون السُّنَّة في ذلك متواترة ، فقد قال شيخ الإسلام كما في شرح حديث النزول ( ١٠٢ / ١٠٣ ) : حديث النزول متواتر . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم كما في مختصر الصواعق المرسلة : ( ٤٣٠ ) :**

وتواترت الرواية عن رسول الله ﷺ بنزول الرب ـ تبارك وتعالى ـ كل ليلة إلى سماء الدنيا . ا هـ.

**وقال ص : ( ٤٢٣ ) :** إن نزول الرب ـ تبارك وتعالى ـ إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ رواه عنه نحو ثمانية وعشرون نفساً من الصحابة . ا هـ.

**وقال اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ( ٣ / ٤٣٤ ) :**

سياق ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب ـ تبارك وتعالى ـ رواه عن النبي ﷺ عشرون نفساً . ا هـ.

وأما إجماع سلف الأمة على إثبات صفة النزول ، فقد سئل شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ عن رجلين أحدهما مثبت للنزول ومستدل بالحديث الوارد في ذلك والآخر ناف للنزول كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ٣٢٢ ) فقال :

الحمد لله رب العالمين ، أما القائل الأول الذي ذكر نص النبي ﷺ فقد أصاب فيما قال،فإن هذا القول الذي قاله قد استفاضت به السُّنَّة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسُّنَّة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول . ا هـ.

ونقل ـ رحمه الله ـ كما في ( ٥ / ٥٧٨ ) عن أبي عمرو الطلمنكي قوله : وأجمعوا

على أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء. اهـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في (٥ / ٣٩٣):**

وروى ـ أبو عثمان النيسابوري ـ عن حرب قال: هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الحديث والأثر وأهل السُّنَّة المعروفين بها وهو مذهب أحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية والحميدي وغيرهم، كان قولهم: إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. اهـ.

## المبحث الثاني

أن أهل السُّنَّة لا يكيفون نزول الله سبحانه وتعالى ، ولا يمثلونه بنزول خلقه ، وقد سبق قريباً أن أئمة العلم وأصحاب الحديث والأثر يثبتون نزول الله كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء وكما شاء .

**وقد قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٢٨٩):**

باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ في نزول الرب ـ جل وعلا ـ إلى السماء الدنيا كل ليلة نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل، والله ـ جل وعلا ـ لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول.

وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله ـ جل وعلا ـ فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ ، وأنه ينزل إليه إذ محال في لغة العرب أن يقول : نزل من أسفل إلى أعلى ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل. اهـ.

**وقد نقل العلامة ابن القيم عن ابن عبد البر كما في مختصر الصواعق (٤٤٦) قوله:** أهل السُّنَّة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسُّنَّة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز وأنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك. اهـ.

**وقال الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ في خلق أفعال العباد ص ١٧ :**

**قال الفضيل بن عياض:** إذا قال لك الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه ، فقل أنت : أؤمن برب يفعل ما يشاء. اهـ.

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في مختصر الصواعق ( ٤٤٦ ) :**

قال أبو عبد الله الحاكم : سمعت أبا زكريا العنبري يقول : سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول : سمعت أحمد بن سعيد الرابطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر إسحاق ـ يعني ابن راهوية ـ فسئل عن حديث النزول أصحيح هو ؟ قال : نعم .

فقال له بعض قواد الأمير عبد الله : يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟ ، قال : نعم. قال : كيف ينزل ؟

قال له إسحاق : أثبته فوق حتى أصف لك نزوله فقال الرجل : أثبته فوق ، فقال له إسحاق :قال الله جل شانه : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [ الفجر:٢٢ ] . فقال الأمير عبد الله بن طاهر هذا يوم القيامة ، فقال إسحاق : أعز الله الأمير ومن يجئ يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟ . ا هـ.

## المبحث الثالث

أن صفة النزول صفة فعليه على الوجه اللائق بعظمة الله ـ جل جلاله ـ لا تستلزم حدوثاً ولا مماثلة للخلق ، وقد ذكر العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص ( ١٩٢ ) : أن في القرآن عشرة آلاف ، دليل على إثبات أفعال الله الاختيارية . ا هـ.

**قلت :** وفي السُّنَّة مثل ذلك أو أكثر والله أعلم .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ٥٧٧ ) :**

والقول المشهور عند أهل السُّنَّة والحديث هو الإقرار بما ورد به الكتاب والسُّنَّة من أنه ـ سبحانه ـ يأتي وينزل وغير ذلك من الأفعال اللازمة . ا هـ.

# المبحث الرابع

الجواب عن المعطلة من المعتزلة والأشاعرة ومن جرى مجراهم الذين قالوا إن النزول المضاف إلى الله مجاز عن نزول أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته وأن معنى النزول مطلق الوصول .

**وقد أجاب عنهم أهل السنَّة بما يلي :**

( ١ ) أن ما ذكروه من مجاز النزول وأنه مطلق الوصول لا يعرف في كتاب ولا سُنَّة ولا لغة ولا شرع ولا عرف ولا استعمال، فلا يقال لمن صعد إليك في سلم : أنه نزل إليك ، ولا لمن جاءك من مكان مستو : نزل ، ولا يقال : نزل الليل والنهار إذا جاء وذلك جديد ولغة غير معروفة .

( ٢ ) أنه لو عرف استعمال ذلك بقرينة لم يكن موجباً لإخراج اللفظ عن حقيقته حيث لا قرينة .

( ٣ ) أن هذا يرفع الأمان والثقة باللغات ويبطل فائدة التخاطب إذ لايشاء السامع أن يخرج اللفظ عن حقيقته إلا وجد إلى ذلك سبيلاً . انظر: مختصر الصواعق ص ٤٢٢-٤٢٣ .

( ٤ ) أن الخبر وقع عن نفس ذات الله تعالى لا عن غيره ، فإنه قال : (**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا** ) فهذا أخبر عن معنى لا عن لفظ والمخبر عنه هو مسمى هذا الاسم العظيم – الله – .

( ٥ ) أن قوله : ( **من يسألني فأعطيه ، ومن يستغفرني فأغفر له** ) إذا ضممت هذا القول إلى قوله : ( **ينزل ربنا إلى سماء الدنيا** ) وإلى قوله : ( **فيقول** ) وإلى قوله : ( **لا أسأل عن عبادي غيري** ) علمت أن هذا مقتضى الحقيقة لا المجاز .

( ٦ ) أن أعلم الخلق بالله وأنصحهم للأمة وأقدرهم على العبارة التي لا توقع لبساً قد صرَّح بالنزول مضافاً إلى الرب في جميع الأحاديث،ولم يذكر في موضع واحد ما

ينفي الحقيقة بل يؤكدها ، فلو كانت إرادة الحقيقة باطلة وهي منفية لزم القدح في علمه أو نصحه أو بيانه . انظر مختصر الصواعق ( ٤٢٥ ) .

**أما قولهم : إنه ينزل أمره أو رحمته أو ملك من ملائكته فباطل من وجوه إضافة إلى ما سبق :**

( ١ ) أن نزول الملائكة في كل وقت وليس مختصاً بالثلث الأخير من الليل ، ثم إن منتهى نزول الملائكة إلى الأرض وليس إلى السماء الدنيا فحسب ، فالملائكة لا يختص نزولهم لا بهذا الزمان ولا بهذا المكان .

( ٢ ) أن في الحديث أنه ينزل إلى السماء الدنيا ثم يقول : ( **لا أسأل عن عبادي غيري** ) ومعلوم أن هذا كلام الله الذي لا يقوله غيره .

( ٣ ) أنه قال : «**ينزل إلى السماء الدنيا فيقول :من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ ، من ذا الذي يسألني فأعطية ؟ ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ؟ ، حتى يطلع الفجر**» ، ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل سؤاله إلا الله ، وأمره ورحمته لا تفعل شيئاً من ذلك .

( ٤ ) أن نزول أمره ورحمته لا يكون إلا منه وحينئذ فلا يقتضي أن يكون هو فوق العالم فنفس تأويله يبطله مذهبه ، ولهذا قال بعض النفاة لبعض المثبتين : ينزل أمره ورحمته فقال له المثبت فممن ينزل ؟ ، ما عندك فوق شيء فلا ينزل منه لا أمر ولا رحمة ولا غير ذلك ؟ ! فبهت النافي وكان كبيراً فيهم .

( ٥ ) أنه إذا قدر أن النازل بعض الملائكة وأنه ينادي عن الله كما حرف بعضهم لفظ الحديث فرواه ( يُنْزِلُ ) من الفعل الرباعي المتعدي أنه يأمر منادياً ينادي ، لكان الواجب أن يقول : من يدعو الله فيستجيب له ؟ من يسأله فيعطيه ؟ من يستغفره فيغفر له ؟ كما ثبت في الصحيحين وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل وغير ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ( **إذا أحب الله العبد نادى في السماء يا جبريل ، إني أحب فلاناً فأحبه . فيحبه جبريل . ثم ينادي جبريل : إن**

**الله يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض )** وقال في البغض مثل ذلك ، فقد بيَّن النبي ﷺ الفرق بين نداء الله ونداء جبريل ، فقال في نداء الله : ( **يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه** ) وقال في نداء جبريل : ( **إن الله يحب فلاناً فأحبوه** ) وهذا موجب اللغة التي بها خوطبنا بل وموجب جميع اللغات، فإن ضمير المتكلم لا يقوله إلا المتكلم . فأما من أخبر عن غيره فإنما يأتي باسمه الظاهر وضمائر الغيبة وهم يمثلون نداء الله بنداء السلطان ويقولون قد يقال : نادى السلطان إذا أمر غيره بالنداء ، وهذا كما قالت الجهمية المحضة في تكليم الله لموسى أنه أمر غيره فكلمه لم يكن هو المتكلم .

**فيقال لهم :** إن السلطان إذا أمر غيره أن ينادي أو يكلم غيره أو يخاطبه فإن المنادي ينادي : معاشر الناس : أمر السلطان بكذا أو رسم بكذا لا يقول : إني أنا أمرتكم بذلك ولو تكلم بذلك لأهانه الناس ولقالوا :من أنت حتى تأمرنا ؟! والمنادي كل ليلة يقول: من يدعوني فأستجيب له ؟ ، من يسألني فأعطيه ؟، من يستغفرني فاغفر له؟،كما في ندائه لموسى ﷺ :﴿ **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي** ﴾[ طه : ١٤ ] ، وقال : ﴿ **إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[ القصص:٣٠ ] ،ومعلوم أن الله لو أمر ملكاً أن ينادي كل ليلة أو ينادي موسى لم يقل الملك : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فاغفر له ؟ ولا يقول: ( لا أسال عن عبادي غيري ) . انظر: مجموع الفتاوى ( ٥ / ٤١٦ –٤١٨ ).

( ٦) يقال لهؤلاء المعطلة : أتريدون بقولكم ينزل أمره أو رحمته ، أمره أورحمته التي هي صفتة القائمة بذاته أم مخلوقاً منفصلاً سميتموه رحمة وأمراً ؟، فإن أردتم الأول فنزوله يستلزم نزول الذات ومجيئها قطعاً ، وإن أردتم الثاني كان الذي ينزل ويأتي لفصل القضاء مخلوقاً محدثاً لا رب العالمين ، وهذا معلوم البطلان قطعاً وهو تكذيب صريح للخبر فإنه يصح معه أن يقال : لا ينزل إلى سماء الدنيا ولا يأتي لفصل القضاء ، وإنما الذي ينزل ويأتي غيره .

( ٧ ) كيف يصح أن يقول ذلك المخلوق : لا أسأل عن عبادي غيري ، ويقول : من يستغفرني فأغفر له ؟ ونزول رحمته وأمره مستلزم لنزوله ـ سبحانه ـ ومجيئه وإثبات ذلك للمخلوق مستلزم للباطل الذي لا يجوز نسبته إليه ـ سبحانه ـ مع رد خبره صريحاً .

( ٨ ) أن نزول رحمته وأمره لا يختص بالثلث الأخير ولا بوقت دون وقت ينزل أمره ورحمته ، فلا تنقطع رحمته ولا أمره عن العالم العلوي والسفلي طرفة عين ، انظر : مختصر الصواعق ص ( ٤٥١-٤٥٢ ) .

**فإن قيل: قد روي عن الإمام أحمد والإمام مالك أنهما تأولا النزول بنزول أمره :**

فقد أجاب عن هذا شيخ الإسلام ابن يتمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٦ / ٤٠٥ – ٤٠٦ ) حيث قال : ( وقد اختلف أصحاب أحمد فيما نقله حنبل فإنه لا ريب أنه على خلاف النصوص المتواترة عن أحمد في منعه من تأويل هذا وتأويل النزول والاستواء ونحو ذلك من الأفعال .

**ولهم ثلاثة أقوال :**

**قيل:** إن هذا غلط من حنبل انفرد به دون الذين ذكروا عنه المناظرة مثل صالح وعبد الله المروذي وغيرهم فإنهم لم يذكروا هذا،وحنبل ينفرد بروايات يغلطه فيها طائفة كالخلال وصاحبه ، قال أبو إسحاق بن شاقلا : هذا غلط من حنبل لا شك فيه .

وكذلك نقل عن مالك رواية أنه تأول ( **ينزل إلى السماء الدنيا** ) أنه ينزل أمره لكن هذا من رواية حبيب كاتبه وهو كذاب باتفاقهم ، وقد رويت من وجه آخر لكن الإسناد مجهول .

**والقول الثاني :** قال طائفة من أصحاب أحمد : هذا قاله إلزاماً للخصم على مذهبه لأنهم في يوم المحنة لما احتجوا عليه بقوله : تأتي البقرة وآل عمران : أجابهم بأن معناه : يأتي ثواب البقرة وآل عمران كقوله: ﴿ **أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ٢١٠] ، أي أمره وقدرته على تأويلهم لا أنه يقول بذلك فإن مذهبه ترك التأويل .

**والقول الثالث :** أنهم جعلوا هذا رواية عن أحمد وقد يختلف كلام الأئمة في مسائل مثل هذه لكن الصحيح المشهور عنه رد التأويل وقد ذكر الروايتين ابن الزاغوني وغيره وذكر أن ترك التأويل في هذه الرواية المشهورة المعمول عليها عند عامة المشايخ من أصحابنا . ا هـ.

وانظر أيضاً في هذا مختصر الصواعق ( ٤٥٢-٤٥٣ ) وفتح الباري لابن رجب (٧ / ٢٢٩-٢٣٠ )

## مسـألة :

**عند نزول الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى سماء الدنيا هل يخلو منه العرش أم لا ؟**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ٤١٤ ) :**

**إن أهل الحديث في هذا على ثلاثة أقوال :**

**منهم من ينكر أن يقال :** يخلو ولا يخلو كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني وغيرهم .

**ومنهم من يقول :** بل يخلو منه العرش وقد صنَّف عبد الرحمن بن مندة مصنفاً في الإنكار على من قال : لا يخلو من العرش أو لا يخلو منه العرش .

وكثير من أهل الحديث يتوقف عن أن يقول يخلو أو لا يخلو وجمهورهم على أنه لا يخلو منه العرش وكثير منهم يتوقف عن أن يقال : يخلو أو لا يخلو لشكهم في ذلك وأنهم لم يتبين لهم جواب أحد الأمرين، وأما مع كون الواحد منهم قد ترجح عنده أحد الأمرين لكن يمسك في ذلك لكونه ليس في الحديث ولما يخاف من الإنكار عليه، وأما الجزم بخلو العرش فلم يبلغنا إلا عن طائفة قليلة منهم .

**والقول الثالث :** وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها أنه لا يزال فوق العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسُّنَّة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح

إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم بل الله منزه عن ذلك . ا هـ.

وقد ورد حديث النزول وفي ألفاظه اختلاف من حيث تحديد وقت النزول فاختلفت كلمة العلماء في توجيه تلك الروايات ، فرواية البخاري ومسلم بلفظ : ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر .

**وفي لفظ لمسلم : ( ينزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كل ليلة إلى السماء الدنيا إذا انقضى شطر الليل ) .**

**وفي لفظ لمسلم : (ينزل ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كل ليلة إلى السماء الدنيا إذا انقضى ثلث الليل الأول ) .**

**فقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في شرح حديث النزول ص (١٠٢-١٠٣) :**

النزول المذكور في الحديث النبوي ـ على قائله أفضل الصلاة والسلام ـ الذي اتفق الشيخان واتفق العلماء على صحته هو : **إذا بقي ثلث الليل الآخر** . وأما رواية **(النصف والثلث الأول)** . فانفرد بها مسلم في بعض طرقه، وقد قال الترمذي إن أصح الروايات عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : **إذا بقي ثلث الليل الآخر** .

وقد روي عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة كما ذكر قبل هذا فهو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث ، والذي لا شك فيه إذا بقي ثلث الليل الآخر، فإذا كان النبي ﷺ قد ذكر النزول أيضاً إذا انقضى ثلث الليل الأول وإذا انتصف الليل فقوله حق وهو الصادق المصدوق، ويكون النزول أنواعاً ثلاثة. ا هـ.

**وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح ( ٣ / ٣١ ) :**

قال الترمذي : إن رواية أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أصح الروايات في ذلك ويقوي ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها ، قال ابن حجر : وقد سلك بعضهم طريقة الجمع ذلك أن الروايات المطلقة محمولة على المقيدة. ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ص ٤٣١ :**

وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بحمد الله ، فإنها اتفقت على دوام النزول الإلهي إلى طلوع الفجر واتفقت على حصوله في الشطر الثاني من الليل واختلف في أوله على ثلاثة أوجه :

**أحدها :** أنه أول الثلث الثاني .

**الثاني :** أنه أول الشطر الثاني .

**الثالث :** أنه أول الثلث الأخير.

وإذا تأملت هاتين الروايتين لم تجد بينهما تعارضاً .

**بقيت رواية إذا مضى ثلث الليل الأول وهي تحتمل ثلاثة أوجه :**

**أحدها :** أن لا تكون محفوظة وتكون من قبل حفظ الراوي فإن أكثر الأحاديث على الثلث الأخير .

**الثاني :** أن يكون الثلث الأول والشطر والثلث الأخير على حسب اختلاف بلاد الإسلام في ذلك، ويكون النزول في وقت واحد وهو ثلث الليل الأخير عند قوم ووسطه عند الآخرين وثلثه الأول عند غيرهم، فيصح نسبته إلى الأوقات الثلاثة وهو حاصل في وقت واحد .

وعلى هذا فالشبهة العقلية التي عارض بها النفاة حديث النزول تكون هذه الألفاظ قد تضمنت الجواب عنها، فإن هذا النزول لا ينافي كونه في الثلث الأخير كونه في الثلث الأول أو في الشطر الثاني بالنسبة إلى المطالع . اهـ.

**وقوله ﷺ :**

**« لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته » . متفق عليه**

أراد شيخ الإسلام بإيراد هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله وهي صفة فعلية متعلقة بالمشيئة مقرونة بالحكمة على الوجه اللائق بعظمة الله وجلاله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى : ١١ ]

**وهذه الصفة دلَّ عليها النص والإجماع :**

**أما النص فهو حديث أنس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :**

**( لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة )** متفق عليه .

وفي رواية لمسلم : **( لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد آيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح )** .

وأهل السُّنَّة مجمعون سلفاً وخلفاً من لدن الصحابة إلى يومنا هذا على إثبات صفات الله ومنها صفاته الفعلية الإختيارية كالفرح والغضب والرضى والنزول وغيرها .

**قال ابو إسماعيل الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٥ :**

وكذلك يقولون في جميع الصفات - أي يثبتونها على الوجه اللائق بالله - التي نزل بذكرها القرآن ووردت بها الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين .. والفرح والضحك وغيرها . ا هـ.

وهكذا ذكر هذه الصفة جمع من أهل السُّنَّة سلفاً وخلفاً دون تعرض لتأويلها كما فعل أهل البدع من المعطلة وممن ذكرها الدارمي في رده على بشر المريسي ( ص ٢٠٠ ) .

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين :**

والفرح صفة كمال ، ولهذا يوصف ـ سبحانه ـ بأعلى أنواعه وأكملها كفرحه سبحانه بتوبة عبده . . . إلى أن قال : والفرح بالشيء فوق الرضا به ، فإن الرضا طمأنينة وسكون وانشراح ، والفرح لذة وبهجة وسرور ، فكل فرح راض وليس كل راض فرحاً . ا هـ.

**وقال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة (ص ٥٠ ) في الكلام على حديث الفرح السابق :**

وهذا فرح جود وإحسان لأنه ـ جل جلاله ـ ينوع جوده وكرمه على عباده من جميع الوجوه، ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمة الله وإحسانه، ويكره لهم ضد ذلك، فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسباباً بيَّنها لعباده وحثَّهم على سلوكها، وأعانهم عليها ونهاهم عما ينافيها ويمنعها، فإذا عصوه وبارزوه بالذنوب فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها ، فإذا رجعوا إلى التوبة والإنابة فرح بذلك أعظم فرح يقدر فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مهلكة وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادة حياته من طعام وشراب وركوب، فآيس منها وجلس ينتظر الموت فإذا هو بها واقفة على رأسه فأخذ بخطامها وكاد الفرح أن يقضي عليه وقال من الدهشة وشدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يحصي العباد ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده ، وهذا الفرح تبع لغيره من الصفات كما تقدم أن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فهذا فرح لا يشبه فرح أحد من خلقه لا في ذاته ولا في أسبابه ولا في غاياته فنسبة الرحمة والإحسان وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين . ا هـ.

**وقد قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٢٣١ ) في الكلام على الحديث السابق :**

**وفي الحديث من قواعد العلم :** أن اللفظ الذي يجري على لسان العبد خطأ

من فرح شديد أو غيظ شديد ونحوه لا يؤاخذ به ولهذا لم يكن هذا كافراً بقوله : ( أنت عبدي وأنا ربك ) .

ومعلوم أن تأثير الغضب في عدم القصد يصل إلى هذه الحال أوأعظم منها فلا ينبغي مؤاخذة الغضبان بما صدر منه في حال شدة غضبه من نحو هذا الكلام ولا يقع طلاقه بذلك ولا ردته .

وقد نص الإمام أحمد على تفسير الإغلاق في قوله ﷺ :( **لا طلاق في إغلاق** ) بأنه الغضب .

وفسره به غير واحد من الأئمة وفسره بالإكراه والجنون .

قال شيخنا : وهو يعم هذا كله وهو من الغلق لانغلاق قصد المتكلم عليه فكانه لم ينفتح قلبه لمعنى ما قاله . ا هـ.

**وفي الحديث أيضاً :**

( ١ ) أن فرحه ـ سبحانه ـ يتفاضل .

( ٢ ) فيه فضل التوبة إلى الله سبحانه وتعالى .

( ٣ ) أنه ـ سبحانه ـ يقبل توبة عبده ويفرح بها إذا وقعت على الوجه المعتبر شرعاً .

( ٤ ) فيه دليل على أن الإنسان إذا جرى على لسانه كلمة كفر من شدة دهش ونحو ذلك أو حكى كفراً أنه لا يكفر بذلك ولا يؤاخذ به . ا هـ.التنبيهات السنية ص ١٦٢ .

وقد حرف المعطلة على عادتهم هذا النص الدال على إثبات الفرح لله على الوجه اللائق بجلاله ، فقالت المعطلة من المعتزلة : إن الله لا يفرح ولا يوصف بالفرح والمراد بفرحه ثوابه للتائب .

**وقالت الأشاعرة :** المراد بالفرح إرادة الثواب .

وهم محجوجون بالنص والاجماع ، وأهل السُّنَّة أسعد بالنقل وطريقة السلف من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ .

[ النور : ٤٠ ] .

### وقولــه ﷺ :

**(عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب ) حديث حسن**

أورد المؤلف هذا الحديث لإثبات صفة العجب لله وهي من الصفات الخبرية الفعلية الثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع .

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ بضم التاء.

قال عبد الرحمن بن زنجلة في كتابه حجة القراءات ( ص ٦٠٦ ) : قرأ حمزة والكسائي : ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ بضم التاء وقرأ الباقون بفتح التاء ... الى أن قال :

قال أبو عبيد : قوله ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بالنصب : بل عجبت يا محمد من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك ، ومن قرأ ﴿ بَلْ عَجِبْتُ ﴾ بالضم ـ فهو إخبار عن الله عز وجل . ا هـ.

**وقال ابن جرير ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

قوله : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ بضم التاء من ( عجبت ) بمعنى : بل عظم عندي وكبر اتخاذهم لي شريكاً وتكذيبهم تنزيلي وهم يسخرون، وقرأ عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ بفتح التاء بمعنى : بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب .

**فإن قال قائل :** وكيف يكون مصيباً القارئ بهما مع اختلاف معنيها ؟! .

**قيل :** إنهما وإن اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح، قد عجب

محمد مما أعطاه الله من الفضل وسخر منه أهل الشرك بالله، وقد عجب ربنا من عظيم ما قاله المشركون في الله وسخر المشركون بما قالوه . ا هـ.

**أما السنة فمن ذلك :**

( ١ ) ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : ( **عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل** ) .

( ٢ ) ما وراه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً فقال رسول الله ﷺ : ( **ألا رجل يضيفه الليلة يرحمه الله** ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً فقالت : والله ما عندي إلا قوت الصبية ، قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة ، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله ـ عز وجل ـ أوضحك من فلان وفلانة ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [ الحشر:٩ ].

وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: « **قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة** » . بدون شك من الراوي .

( ٣ ) حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : ( **عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله ، فانهزم أصحابه ، فعلم ما عليه ؛ فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله ـ عز وجل ـ لملائكته : انظروا إلى عبدي ، رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه** ) أخرجه أبو داوود وغيره وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم ( ٣٩٨١ ) .

( ٤ ) ما وراه الحاكم في مستدركه ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات بسند صحيح عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، قال : قرأ عبد الله يعني ـ ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ﴿ **بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ** ⑫ ﴾ قال شريح : إن الله لا يعجب من شيء إنما يعجب من لا يعلم ، قال الأعمش : فذكرت لإبراهيم فقال : إن شريحاً

كان يعجبه رأيه ، إن عبد الله كان أعلم من شريح وكان يقرؤها ﴿ بَلْ عَجِبْتُ ﴾ .

وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة سلفاً وخلفاً على إثبات هذه الصفة على الوجه الذي يليق بالله دون تمثيل ولا تكييف، ولا زال أهل السُّنَّة يذكرون هذه الصفة في كتبهم ومنهم ابن أبي عاصم في كتابه السُّنَّة ( ١ / ٢٤٩ ) حيث قال :

**باب : في تعجب ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه**

**ثم ذكر عدة أحاديث في ذلك :**

**ومنهم الأصبهاني في الحجة ( ٢ / ٤٥٧ ) حيث قال :**

**وقال قوم :** لا يوصف الله بأنه يعجب لأن العجب ممن يعلم ما لم يكن يعلم، واحتج مثبت هذه الصفة بالحديث وبقراءة أهل الكوفة :﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴾ على أنه إخبار من الله ـ عز وجل ـ عن نفسه . ا هـ.

**وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (١٢٣/٦) أما قوله :** ( التعجب استعظام للمتعجب منه ) فيقال : نعم وقد يكون مقروناً بجهل بسبب التعجب وقد يكون لما خرج عن نظائره والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه بل يتعجب لخروجه عن نظائره تعظيماً له، والله تعالى يعظم ما هو عظيم إما لعظمة سببه أو لعظمته .

فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم ووصف بعض الشر بأنه عظيم ، فقال تعالى : ﴿ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [ المؤمنون:٨٦ ] ، وقال:﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الحجر:٨٧] ،وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [ النساء : ٦٦ - ٦٧ ] ، وقال: ﴿ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [ النور : ١٦ ] ، وقال : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [ لقمان : ١٣ ] .

ولهذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ على قراءة الضم فهنا عجب من كفرهم مع وضوح الأدلة. ا هـ.

## وقوله :

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وما كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) ﴾ [ المؤمنون: ٩١ ] ، ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧٤) ﴾ [النحل : ٧٤ ] .

قوله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ الآية .

نزَّه ـ سبحانه وتعالى ـ نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في العبادة والملك والتدبير وأكد هذا النفي بدخول ﴿ مِن ﴾ في قوله : ﴿ مِن وَلَدٍ ﴾ وقوله: ﴿ مِنْ إِلَهٍ ﴾ لأن ذكر حرف الجر في سياق النفي ونحو ذلك يفيد التوكيد .

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الكلام على هذه الآية في الصواعق المرسلة ( ٢ / ٤٦٣-٤٦٤ ) :**

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البيِّن فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابديه النفع ويدفع عنهم الضر، فلو كان معه ـ سبحانه ـ إله لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه، بل إن قدر على قهره والتفرد بالإلهية دونه فعل ، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب به ، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكهم إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه .

**فلا بد من أحد أمور ثلاثة :**

- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .
- وإما أن يعلو بعضهم على بعض .
- وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد

المربوبون المقهورون .

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لا رب له غيره .

فذاك تمانع في الفعل والإيجاد وهذا تمانع في العبادة والإلهية فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان كذلك يستحيل أن يكون له إلاهان معبودان .ا هـ.

وقوله :﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

**قال العلامة السّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره:**

﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ قد نطقت بلسان حالها وأفهمت ببديع أشكالها أن المدبر لها إله واحد كامل الأسماء والصفات، قد افتقرت إليه جميع المخلوقات في ربوبيته لها وفي إلاهيته لها، فكما لا وجود لها ولا دوام إلا بربوبيته، كذلك لا صلاح لها ولا قوام إلا بعبادته وإفراده بالطاعة ، ولهذا نبه على عظمة صفاته بأنموذج من ذلك وهو علمه المحيط .

فقال : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ أي الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا من الواجبات والمستحيلات والممكنات .

﴿ وَالشَّهَادَةِ ﴾ وهو ما نشاهد من ذلك ﴿ فَتَعَالَى ﴾ أي ارتفع وعظم .

﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ به ولا علم عندهم إلا ما علمه الله . ا هـ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ ﴾ [ النحل : ٧٤ ] الآية .

هذه الآية لها ارتباط بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) ﴾ [ النحل:٧٣ ] .

**وقد قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند هاتين الآيتين ( ٢ / ٧٦٣ ) :**

يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره مع أنه هو المنعم المتفضل

اعلموا - وفقنا الله وإياكم للرشاد من القول والعمل - أن أهل الحق يصفون الله - عز وجل - بما وصف به نفسه - عز وجل - وبما وصفه به رسوله ﷺ ، وبما وصفه الصحابة ﭫ ، وهذا مذهب العلماء ممن اتبع ولم يبتدع ، ولا يقال فيه : كيف ؟، بل التسليم له والإيمان به أن الله - عز وجل - يضحك، كذا روي عن النبي ﷺ وعن صحابته ﭫ فلا ينكر هذا إلا من لا يحمد حاله عند أهل الحق . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في رسالة العقائد كما في علاقة الإثبات والتفويض ( ٥١ ) لرضا نعسان :**

فإذا نطق الكتاب العزيز ووردت الأخبار الصحيحة بإثبات السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقدرة والقوة والعظمة والمشيئة والإرادة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وجب اعتقاد حقيقته من غير تشبيه بشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، والانتهاء إلى ما قاله الله - سبحانه وتعالى - ورسوله ﷺ من غير إضافة ولا زيادة عليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ، وإزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه ، والإمساك عما سوى ذلك . ا هـ.

**وقد أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٦/١٢١ - ١٢٢ ) عن الذين أوَّلوا هذه الصفة بحجة تنزيه الله عن مماثلة المخلوقين لأن الضحك خفة روح فقال :**

**وقول القائل :** إن الضحك خفة روح ليس بصحيح وإن كان ذلك قد يقارنه .

**ثم قول القائلين :** خفة الروح إن أراد به وصفاً مذموماً فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثاني .

ولهذا قال النبي ﷺ : ( **ينظر إليكم الرب قنطين ، فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب** .

فقال له أبو رزين العقيلي : يا رسول الله أو يضحك الرب ؟! قال : **نعم** ، قال : لن نعدم من رب يضحك خيراً ) .

فجعل الأعرابي العاقل ـ بصحة فطرته ضحكه دليلاً على إحسانه وإنعامه فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال ، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك ، وقد قيل في اليوم الشديد العذاب أنه ﴿ **يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ [ الإنسان : ١٠ ] .

وقد روي أن الملائكة قالت لآدم : ( حياك الله وبياك ) أي أضحكك .

والإنسان حيوان ناطق ضاحك وما يميز الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما أن النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال ، فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم ، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك ، وإذا كان الضحك فينا مستلزماً لشيء من النقص فالله منزَّه عن ذلك . اهـ.

## وقــولــه ﷺ :

**( لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول : هل من مزيد ؟حتى يضع رب العزة فيها رجله وفي رواية عليها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط ).**

**متفق عليه**

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الحديث ليثبت هذه الصفة الذاتية الخبرية ، صفة الرجل والقدمين دون تمثيل أو تكييف .

وقد دل على إثبات ذلك السُّنَّة وإجماع السلف الصالح ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ .

أما السُّنَّة فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **( لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد ؟،حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط قط ، بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة ) .**

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( تحاجَّت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي ، ولكل واحدة منهما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول : قط . قط . قط . فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ، ولا يظلم الله ـ عز وجل ـ من خلقه أحداً ، وأما الجنة : فإن الله ـ عزوجل ـ ينشئ لها خلقاً ) .**

وأخرج ابن خزيمة في التوحيد والحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة في العرش والدارمي في الرد على بشر المريسي والذهبي في العلو عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : الكرسي موضع القدمين .

وقد صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في مختصر العلو ص ١٠٢ .

**قلت :** وهذا القول له حكم الرفع لأنه لايقال من قبيل الرأي ، والله أعلم .

وروى ابن أبي شيبة في العرش وعبد الله بن أحمد في السُّنَّة وابن جرير في تفسيره وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي موسى رضي الله عنه قال : الكرسي موضع القدمين ، وله أطيط كأطيط الرحل .

قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في مختصر العلو ص ١٢٣-١٢٤ : إسناده صحيح .

**قلت :** وهذا القول وإن كان موقوفاً إلا أن له حكم الرفع لأنه مما لا يقال من قبيل الرأي والله أعلم .

**وقد بوب الإمام ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ في كتابه التوحيد ( ١ / ٢٠٢ ) :**

**باب إثبات الرجل لله - عز وجل - ثم قال :**

وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا ـ عز وجل ـ التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ قال الله ـ عز وجل ـ يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله : ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنظِرُونِ** ﴿١٩٥﴾ ﴾ [ الأعراف : ١٩٥ ] ،فأعلمنا ربنا ـ عز وجل ـ أن من لا رجل له ولا يد له ولا عين له ولا سمع له ، فهو كالأنعام بل هو أضل ، فالمعطلة الجهمية الذين هم شر من اليهود والنصارى والمجوس ، كالأنعام بل هم أضل ... ثم ساق الأحاديث التي فيها ذكر الرجل . ا هـ.

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ( ٥٤ ) :**

وهذه الصفة تجري مجرى بقية الصفات،وتثبت لله حقاً على الوجه اللائق بعظمته وذلك أن الله وعد النار ملأها كما قال : ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ [ السجدة : ١٣ ] .

فلما كان من مقتضى رحمته أن لا يعذب أحداً بغير جرم وكانت النار في غاية الكبر والسعة حقق وعده تعالى ووضع قدمه فتلاقى طرفاها ولم يبق فيها فضل عن أهلها . ا هـ.

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ( ٤١٤-٤١٥ ) :**

**في هذا الحديث :**

**أولاً** : إثبات القول من الجماد لقوله ( وهي تقول ) وكذلك ( فتقول :قط قط ) وهو دليل على قدرة الله الذي أنطق كل شيء .

**ثانياً :** التحذير من النار لقوله : ( لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول :هل من مزيد ؟ ) .

**ثالثاً :** إثبات فضل الله ـ عز وجل ـ فإن الله تعالى تكفَّل للنار بأن يملأها كما قال : ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾ فإذا دخلها أهلها وبقي فيها فضل وقالت هل من مزيد ؟وضع الله عليها رجله فانزوى بعضها إلى بعض وامتلأت بهذا الانزواء .

وهذا من فضل الله ـ عز وجل ـ وإلا فإن الله قادر على أن يخلق أقواماً ويكمل ملأها بهم،ولكنه ـ عز وجل ـ لا يعذب أحداً بغير ذنب بخلاف الجنة فيبقى فيها فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فيخلق الله أقواماً يوم القيامة ويدخلهم الجنة بفضله ورحمته .

**رابعاً :** أن لله تعالى رجلاً وقدماً حقيقية لا تماثل أرجل المخلوقين ويسمي أهل السُّنَّة هذه الصفة : الصفة الذاتية الخبرية لأنها لم تعلم إلا بالخبر ، ولأن مسماه أبعاض لنا وأجزاء لكن لا نقول بالنسبة لله أنها أبعاض وأجزاء ، لأن هذا ممتنع على الله ـ عز وجل ـ .

**وخالف الأشاعرة وأهل التحريف في ذلك فقالوا :**

يضع عليها رجله ، يعني طائفة من عباده مستحقين للدخول ، والرجل تأتي بمعنى الطائفة كما في حديث أيوب عليه السلام : أرسل إليه رجل جراد من ذهب . يعني طائفة من جراد وهذا تحريف باطل لأن قوله ( عليها ) يمنع ذلك .

وأيضاً لا يمكن أن يضيف الله - عز وجل - أهل النار إلى نفسه لأن ، إضافة الشيء إلى الله تكريم وتشريف .

**وقالوا في القدم :** قدم بمعنى : مقدم أي يضع الله تعالى عليها مقدمه أي : من يقدمهم إلى النار .

وهذا باطل أيضاً ،فإن أهل النار لا يقدمهم الباري - عز وجل - ولكنهم ﴿ **يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا** ﴿١٣﴾ ﴾ [ الطور :١٣ ] ، ويلقون فيها إلقاء فهؤلاء المحرفون فرُّوا من شيء ووقعوا في شر منه ، فرُّوا من تنزيه الله عن القدم والرجل ، لكنهم وقعوا في السَّفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله - عز وجل - .

والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى قدماً وإن شئنا قلنا رجلاً على سبيل الحقيقة مع عدم المماثلة ، ولا نكيف الرِّجل لأن النبي ﷺ أخبرنا بأن لله تعالى رجلاً أو قدماً ولم يخبرنا كيف هذه الرجل أو القدم وقد قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [ الأعراف : ٣٣ ] .

**والفائدة المسلكية من هذا الحديث :**

هو الحذر الشديد من عمل أهل النار خشية ، أن يلقى الإنسان فيها كما يلقى غيره . اهـ.

## وقولـــه :

( **يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك ، فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار** ) متفق عليه .

وقوله : ( **ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان** ) (١) .

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذين الحديثين الصحيحين لإثبات النداء والصوت والكلام لله تعالى ، وقد سبق أن إثبات الكلام لله قد دل عليه الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

ومن أدلة النداء أيضاً من الكتاب والسُّنَّة ـ والنداء لا يكون إلا بصوت ـ قوله تعالى : ﴿ **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** (٢٢) ﴾ [ الأعراف : ٢٢ ] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** (١٠) ﴾ [ الشعراء : ١٠ ] ، وقد ورد النداء في تسع آيات من القرآن .

**ومن السُّنَّة إضافة إلى ما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ :**

ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **إن الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا أحب عبداً نادى جبريل : إن الله قد أحب فلاناً فأحبه ؛ فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء : إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في أهل الأرض** ) رواه البخاري .

وقوله ﷺ : ( **إن الله ينادي يوم القيامة بصوت يسمعه مَنْ قَرُبَ ، كما يسمعه مَنْ بَعُدَ** ) .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٦/٥٣١):**

**والنداء في لغة العرب** : هو صوت رفيع ، ولا يطلق النداء على ما ليس بصوت

---

(١) متفق عليه .

لا حقيقة ولا مجازاً . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٣٠٤ ) :**

واستفاضت الآثارعن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السُّنَّة أنه ـ سبحانه وتعالى ـ ينادي بصوت، نادى موسى وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال : إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف و لا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف . ا هـ.

**وقال ابن القيم في نونيته :**

أفتسمع الأذان غير الحرف والصـ ... ـوت الذي خصت به الأذنان

وكذا النداء فإنه صوت بإجماع ... النحاة وأهل كل لسان

لكنه صوت رفيع وهو ضد ... للنجاء كلاهما صوتان

**وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ في النونية أيضاً :**

والله قد نادى الكليم وقبله ... سمع الندا في الجنة الأبوان

وأتى الندا في تسع آيات له ... وصفاً فراجعها من القرآن

أيصح في عقل وفي نقل نداء ... ليس مسموعاً لنا بأذان

إن الندا الصوت الرفيع وضده ... فهو النجى وكلاهما ضدان

وقوله في الحديث ( **لبيك وسعديك** ) .

**قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد :**

**اشتملت كلمة التلبية على فوائد عظيمة :**

( ١ ) أن قوله ( لبيك ) يتضمن إجابة داع ومناد ناداك ولا يصح في لغة ولا عقل إجابة من لا يتكلم ولا يدعو من أجله .

( ٢ ) أنها تتضمن المحبة ، ولا يقال : لبيك إلا لله تحبه وتعظمه .

( ٣ ) أنها تتضمن التزام دوام العبودية ، ولهذا قيل إنها من الإقامة ، أي أنا مقيم على طاعتك .

( ٤ ) أنها تتضمن الإخلاص ولهذا قيل إنها من اللب وهو الخالص .

( ٥ ) أنها تتضمن الخضوع والذل أي خضوعاً بعد خضوع من قولهم : أنا ملب بين يديك أي خاضع ذليل .

( ٦ ) أنها تتضمن الإقرار بسمع الرب إذ يستحيل أن يقول الرجل لمن لا يسمع دعاءه : لبيك .

( ٧ ) أنها تتضمن التقرب إلى الله ، ولهذا قيل إنها من الإلباب وهو القرب .

وأما معنى الترجمة كما في الحديث الثاني : أن الله يكلم عبده بكلام يفهمه دون حاجة إلى من يترجم له قوله ، ومعنى الترجمة : تفسير الكلام من لغة إلى لغة أخرى .

**قال الشاعر:**

ومن يفسر لغة بلغة ... مترجم عند أهيل اللغة

**ومن معاني الترجمة الفهم كما قال الشاعر:**

إن الثمانين وقد بُلِّغْتُها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

## وقوله ﷺ في رقية المريض :

**( ربنا الله الذي في السماء ، تقدَّس اسمك ، أمرك في السماء والأرض ، كما رحمتك في السماء ، اجعل رحمتك في الأرض ، اغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك ، وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ )** حديث حسن رواه أبو داوود وغيره .

وقوله : **( ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء )** حديث صحيح .

وقوله : **(والعرش فوق ذلك ، والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه )** حديث حسن رواه أبو داوود وغيره .

وقوله للجارية : **( أين الله ؟** ، قالت في السماء ، **قال : من أنا ؟** ، قالت : أنت رسول الله ، **قال : أعتقها فإنها مؤمنة )** رواه مسلم .

في هذه الأحاديث إثبات صفة العلو لله تعالى بذاته على الوجه اللائق بعظمته وجلاله ، فقد أوردها شيخ الإسلام ليدلل على أن السُّنَّة قد ورد فيها إثبات الكثير من صفات الله ، ومنها ما دل عليها القرآن أيضاً ومنها ما أثبتتها السُّنَّة فقط وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [ الحشر :٧ ] .

فأورد شيخ الاسلام هذه الأحاديث لإثبات صفة العلو والاستواء .

والحديث الأول في رقية المريض حديث ضعيف ضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في ضعيف سُنن أبي داوود وغيره .

والحديث الثاني رواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه .

وقد أورده المؤلف -رحمه الله- لإثبات علو الله بذاته ، وقد تقدم الكلام عليه ولله الحمد ، ومعنى في السماء أي في العلو لأن كل ما سماك فقد علاك .

وأما الحديث الثالث فهو حديث ضعيف ضعفه العلامة الألباني في تحقيقه للسُّنَّة لابن أبي عاصم ( ١ / ٢٥٥ ) . وحديث الجارية قد تقدم الكلام عليه ولله الحمد .

## وقولــه :

( **أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك أينما كنت** ) حديث حسن أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

وقوله : ( **إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه** ) متفق عليه .

وقوله : ( **اللهم رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقضِ عني الدين ، وأغنني من الفقر** ) رواه مسلم .

وقوله لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر : ( **أيها الناس : أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائباً ، إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً ، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** ) . متفق عليه

أورد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذه الأحاديث ليبين أنه لا تنافي بين علو الله ومعيّته لعباده ، وكما دل على ذلك القرآن كما سبق .

أما الحديث الأول حديث عبادة الذي أخرجه الطبراني أن رسول الله ﷺ قال : ( **أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك أينما كنت** ) فهو حديث ضعيف كما في ضعيف الجامع للعلامة الألباني ـ رحمه الله ـ برقم ( ١٠٠٢ ) ويغني عنه آيات وأحاديث كثيرة .

وأما الحديث الثاني ( **إذا قام أحدكم إلى الصلاة .. الحديث** ) .

**فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ١٠٧ ):**

الحديث حق على ظاهره ،وهو ـ سبحانه ـ فوق العرش وهو قِبَلَ وجه المصلي بل هذا

الوصف يثبت للمخلوقات ، فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه وكانت أيضاً قبل وجهه . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن رجب في فتح الباري ( ٣ / ١١٠-١١١ ) وهو يتحدث عن الحديث السابق وألفاظه وطرقه :**

وكان مقصود النبي ﷺ بذكر هذا أن يستشعر المصلي في صلاته قرب الله منه وأنه بمرأى منه ومسمع وأنه مناج له-وأنه يسمع كلامه ويرد على مناجاته كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ( **إن العبد إذا قال : الحمد لله رب العالمين، قال الله :حمدني عبدي** ) وذكر رده عليه في آيات الفاتحة إلى آخرها .

فمن استشعر هذا في صلاته أوجب له ذلك حضور قلبه بين يدي ربه وخشوعه له وتأدبه في وقوفه بين يديه ، فلا يلتفت إلى غيره بقلبه ولا ببدنه ولا يعبث وهو واقف بين يديه ولا يبصق أمامه فيصير في عبادته في مقام الإحسان ، يعبد الله كأنه يراه كما فسر النبي ﷺ الإحسان بذلك في سؤال جبريل عليه السلام له .

وقد سبق حديثه في كتاب الإيمان وخرج النسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ النبي ﷺ ببعض جسدي فقال : **اعبد الله كأنك تراه** . ا هـ.

وأما الحديث الثالث : **اللهم رب السموات السبع** .. الحديث.

( قوله : **اللهم** ) أصله يا الله ، فالميم عوض عن ياء ولذلك لا يجمع بينهما .

وشذ قول بعض العرب :

إني إذا ما حدثٌ أَلَمَّا أقول يا اللهم يا اللهما

قال الحسن البصري : اللهم مجمع الدعاء .

وقال النضر بن شميل : من قال : اللهم فقد دعى الله بجميع أسمائه .

قوله : (**رب**) : تأتي لفظة رب بمعنى المربي والمالك والخالق .

وقوله: ( **رب السموات السبع** ): أي هو خالق العالم العلوي .

وقوله: ( **رب العرش العظيم** ) : أي الكبير .

( ٢ ) التصريح بالفوقية مجردة عن الأداة كقوله : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [ الأنعام ٨

( ٣ ) التصريح باستوائه - سبحانه وتعالى - على عرشه في سبعة مواضع في القرآن

( ٤ ) التصريح بالعروج إليه نحو ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [ المعارج : ٤ ]

( ٥ ) التصريح بالصعود إليه كقوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [ فاطر : ١٠ ]

( ٦ ) التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله : ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [ النساء ١٥٨ ] ، وقوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [ آل عمران : ٥٥ ] .

( ٧ ) التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وشرفا كقوله : ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [ البقرة : ٢٥٥ ] ، ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [ سبأ : ٢٣ ] ﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [ الشورى : ٥١ ] .

( ٨ ) التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله : ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ① ﴾ [ الزمر : ١ ] . ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [ فصلت : ٤٢ ] ، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [ النحل : ١٠٢ ] ، وهذا يدل على شيئين :

**الأول :** على أن القرآن ظهر منه لا من غيره وأنه الذي تكلم به لا غيره .

**الثاني :** على علوه على خلقه وأن كلامه نزل به الروح الأمين من عنده من على مكان إلى رسوله .

( ٩ ) التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ [ الأعراف : ٢٠٦ ] ، وقوله : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ⑲ ﴾ [ الأنبياء ١٨-١٩ ] ، ففرق بين من له عموماً ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصاً .

( ١٠ ) التصريح بأنه - سبحانه - في السماء وهذا عند أهل السُّنَّة على أحد وجهين إما أن تكون ( في ) بمعنى ( على ) .

وإما أن يراد بالسماء العلو ،لا يختلفون في ذلك ولا يجوز حمل النص على غيره

( ١١ ) التصريح بالاستواء مقرونا بأداة ( على ) مختصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات مصاحباً في الأكثر لأداة ( ثم ) الدالة على الترتيب والمهلة وهوبهذا السياق صريح في معناه الذي لايفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع ولا يحتمل غيره البتة .

( ١٢ ) إخباره ـ سبحانه ـ عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطّلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبر به من أنه فوق السماوات فقال : ﴿ **وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا** ﴾ [ غافر:٣٦-٣٧ ] ، فكذب فرعون موسى في إخباره إياه بأن ربَّه فوق السماء وعند الجهمية لافرق بين الإخبار بذلك وبين الإخبار بأنه يأكل ويشرب ، وعلى زعمهم يكون فرعون قد نزّه الرب عما لايليق به ،وكذب موسى في إخباره بذلك .

إذاً من قال عندهم : إن ربه فوق السماوات فهو كاذب ،فهم في هذا التكذيب موافقون لفرعون مخالفون لموسى ولجميع الأنبياء ، ولذلك سماهم أئمة السُّنَّة فرعونية ، قالوا وهم شرٌّ من الجهمية ، فإن الجهمية يقولون :إن الله في كل مكان بذاته وهؤلاء عطلوه بالكلية وأوقعوا عليه الوصف المطابق للعدم المحض .

فأي طائفة من طوائف بني آدم أثبتت الصانع على أي وجه كان قولهم خيراً من قولهم . ا هـ. إعلام الموقعين ( ٢ / ٣١٤ ـ ٣١٧ ) .

**وانظر في هذا :** مجموع الفتاوى ( ٥ ١٢١ /- ١٦٤-١٦٦ ) ، التوحيد لابن خزيمة ( ١ / ٢٥٥ـ ٢٥٦ )، التمهيد لابن عبد البر ( ٧ / ١٢٩ـ ١٣١ )، والاستذكار ( ٨ / ١٤٩-١٥٢ ).

**أما دلالة السُّنَّة** على ذلك فإنها كما قال شيخ الإسلام : قد استفاضت وتواترت كما سبق، وقال أيضاً كما في ( ٥ / ١٦٦ ) من مجموع الفتاوى : وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله تعالى . ا هـ.

النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان، كما يُحكى ذلك عن طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة ﷺ .

وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وقد حذر النبي ﷺ أمته منهم في حديث عائشة الصحيح المتفق عليه .

وتعلقوا أيضاً بما فهموه وبفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [ الحديد : ٤ ] ، وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [ المجادلة : ٧ ] .

**فقال من قال من علماء السلف حينئذ :** إنما أراد أنه معهم بعلمه وقصدوا بذلك إبطال ما قاله أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن .

**وممن قال إن المعيّة بالعلم :** مقاتل بن حيان وروي عنه أنه رواه عن عكرمة عن ابن عباس وقاله الضحاك ، قال : الله فوق العرش وعلمه بكل مكان ، وروي نحوه عن مالك وعبد العزيز الماجشون والثوري وأحمد وإسحاق وغيرهم من أئمة السلف .

وروى الإمام أحمد ، ثنا عبد الله بن نافع قال : قال مالك : الله في السماء وعلمه بكل مكان .

وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ أن المراد علمه ، وكل هذا قصدوا به رد قول من قال : إنه تعالى بذاته في كل مكان .

وزعم بعض من تحذلق أن ما قاله هؤلاء الأئمة خطأ لأن علم الله صفة لا تفارق ذاته .

وهذا سوء ظن منه بأئمة الإسلام ، فإنهم لم يريدوا ما ظنه بهم وإنما أرادوا أن علم الله متعلق بما في الأمكنة كلها ففيها معلوماته لا صفة ذاته كما وقعت الإشارة في القرآن إلى ذلك بقوله تعالى . ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [ الأنعام : ٨٠ ] ،

وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [ الحديد : ٤ ] .

**قال حرب** : سألت إسحاق بن راهوية عن قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قال : حيث ما كنت هو أقرب إليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه . اهـ.

## وقولـــه :

**( إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا )** متفق عليه .

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به .

فإن الفرقة الناجية أهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل .

أما الحديث الذي فيه إثبات الرؤية فقد سبق الكلام عليه وأورده شيخ الإسلام هنا ليبين أن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة كما أنها ثابتة بالقرآن فهي ثابتة أيضاً بالسُّنَّة الصريحة الصحيحة المتواترة وإن رغمت أنوف المعطلة.

وسأورد هنا مزيداً من كلام شيخ الإسلام وفيه إبطال لقول الأشاعرة :إن الله يُرى لا إلى جهة ، فقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٦ / ٨٥ – ٨٦ )والأخبار المتواترة عن النبي ﷺ ترد عليهم ـ أي الذين قالوا :يُرى لا إلى جهة ـ كقوله في الأحاديث الصحيحة **( إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر ، لا تضارون في رؤيته )** وقوله لما سأله الناس ـ هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ، قال: **( هل ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب ؟**، قالوا : نعم ، **قال: فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر )** فشبَّه الرؤية بالرؤية ، ولم يشبه المرئي بالمرئي فإن الكاف ـ حرف التشبيه ـ دخل على الرؤية،وفي لفظ للبخاري **(عياناً )** .

ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عياناً مواجهة فيجب أن نراه كذلك .

وأما رؤية ما لا نعاين ولا نواجه فهذه غير متصورة في العقل فضلاً أن تكون كرؤية الشمس والقمر ولهذا صار حذاقهم ـ أي الأشاعرة ـ إلى إنكار الرؤية وقالوا : قولنا هو قول المعتزلة في الباطن فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا

تنازع فيه المعتزلة .

وأما قولهم ـ الأشاعرة ـ إن الخبر يدل على أنهم يرونه لا في جهة وقوله : ( **لا تضامون** ) معناه لا يضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة ، فهذا تفسير للحديث بما لا يدل عليه ولا قاله أحد من أئمة العلم ، بل هو تفسير منكر عقلاً وشرعاً ولغة .

فإن قوله : ( **لا تضامون** ) يروى بالتخفيف : أي لا يلحقكم ضيم في رؤيته كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال ، فإنه قد يلحقهم ضيم في طلب رؤيته حين يرى ، وهو سبحانه يتجلى تجلياً ظاهراً فيرونه كما ترى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقكم في رؤيته .

وهذه الرواية المشهورة .

وقيل ( **لا تضامُّون** ) بالتشديد أي : لا ينضم بعضكم إلى بعض كما يتضام الناس عند رؤية الشيء الخفي كالهلال ، وكذلك تضارون وتضارون ... وبكل حال فهو من التضام الذي هو مضامة بعضهم بعضاً ليس هو أن شيئاً آخر لا يضمكم فإن هذا المعنى لا يقال فيه ( لا تضامون ) فإنه لم يقل ( لا يضمكم شيئاً ) .. الخ . ا هـ.

**وقال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ص ٥٨ في الكلام على حديث الرؤية السابق :**

وقد تواترت النصوص في رؤية الله لأهل الجنة وأنهم يرون ربهم ويتمتعون بمشاهدته ، وهي تدل على أمرين : على علوه على خلقه لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم ، وعلى أن أعظم النعيم النظر إلى وجهه الكريم .

وحثُّه ﷺ في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر خصوصاً : فيه إشارة على أن من حافظ عليهما نال هذا النعيم الكامل الذي يصغر عنده كل نعيم وهذا يدل على تأكدهما كما دلَّ على ذلك الحديث الآخر ( **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ،ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر ...** ) الحديث

متفق عليه . ا هـ.

وقول شيخ الاسلام - رحمه الله - إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر بها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به .. إلخ

**قال العلامة الفوزان - حفظه الله - في شرحه للواسطية ص ٩٢ :**

هذا بيان لموقف أهل السُّنَّة والجماعة من أحاديث الصفات الواردة عن الرسول ﷺ أنه كموقفهم من آيات الصفات الواردة في القرآن سواء وهو الإيمان بها واعتقاد ما دلت عليه على حقيقتة لا يصرفونها عن ظاهرها بأنواع التأويل الباطل ولا ينفون ما دلت عليه فيعطلونها ولا يشبهون الصفات المذكورة فيها بصفات المخلوقين لأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾.

وهم بذلك يخالفون طريقة المبتدعة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، الذين كان موقفهم من هذه النصوص موقف المنكر لها ، أو المؤول لما دلت عليه ، وبخلاف المشبهة الذين غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً . ا هـ.

## بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم

أي أن أهل السُّنَّة والجماعة وسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم.

والوسط كما قال شيخ الإسلام وغيره العدل الخيار ، والوسطية الممدوحة ما كانت بين باطلين إفراط وتفريط ، غلو وجفاء ، أما أن يتوسط بين الحق والباطل فهذا توسط ممقوت مذموم ، وهذا هو النفاق عياذاً بالله .

فالوسطية الممدوحة ما جمعت بين الخيرية والبينية .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٣/٣٧٠-٣٧٣)**

وهذه الفرقة الناجية أهل السُّنَّة هم وسط في النحل كما أن ملة الإسلام وسط في الملل .

فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون .

ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، فكلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً .

بل المؤمنون آمنوا برسل الله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم ولم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً ،كما قال تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠)** ﴾ [ آل عمران: ٧٩ ــ ٨٠ ] .

ومن ذلك أن المؤمنين توسطوا في المسيح فلم يقولوا هو الله ولا ابن الله ولا ثالث ثلاثة كما تقول النصارى ،ولا كفروا به ،وقالوا على مريم بهتاناً عظيماً ، حتى

جعلوه ولد بغية كما زعمت اليهود ، بل قالوا : هذا عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه .

وكذلك المؤمنون وسط في شرائع دين الله فلم يحرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحوا ما شاء ويثبت كما قالته اليهود كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ [ البقرة : ١٤٢ ] ، وبقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [ البقرة : ٩١ ] .

ولا جوزوا لأكابر علماءهم وعبادهم أن يغيروا دين الله فيأمروا بما شاءوا وينهوا عما شاءوا كما يفعله النصارى كما ذكر الله ذلك عنهم بقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ٣١ ] .

قال : عدي بن حاتم رضي الله عنه قلت : يا رسول الله ما عبدوهم ؟ ، قال : «**ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم ، وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم** » .

والمؤمنون قالوا : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره .

وقالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [ النور : ٥١ ] ، فأطاعوا كل ما أمر الله به وقالوا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ وأما المخلوق فليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى ولو كان عظيماً .

وكذلك في صفات الله تعالى فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات المخلوقين الناقصة فقالوا : هو فقير ونحن أغنياء وقالوا : يد الله مغلولة ، وقالوا : إنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت ، إلى غير ذلك .

والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به ، فقالوا : إنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب .

والمؤمنون آمنوا بالله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس له سمي ولا ند ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شيء ، فإنه رب العالمين وخالق كل شيء وكل ما سواه عباد له فقراء إليه ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا

﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [ مريم : ٩٣-٩٥ ] .

ومن ذلك أمر الحلال والحرام فإن اليهود كما قال الله تعالى : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [ النساء : ١٦٠ ] ، فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط ولا شحم الثرب والكليتين ولا الجدي في لبن أمه ، إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما .

**حتى قيل :** إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً والواجب عليهم مئتان وثمانية وأربعون أمراً وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت .

وأما النصارى فاستحلوا الخبائث وجميع المحرمات وباشروا جميع النجاسات وإنما قال لهم المسيح : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [ آل عمران : ٥٠ ] .

ولهذا قال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ التوبة : ٢٩ ] .

وأما المؤمنون فكما نعتهم الله في قوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [ الأعراف : ١٥٦-١٥٧ ] .

وهذا باب يطول وصفه . اهـ.

**فهم وسط في باب صفات الله - سبحانه وتعالى - بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة،وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم ، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية ، وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج .**

**قوله:( فهم وسط في باب صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ بين أهل التعطيل : الجهمية وأهل التمثيل : المشبهة ) .**

أهل التعطيل على أقسام : فمنهم من عطل أسماء الله وصفاته تعطيلاً كلياً فلم يثبت الأسماء ولا الصفات كالجهمية، ومنهم من عطل الصفات وأثبت الأسماء وهم المعتزلة الذين يثبتون لله الأسماء ولا يثبتون الصفات ويقولون : إن أسماء الله أعلام محضة .

ومنهم من أثبت الأسماء وبعض الصفات وهم الأشاعرة الذين أثبتوا لله سبع صفات ، بزعم أن العقل دل عليها دون غيرها .

وأما الممثلة فهم الذين مثلوا الخالق بالمخلوق كما فعل مقاتل بن سليمان البلخي وداوود الجواليقي وغيرهما، وأول من قال بالتمثيل هو هشام بن الحكم الرافضي .

وقد هدى الله أهل السُّنَّة إلى الحق والصواب الذي دل عليه الكتاب والسُّنَّة وأجمع عليه سلف الأمة فأثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل، ونزهوا الله عن النقائص والعيوب تنزيهاً بلا تعطيل كما قال الله سبحانه وتعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [ الشورى : ١١ ] .

**وجعل أهل السُّنَّة والجماعة هذا الباب مرتكزاً على ثلاثة أسس :**

**الأول** : الإثبات بلا تمثيل .

**الثاني** : تنزيه الله عن النقائص والعيوب ، تنزيه بلا تعطيل .

**الثالث** : قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأن الله أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفية صفاته .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٣ / ٣٧٣ ) :**

فهم في باب أسماء الله وآياته وصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات .

فيؤمن أهل السُّنَّة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما صفه به رسول الله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف وتمثيل . ا هـ.

قوله : وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم .

قد أوضح شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هذا كما في مجموع الفتاوى ( ٣ / ٣٧٣ – ٣٧٤ ) بقوله : وهم في باب خلق الله وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا :﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ** ﴾ [ الأنعام : ١٤٨ ] .

**فيؤمن أهل السُّنَّة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات .**

**ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل ، وأنه مختار ولايسمونه مجبوراً، إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل العبد مختاراً لما يفعله ، فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره، وهذا ليس له نظير ، فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله. ا هـ.**

**وقال العلامة السعدي - رحمه الله - في التنبيهات اللطيفة ص ( ٦١ - ٦٢ ) :**

وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية ، فإن الجبرية يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله لا قدرة له عليها وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار وكل هذا غلو منهم في إثبات القدر .

والقدرية قابلوهم فنفوا متعلق قدرة الله بأفعال العباد تنزيهاً لله بزعمهم .

فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته ، وكل من هاتين الطائفتين ردت طائفة كبيرة من نصوص الكتاب والسُّنَّة .

وهدى الله أهل السُّنَّة والجماعة للتوسط بين الطائفتين المنحرفتين فآمنوا بقضاء الله وقدره وشمولهما للأعيان والأوصاف والأفعال التي من جملتها أفعال المكلفين وغيرهم، وآمنوا بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعل للعباد قدرة وإرادة تقع بها أقوالهم وأفعالهم على حسب اختيارهم وإرادتهم، فآمنوا بكل نص فيه تعميم قدرة ومشيئة، وبكل نص فيه إثبات أن العباد يعملون ويفعلون كل الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقدرتهم، وعلموا أن الأمرين لا يتنافيان . ا هـ.

**قوله : (وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم ) .**

الجهمية جمعوا مع تعطيلهم لنصوص الصفات بين الإرجاء والجبر فقالوا : إن الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل كما قالوا : إن العبد مجبور على عمله وإنما أضيفت الأعمال إليه على سبيل المجاز .

**فالمرجئة قالوا :** لا يضر مع الإيمان ذنب مهما كبر ما عدا الشرك والكفر لا في الدنيا ولا في الآخرة وأن إيمان أعبد الناس وأفجر الناس سواء حتى قال قائلهم :

الناس في الإيمان شيء واحد　　　كالمشط عند تماثل الأسنان

وقد قيل إنهم سموا مرجئة لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان .

والإرجاء التأخير كما قال قوم فرعون لفرعون ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ [ الأعراف : ١١١ ] ،

أي : أخره .

**والوعيدية من المعتزلة والخوارج والقدرية معتزلة قالوا :** بأن من توعده الله على ذنب فلا بد من إنفاذ ذلك الوعيد ولا يجوز إخلاف ذلك على الله مالم يتب فاعله في الدنيا كما أنهم حكموا على مرتكب الكبيرة إن لقي الله بها بالخلود في النار.

فهؤلاء نظروا إلى النصوص بعين أعور وأولئك كذلك هؤلاء غلبوا جانب الوعيد وأولئك غلبوا جانب الوعد وكلاهما جانب الجمع بين النصوص واعتبار طريق السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان : ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [ النور : ٤٠ ] .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٣/٣٧٤ - ٣٧٥ )** أهل السُّنَّة - في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار ويخرجونهم من الإيمان بالكلية ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ ، وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء والأعمال الصالحات ليست من الدين والإيمان ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية .

فيؤمن أهل السُّنَّة والجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الايمان وأصله ، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة، وأنهم لا يخلدون في النار بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، أو مثقال خردلة من إيمان، وأن النبي ﷺ ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمته . اهـ.

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى( ١٢ / ٤٧٩-٤٨٣ ) :**

وأما مسألة الأحكام وحكمه في الدار الآخرة فالذي عليه الصحابة ومن اتبعهم بإحسان وسائر أهل السُّنَّة والجماعة أنه لا يخلد في النار من معه شيء من الإيمان بل يخرج منها من معه مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان، وأما الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة فيوجبون خلود من دخل النار وعندهم من دخلها خلد فيها، ولا يجتمع في

حق الشخص الواحد العذاب والثواب، وأهل السُّنَّة والجماعة وسائر من اتبعهم متفقون على اجتماع الأمرين في حق خلق كثير كما جاءت به السنن المتواترة عن النبي ﷺ .

**وأيضاً :** فأهل السُّنَّة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة ، ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة واحدة عملها، بل يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب إما لحسنات تمحو كبيرته منه أو من غيره وإما لمصائب كفرتها عنه وإما لدعاء مستجاب منه أو من غيره فيه وإما لغير ذلك .

والوعيدية من الخوارج والمعتزلة يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر لشمول نصوص الوعيد لهم مثل قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴿١٠﴾ ﴾ [ النساء : ١٠ ] .

وتجعل المعتزلة إنفاذ الوعيد أحد الأصول الخمسة التي يكفرون من خالفها، ويخالفون أهل السُّنَّة والجماعة في وجوب نفوذ الوعيد فيهم وفي تخليدهم ، ولهذا منعت الخوارج والمعتزلة أن يكون لنبينا ﷺ شفاعة في أهل الكبائر في إخراج أهل الكبائر من النار ، وهذا مردود بما تواتر عنه من السنن في ذلك ، كقوله ﷺ : ( **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** ) .

وأحاديثه في إخراجه من النار من قد دخلها .

وليس الغرض هنا تحرير هذه الأصول وإنما الغرض التنبيه عليها وكان ما أوقعهم في ذلك أنهم سمعوا نصوص الوعيد فرأوها عامة فقالوا : يجب أن يدخل فيها كل من شملته، وهو خبر ،وخبر الله صدق، فلو أخلف وعيده كان كإخلاف وعده ، والكذب على الله محال .

فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد ، فإنها قد تتناول كثيراً من أهل الكبائر ، فعاد كل فريق إلى أصله الفاسد .

فقال الأولون : نصوص الوعد لا تتناول إلا مؤمناً وهؤلاء ليسوا مؤمنين .

وقال الآخرون : نصوص الوعيد لا تتناول إلا كافراً .

وكل من القولين خطأ فإن النصوص مثل قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا** ﴾ لم يشترط فيها الكفر بل هي في حق المتدين بالإسلام .

وقوله ﷺ : ( **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** ) لم يشترط فيه فعل الواجبات بل قد ثبت في الصحاح : **وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر** .

فهنا اضطرب الناس فأنكر قوم من المرجئة العموم ، وقالوا : ليس في اللغة عموم وهم الواقفية في العموم من المرجئة وبعض الأشعرية والشيعة ، وإنما التزموا ذلك لئلا يدخل جميع المؤمنين في نصوص الوعيد .

**وقالت المقتصدة :** بل العموم صحيح والصيغ صيغ عموم ، لكن العام يقبل التخصيص وهذا مذهب جميع الخلائق من الأولين والآخرين إلا هذه الشرذمة قالوا : فمن عفى عنه كان مستثنى من العموم .

**وقال قوم آخرون :** بل إخلاف الوعيد ليس بكذب وأن العرب لا تعد عاراً أو شناراً أن يوعد الرجل شراً ثم لا ينجزه كما تعد عاراً أو شناراً أن يوعد الرجل خيراً ثم لا ينجزه وهذا قول طوائف من المتقدمين والمتأخرين .

**وقد احتجوا بقول كعب بن زهير يخاطب النبي ﷺ :**

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

**قالوا :** فهذا وعيد خاص وقد رجا فيه العفو مخاطباً للنبي ﷺ فعلم أن العفو عند المتوعد جائز وإن لم يكن من باب تخصيص العام .

**والتحقيق أن يقال :** الكتاب والسُّنَّة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه، فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر المحبط ، لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله .

فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة، لأن القرآن قد دل

على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب، وهذا متفق عليه بين المسلمين فكذلك في موارد النزاع ، فإن الله قد بيَّن بنصوص معروفة أن الحسنات يذهبن السيئات وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وأنه يجيب دعوة الداعي إذا دعاه وأن مصائب الدنيا تكفر الذنوب، وأنه يقبل شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر وأنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، كما بيَّن أن الصدقة يبطلها المن والأذى، وأن الربا يبطل العمل ، وأنه إنما يتقبل الله من المتقين أي في ذلك العمل ونحو ذلك .

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها ، لكن ليس شيئ يبطل جميع السيئات إلا التوبة كما أنه ليس شيئ يبطل جميع الحسنات إلا الردة .

وبهذا تبين أنا نشهد بأن : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** (١٠) ﴾ على الإطلاق والعموم .

ولا نشهد لمعين أنه في النار لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع في حقه، وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه وانتفاء مانعه .

**يبين هذا :** أنه قد ثبت أن النبي ﷺ لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها.

وثبت عنه في صحيح البخاري عن عمران: أن رجلاً كان يكثر شرب الخمر فلعنه رجل ، فقال النبي ﷺ : « **لا تلعنه ، فإنه يحب الله ورسوله** » .

فنهى عن لعن هذا المعين وهو مدمن خمر، لأنه يحب الله ورسوله ، وقد لعن شارب الخمر على العموم . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢ / ٢٧٠ ) :**

والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة الإيمان بالوعد والوعيد ، فكما أن ما توعد الله به من العقاب قد بيَّن ـ سبحانه ـ أنه يشترط بألا يتوب ، فإن تاب تاب الله عليه ، وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنبه ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وبأن لا يشاء الله أن يغفر له ، فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فهكذا الوعد له تفسير وبيان ، فمن قال بلسانه لا إله إلا الله وكذَّب الرسول فهو كافر باتفاق المسلمين ، وكذلك إن جحد شيئاً مما أنزل الله . اهـ.

# وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ١٣ / ٥٨ ) :**

وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاوة والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الإيمان والكفر ولهذا سمي هذا الأصل :مسائل الأسماء والأحكام .ا هـ.

**وقال كما في ( ١٣ / ٣٨) :**

وتنازع الناس في الأسماء والأحكام أي في أسماء الدين مثل مسلم ومؤمن وكافر وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة، فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا فلم يستحلوا من دمائهم وأموالهم ما استحلته الخوارج، وفي الأسماء أحدثوا المنزلة بين المنزلتين وهذه خاصة المعتزلة التي انفردوا بها وسائر أقوالهم قد شاركهم فيها غيرهم أ.هـ

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٤٦٨ ) :**

اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام التي يتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله - سبحانه - أوجب الجنة للمؤمنين ، وحرم الجنة على الكافرين ، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان . ا هـ.

## منشأ النزاع في مسائل الأسماء والأحكام :

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في مجموع الفتاوى ( ٥٠-٥١ ) :**

والمقصود هنا أن منشأ النزاع في الأسماء والأحكام في الإيمان والإسلام أنهم لما ظنوا أنه لا يتبعض قال أولئك –الخوارج والمعتزلة – فإذا فعل ذنباً زال بعضه فيزول كله فيخلد في النار .

فقالت الجهمية والمرجئة : قد علمنا أنه ليس يخلد في النار وأنه ليس كافراً مرتداً

بل هو من المسلمين ، وإذا كان من المسلمين وجب أن يكون مؤمنًا تام الإيمان ليس معه بعض الإيمان لأن الإيمان عندهم لا يتبعض فاحتجوا أن يجلعوا الإيمان شيئاً واحداً يشترك فيه جميع أهل القبلة، فقال فقهاء المرجئة : هو التصديق بالقلب والقول باللسان، فقالت الجهمية بعد تصديق اللسان قد لا يجب إذا كان الرجل أخرس أو كان مكرهاً فالذي لا بد منه تصديق القلب ، وقالت المرجئة : الرجل إذا أسلم كان مؤمنًا قبل أن يجب عليه شيء من الأفعال .

وأنكر كل هذه الطوائف أنه ينقص والصحابة قد ثبت عنهم أن الإيمان يزيد وينقص وهو قول أئمة السُّنَّة . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٤٧٠ ) :**

فكان من أول البدع والتفرق الذي وقع في هذه الأمة بدعة الخوارج المكفرة بالذنب فإنهم تكلموا في الفاسق الملي فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة، ومنهم من قال : والصغيرة لا تجامع الإيمان أبداً بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام .

**قالوا :** لأن الإيمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات .

**ثم قالت الخوارج :** فيكون العاصي كافراً لأنه ليس إلا مؤمن وكافر ثم اعتقدوا أن عثمان وعلياً وغيرهما عصوا ، ومن عصى فقد كفر ، فكفَّروا هذين الخليفتين وجمهور الأمة .

وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين أنه يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر .

وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية فقالوا : ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة والنبيين والمقربين والمقتصدين والظالمين.

**ثم قال فقهاء المرجئة :** هو التصديق بالقلب واللسان، وقال أكثر متكلميهم :

هو التصديق بالقلب ، وقال بعضهم : التصديق باللسان .

**قالوا :** لأنه لو دخلت فيه الواجبات العملية لخرج منه من لم يأت بها كما قالت الخوارج ، ونكتة هؤلاء جميعاً توهمهم أن من ترك بعض الإيمان فقد تركه كله .

وأما أهل السُّنَّة والجماعة من الصحابة جميعهم والتابعين وأئمة أهل السُّنَّة وأهل الحديث وجماهير الفقهاء والصوفية مثل مالك والثوري والأوزاعي وحماد بن زيد والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم ومحققي أهل الكلام ، فاتفقوا على أن الإيمان والدين قول وعمل ، هذا لفظ السلف من الصحابة وغيرهم .

وإن كان قد يعني بالإيمان في بعض المواضع ما يغاير العمل لكن الأعمال الصالحة كلها تدخل أيضاً في مسمى الدين والإيمان، ويدخل في القول قول القلب واللسان وفي العمل عمل القلب والجوارح . ا هـ.

**وخلاصة القول :**

أن أهل السُّنَّة وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية فالخوارج كفروا مرتكب الكبيرة مطلقاً بل ومنهم من كفَّر حتى مرتكب الصغيرة ، والمعتزلة قالوا : إن أصحاب الكبائر لا مسلمون ولا كفار بل هم في منزلة بين المنزلتين واتفقوا مع الخوارج في الحكم الأخروي على صاحب الكبيرة أنه مخلد في النار ، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ١٣ / ٣٧-٣٨ ) :

وكانت الخوارج قد تكلموا في تكفير أهل الذنوب من أهل القبلة وقالوا : إنهم كفار مخلدون في النار فخاض الناس في ذلك وخاض في ذلك القدرية بعد موت الحسن البصري ، فقال عمرو بن عبيد وأصحابه : لاهم مسلمون ولا كفار بل لهم منزلة بين المنزلتين وهم مخلدون في النار فوافقوا الخوارج أنهم مخلدون وعلى أنه ليس معهم من الإسلام والإيمان شيء، ولكن لم يسموهم كفاراً واعتزلوا حلقة أصحاب الحسن البصري مثل قتادة وأيوب السختياني وأمثالهما ، فسموا معتزلة من

ذلك الوقت بعد موت الحسن وقيل : إن قتادة كان يقول أولئك المعتزلة . اهـ.

وأما المرجئة والجهمية فأعطوا الفاسق مرتكب الكبائر الإيمان المطلق وقالوا : إنه كامل الإيمان ولا يضر مع الإيمان ذنب ، وكل هؤلاء كما قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : أوتوا من قبل سوء فهمهم لنصوص الكتاب والسُّنَّة .

وأما أهل السُّنَّة والجماعة فهم أسعد الناس بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وطريق الصحابة ﷺ فإنهم لم يكفروا أهل القبلة بارتكاب الكبائر،وإنما قالوا إن مرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان فهو مؤمن بإيمانه وفاسق بمعصيته ، فلم يعطوه الإيمان المطلق ولا سلبوه مطلق الإيمان ولم يحكموا على الفاسق بأنه مخلد في النار يوم القيامة بل قالوا : إن مرتكبي الكبائر من أهل القبلة تحت مشيئة الله يوم القيامة إن شاء عفا عنهم وأدخلهم الجنة بلا عذاب وإن شاء عذبهم على قدر ذنوبهم ثم أدخلهم الجنة كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [ النساء : ١١٦ ] .

وسيأتي ـ إن شاء الله ـ زيادة بيان لهذا عند قول شيخ الإسلام عن أهل السُّنَّة وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر .

## وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج

أهل السُنَّة وسط في كل شيء ، فهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية نقاوة المسلمين ومن ذلك وسطيتهم في أصحاب رسول الله ﷺ بين من غلا ومن جفا .

والصحابة جمع صاحبي وهو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك ، وإن تخلل ذلك ردة على الأصح . هكذا قال أهل العلم .

**أما الرافضة :** فالرفض هو الترك وقد سموا بذلك لأنهم قالوا لزيد بن علي بن الحسين لما أبى أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما : نحن نرفضك .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوي (١٣/٣٥ / ٣٦ ):**

أما لفظ الرافضة فهذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المئة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال : رفضتموني، رفضتموني. فسموا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي والزيدية يتولون زيداً وينسبون إليه ، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام في منهاج السُنَّة :**

سموا بالشيعة لما افترق الناس فرقتين : فرقة شايعت أولياء عثمان وفرقة شايعت علياً رضي الله عنه، ولم يكونوا يسمون رافضة في ذلك الوقت وإنما سموا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين في الكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما فرفضه قوم فقال : رفضتموني ، فسموا رافضة وتولاه قوم فسموا زيدية لانتسابهم إليه. ا هـ.

وأما الخوارج فقد خرجوا على الصحابة زمن علي رضي الله عنه وكفروه وكفَّروا معاوية وعثمان رضي الله عنهما واستحلوا دماء الصحابة ودماء من تولاهم وقدحوا في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى(٣/٣٧٥):**

وهم أيضاً ـ أهل السُّنَّة ـ في أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم وسط بن الغالية الذين يغالون في علي رضي الله عنه فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما وأن الصحابة ظلموا وفسقوا وكفروا الأمة بعدهم كذلك ، وربما جعلوه نبياً أو إلهاً (١) ، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما ويستحبون سبَّ علي وعثمان ونحوهما ويقدحون في خلافة علي رضي الله عنه وإمامته . وكذلك في سائر أبواب السُّنَّة هم وسط لأنهم متمسكون بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ . وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . اهـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٣ / ٣٢-٣٥ ) :**

وهاتان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان ، وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدراً من خلافة عثمان في السَنة الأولى من ولايته، متفقين لا تنازع بينهم ، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعاً من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان.

ولما اقتتل المسلمون بصفِّين واتفقوا على تحكيم حكمين خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء، فكفَّ عنهم أمير المؤمنين وقال : لكم علينا أن لانمنعكم حقكم من الفيء ولا نمنعكم المساجد ، إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، فقتلوا عبدالله بن خباب، وأغاروا على سرح المسلمين فعلم عليٌّ أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله ﷺ حيث قال : **يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما**

---

(١) قال ابن حزم في الفصل: إن غلاتهم كفَّروا عليّ بن أبي طالب قالوا : لأن عليّ أقر الظلم والباطل حين بايع أبا بكر وعمر ، وكان الواجب عليه أن ينكر بيعتهما فلما لم يأخذ بالحق والعدل ووافق على الظلم صار ظالمًا كافرًا.

**يمرق السهم من الرمية ، آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة شعرات ) .**

**وفي رواية : ( يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ) .**

فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله ﷺ وقال : هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس فقاتلهم ووجد العلامة بعد أن كان لا يوجد فسجد لله شكراً .

وحدث في أيامه الشيعة لكن كانوا مختفين بقولهم لا يظهرونه لعلي وشيعته بل كانوا ثلاث طوائف : **طائفة تقول** : إنه إله ، وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقهم بالنار وخدّ لهم أخاديد عند باب مسجد بني كنده .

**وقيل إنه أنشد :**

لما رأيت الأمـــر أمـــراً منكراً　　　أجـجت ناري ودعـوت قنبـراً

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

أتي علي بزنادقة فحرقهم بالنار، ولو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي ﷺ أن يعذب بعذاب الله ، ولضربت أعناقهم لقوله : **( من بدل دينه فاقتلوه )** .

وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما هو مذهب أكثر الفقهاء ، وقد روى أنه أجلهم ثلاثاً .

**والثانية :** السابَّة وكان قد بلغه عن أبي السوداء أنه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه .

**قيل :** إنه طلبه ليقتله ، فهرب منه .

**والثالثة :** المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فتواتر عنه أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر .

وروى ذلك البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية أنه سأل أباه : من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر. قال : ثم من ؟ ، قال : عمر .

• كانت الشيعة الأولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر ، وإنما كان النزاع

في علي وعثمان ولهذا قال شريك بن عبد الله : إن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر ، فقيل له تقول هذا وأنت من الشيعة ؟ فقال : كل الشيعة على هذا وهو الذي قال هذا على أعواد منبره أفنكذبه فيما قال ؟ .

**ولهذا قال سفيان الثوري :** من فضل علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار ، وما أرى يصعد له إلى الله - عز وجل - عمل وهو كذلك رواه أبو داوود في سننه .

وكأنه يعرض بالحسن بن صالح بن حي ، فالزيدية الصالحة وهم أصلح طوائف الزيدية ينسبون إليه ولكن الشيعة لم يكن لهم في ذلك الزمان جماعة ولا إمام ولا دار ولا سيف يقاتلون به المسلمين، وإنما كان هذا للخوارج تميزوا بالإمام والجماعة والدار وسموا دارهم دار الهجرة وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب .

وكلا الطائفتين تطعن بل تكفر ولاة المسلمين وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاهما ، والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم .

ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج من سفك الدماء وأخذ الأموال والخروج بالسيف ، فلهذا جاءت الأحديث الصحيحة بقتالهم ، والأحاديث في ذمهم والأمر بقتالهم كثيرةً جداً وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته وأحاديث الشفاعة والحوض. ا هـ.

**قلت :** وبما سبق وغيره عُلم وسطية أهل السُّنَّة في أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم يحبونهم جميعاً ويترضون عنهم جميعاً ويتولونهم جميعاً، ولا يذكرونهم إلا بالجميل، ويمسكون عما شجر بينهم ويعتقدون أنهم في ذلك بين الأجر والأجرين، ويقولون كما قال سبحانه : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ**

الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ .

[ الحشر :٨–١٠ ] .

كما أن أهل السُّنَّة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويعرفون لهم حقهم، ويحفظون وصية رسول الله فيهم ، ولا يغالون في محبتهم ، بل يحبونهم حباً شرعياً دون إفراط أو تفريط .

**وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه -سبحانه- فوق سمواته على عرشه عليٌّ على خلقه، وهو - سبحانه - معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله:**

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) ﴾ [الحديد: ٤]، وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه مختلط بالخلق،فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو - سبحانه - فوق عرشه رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته.

سبق أن من الإيمان بالله الإيمان بعلو الله واستوائه على عرشه ومعيّته لخلقه.

وأن علو الله على خلقه علو الذات، وقد دلَّ عليه الكتاب بدلالات متنوعة، والسُّنَّة بدلالاتها الثلاث: القولية والفعلية والتقريرية والإجماع والعقل والفطرة، كما أن الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة تدل على علو الصفة.

**وسبق الفرق بين الاستواء والعلو وأقسام المعيّة، وسبق أنه لا تعارض بين علوه ومعيته وذلك من وجوه تؤخذ من كلام شيخ الإسلام نفسه:**

**الأول:** أن الله جمع لنفسه بينهما - العلو والمعيّة - وما جمع الله بينهما لنفسه فيستحيل أن يتناقضا، إذ أن المتناقضين لا يجتمعان معاً ولا يرتفعان معاً، ولو كان بينهما تناقضاً لكان آخر الآية مكذباً لأولها، وحاشا كلام الله أن يكون كذلك، فإن الله تعالى يقول: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء: ٨٢].

**الثاني:** أنه قد يجتمع العلو والمعيّة في المخلوقات كما يقال: لا زلنا نسير والقمر

معنا مع علوه .

**الثالث :** أنه لو قُدِّر أنه لا يجتمع العلو والمعيّة بالنسبة للمخلوق لم يلزم ذلك بالنسبة للخالق ـ سبحانه وتعالى ـ لأنه ليس كمثله شيء .

**الرابع :** أن هذا لا توجبه لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، فإن كملة ( مع ) في اللغة لمطلق المصاحبة لا تفيد اختلاطاً ولا امتزاجاً ولا مجاورة ولا مماسة، فإن ( مع ) يختلف معناها باختلاف متعلقاتها ومصحوباتها فكون نفس الإنسان معه نوع من أنواع المعيّة وكون علمه وقدرته معه نوع آخر ، وكون زوجته معه نوع آخر وكون أميره معه نوع آخر ، ويكون الشخص مع أميره وبينهما مسافات، وكون زوجته معه لا يستلزم اختلاطاً فيقول: زوجتي معي وهي في مكان بعيد، ويقول الشخص : ما زلنا نسير والقمر معنا مع أن القمر في السماء والمسافر في الأرض والقمر معه ومع غيره أينما كان، فإذا صح أن يقال هذا في حق المخلوق مع صغره فكيف لا يقال في حق الخالق الذي هو أعظم وأكبر من كل شيء ـ سبحانه وتعالى ـ.

**الخامس :** أن هذا القول خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة وتابعيهم فإنهم مجمعون على أن الله مستو على عرشه ، عال على خلقه علو الذات والصفة ، وبائن منهم ، وأجمعوا على أنه مع خلقه سبحانه .

**السادس :** أن هذا خلاف ما فطر الله عليه الخلق ، فإنهم مفطورون على الإقرار بعلو الله ـ سبحانه وتعالى ـ على خلقه ، فإنهم يتجهون إلى الله نحو العلو عند النوازل والشدائد والحاجات لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً من غير أن يرشدهم إلى ذلك أحد بل بموجب الفطرة السليمة التي فطرهم الله عليها .

**السابع :** أن هذا خلاف ما دلّت عليه النصوص الكثيرة من القرآن والسُّنَّة المتواترة من أنه ـ سبحانه ـ علي على خلقه وأنه معهم أينما كانوا ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ عال على خلقه بذاته حقيقة ومستو على عرشه حقيقة وهو معنا حقيقة .

**وقال العلامة السَّعدي في التنبيهات اللطيفة ص ٦٥ :** بعد أن أورد كلام شيخ

الإسلام السابق :

في هذا الفصل مسألة علو الله واستوائه على عرشه وأن ذلك داخل في الإيمان بالله، وذلك لما حصل في هذه المسألة من الاختلاف والمخاصمات الطويلة بين أهل السُّنَّة والجماعة ، وبين طوائف الجهمية والمعتزلة ، ومن تبعهم في هذه المسألة من الأشعرية ونحوهم .

فإن مسألة العلو صنفت فيها المصنفات المستقلة وأورد فيها أهل السُّنَّة ما لا يمكن دفعه أو دفع بعضه وحققوا ذلك بالعقل الصحيح وأن الفِطَر والعقول معترفة بل ومضطرة إلى الإيمان بعلو الله إلا من غيرت فطرته العقائد الباطلة .

وقد بيَّن المصنف في هذا الموضوع الجمع بين الإيمان بعلو الله وإثبات معيّته وعلمه المحيط ، وحققه في كلام واضح مبين بالأمثلة المقربة للمعاني بما لا مزيد عليه . ا هـ.

**وكل هذا ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يصـــان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله : ( في السماء ) أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [ البقرة :٢٥٥ ] .**

وهو الذي ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا** ﴾ [ فاطر:٤١ ] ، ﴿ **وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ [الحج : ٦٥ ] ، ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ** ﴾ [الروم:٤١ ].

أورد شيخ الإسلام هذا الكلام تأكيداً لما سبق وكرر لبيان أهمية الموضوع وأن الله عال على خلقه حقيقة ومعنا حقيقة وهكذا سائر صفاته .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :**

وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة مملؤ بما هو نص أو ظاهر أن الله فوق كل شيء وأنه فوق العرش وأنه العلي الأعلى وأنه مستو على عرشه ، وساق الأدلة الكثيرة على ذلك وأنه حقيقة وأبطل ما زعموه من المجاز وقد تكاثرت الأدلة على ذلك وأجمع على ذلك السلف ودلَّ على ذلك أيضاً دليل العقل وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة والشُّبَه الفاسدة التي يعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقلية، وقد ذم الله ـ سبحانه ـ الظن المجرد وأهله، فقال : ﴿ **إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا** (٢٨) ﴾ [النجم:٢٨ ] ، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال : **( إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث )** .

**وقال ـ رحمه الله ـ :**

النفاة للعلو ونحوه من الصفات معترفون بأنه ليس مستندهم خبر الأنبياء لا الكتاب ولا السُّنَّة ولا أقوال السلف الصالح ولا مستندهم فطرة العقل وضرورته ولكن يقولون : معنا النظر العقلي .

**وأما أهل السُّنَّة المثبتون للعلو فيقولون :** إن ذلك ثابت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع مع فطرة الله التي فطر العباد عليها وضرورة العقل مع نظر العقل واستدلاله . ا هـ. التنبيهات السنية ص ٢٠١ .

**وقد بيَّن شيخ الإسلام - رحمه الله - أن من ظن أن معنى ( في السماء ) أن السماء تقله أو تظله أنه باطل من وجهين :**

**الأول :** أن هذا الظن مصادم لأدلة القرآن الدالة على عظمة الله وغناه عن خلقه وحاجة خلقه إليه كما في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥ ]،والكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش،وهو أعظم من السموات والأرض ، والعرش أعظم منه ، فإذا كانت السموات والأرض أصغر من الكرسي والكرسي أصغر من العرش والله أعظم من كل شيء فكيف تحويه السماء أو تقلّه أو تظله ؟! .

**الثاني :** أن هذا خلاف ما أجمع عليه أهل العلم والإيمان ؛ فقد أجمعوا على أنه - سبحانه - فوق عرشه بائن من خلقه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته .

وقد تقدم الكلام في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك:١٦] ، وأنه إن أريد بالسماء المبنية ( ففي ) بمعنى ( على ) أي على السماء كقوله : ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [ طه :٧١] ، أي على جذوع النخل ، وإن أريد بالسماء العلو كان المعنى ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ أي في العلو . ا هـ. شرح العقيدة الواسطية للفوزان ص ١٠٠ .

**وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - في بيان تلبيس الجهمية (١ / ٥٥٩-٥٦٠) :**

ثم من توهم أن كون الله في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقده في ربه ، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ ، ولا رأينا أحداً نقله عن أحد ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قوله - سبحانه - ورسوله:( إن الله في السماء ) أن السماء تحويه ؟ ، لبادر كل منهم إلى أن يقول :

هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه ، ثم يريد أن يتأوله . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٣ / ٤٨-٤٩ ) :**

في بيان المحاذير من توهم أن صفات الله تماثل صفات المخلوقين .

**القاعدة الرابعة :**

وهي أن كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير :

**أحدها :** كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل .

**الثاني :** أنه إذا جعل ذلك هو مفهوماً وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى .

**الثالث :** أنه ينفي تلك الصفات عن الله ـ عز وجل ـ بغير علم فيكون معطلاً لما يستحقه الرب .

**الرابع :** أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات والجمادات أو صفات المعدومات فيكون قد عطل به صفات الكمال التي يستحقها الرب ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلّت عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات ، فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحداً في أسماء الله وآياته . ا هـ.

ثم ذكر شيخ الإسلام بعض الآيات الدالة على ( أن الرب ـ سبحانه ـ ليس هو عين

هذه المخلوقات ولا صفة ولا جزء منها ، فإن الخالق غير المخلوق وليس بداخل فيها محصور بل هي صريحة في أنه مباين لها ليس حالاً فيها ولا محلاً لها ، فإن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، والعرش من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره أو يحويه وفيها دلالة على عظمته ـ سبحانه ـ وعظيم قدرته وعظم مخلوقاته ،وقد تعرف ـ سبحانه ـ إلى عباده بصفاته وعجائب مخلوقاته وكلها تدل على كماله وأنه المعبود الحق وحده لا شريك له في ربوبيته وإلاهيته، وأن العبادة لا تصلح إلا له ولا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهما، وتدل أيضاً على إثبات الصفات لله على ما يليق بجلاله إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل، وعلى هذا سلف الأمة ومن تبعهم بإحسان وهو الذي دلت عليه أدلة الكتاب والسُّنَّة. ا هـ.التنبيهات السنية ص٢٠٣ .

**وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك في قوله:** ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقوله ﷺ : ( **إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** ) .

**وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه -سبحانه- ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌ في دنوّه قريبٌ في علوّه**

**قال العلامة السَّعدي في التنبيهات اللطيفة ( ٦٦-٦٧ ) :**

خصص المصنف ـ رحمه الله ـ هذا المبحث بهذين الأمرين وذلك لشدة الحاجة إلى الإيمان بقربه وإجابته ليكون العبد مراقباً لله إذا آمن بقربه إيماناً تاماً ، وكان منيباً إليه على الدوام إذا آمن بإجابته للسائلين وإثابته للمطيعين .

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ الجمع بين الإيمان بعلو الله وقربه ومعيّته لئلا يظن الظان أن ذلك مثل صفات المخلوقين وأنه إذا قيل إنه علي فوق خلقه كيف يكون معهم قريباً منهم ؟.

**فأجاب** بما تضمنه هذا الأصل الثابت في الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته، ومن نعوته اللازمة العلو المطلق والقرب العام والخاص، وأن القرب والعلو في حقه يجتمعان لعظمته وكبريائه وإحاطته من كل وجه فهو العلي في دنوه القريب في علوه . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٤٦٠ ) :**

فإن علوه ـ سبحانه ـ على سمواته من لوازم ذاته ، فلا يكون قط إلا عالياً ولا يكون فوقه شيء البتة ، كما قال أعلم الخلق ( **أنت الظاهر فليس فوقك شيء** ) وهو ـ سبحانه ـ قريب في علوه عال في قربه كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: ( **أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائباً، إن الذي**

**تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ) .**

وأخبر أنه فوق سماواته على عرشه مطلع على خلقه يرى أعمالهم ويعلم ما في بطونهم وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر .

والذي يسهل عليه فهم هذا : معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد ، وأنه ـ سبحانه ـ يقبض السموات بيده والأرض بيده الأخرى ثم يهزهن .

فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش . ا هـ.

**وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ إلى أن قرب الله تعالى إنما ورد خاصاً لا عاماً وأنه نوعان :**

قرب من داعيه بالإجابة ومن مطيعه بالإثابة .

**قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق ( ٤٥٨ ـ ٤٥٩ ) :**

**قرب الرب تعالى إنما ورد خاصاً لا عاماً وهو نوعان :**

قربه من داعيه بالإجابة ومن مطيعه بالإثابة .

ولم يجئ القرب كما جاءت المعيّة خاصة وعامة ،فليس في القرآن ولا في السُّنَّة أن الله قريب من كل أحد وأنه قريب من الكافر والفاجر وإنما جاء خاصاً كقوله ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾ . فهذا قربه من داعيه وسائله به ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [ الأعراف : ٥٦ ] . . . والأصل أن الله قريب من المحسنين ورحمته قريبة منهم فيكون أخبر عن قرب ذاته وقرب ثوابه من المحسنين واكتفى بالخبر عن أحدهما عن الآخر . ا هـ.

وقد أورد على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهم الله ـ قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)** ﴾ [ ق : ١٦ ] ، وأن المراد بالإنسان كل إنسان ولهذا قال في آخر الآية : ﴿ **لَقَدْ كُنتَ فِي**

غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ ق : ٢٢ ] ، إلى أن قال : ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ فهو شامل .

وأورد عليهما أيضاً قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ الواقعة : ٨٣-٨٥ ] ، ثم قسم هؤلاء الذين بلغت أرواحهم الحلقوم إلى ثلاثة أقسام ومنهم الكافر [١] وأن هذه الآيات تدل على أن قرب الله يكون عاماً .

**فأجاب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم :** بأن القرب هنا هو قرب الملائكة مع إقرارهما أن طائفة من السلف والخلف ، قالوا : إن المقصود بالقرب قرب الله بعلمه وإحاطته وقدرته .

**قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ( ٥ / ٢٣٦ ) :**

قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله منه وهو رب الملائكة والروح وهم لا يعملون شيئاً إلا بأمره فذواتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد ، فيجوز أن يكون بعضهم أقرب إليه من بعض ، ولهذا قال في تمام الآية ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ ق : ١٧ - ١٨ ] ،وهذا كقوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [ الزخرف : ٨٠ ] .

فقوله : ﴿ إِذْ ﴾ ظرف فأخبر أنهم ﴿ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ حين يتلقى المتلقيان ما يقول ﴿ عَنِ الْيَمِينِ ﴾ قعيد ﴿ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ثم قال : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ أي شاهد لا يغيب .

هذا كله خبر عن الملائكة . ا هـ.

وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة فإنه قال : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ

---

( ١ ) شرح الواسطية لابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ( ٤٦٠ - ٤٦١ ) .

رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ ق : ١٦ – ١٨ ] .

فقيد القرب بهذا الزمان وهو زمان تلقي المتلقيين ، قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال : ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب .

وكذلك قوله في الآية الأخرى: ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

فلو أراد قرب ذاته لم يخص ذلك بهذه الحال ولا قال : ﴿وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ﴾ فإن هذا إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال ، ولكن نحن لا نبصره ، والرب تعالى لا يراه في هذه الحال ولا الملائكة ولا البشر .

وأيضاً فإنه قال : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ فأخبر عمن هو أقرب إلى المحتضر من الناس الذين عنده في هذه الحال وذات الرب ـ سبحانه وتعالى ـ إذا قيل : هي في مكان أو قيل : قريبة من كل موجود لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال ولا يكون أقرب إلى شيء من شيء . ا هـ. وانظر: مختصر الصواعق ، لابن القيم ، ص ٤٥٧–٤٥٨ .

**وقد أورد الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ في فتح الباري ( ٣ / ١١٢-١١٧ )** حديث أبي موسى الذي أورده شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وبين أنه لا تنافي بين قرب الله وعلوه بياناً كافياً شافياً فقال : وقد خرَّج البخاري في الدعوات حديث أبي موسى ، أنهم رفعوا أصواتهم بالتكبير ، فقال لهم النبي ﷺ :«**إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً ، إنكم تدعون سمعياً قريباً**» .

وفي رواية : « **إنه أقرب إليكم من أعناق رواحلكم** » .

ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح

المراد بها ، فيستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده وإحاطته بهم وقربه من عابديه وإجابته لدعائهم ، فيزدادون به خشية لله وتعظيماً وإجلالاً ومهابة ومراقبة واستحياء ويعبدونه كأنهم يرونه .

ثم حدث بعدهم من قل ورعه وساء فهمه وقصده وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان .

كما يحكى ذلك عن طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة ﵃ ، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وقد حذر النبي ﷺ منهم في حديث عائشة الصحيح المتفق عليه .

وتعلقوا أيضاً بما فهموه وبفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ .

وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ .

**فقال من قال من علماء السلف حينئذ :** إنما أراد أنه معهم وقصدوا بذلك إبطال ما قاله أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن .

وممن قال : إن هذه المعيّة بالعلم : مقاتل بن حيان وروي عنه أنه رواه عن عكرمة عن ابن عباس .

وقاله الضحاك قال : الله فوق عرشه وعلمه بكل مكان .

وروي نحوه عن مالك وعبد العزيز الماجشون والثوري وأحمد وإسحاق وغيرهم من أئمة السلف . . . . إلى أن قال : وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ أن المراد علمه .

وكل هذا قصدوا به رد قول من قال : إنه تعالى بذاته في كل مكان .

وزعم بعض من تحذلق أن ما قاله هؤلاء الأئمة خطأ لأن علم الله صفة لا تفارق ذاته .

وهذا سوء ظن منه بأئمة الإسلام فإنهم لم يريدوا ما ظنه بهم وإنما أرادوا أن علم الله متعلق بما في الأمكنة كلها، ففيها معلوماته لا صفة ذاته كما وقعت الإشارة في القرآن إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه : ٩٨ ] ، وقوله : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [ غافر: ٧ ] ، وقوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [ الحديد : ٤ ] .

**وقال حرب :** سألت إسحاق بن راهوية عن قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قال حيث ما كنت هو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه .

وروى عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن عمر بن الخطاب مر بقاص وقد رفعوا أيديهم فقال : ويلكم إن ربكم أقرب مما ترفعون ، وهو أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد .

وخطب عمر بن عبد العزيز فذكر في خطبته : إن الله أقرب إلى عباده من حبل الوريد ، وكان مجاهد حاضراً يسمع فأعجبه حسن كلام عمر .

وهذا كله يدل على أن قرب الله من خلقه شامل لهم ، وقربه من أهل طاعته فيه مزيد خصوصية ، كما أن معيّته مع عباده عامة حتى ممن عصاه ، قال تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [ النساء :١٠٨] .

ومعيَّته مع أهل طاعته خاصة لهم، فهو ـ سبحانه ـ مع الذين اتقوا ومع الذين هم محسنون ، وقال لموسى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [ طه :٤٦ ] ، وقال موسى : ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾ [ الشعراء : ٦٢ ] ، وقال في حق محمد ﷺ وصاحبه رضي الله عنه : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [ التوبة : ٤٠ ] .

ولهذا قال النبي ﷺ لأبي بكر في الغار : ( **ما ظنك باثنين الله ثالثهما** ) .

فهذه المعيّة معيّة خاصة غير قوله : ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ .

فالمعيّة العامة تقتضي التحذير من علمه واطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه ، والمعيّة الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته ، فكذلك القرب وليس هذا القرب كقرب الخلق المعهود منهم كما ظنه من ظنه من أهل الضلال وإنما هو قرب ليس يشبه قرب المخلوقين ، كما أن الموصوف به ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [ الشورى : ١١ ]

وهكذا القول في أحاديث النزول إلى سماء الدنيا فإنه من نوع قرب الرب من داعيه وسائليه ومستغفريه ، وقد سئل عنه حماد بن زيد فقال : هو في مكانه يقرب من خلقه كما يشاء .

ومراده أن نزوله ليس هو من مكان إلى مكان كنزول المخلوقين . ا هـ.

والحاصل أن الأمر كما قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : وما ذكر في الكتاب والسُّنَّة من قربه ومعيّته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه ـ سبحانه ـ ليس كمثله شيء في جميع نعوته ، وهو علي في دنوِّه ، قريبٌ في علوِّه . ا هـ.

**ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منــزلٌ غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كــلام غــيــره ، و لا يجــوز إطلاق القــول بأنه حكاية عن كــلام الله أو عــبــارة ، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك على أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإن الكلام إنما يضــاف حقيــقة إلى من قالــه مبتدأ لا إلــى من قاله مبلغــاً مؤدياً ، وهو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف دون المعاني و لا المعاني دون الحروف**

**قوله ـ رحمه الله ـ: (ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله ـ ألخ ) .**

أي أن الإيمان بـأن القرآن كـلام الله من الإيمان بالله ، لأن كـلام الله صفة من صفاته ـ سبحانه وتعالى ـ وكونه من الإيمان بكتبه لأنها كلام الله، فالتوراة والإنجيل والقرآن كلها كلام الله ولأن القرآن أيضاً دل على أنه كلام الله كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ٦ ] .

وروى الإمام أبو داوود عن جابر بن عبـد الله ﷺ قال : كـان رسـول الله ﷺ يعرض نفسه في الموسم فيقول : **( ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي )** .

والذي عليه إجماع السلف الصالح من الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان ، على أن القران كلام الله غير مخلوق حروفه ومعانيه ولم يخالف في ذلك إلا أهل البدع والضلال .

**وقوله : ( منزل غير مخلوق ) .**

أي أنه منزل من عند الله، نزل به جبريل عليه السلام إلى نبينا ﷺ خلافاً لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة الذين يقولون بأنه ليس منزلاً من عند الله وأنه مخلوق، وقد سبق الرد على تحريفهم لكلام الله في أن كونه منزلاً دليل على أنه مخلوق .

ومما يدل على أنه منـزل من عنـد الله قولـه تعالـى : ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [ فصلت : ٤٢ ] ، وقوله : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [ النحل :١٠٢ ] ،

وقوله : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) ﴾ [ الشعراء: ١٩٢-١٩٣ ] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) ﴾ [ يوسف : ٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) ﴾ [ غافر: ١-٢ ] ، وغير ذلك. وقوله : غير مخلوق : أي خلافاً لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة الذين قالوا : إنه مخلوق .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٥١٨ ):**

( لم يكن في الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين من قال إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره ولم يقم به كلاماً كما قالته الجهمية من المعتزلة وغيرهم بل لما أظهروا هذه البدعة اشتد نكير السلف والأئمة لها . ا هـ.

**وقال - رحمه الله -:** ولم يقل أحد من السلف أن القرآن مخلوق أو قديم بل الآثار متواترة عنهم بأنهم يقولون :القرآن كلام الله،ولما ظهر من قال: إنه مخلوق قالوا رداً لكلامه :إنه غير مخلوق، وأول من عرف أنه قال القرآن مخلوق الجعد بن درهم وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف أنه قال أنه قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب. ا هـ.

**وقال ابن القيم - رحمه الله - في نونيته :**

وكذلك القرآن عين كلامه الـ ... مسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظاً ومعنا ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان

وقد أورد شيخ الإسلام أدلة كثيرة تدل على أن القرآن منزل من عند الله وتكلم بكلام متين ، يراجع في مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٥١٩ - ٥٢٠ ) .

**وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٥١٦-٥١٧ ) :**

قال حرب بن إسماعيل الكرماني : سمعت إسحاق بن راهوية يقول : ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق ؛ وكيف يكون شيء من الرب - عز ذكره - مخلوقاً ؟، ولو كان كما قالوا لزمهم أن يقولوا : علم الله وقدرته ومشيئته

مخلوقة ، فإن قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا : كان الله - تبارك اسمه - ولا علم ولا قدرة ولا مشيئه وهو الكفر المحض الواضح ، لم يزل الله عالماً متكلماً له المشيئة والقدرة في خلقه ، والقرآن كلام الله وليس بمخلوق ، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر .

وقال وكيع بن الجراح : من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق ، فقيل له : من أين قلت هذا ؟ ، قال : لأن الله يقول: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [ السجدة: ١٣ ] ، ولا يكون من الله شيء مخلوق وهذا القول قاله غير واحد من السلف. ا هـ. وانظر: نصوصاً عدة عن السلف في تكفير من قال بخلق القرآن في مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٥٠٨ - ٥١٠ ) .

**قوله - رحمه الله - : ( منه بدأ واليه يعود ) .**

**قال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ١٧ / ٨٣ ) :**

**والذي اتفق عليه السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق.**

**وقال غير واحد منهم: منه بدأ وإليه يعود قال أحمد بن حنبل وغيره :**

منه بدأ : أي هو المتكلم به ، لم يبتدأ من غيره كما قالت الجهمية القائلون بأن القرآن مخلوق قالوا : خلقه في غيره فهو مبتدأ من ذلك المحل المخلوق ، ويلزمهم أن يكون كلاماً بذلك المحل المخلوق لا لله تعالى. ا هـ.

**وقال - رحمه الله - ( ١٢ / ٥١٧ ) :**

**قال أحمد بن حنبل :** كلام الله من الله ليس ببائن منه ،وهذا معنى قول السلف : القرآن كلام الله منه بدأ ومنه خرج وإليه يعود .. إلى أن قال :

**وليس معنى قول السلف والأئمة :** إنه منه خرج ومنه ، بدأ أنه فارق ذاته وحل بغيره ، فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره ، فكيف يكون كلام الله ؟.

قال تعالى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ [ الكهف: ٥ ] ، فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم ومع هذا فلم تفارق ذاتهم .

وأيضاً فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره لا صفة الخالق ولا صفة المخلوق والناس إذا سمعوا كلام النبي ﷺ ثم بلّغوه عنه كان الكلام الذي بلّغوه كلام رسول الله ﷺ ، وقد بلّغوه بحركاتهم وأصواتهم ، فالقرآن أولى بذلك ، فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [ التوبة : ٦ ] .

وقال ﷺ : ( **زينوا القرآن بأصواتكم** ) .

ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية فإنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره فيكون قد ابتدأ أو خرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله كما يقولون : كلامه لموسى خرج من الشجرة ، فبيَّن السلف والأئمة أن القرآن من الله بدأ وخرج وذكروا قوله :﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ فأخبر أن القرآن منه لا من غيره من المخلوقات . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ (١٢ / ٢٧٤ ) :**

قول السلف : ( **منه بدأ** ) لم يريدوا به أنه فارق ذاته وحل في غيره ، فإن كلام المخلوق بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلى غيره ، فكيف يجوز أن يفارق ذات الله كلامه أو غيره من صفاته؟ ، بل قالوا : ( منه بدأ ) أي هو المتكلم به رداً على المعتزلة والجهمية وغيرهم الذين قالوا : بدأ من المخلوق الذي خلق فيه .

**وقولهم :** إليه يعود : أي يسرى عليه ، فلا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في الصدور منه آية . ا هـ.

وانظر مجموع الفتاوى ( ٣ / ١٧٤-١٧٥ ) .

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٥٢٨ ـ ٥٢٩ ) :**

والذي اتفق عليه السلف والأئمة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ، وإنما قال السلف : ( منه بدأ ) لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون : ( إنه خلق الكلام في المحل ) ، فقال السلف : ( منه بدأ ) ، أي هو المتكلم

به ، فمنه بدأ لا من بعض المخلوقات ، كما قال تعالى : ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [ الزمر : ١ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [ السجدة : ١٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ ﴾ [ سبأ : ٦ ] ، وقال تعالى ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ [ النحل : ١٠٢ ] .

ومعنى قولهم : ( إليه يعود ) : أنه يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ولا منه حرف كما جاء في عدة آثار أ.هـ

أما العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ فقد رجَّح أن معنى ( إليه يعود ) أي يوصف الله به .

**فقد قال في التنبيهات اللطيفة ص ٦٨ :**

وقولهم ( إليه يعود ) أي : يرجع أي يوصف الله به ، وقيل : أن المراد بذلك ما ورد من أن من أشراط الساعة أن يرفع القرآن من الصدور والمصاحف ،والأول أولى . ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ :** ( وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره ) .

يريد شيخ الإسلام بكلامه هذا أن الله تكلم بالقرآن حقيقة وأنه ليس بكلام جبريل ولا كلام نبينا محمد ﷺ .

**وقد قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ( ٥-٢٣٣ ) :**

ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها أن النبي ﷺ سمع القرآن من جبريل ، وجبريل سمعه من الله عز وجل . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في الجواب الصحيح ( ٤ / ٣٣٧ -٣٣٩ ) بعد أن ذكر بعض الأقوال الباطلة في كلام الله :**

وكل هذه الأقوال محدثة مبتدعة لم يقل شيئًا منها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا إمام من أئمة المسلمين كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهوية

وابن عيينة وغيرهم .

بل هؤلاء كلهم متفقون على أن القرآن منزل غير مخلوق ، وأن الله أرسل به جبريل فنزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ فبلغه محمد إلى الناس فقرأه الناس بحركاتهم وأصواتهم ، وليس شيء من أفعال العباد وأصواتهم قديماً ولا غير مخلوق ولكن كلام الله غير مخلوق ، ولم يكن السلف يقولون القرآن قديم ولما أحدث الجهمية وموافقوهم من المعتزلة وغيرهم أنه مخلوق بائن من الله قال السلف والأئمة : إنه كلام الله غير مخلوق . ا هـ.

**وقوله ـ رحمه الله ـ :** ( ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ) .

يشير ـ رحمه الله ـ إلى الكلابية الذين قالوا : إنه حكاية وإلى الأشاعرة الذين قالوا : إنه عبارة ، فالكلابية والأشاعرة متفقون على أن هذا القرآن الذي بين أيدينا ليس كلام الله بل هو إما حكاية أو عبارة ، فالأشاعرة يقولون : إن الله عبَّر عن كلامه النفسي بحروف وأصوات مخلوقة .

**والكلابية يقولون :** إن القرآن معنى قائم بذات الله وأنه لا يسمع على الحقيقة والحروف والأصوات حكاية له ودالة عليه كما يحكي الصدى كلام المتكلم .

وقد أبطل شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في التسعينية قول من قال : إن كلام الله هو المعنى القائم بالنفس من تسعين وجهاً حتى قال ابن القيم في نونيته :

تسعون وجهاً بيَّنتْ بطلانه ... أعني كلام النفس ذا البطلان

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص ( ٤٧٤ - ٤٧٥ ) في سياق مذاهب الناس في كلام الله :**

**المذهب الرابع :** مذهب الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم وأنه لا يسمع على الحقيقة .

**والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة وهو أربع معان في نفسه :** الأمر والنهي والخبر والاستفهام ، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يُسمع وذلك المعنى هو المتلو المقروء وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة .

وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم والحروف، والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلاً للحوادث فهي مخلوقة منفصلة عن الرب ، والقرآن اسم ذلك المعنى وهو ـ أي المعنى ـ غير مخلوق .

**المذهب الخامس :** مذهب الأشعري ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت ، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء، وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار الكل من واحد وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا بجزء وكونه قرآناً وتوراةً وإنجيلاً تقسيماً للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبَّر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراةً وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلاً والمعنى واحد .

**ثم قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :**

وجمهور العقلاء يقولون : إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه وهو لا يتصور إلا كما تصور المستحيلات والممتنعات . ا هـ.

## وقوله - رحمه الله - :

**بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة ، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً .**

يريد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بهذا أن القرآن وإن حفظ في الصدور أو تلي

بالألسن أو كتب في المصاحف أو سمع بالآذان فإن ذلك لا يخرجه عن كونه كلام الله وإن بلغه الرسول الملكي جبريل للرسول البشري محمد ﷺ وبلغه نبينا محمد ﷺ لأمته، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً.

**قال شيخ الاسلام - رحمه الله - في التسعينية ( ٣ / ٩٦٣ - ٩٦٥ ) :**

أهل السُّنَّة يقولون : الكلام كلام من قاله مبتدئاً لا كلام من قاله مبلغاً مؤدياً ، فالرجل إذا بلغ قول النبي ﷺ : ( **إنما الأعمال بالنيات ؛ وإنما لكل أمرئ ما نوى** ) كان قد بلغ كلام النبي ﷺ في حركاته وأصواته ، وكذا إذا أنشد شعر شاعر كامرئ القيس أو غيره فإذا قال :

قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل .

كان هذا الشعر شعر امرئ القيس ، وإن كان هذا قاله بحركاته وأصواته وهذا أمر مستقر في فطر الناس كلهم يعلمون أن الكلام كلام من تكلم به مبتدئاً آمراً بأمره ومخبراً بخبره ومؤلفاً حروفه ومعانيه، وغيره إذا بلغه عنه علم الناس أن هذا كلام للمبلِّغ عنه لا للمبلِّغ ، وهم يفرقون بين أن يقوله المتكلم به والمبلغ عنه وبين سماعه من الأول وسماعه من الثاني، ولهذا كان من المستقر عند المسلمين أن القرآن الذي يسمعونه هو كلام الله كما قال تعالى : ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ** ﴾ [ التوبة : ٦ ] ، مع علمهم بأن القارئ يقرأه بصوته ، والصوت هو صوت القارئ . اهـ.

**وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - كما في مختصر الصواعق ص ٤٩١ - ٤٩٢ :**

وقال إبراهيم الحربي : كنت جالساً عند أحمد بن حنبل إذ جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً يقولون إن ألفاظهم بالقرآن مخلوقة، قال أبو عبد الله : يتوجه العبد لله بالقرآن بخمسة أوجه هو فيها غير مخلوق : حفظ بقلب وتلاوة بلسان وسمع بأذن ونظر ببصر وخط بيد ، فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق والنظر

مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق .

قال إبراهيم : فمات أحمد فرأيته في النوم وعليه ثياب خضر وبيض وعلى رأسه تاج من الذهب مكلل بالجواهر وفي رجليه نعلان من ذهب ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي وقربني وأدناني فقال : قد غفرت لك ، فقلت له بما يا رب ؟ قال : بقولك كلامي غير مخلوق .

**قال ابن القيم :** من لم يفرق هذا التفريق لم يستقر له قدم في الحق . ا هـ.

**وقوله ـ رحمه الله ـ : ( وهو كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف ) .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية (ص ٤٦٧-٤٦٨ ) :**

**قوله :** ( هو كلام الله حروفه ومعانيه ) :

هذا مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ، قالوا : إن الله تعالى تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه.

**وقوله : (ليس كلام الله الحروف دون المعاني) .**

**وهذا مذهب المعتزلة والجهمية لأنهم يقولون :** إن الكلام ليس معنى يقوم بذات الله ، بل هو شيء من مخلوقاته كالسماء والأرض والناقة والبيت وما أشبه ذلك ، فليس معنى قائماً في نفسه ، فكلام الله حروف خلقها الله ـ عز وجل ـ وسماها كلاماً كما خلق الناقة ، وسماها ناقة الله ، وكما خلق البيت وسماه بيت الله .

ولهذا كان الكلام عند الجهمية والمعتزلة هو الحروف لأن كلام الله عندهم عبارة عن حروف وأصوات خلقها الله عز وجل ونسبها إليه تشريفاً وتعظيماً .

**قوله : (ولا المعاني دون الحروف) :**

وهذا مذهب الكلابية والأشعرية، فكلام الله عندهم معنى في نفسه ثم خلق أصواتاً وحروفاً تدل على هذا المعنى إما عبارة أو حكاية .

واعلم أن ابن القيم ـ رحمه الله ـ ذكر أننا إذا أنكرنا أن الله يتكلم فقد أبطلنا

الشرع والقدر .

أما الشرع فلأن الرسالات إنما جاءت بالوحي ، والوحي كلام مبلغ إلى المرسل إليه فإذا نفينا الكلام انتفى الوحي ، وإذا انتفى الوحي انتفى الشرع .

أما القدر فلأن الخلق يقع بأمره بقوله ﴿ **كُن** ﴾ فيكون كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ** (٨٢) ﴾ [ يس : ٨٢ ] . ا هـ .

**وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته ورسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب ، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته . يرونه -سبحانه- وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله .**

( وجه كون الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة من الإيمان بالله ظاهر ، لأن هذا مما أخبر الله به فإذا آمنا به فهو من الإيمان بالله .

ووجه كونه من الإيمان بالكتب لأن الكتب أخبرت بأن الله يُرى ، فالتصديق بذلك تصديق بالكتب .

ووجه كونه من الإيمان بالملائكة لأن نقل الوحي بواسطة الملائكة فإن جبريل ينزل بالوحي من الله تعالى فكان الإيمان بأن الله يُرى من الإيمان بالملائكة .

وكذلك نقول من الإيمان بالرسل لأن الرسل هم الذين بلغوا ذلك للخلق فكان الإيمان بذلك من الإيمان بالرسل )[1] .

وقيل : أي قد دخل في الإيمان بالله وكتبه وملائكته ورسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه ـ سبحانه ـ يوم القيامة ، فمن لم يؤمن بأنه ـ سبحانه ـ يُرى يوم القيامة فقد رد أدلة الكتاب والسُّنَّة وخالف ما عليه سلف الأمة وأئمتها ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله .

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي .

قال أبو داوود : سمعت الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يقول : من قال أن الله لا يُرى في الآخرة فهو كافر .

وقال : من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله

---

( ١ ) شرح الواسطية لابن عثيمين ـ رحمة الله ـ ( ٤٦٠ – ٤٦١ ) .

أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل .

**وقال ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ :** إن المؤمنين يرون ربهم خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين .

**وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :** دلَّ الكتاب والسُّنَّة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة أهل الإسلام والحديث على أن الله يُرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر وكما تُرى الشمس صحواً ، فإن كان ما أخبر الله به ورسوله حقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو من ورائهم أو قدامهم ونحو ذلك ، ولا يجتمع في قلب عبد اطلع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبداً . اهـ. التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ٢١٦ .

**قول شيخ الاسلام : (إن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عياناً بأبصارهم) .. الخ .**

أراد بهذا الرد على الأشاعرة القائلين بأن الله يُرى من غير معاينة ومواجهة .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٦ / ٨٤ ـ ٨٥ ) :**

قول هؤلاء ـ الأشاعرة ـ إن الله يُرى من غير معاينة ومواجهة قول انفردوا به دون سائر طوائف الأمة وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة .

والأخبار المتواترة عن النبي ﷺ ترد عليهم كقوله في الأحاديث الصحيحة ( **إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر ، لا تضارون في رؤيته** ) .

وقوله لما سأله الناس هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : (**هل ترون الشمس صحواً ليس دونها سحاب** ؟ ، قالوا : نعم ، **قال : وهل ترون القمر صحواً ليس دونه سحاب** ؟ ، قالوا : نعم ، قال : (**فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر**) .

فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئي، بالمرئي فإن الكاف حرف التشبيه دخل على الرؤية وفي لفظ للبخاري ( **يرونه عياناً** ) ، ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عياناً مواجهة فيجب أن نراه كذلك وأما رؤية ما لا نعاين ولا نواجهه فهذه غير متصورة

في العقل فضلاً أن تكون كرؤية الشمس والقمر .

ولهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية وقالوا : قولنا هو قول المعتزلة في الباطن فإنهم فسروا الرؤية بزيادة انكشاف ونحو ذلك مما لا تنازع فيه المعتزلة . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في بيان تلبيس الجهمية ( ١ / ٣٦٧ ) :**

( فمن سمع النصوص علم بالاضطرار أن الرسول إنما أخبر برؤية المعاينة وأيضاً فإن أدلة المعقول الصريحة تجوز هذه الرؤية ) . ا هـ.

**وقوله ـ رحمه الله ـ : ( يرونه ـ سبحانه ـ وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله ) .**

**أقول :** قد سبق ذكر الأدلة من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل على رؤية المؤمنين لربهم في الجنة يوم القيامة ، وأن هذه المسألة من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة ، كما مر أن من أئمة أهل السُّنَّة من كفر منكر ذلك .

كما أن النصوص دلَّت على أن المؤمنين يرون ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ في عرصات القيامة إلا أنها ليست كرؤيتهم له في الجنة .

**قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٥٠٣ ) :**

ثم إن هذا النوع من الرؤية الذي هو عام للخلائق قد يكون نوعاً ضعيفاً ليس من جنس الرؤية التي يختص بها المؤمنون ، فإن الرؤية أنواع متباينة تبايناً عظيماً لا يكاد ينضبط طرفاها . ا هـ.

**أما الكفار من المنافقين والمشركين وغيرهم فقد تنازع الناس فيهم إلى ثلاثة أقوال :**

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٤٨٦ ) :**

فأما مسألة رؤية الكفار ، فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها فيما بلغنا بعد ثلاثمائة من الهجرة وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء وتكلم فيها آخرون فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال مع أني ما علمت أن أولئك المختلفين فيها تلاعنوا ولا تهاجروا فيها إذ في الفرق الثلاثة قوم فيهم فضل وهم أصحاب سُنة ، ثم

قال ـ رحمه الله ـ والأقوال الثلاثة في رؤية الكفار :

**أحدها :** أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسرّ له ، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين ، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين ، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم .

**الثاني :** أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغبرات من أهل الكتاب وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك ، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السُّنَّة .

وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه ـ سبحانه وتعالى ـ لهم في الموقف، الحديث المشهور .

**الثالث :** أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب كاللصٍّ إذا رأى السلطان ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم ، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم ، وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وأبي سهيل بن عبد الله التستري . ا هـ.

**ثم ذكر رحمه الله أدلة أصحاب كل قول وأطال الكلام، ومن ذلك أنه قال ص ٥٠٤:**

**ليس لأحد أن يطلق القول بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد لوجهين :**

**أحدهما :** أن الرؤية المطلقة قد صار يفهم منها الكرامة والثواب، ففي إطلاق ذلك إيهام وإيحاش وليس لأحد أن يطلق لفظاً يوهم خلاف الحق إلا أن يكون مأثوراً عن السلف ، وهذا اللفظ ليس مأثوراً .

**الثاني :** أن الحكم إذا كان عاماً في تخصيص بعضه باللفظ خروج عن القول الجميل فإنه يمنع من التخصيص، فإن الله خالق كل شيء ومريد لكل حادث ، ومع هذا يمنع الإنسان أن يخص ما يستقذر من المخلوقات وما يستقبحه الشرع من الحوادث بأن يقول على الإنفراد : يا خالق الكلاب ، وما مريداً للزنا ، ونحو ذلك .

بخلاف ما لو قال : يا خالق كل شيء ، ويا من كل شيء يجري بمشيئته .

**فكذلك هنا لو قال :** ما من أحد إلا سيخلو به ربه وليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان أو قال : إن الناس كلهم يحشرون إلى الله فينظر إليهم وينظرون إليه كان هذا اللفظ مخالفاً في الإيهام للفظ الأول . ا هـ.

وممن رجح رؤية الكفار والمنافقين لله في عرصات القيامة العلامة ابن القيم - رحمه الله - في حادي الأرواح ص ( ٢٦٢ ) ، والله أعلم .

## ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ، فيؤمنون بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه

لما فرغ المصنف ـ رحمه الله ـ من الكلام على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره ختم بالكلام على الإيمان باليوم الآخر،وذلك أن شيخ الإسلام رحمه الله بنى عقيدته المباركة على حديث جبريل في باب الإيمان وتوسع في الكلام على أسماء الله وصفاته لكثرة المنحرفين في هذه الباب ولعظم البلية التي حصلت للأمة الإسلامية بسببهم ، واليوم الآخر كما سبق هو أحد أركان الإيمان وقد سمي باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا، وقيل: لأنه لا يوم بعده فهو آخر المراحل ومنتهى سفر الراحل.

والإيمان بهذا اليوم مما اتفقت عليه جميع الأديان السماوية كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ﴾ [البقرة:٢٤٧] ، فقد دل على الإيمان به جميع الكتب السماوية والعقل والفطرة كما أنه نادى به جميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام .

**وقد ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في كلامه السابق ضابطاً شاملاً لمعنى الإيمان باليوم الآخر،فقد قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ص ٦٩:**

وهذا ضابط جامع يدخل فيه الإيمان بالنصوص الواردة في حالة الاحتضار وفي القبر والقيامة والجنة والنار وجميع ما احتوت عليه من التفاصيل التي صنفت فيها المصنفات المطولة والمختصرة ، وكلها داخلة في الإيمان باليوم الآخر . ا هـ.

**( فالإنسان إذا مات دخل في اليوم الآخر ، ولهذا يقال : من مات قامت قيامته ، فكل ما يكون بعد الموت فإنه من اليوم الآخر .**

**إذاً ما أقرب اليوم الآخر لنا ليس بيننا وبينه إلا أن يموت الإنسان ثم يدخل في اليوم الآخر الذي ليس فيه إلا الجزاء على العمل، ولهذا يجب علينا أن نتنبه لهذه النقطة .**

فكر أيها الإنسان تجد أنك على خطر لأن الموت ليس له أجل معلوم عندنا ، قد يخرج الإنسان من بيته ولا يرجع إليه ، وقد يكون الإنسان على كرسي مكتبه ولا يقوم منه ، وقد ينام الإنسان على فراشه ولكنه يحمل من فراشه إلى سرير غسله ، وهذا أمر يستوجب منا أن ننتهز فرصة العمر في التوبة إلى الله ـ عز وجل ـ ، وأن يكون الإنسان دائماً يستشعر بأنه تائب إلى الله وراجع ومنيب حتى يأتيه الأجل وهو على خير ما يرام ) (١) .

---

( ١ ) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ( ٤٧٤ ) .

**فيؤمنون بفتنة القبر ، وبعذاب القبر ونعيمه**

**فأما الفتنة: فإن الناس يفتنون في قبورهم ، فيقال للرجل : من ربك وما دينك ، ومن نبيك ؟ فيثبّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيقول المؤمن: ربي الله وديني الإسلام ومحمد ﷺ نبيي. وأما المرتاب فيقول : هاه هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعها لصعق ، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب**

شرع شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في بيان بعض ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر ، فذكر هنا مسألتين كبيرتين عظيمتين .

**الأولى :** فتنة القبر ، نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يثبّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

**الثانية :** ما يكون بعد تلك الفتنة من نعيم أو عذاب ، نسأل الله الكريم الرحيم نعيم القبر ونعوذ به من عذابه .

**أما المسألة الأولى :** وهي فتنة القبر فتتضمن عدة مباحث .

**المبحث الأول :** معنى هذه الفتنة .

**فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢٥٧/٤ ):**

وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان . ا هـ.

**المبحث الثاني :** عظمة هذه الفتنة والدليل عليها .

فقد روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **( إنه قد أوحي إليّ أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة الدجال ) .**

« وفتنة الدجال أعظم فتنة منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة، كما في صحيح

مسلم عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **( ما بين آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال )** .

ولكن النبي ﷺ قال لأصحابه بل قال لأمته : **( إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم )** .

ومع ذلك فإن نبينا محمد ﷺ أعلمنا كيف نحاجّه وأعلمنا بأوصافه وميزاته حتى كأنا نشاهده رأي عين وبهذه الأوصاف والميزات نستطيع نحاجّه .

**ولهذا نقول :** إن فتنة الدجال أعظم فتنة والرسول ﷺ قال :

**( إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة الدجال )** .

وما أعظمها من فتنة لأن الإنسان يتلقى فيها السؤال الذي لا يمكن الجواب عليه إلا على أساس متين من العقيدة والعمل الصالح » [١] .

ومن ذلك حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذي أخرجه أحمد وأبو داوود وغيرهما وفيه : **إن العبد المؤمن في قبره تعاد روحه إلى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول : ديني الاسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان ما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت به ... إلى أن قال في العبد الكافر : فتعاد روحه في جسده ويأتيه الملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ ، فيقول : ها ها لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ها ها لا أدري )** .

وفي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **( إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾** [ إبراهيم : ٢٧ ] .

---

( ١ ) شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ( ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ) .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً** .

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : **وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . فيقال : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين )** . رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يدعو : **( اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال )** . رواه البخاري ومسلم .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء ، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة ، رواه البخاري .

وعن أسماء رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **( إنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور ، قريباً أو مثل فتنة المسيح الدجال )** متفق عليه .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها )** . رواه مسلم

وغير ذلك من الأحاديث التي بلغت مبلغ التواتر .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٢٥٧ ):**

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب وأنس بن مالك وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم . ا هـ.

## المبحث الثالث

### هل تعاد روح الميت إليه في قبره وقت السؤال أم لا ؟

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب الروح ص ( ١٣١-١٣٤ ) :**

قد كفانا رسول الله ﷺ أمر هذه المسألة وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرَّح بإعادة الروح إليه ، فقال البراء بن عازب رضي الله عنه :

كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله كأن على رؤسنا الطير وهو يلحد له ، فقال :(**أعوذ بالله من عذاب القبر ـ ثلاث مرات ـ ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة كأن وجوههم الشمس فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول :أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء ،فيأخذها ، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ ، فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله تعالى فيقول الله ـ عز وجل ـ : اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى . قال : فتعاد روحه إلى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه ،فيقولان له : من ربك ؟ فيقول: ربي الله ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك ؟ ، فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت .**

فينادي مناد من السماء : أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له باباً من الجنة قال : فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره . قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير . فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول :رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قال : وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب . قال : فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيثه ؟ ، فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح . ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [ الأعراف: ٤٠ ] .

فيقول الله عز وجل : أكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [ الحج : ٣١ ] .

فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري. فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. فينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها

**وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه .**

**ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لا تقم الساعة ) .**

رواه الإمام أحمد وأبو داوود وروى النسائي وابن ماجه أوله ورواه أبو عوانة الاسفراييني في صحيحه وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السُّنَّة والحديث من سائر الطوائف . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :**

الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح على البدن وقت السؤال، وسؤال البدن بلا روح قول قالته طائفة من الناس وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون فقالوا : السؤال للروح بلا بدن ، وهذا قاله ابن مرة وابن حزم ، وكلاهما غلط والأحاديث الصحيحة ترده ، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص . ا هـ. الروح لابن القيم ص ١٥١ .

وقد أنكر الإمام ابن حزم أن الميت يحيا في قبره قبل يوم القيامة وذكر حججه على ذلك كما أورد ذلك ابن القيم في الروح ص ١٣٤-١٥١ ، وأجاب عليه بما يكفي ويشفي ، ولولا خشية الإطالة لنقلت ذلك ولكن من أسندك فقد أحالك ، ومن أحيل على مليئ فليحتل .

# المبحث الرابع

## هل سؤال الميت في قبره خاص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها ؟

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح ص ٢٣٤-٢٣٦ :**

**هذا موضع قد تكلم فيه الناس ، فقال أبو عبد الله الترمذي :**

إنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب ، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرحمة أماناً للخلق كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ، أمسك عنهم العذاب وأعطي السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ، ثم يرسخ الإيمان في قلبه فأمهلوا ، فمن ها هنا ظهر أمر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان ، فكانوا بين المسلمين في ستر ، فلما ماتوا قيض الله لهم فَتَّاني القبر ليستخرجا سرهم بالسؤال و ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ [الأنفال: ٣٧] ، و ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [ إبراهيم :٢٧] .

وخالف في ذلك آخرون منهم عبد الحق الاشبيلي والقرطبي وقالوا : السؤال لهذه الأمة ولغيرها وتوقف في ذلك آخرون منهم : **أبو عمر بن عبد البر فقال : وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال : ( إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ) .**

**ومنهم من يرويه : تسال وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ؛ فهذا أمر لا يقطع عليه .**

وقد احتج من خصه بهذه الأمة بقوله ﷺ : **( إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها )** وبقوله ﷺ : **( أوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم )** .

وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الأمة .

قالوا : ويدل عليه قول الملكين له : ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث

فيكم؟ ، فيقول المؤمن : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فهذا خاص بالنبي ﷺ وقوله في الحديث الآخر : ( **إنكم بي تُمتحنون ، وعني تُسألون** ) .

**وقال آخرون :** لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الامم فإن قوله : ( **إن هذه الأمة** ) إما أن يراد به أمة الناس كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم** ﴾ فكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة ، وفي الحديث : ( **لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها** ) .

وفيه أيضاً حديث النبي الذي قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه : ( من أجل أن قرصتك نملة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله ) .

وإن كان المراد به أمته ﷺ الذي بُعث فيهم لم يكن فيه ما ينفي سؤال غيرهم من الأمم .

وكذلك قوله ﷺ : ( **أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم** ) .

وكذلك إخباره عن قول الملكين : ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ ، هو إخبار لأمته بما تُمتحن به في قبورها ، والظاهر ـ والله أعلم ـ أن كل نبي مع أمته كذلك وأنهم معذبون في قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ .

**قلت :** أما سؤال هذه الأمة في قبورها فالأحاديث متواترة بذلك وأما غيرها من الأمم فلا أعلم دليلاً على ذلك ، وقياس السؤال في القبر على السؤال يوم القيامة تكلف ظاهر ، فالله أعلم ، ومن كان عنده فضل علم فليعد به علينا ، وفوق كل ذي علم عليم .

# المبحث الخامس

## هل السؤال في القبر عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق ؟

**أورد العلامة ابن القيم - رحمه الله - هذا السؤال في كتابه الروح ص(٢٢٨ - ٢٣٣) ثم قال :**

**قال أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله - في كتاب التمهيد :**

والآثار الدالة تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الاسلام بظاهر الشهادة ، وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام ، فيثبِّت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون .

والقرآن والسُّنَّة تدل على خلاف هذا القول ، وأن السؤال للكافر والمسلم ، قال الله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)** ﴾ وقد ثبت في الصحيح أنها نزلت في عذاب القبر حين يسأل : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم)** . وذكر الحديث زاد البخاري( **وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين** ) هكذا في البخاري .

( وأما المنافق والكافر ) بالواو بينهما .

وقد تقدم في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه ابن حبان والإمام أحمد : كنا في جنازة مع النبي ﷺ فقال :

(يا أيها الناس إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها ، فإذا الإنسان دفن وتولى عنه أصحابه جاءه ملك وفي يده مطراق فأقعده فقال : ما تقول في هذا الرجل ؟ فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقول له : صدقت ، فيفتح له باباً إلى النار، فيقول له : هذا منزلك لو كفرت بربك ، وأما الكافر والمنافق فيقول له : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري . فيقال : لا دريت ولا أهتديت ، ثم يفتح له باباً إلى الجنة فيقول له : هذا منزلك لو آمنت بربك ، فأما إذا كفرت فإن الله أبدلك به هذا ، ثم يفتح له باباً إلى النار ، ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله إلا الثقلين ، فقال بعض الصحابة : يا رسول الله ما أحد يقوم على رأسه ملك إلا هيل[1] عند ذلك فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه - الطويل - ( وأما الكافر إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل عليه ملائكة من السماء معهم مسوح . وذكر الحديث إلى أن قال : ثم تعاد روحه في جسده في قبره ) وذكر الحديث .

وفي لفظ ( فإذا كان كافراً جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه ) فذكر الحديث إلى قوله : (ما هذه الروح الخبيثة ؟، فيقولون : فلان بأسوأ أسمائه فإذا انتهى به إلى سماء الدنيا أغلقت دونه ، قال : فيرمي به من السماء ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج:٣١] .

قال : فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فيجلسانه ، وينتهرانه فيقولان : من ربك ؟، فيقول : هاه لا أدري ، فيقولان : لا دريت . فيقولان: ما هذا النبي الذي بُعث فيكم؟، فيقول: سمعت الناس يقولون ذلك ،

---

(١) أي فزع .

**لا أدري فيقولان له : لا دريت** ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ وذكر الحديث، واسم الفاجر في عرف القرآن والسُّنَّة يتناول الكافر قطعاً كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭** ﴾ [ الانفطار: ١٣-١٤ ] ، وقوله تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ⑦** ﴾ [المطففين:٧ ] .

وفي لفظ آخر في حديث البراء رضي الله عنه : ( **وإن الكافر إذا كان في قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل إليه ملائكة شداد غضاب معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فتنزع روحه كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل ، فإذا أخرجت ، لعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء** ) وذكر الحديث إلى أن قال : (**إنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين، فيقال : يا هذا من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول : لا أدري فيقال : لا دريت**) وذكر الحديث. رواه حماد بن سلمه عن يونس بن خباب عن المنهال بن عمروعن زاذان عن البراء رضي الله عنه .

وفي حديث عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء رضي الله عنه قال :خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار وذكر الحديث إلى أن قال : ( **وإن الكافر إذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الآخرة وحضره الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من نار وحنوط من نار** ) فذكر الحديث إلى أن قال : ( **فترد روحه إلى مضجعه ، فيأتيه منكر ونكير يثيران الأرض بأنيابهما ويفحصان الأرض بأشعارهما ،أصواتهما كالرعد القاصف ،وأبصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان : يا هذا من ربك ؟، فيقول : لا أدري ، فينادى من جانب القبر: لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد ، لو اجتمع عليها من بين الخافقين لم تقل ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه** ) وذكر الحديث ، ورواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي النضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب فذكره.

**وفي حديث محمد بن سلمة عن خصيف عن مجاهد عن البراء رضي الله عنه قال :**

كنا في جنازة رجل من الأنصار ومعنا رسول الله ﷺ فذكر الحديث إلى أن قال :

وقال رسول الله ﷺ ( **وإذا وضع الكافر أتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ ، فيقول : لا أدري ، فيقولان له : لا دريت** ) الحديث وقد تقدم.

وبالجملة ، فعامة من روى حديث البراء بن عازب قال فيه : وأما الكافر ، بالجزم ، وبعضهم قال ، وأما الفاجر ، وبعضهم قال : وأما المنافق والمرتاب .

وهذه اللفظة من شك بعض الرواة ، هكذا في الحديث، لا أدري أي ذلك قال.

وأما من ذكر الكافر والفاجر فلم يشك ، ورواية من لم يشك مع كثرتهم أولى من رواية من شك مع انفراده على أن لا تناقض بين الروايتين ، فإن المنافق يُسأل كما يُسأل الكافر والمؤمن فيثبت الله الذين آمنوا بالإيمان ، ويضل الله الظالمين وهم الكفار والمنافقون .

وقد جمع أبو سعيد الخدري في حديثه الذي رواه أبو عامر العقدي .حدثنا عباد ابن راشد عن دواود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فذكر الحديث وقال : ( **وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له : ما تقول في هذا الرجل ؟ ، فيقول : لا أدري** ) وهذا صريح في أن السؤال للكافر والمنافق .

وقول أبي عمر ـ رحمه الله تعالى ـ: وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسأل عن ربه ودينه ونبيه فيقال له : ليس كذلك ، بل هو من جملة المسؤولين ، وأولى بالسؤال من غيره .

وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة، قال الله تعالى :﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ⦗٦٥⦘** ﴾ [القصص:٦٥]،وقال تعالى :﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ⦗٩٢⦘ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⦗٩٣⦘** ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ⦗٦⦘** ﴾ [ الأعراف : ٦ ] ، فإذا سئلوا يوم القيامة فكيف لا يسألون في قبورهم؟، فليس لما ذكره أبو عمر ـ رحمه الله ـ وجه . ا هـ.

**قلت :** الحجة في سؤال الكافر ما سبق من الأحاديث الصحيحة الصريحة ، وأما قياس سؤاله في القبر على سؤاله يوم القيامة فمحل نظر ، والله أعلم .

# المبحث السادس

## هل يستثنى من فتنة القبر أحد ؟

ذكر بعض العلماء أن الشهداء والمرابطين والأنبياء والصديقين ومن مات يوم الجمعة أو ليلتها والأطفال والمجانين لا يفتنون في قبورهم .

**قلت :** أما الدليل على أن الشهيد لا يفتن في قبره فما رواه النسائي في سُننه ( ١ / ٢٨٩ ) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟، قال : **( كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة )** حديث صحيح صححه العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في أحكام الجنائز ص ٣٦ .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب الروح : ( ص ٢٢٢ ) :**

**قوله ﷺ : ( كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة )** معناه ـ والله أعلم ـ : قد امتحن نفاقه من إيمانه ببارقة السيوف على رأسه فلم يفر ، فلو كان منافقاً لما صبر ببارقة السيف على رأسه ، فدل على أن إيمانه هو الذي حمله على بذل نفسه لله وتسليمها له ، وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورسوله وإظهار دينه وإعزاز كلمته ، فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل ، فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره . اهـ. وانظر: التذكرة للقرطبي ص ١٣٢ .

**والدليل على أن المرابط في سبيل الله لا يفتن في قبره :**

ما رواه مسلم وغيره من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه ، وأمن الفتان )** .

وما رواه أبو داود والترمذي والحاكم وأحمد عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر )** حديث صحيح صححه

الألباني في صحيح أبي داوود والترمذي .

وأما الأنبياء فقد اختلف هل يسألون في قبورهم على قولين ، والراجح أنهم لا يسألون ،ولقد أحسن العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ٤٧٦ حيث قال : أما الأنبياء فلا تشملهم الفتنة ولا يسألون وذلك لوجهين :

**الأول :** أن الأنبياء أفضل من الشهداء، أخبر النبي ﷺ أن الشهيد يوقى فتنة القبر وقال : ( **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** ) أخرجه النسائي .

**الثاني :** أن الأنبياء يسأل عنهم فيقال للميت : من نبيك ؟ فهم مسئول عنهم وليسوا مسئولين ، ولهذا قال النبي ﷺ ( **أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم** ) .

والخطاب للأمة المرسل إليهم فلا يكون الرسول داخلاً فيهم . ا هـ.

**وأما الصدِّيقون ، فقد قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في التذكرة ص ١٣٢ :**

إذا كان الشهيد لا يفتن ، فالصدّيق أجلُّ خطراً وأعظم أجراً ، فهو أحرى أن لا يفتن لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء في قوله تعالى : ﴿ **فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ** ﴾ [النساء : ٦٩] ، وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة من الشهيد أنه لا يفتن ، فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد ؟ ، والله أعلم ، فتأمله . ا هـ.

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ٤٧٦-٤٧٧ :**

وأما الصدّيقون فلا يسألون ،لأن مرتبة الصدّيق أعلى من مرتبة الشهداء، فإذا كان الشهداء لا يسألون فالصدّيقون من باب أولى ،ولأن الصدّيق على وصفه مصدِّق وصادق ، فهو قد عُلِم صدقه فلا حاجة إلى اختباره ، لأن الاختبار لمن يشك فيه هل هو صادق أو كاذب ، وأما إذا كان صادقاً فلا حاجة تدعو لسؤاله ، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون لعموم الأدلة ، والله أعلم . ا هـ.

**قلت :** منهم ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الروح (ص ٢٢٣ ) ،وقد استدل بحديث ضعيف ثم ذكر كلاماً وجيهاً إلا أن نفسي إلى ما سبق أميل ، والله أعلم .

**وأما من مات في يوم جمعة أو في ليلتها فدليله :**

ما رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : ( **ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله فتنة القبر** ) .

قال العلامة الألباني - رحمه الله - في أحكام الجنائز ص ( ٣٥ ) : الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح .

**وأما الأطفال فقد قال الحافظ - رحمه الله - في الفتح ( ٣ / ٢٨٢ ) :**

جزم القرطبي - رحمه الله - في التذكرة بأنه يسأل وهو منقول عن الحنفية ، وجزم غير واحد من الشافعية بأنه لا يسأل . ا هـ.

**واختاره ابن القيم - رحمه الله - في الروح ( ٢٣٧-٢٣٩ ) .**

والذي عليه أكثر أهل السُّنَّة أنه يسأل .

وقريب من هذا الخلاف في المجنون .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوي ( ٤/٢٧٧ - ٢٧٨ ) :** إذا مات الطفل فهل يمتحن في قبره ، ويسأله منكر ونكير ؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره .

**أحدهما :** أنه لا يمتحن ،وأن المحنة إنما تكون على من كُلِّف في الدنيا، قاله طائفة ، منهم : القاضي أبو يعلي وابن عقيل .

**والثاني :** أنهم يمتحنون ،ذكره أبو حكيم الهمداني وأبو الحسن بن عبدوس ونقله عن أصحاب الشافعي إلى أن قال : وهذا القول موافق لقول من قال : إنهم يمتحنون في الآخرة وإنهم مكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السُّنَّة من أهل الحديث والكلام وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السُّنَّة واختاره وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد ، والله أعلم . ا هـ.

**وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح الواسطية ص ( ٤٧٧-٤٧٨ ) :**

**خامساً :** الصغار والمجانين هل يفتنون أو لا يفتنون ؟ .

**قال بعض العلماء :** إنهم يفتنون لدخولهم في العموم ،ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة فإن حال الممات تخالف حال الحياة .

**وقال بعض العلماء :** إن المجانين والصغار لا يسألون لأنهم غير مكلفين وإذا كانوا غير مكلفين ، فإنه لا حساب عليهم إذ لا حساب إلا على من كان مكلفاً يعاقب على المعاصي ، وهؤلاء لا يعاقبون وليس لهم إلا الثواب إن عملوا عملاً صالحاً يثابون عليه . اهـ.

**قلت :** ليس في الصبي والمجنون شيء يعين على الجزم ، فالله أعلم .

## المبحث السابع

## في اسم الملكين الذين يسألان الميت وصفتهما

روى الإمام الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : ( إذا قُبر الميت أو قال : أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما : المنكر ويقال للآخر : النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول : ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله ،أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له : نم ، فيقول :أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولون : نم كنومة العروس الذي لا يوقضه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال :سمعت الناس يقولون فقلت مثله ،لا أدري فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض :التئمي عليه ، فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ حديث حسن .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الروح ص ١٦٦-١٦٧ :**

قال أحمد بن القاسم :قلت يا أبا عبد الله :تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر؟ .

فقال : سبحان الله ، نعم نقر بذلك ونقوله .

قلت : هذه اللفظة تقول : منكر ونكير هكذا أو نقول ملكين ؟ .

قال : منكر ونكير ، قلت : يقولون ليس في حديث منكر ونكير ، قال : هو هكذا يعني أنهما منكر ونكير .

إلى أن قال : وقال كثير من المعتزلة : لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل ، والنكير تقريع الملكين له . ا هـ.

وقد ذكر بعض العلماء أن منكراً ونكيراً ملكان يسألان المذنب وأما العبد المطيع فيسأله ملكان اسم أحدهما مبشر والآخر بشير ، ولا أعلم دليلاً على هذا بل الأدلة السابقة تدل على أن منكراً ونكيراً يسألان المذنب والمطيع ، والله أعلم .

## المبحث الثامن

## هل تحصل هذه الفتنة بمجرد خروج الروح أم بعد أن يسلم الأحياء الميت إلى عالم الآخرة وذلك بدفنه ونحو ذلك ؟

**الجواب:** أن الذي دلت عليه ظواهر النصوص أن ذلك لا يكون إلا بعد الدفن ونحوه ،ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: ( **إن هذه الأمة تبتلى في قبورها** ).

وفي الصحيحين عن أسماء رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ( **إنه قد أُوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قبوركم ، مثل أو قريباً من فتنة الدجال** ) .

وفي سنن أبي داوود عن عثمان رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : ( **استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل** ) .

قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ حديث صحيح .

وبدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق الذي أخرجه الترمذي وفيه أن رسول الله ﷺ قال : ( **إذا قبر الميت ـ أو قال ـ: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان...** ) الحديث .

وبدليل ما رواه أبو داوود في سننه عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك .... إلى أن قال : وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك ...** ) الحديث صححه العلامة الألباني .

وبدليل ما في البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه ...** ) الحديث .

وهذا يشمل من غرق في البحر أو أكلته السباع والطير أو حصل له انفجار أو سقطت عليه قذيفة فتطايرت أشلاؤه وما أشبه ذلك ، كل هؤلاء لا بد من سؤالهم ، والله على كل شيء قدير .

وأما من تأخر دفنه ولمدة يوم أو يومين ونحو ذلك إما لانتظار، حضور قريب غائب

ـ مع أنه لا يجوز ذلك ـ أو وضع في الثلاجة للتحقق من أسباب موته وما أشبه ذلك فالذي يظهر والعلم عند الله أنه لا يسأله الملكان إلا بعد أن يدفن .

وقول شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ : ( فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم فيقال للرجل . . إلخ ) .

سبق معنى الفتنة وأنها تكون في القبور .

وقوله :( فيقال للرجل )أي للإنسان الميت فإن ذلك لا يختص بالرجال دون النساء.

وقوله : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ .

هذه هي الأسئلة التي توجه للميت في قبره ولا يثبت ويوفق للجواب الصواب إلا من ثبَّته الله تعالى ، نسأل الله العظيم الكريم أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الد... وفي الآخرة .

وهذه الأسئلة أسئلة عن المعتقد ، وعما في القلب ولذلك لا يوفق المنافق والمرتاب للجواب.

فقوله: ( من ربك ؟ ) .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ( ص ٤٨٠ ) :**

يعني : من ربك الذي خلقك وتعبده وتخصه بالعبادة ؟ ، لأجل أن تنتظم هذه الكلمة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية . ا هـ.

وقوله ـ رحمه الله ـ : وأما المرتاب فيقول : ( هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ) .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ( ص ٤٨١-٤٨٢ ) :**

المرتاب : الشاك والمنافق وشبههما .

فيقول : هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، يعني : لم يلج الإيمان قلبه ، وإنما كان يقول كما يقول الناس من غير أن يصل الإيمان إلى قلبه .

وتأمل قوله:( هاه هاه )كأن شيئاً غاب عنه يريد أن يتذكر، وهذا أشد في التحسر

أن يتخيل أنه يعرف الجواب ولكن يحال بينه وبينه ويقول : هاه هاه ثم يقول : سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ولا يقول : ربي الله ولاديني الإسلام ولانبي محمد لأنه في الدنيا مرتاب شاك .

هذا إذا سئل في قبره وصار أحوج ما يكون إلى الجواب الصواب يعجز ويقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .

إذاً إيمانه قول فقط . ا هـ.

وقول شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ يحكي الحديث الوارد ، فيُضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها لصعق .

**قلت:** الذي في صحيح البخاري أنه يصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين . ا هـ. والثقلان هما الإنس والجن .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطيه ص ٤٨٢-٤٨٣ :**

( فيضرب ) : يعني الذي لم يجب سواء كان الكافر أو المنافق ، والضارب له الملكان اللذان يسألانه .

**( والمرزبة ) : هي مطرقة من حديد، وقد ورد في بعض الروايات أنه لو اجتمع عليها أهل منى ما أقلوها،فإذا ضرب يصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ، أي صياحاً مسموعاً يسمعه كل شيء يكون حوله مما يسمع صوته وليس كل شيء في أقطار الدنيا يسمعه،وأحياناً يتأثر به ما يسمعه كما مر النبي ﷺ بأقبر للمشركين على بغلته فحادت به حتى كادت تلقيه لأنها سمعت أصواتهم يعذبون .**

قوله : ( إلا الإنسان ) وقد سبق أن في الحديث إلا الثقلين . يعني : أنه لا يسمع هذا الصياح وذلك لحكم عظيمة منها :

**أولاً :** ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله : **( لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر )** .

**ثانياً :** أن في إخفاء ذلك ستراً للميت .

**ثالثاً :** أن فيه عدم إزعاج لأهله لأن أهله إذا سمعوا ميّتهم يعذب ويصيح لم يستقر لهم قرار .

**رابعاً :** عدم تخجيل أهله لأن الناس يقولون : هذا ولدكم ، هذا أبوكم ، هذا أخوكم وما أشبه ذلك .

**خامساً :** أننا قد نهلك لأنها صيحة ليست هينة بل صيحة قد توجب أن تسقط القلوب من معاليقها ، فيموت الإنسان أو يغشى عليه .

**سادساً :** لو سمع الناس صراخ هؤلاء المعذبين لكان الإيمان بعذاب القبر من باب الإيمان بالشهادة لا من باب الإيمان بالغيب ، وحينئذ تفوت مصلحة الامتحان لأن الناس سوف يؤمنون بما شاهدوه قطعاً ، لكن إذا كان غائباً عنهم ولم يعلموا به إلا عن طريق الخبر صار من باب الإيمان بالغيب . ا هـ.

**قول شيخ الاسلام - رحمه الله - : ثم بعد هذه الفتنة ، إما نعيم وإما عذاب .**

هذه هي المسألة العظيمة الثانية .

**وقوله:(ثم) قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح الواسطية ص٤٨٤ :**

ثم هذه لمطلق الترتيب وليست للتراخي ، لأن الإنسان يعذب أو ينعم فوراً كما سبق أنه إذا قال : ( لا أدري ) يضرب بمرزبة وأن ذلك الذي أجاب بالصواب يفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في قبره . ا هـ.

**وفي مسألة عذاب القبر ونعيمه عدة مباحث :**

# المبحث الأول

## في أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً

فقد دل على ذلك عدة آيات من كتاب الله والسُّنَّة المتواترة وإجماع أهل السُّنَّة والجماعة .

أما دلالة القرآن فمنها قوله تعالى في قصة آل فرعون : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [ غافر:٤٦ ] ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ [التوبة:١٠١] .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٢٦٦/٤):**

**قال غير واحد من العلماء** : المرة الأولى في الدنيا والثانية في البرزخ ﴿ **ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ** ﴾ في الآخرة . ا هـ.

وأما السُّنَّة فإنها متواترة في ذلك كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٢٨٥ ) .

وقال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ في أهوال القبور ص ٤٣ : وقد تواترت الأحاديث في عذاب القبر. ا هـ.

**وقال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ص٣٩٩ :**

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان أهلاً. ا هـ.

ومن تلكم الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: ( **إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله ، ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة** ، فقالوا : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ ، **قال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا** ) .

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : ( **قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات** ) .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت عليَّ عجوزان من عجوز يهود المدينة فقالتا : إن أهل القبور يعذبون في قبورهم قالت : فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم فقال : **صدقتا ، إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم** ، قالت : فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر .

وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال : بينا رسول الله ﷺ في حائط لبني النجار على بغلة ونحن معه إذا جالت به فكادت تلقيه فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال : ( **من يعرف هذه القبور ؟** ، فقال رجل : أنا ، **قال : فمتى مات هؤلاء ؟** ، قال : ماتوا في الإشراك .

فقال : **إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه** ، ثم أقبل علينا بوجهه **فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر**. قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر .

قال : **تعوذوا بالله من عذاب النار** ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار .

قال : **تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن** ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، **قال :تعوذوا بالله من فتنة الدجال**، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال ) .

ومن تلكم الأحاديث حديث البراء بن عازب رضي الله عنه المتقدم ،وفيه ذكر عذاب القبر ونعيمه .

**وأما إجماع أهل السُّنَّة فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٢٨٤ ) :**

فليعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أوعذاب . ا هـ.

وقال ص ٢٨٢ : العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب الروح (ص ١٦٦ ) :**

وهذا كما أنه مقتضى السُّنَّة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السُّنَّة .

قال المروزي : قال أبو عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ عذاب القبر حق ولا ينكره إلا ضال مضل . ا هـ.

# المبحث الثاني
# في ذكر من ضل في أمر البرزخ

**فقالت الفلاسفة:** إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح .

واختلف المعتزلة في هذا واضطربوا فمنهم من قال : إنه لا يكون نعيم ولا عذاب في القبر وإنما يكون ذلك يوم القيامة كما قاله ضرار بن عمرو ويحيى بن كامل والمريسي .

**ومنهم من قال :** إنما يكون العذاب على من خرج من الإيمان من الكفار والفساق على أصولهم فإنهم يعذبون بين النفختين كما يقوله أبو الهذيل العلاف وهو من أئمتهم .

**ومنهم من قال :** إن الله ـ سبحانه ـ يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها قالوا : وسبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشي عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام فإذا عاد إليهم العقل أحسوا بألم الضرب .

وذهب الصالحي وجماعة من الكرامية إلى إثبات عذاب القبر على المؤمنين إلا أنه من غير رد الأرواح إلى الأجساد .

قالوا : والميت يجوز أن يألم ويحس بلا روح .

انظر فيما سبق مجموع الفتاوى ( ٤ / ٢٨٣-٢٨٤ ) ، والروح لابن القيم (١٦٧-١٦٨ ) .

# المبحث الثالث

## ما الحكمة من كون عذاب القبر لم يذكر صريحاً في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى ؟

**أجاب عن هذا ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الروح ص(٢٠٥-٢١٠) فقال :**

**الجواب من وجهين : مُجْمَلٌ ومُفَصَّلٌ .**

**أما المُجْمَلُ :** فهو أن الله - سبحانه وتعالى - أنزل على رسوله ﷺ وحيين وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [ النساء : ١١٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [ الجمعة : ٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [ الأحزاب : ٣٤ ] .

والكتاب هو القرآن والحكمة هي السُّنَّة باتفاق السلف رضي الله عنهم .

وما أخبر به الرسول ﷺ عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم ، وقد قال النبي ﷺ : ( **إني أُوتيت الكتاب ومثله معه** ) .

**أما الجواب المُفَصَّلُ :**

فهو أن نعيم البرزخ وعذابه في القرآن في غير موضع فمنها قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)** ﴾ [الأنعام:٩٣] ،وهذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما

صح أنه يقال لهم : ﴿ اليوم تجزون ﴾ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٤٥) النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (٤٦) ﴾ [ غافر : ٤٥-٤٦ ] ، فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحاً لا يحتمل غيره .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون (٤٥) يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون (٤٦) وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون (٤٧) ﴾ [ الطور: ٤٥-٤٦ ] ، وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا ، وقد يقال : وهو أظهر أن من مات منهم عذب في البرزخ ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ .

ومنها قوله تعالى : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ [السجدة: ٢١ ] ، وقد احتج بهذه الآية جماعة منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على عذاب القبر ، وفي الاحتجاج بها شيء لأن هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن ، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر ، فإنه - سبحانه - أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر ، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ولهذا قال: ﴿ من العذاب الأدنى ﴾ ولم يقل : ولنذيقنهم العذاب الأدنى ، فتأمله .

وهذا نظير قول النبي ﷺ : (فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها) .

ولم يقل : فيأتيه حرها وسمومها فإن الذي وصل إليه بعض ذلك وبقي له أكثره .

والذي ذاقه أعداء الله في الدنيا بعض العذاب وبقي لهم ما هو أعظم منه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ﴾ إلى قوله : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم (٩٦) ﴾ [الواقعة : ٨٣-٩٦] ، فذكر ها هنا أحكام

الأرواح عند الموت وذكر في أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر ،وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للغاية.إذ هي أهم وأولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم في الآخرة ثلاثة أقسام .ومنها قوله تعالى :﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)** ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠] ، وقد اختلف السلف -رضي الله عنهم- متى يقال لها ذلك ؟ .

**فقالت طائفة :** يقال لها عند الموت وظاهر اللفظ مع هؤلاء.فإنه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه ، وقد فسر ذلك النبي ﷺ بقوله في حديث البراء وغيره : (**فيقال لها : أخرجي راضية مرضياً عنك**) .

وقوله تعالى : ﴿ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩)** ﴾ مطابق لقوله ﷺ : ( **اللهم الرفيق الأعلى** ) متفق عليه .

وأنت إذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلاً وتفسيراً لما دل عليه القرآن ، وبالله التوفيق. ا هـ.

## المبحث الرابع

## هل عذاب القبر يقع على الروح والبدن أم على البدن فقط ؟

قد أجاب عن هذا السؤال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ وحكى اتفاق أهل السُّنَّة والجماعة على أن العذاب والنعيم يقع عليهما جميعاً كما أنه يكون على الروح منفردة كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٢٨٢ ) .

وذكر أقوال المخالفين في ذلك ، كما أن تلميذه ابن القيم نقل جوابه وذكر في ثنايا جواب شيخه زيادات مهمة[١] فأنقل إليك أخي القارئ كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الروح ١٥٢–١٥٥ حيث قال :

**وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه ، فقال :**

بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السُّنَّة والجماعة تُنَعَّم النفس ، وتعذب منفردة عن البدن وتنعم متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب في هذه الحال مجتمعين كما تكون الروح منفردة عن البدن .

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح ؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسُّنَّة وأهل الكلام وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السُّنَّة والحديث .

**قول من يقول :** إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح وإن البدن لا ينعم ولا يعذب وهذا يقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان ،وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين .

ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الأبدان .

**لكن يقولون :** لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون :

---

( ١ ) وقد تكون تلك الزيادات من كلام شيخ الإسلام نفسه وما في مجموع الفتاوى ذكر مختصراً بالنسبة لما وقف عليه ابن القيم ، والله أعلم ، لا سيما وابن القيم يقول : ونحن نذكر لفظ جوابه .

إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ ، فإذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معاً وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة ، فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقر بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الأبدان والأرواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه على الروح فقط .

الثاني : أنه عليها وعلى البدن بواسطتها .

الثالث : أنه على البدن فقط وقد يضم إلى ذلك القول الثاني وهو :

قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الأبدان مطلقاً وقول من ينكر عذاب الروح مطلقاً .

**فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ قول من يقول :**

إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وإنما الروح هي الحياة ، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبي بكر وغيره .

وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن وهذا قول باطل وقد خالف أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره .

بل قد ثبت بالكتاب والسُّنَّة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة .

والفلاسفة الإلاهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الأبدان ، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان .

وكلا القولين خطأ وضلال لكن قول الفلاسفة أبعد عن قول أهل الإسلام ، وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام ، بل من يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام .

**القول الثالث الشاذ :** قول من يقول : إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا

يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن وأن البدن لا ينعم ولا يعذب ، فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى .

فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى. ا هـ.

# المبحث الخامس

## الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه وسعته وضيقه

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح ( ١٧٧ ) :**

**المسألة السابعة :** وهي قول السائل: ما جوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه ، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، وكون الميت لا يجلس فيه ؟ .

قالوا : فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عمياً صماً يضربون الموتى بمطارق من حديد ولا نجد هنالك حياة ولا ثعابين ولا نيراناً تأجج .

ولوكشفنا حاله في حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله .

وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص ؟ .

وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه؟

قال إخوانهم من أهل البدع والضلال : وكل حديث يخالف مقتضى المعقول والحس يقطع بتخطئة قائله .

قالوا : ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه ناراً ، ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه في أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيات ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها ؟ .

- وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه ؟ .
- وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ؟ .
- وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه ؟ .

**ونحن نذكر أموراً يعلم بها الجواب :**

**الأمر الأول :**

**أن يعلم أن الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - لم يخبروا بما تحيله العقول ويقطع باستحالته ، بل إخبارهم قسمان :**

أحدهما : ما تشهد به العقول والفطرة .

الثاني : ما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر وتفاصيل الثواب والعقاب ، فلا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً ، وكل خبر تظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين :

إما أن يكون الخبر كذب عليهم ، أو يكون ذلك العقل فاسداً ، وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح قال تعالى : ﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [ سبأ :٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ﴾ [ الرعد : ١٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ﴾ [ الرعد :٣٦ ] .

والنفوس لا تفرح بالمحال وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) ﴾ [ يونس : ٥٧ - ٥٨ ] .

والمحال لا يشفي ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به فهذا أمر من لم يستقر في قلبه خير ولم يثبت له على الإسلام قدم وكان أحسن أحواله الحيرة والشك .

**الأمر الثاني :**

أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير ، فلا يُحَمَّل كلامه مالا يحتمله ولا يقصّر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان .

وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله ، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع ، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين وأهله ، والله المستعان .

وهل أوقع القدرية والمرجئة والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف أهل البدع إلا سوء الفهم عن الله ورسوله حتى صار الدين بأيدي أكثر الناس هو موجب هذه الأفهام ، والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا يلتفت إليه ولا يرفع هؤلاء به رأساً .

ولكثرة أمثلة هذه القاعدة تركناها فإنا لو ذكرناها لزادت على عشرة ألوف .

حتى إنك لتمر على الكتاب من أوله إلى آخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله ومراده كما ينبغي في موضع واحد ، وهذا إنما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول ﷺ .

وأما من عكس الأمر بعرض ما جاء به الرسول ﷺ على ما اعتقده أو انتحله وقلد فيه من أحسن به الظن فليس يجدي الكلام معه شيئاً ، فدعه وما اختار لنفسه وولِّه ما تولَّى ، واحمد الذي عافاك مما ابتلاه به .

**الأمر الثالث : أن الله - سبحانه وتعالى - جعل الدور ثلاثاً :**

دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدنيا على البدن والأرواح تبعاً لها ، ولهذا جعل الأحكام الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه .

وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب

النعيم والعذاب ، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم .

فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة، والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أوعذابًا ، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً ، فأحط بهذا الموضع علماً واعرفه كما ينبغي يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل و خارج .

وقد أرانا الله ـ سبحانه ـ بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً ، فيرى النائم في نومه أنه يضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه ، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ .

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم من نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك ، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى ، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ، ظاهراً بادياً أصلاً .

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول ﷺ من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه ، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أتي كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً          وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أن تجد النائمين في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ واثر النعيم على بدنه وهذا روحه في العذاب ويستيقظ واثر العذاب على بدنه ، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر ، فامر البرزخ أعجب من ذلك .

**الأمر الرابع :**

أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً وحجبهما عن إدراك المكلفين في هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته وليتميز المؤمنون بالغيب عن غيرهم فاول ذلك أن الملائكة تنزل على المتحضر وتجلس قريباً منه ويشاهدهم عياناً ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار ، ويؤمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير أو الشر ، وقد يسلِّمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته وتارة بقلبه ، حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة .

وقد سُمع بعض المحتضرين يقول : أهلاً وسهلاً ومرحباً بهذه الوجوه .

وأخبرني شيخنا عن بعض المحتضرين فلا أدري أشاهَدَه أو أُخْبِرَ عنه أنه سُمع وهو يقول : عليك السلام ، ها هنا فاجلس ، وعليك السلام ، ها هنا فاجلس .

**وقصة خير النساج ـ رحمه الله ـ مشهورة حيث قال عند الموت :**

إصبر ـ عافاك الله ـ فإن ما أُمِرْتَ به لا يفوت ، وما أُمِرْتُ به يفوت ، ثم استدعى بماء فتوضأ وصلى ثم قال : امضي لما أُمرتَ به ومات .

وذكر ابن أبي الدنيا أن عمر بن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال : أجلسوني،فأجلسوه ، فقال : أنا الذي أمرتني فقصرت،ونهيتني فعصيت ( ثلاث مرات ) ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحد النظر فقالوا : إنك لتنظر نظراً شديداً يا أمير المؤمنين فقال : إني لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ، ثم قبض .

وقال مسلمة بن عبد الملك لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة فأومأ إلينا أن اخرجوا، فخرجنا ،فقعدنا حول القبة وعنده وصيف فسمعناه يقرأ هذه الآية

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾[ القصص : ٨٣ ] ، ما أنتم بإنس ولا جان ثم خرج الوصيف فأومأ إلينا أن ادخلوا فدخلنا فإذا هو قد قبض .

وقال فضالة بن دينار: حضرت محمد بن واسع وقد سجي للموت فجعل يقول : مرحباً بملائكة ربي ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، وشممت رائحة طيبة لم أشم رائحة قط أطيب منها ، ثم شخص ببصره فمات .

والآثار في ذلك أكثر من أن تحصر وأبلغ .

ويكفي من ذلك كله قول الله عز وجل : ﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) ﴾ [ الواقعة : ٨٣-٨٨ ] ، أي أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم ، فهذا أول الأمر وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد ، وهو في هذه الدار .

ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه، ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة أطيب من رائحة المسك والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونه .

ثم تصعد بين سماطين من الملائكة والحاضرون لا يرونهم .

ثم تأتي الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله وتقول : قدموني قدموني أو إلى أين تذهبون بي ؟ ، ولا يسمع الناس ذلك .

فإذا وضع في لحده وسوي عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه بل لو نقر له حجر فأودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة إليه ، فإن هذه الأجساد الكثيفة لا تمنع خرق الأرواح لها بل الجن لا يمنعها ذلك ، بل قد جعل الله ـ سبحانه ـ الحجارة والتراب للملائكة بمنزلة الهواء للطير ، واتساع القبر وانفساحه للروح بالذات والبدن تبعاً فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعاً لروحه ،وأما عصرة القبر حتى تختلف بعض أضلاع الموتى فلا يرده

حس ولا عقل ولا فطرة ولو قدر أن أحداً نبش عن ميت فوجد أضلاعه كما هي لم تختلف لم يمنع أن تكون قد عادت إلى حالها بعد العصرة ، فليس مع الزنادقة والملاحدة إلا مجرد تكذيب الرسول ﷺ .

ولقد أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع يستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه : اكتب فرسخاً في فرسخ ثم وقفا على الثاني فقال : اكتب ميلاً في ميل ثم وقفا على الثالث فقال : اكتب فتراً في فتر .

ثم انتبه فجيء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول ، ثم جيء برجل آخر فدفن في القبر الثاني ، ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سمعه يقول : فتراً في فتر .

والفتر ما بين الإبهام والسبابة .

## الأمر الخامس :

أن النار التي في القبر والخضرة ليست نار الدنيا ولا من زرع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرتها ، وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها ، وهي أشد من نار الدنيا ، فلا يحس بها أهل الدنيا ، فإن الله ـ سبحانه ـ يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته حتى يكون أعظم من حجر الدنيا حراً ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك ، بل أعجب من ذلك أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا في حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره ، وذاك في روضة من رياض الجنة ، لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره .

وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك ، وقد أرانا من آيات قدرته في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً ؛ إلا من وفقه الله تعالى وعصمه .

فإذا شاء الله ـ سبحانه ـ أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيبه عن غيره إذ

لو اطلع عليه العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه ﷺ : ( **لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع** ) .

ولما كانت هذه الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك و أدركته كما حادت برسول الله ﷺ بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب في قبره .

وحدثني صاحبنا أبوعبد الله محمد بن الرزيز الحراني أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال : فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج (١) والميت في وسطه فجعلت أمسح عيني وأقول : أنائم أنا أم يقظان ؟ ، ثم التفت إلى سور المدينة وقلت : والله ما أنا بنائم ثم ذهبت إلى أهلي وأنا مدهوش ، فأتوني بطعام فلم أستطع أن آكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس قد توفى في ذلك اليوم .

فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحياناً لمن شاء الله أن يريه ذلك.

وذكر من حديث حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : بينا أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محقب إداوة (٢) إذ مررت بمقبرة،فإذا رجل خارج من قبره يلتهب ناراً وفي عنقه سلسلة يجرها فقال : يا عبد الله،انضح ، يا عبد الله، انضح ، فوالله ما أدري أعرفني باسمي أم كما يدعو الناس .

قال : فخرج آخر فقال : يا عبد الله لا تنضح ، يا عبد الله لا تنضح ، ثم اجتذب السلسلة فأعاده في قبره.

**ثم ذكر عدة قصص مفزعة ومنها ما يحتاج إليه النظر هل صحت أم لا ثم قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ قلت :**

وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن سنان السلامي وكان من خيار عباد الله

---

(١) موقد نار ملتهب يستعمله صانع الزجاج فتنقلب فيه كتلة الزجاج جمرة متقدة .

(٢) إناء صغير من جلد يتخذ للماء .

وكان يتحرى الصدق قال : جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير صغاراً المسمار برأسين فأخذها الحداد وجعل يحمي عليها فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها ، فطلب البائع فوجده فقال : من أين لك هذه المسامير ؟ فقال : لقيتها فلم يزل به حتى أخبره أنه وجد قبراً مفتوحاً وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال : فعالجتها على أن أخرجتها فلم أقدر فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها قال : وأنا رأيت تلك المسامير قلت له : فكيف صفتها ؟ قال : المسمار صغير برأسين .

**ثم قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :** وهذه الأخبار وأضعافها وأضعاف أضعافها مما لا يتسع لها الكتاب مما أراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب القبر ونعيمه عياناً .

وأما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة أسفار ومن أراد الوقوف عليها فعليه بكتاب المنامات لابن أبي الدنيا وكتاب التبيان للقيرواني وغيرهما من الكتب المتضمنة لذلك وليس عند الملاحدة والزنادقة إلا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه .

**الأمر السادس :**

أن الله سبحانه يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل ينزل على النبي ﷺ ويتمثل له رجلاً فيكلمه الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ وأحياناً يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس لا يسمعه غيره من الحاضرين .

وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم .

وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم .

والله ـ سبحانه ـ قد حجب بني آدم عن كثير مما يحدث في الأرض وهو بينهم، وقد كان جبريل عليه السلام يقرئ النبي ﷺ ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعونه .

وكيف يستنكر من يعرف الله ـ سبحانه ـ ويقر بقدرته أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها، والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لعذاب القبر ومشاهدته،وكثيراً ممن

أشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ، ولم ينتفع بالعيش زمناً ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات، فكيف ينكر في الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً ؟ .

ثم إن العبد قادر على أن يزيل الزئبق والخردل عن عين الميت وصدره ثم يرده بسرعة فكيف يعجز عنه الملك ؟ وكيف لا يقدر عليه من هو على كل شيء قدير ؟ وكيف تعجز قدرته عن إبقائه في عينيه وعلى صدره لا يسقط عنه ؟ .

وهل قياس أمر البرزخ على ما يشاهده الناس في الدنيا إلا محض الجهل والضلال وتكذيب أصدق الصادقين وتعجيز رب العالمين ؟ وذلك غاية الجهل والظلم .

وإذا كان أحدنا يمكنه توسعة القبر عشرة أذرع ومائة ذراع وأكثر طولاً وعرضاً وعمقاً ويستر توسيعه عن الناس ويطلع عليه من شاء فكيف يعجز رب العالمين أن يوسعه على من يشاء ما يشاء ويستر ذلك عن أعين بني آدم فيراه بنو آدم ضيقاً وهو أوسع شيء وأطيبه ريحاً وأعظمه إضاءة ونوراً وهم لا يرون ذلك .

وسر المسألة أن هذه التوسعة والضيق والإضاءة والخضرة والنار ليس من جنس المعهود في هذا العالم ، والله ـ سبحانه ـ إنما أشهد بني آدم في هذه الدار ما كان فيها ومنها فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان به سبباً لسعادتهم ، فإذا كشف عنهم الغطاء صار عياناً مشاهداً .

فلو كان الميت بين الناس موضوعاً لم يمتنع أن يأتيه الملكان ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك ويجيبهما من غير أن يسمعوا كلامه ويضربانه من غير أن يشاهد الحاضرون ضربه ، وهذا الواحد منا ينام إلى جانب صاحبه فيعذب في النوم ويضرب ويألم وليس عند المستيقظ خبر من ذلك ألبته ، وقد سرى أثر الضرب والألم إلى جسده .

ومن أعظم الجهل استبعاد شق الملك الأرض والحجر وقد جعلهما الله ـ سبحانه ـ له كالهواء للطير ،ولا يلزم من حجبها للأجسام الكثيفة أن تتولج حجبها للأرواح

اللطيفة ، وهل هذا إلا من أفسد القياس ؟ .

وبهذا وأمثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

**الأمر السابع :**

أنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحروق ونحن لا نشعر بها لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود، فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا نشعر بحياتهم ، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل الروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه، ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة .

وإذا كان الله - سبحانه وتعالى - قد جعل في الجمادات شعوراً وإدراكاً تسبح ربها به وتسقط الحجارة من خشيته ، وتسجد له الجبال والشجر ، وتسبحه الحصى والمياه والنبات .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ [الإسراء : ٤٤] ،ولو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل :﴿ **وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ** (١٨) ﴾ [ص:١٨] ، والدلالة على الصنع لا تختص بهذين الوقتين ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ** ﴾ [ سبأ : ١٠ ] ، والدلالة لا تختص معيَّته وحده .

وكذب على الله من قال : التأويب رجع الصدى، فإن هذا يكون لكل مصوت .

وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ** ﴾ [ الحج: ١٨] ، والدلالة على الصانع لا تختص بكثير من الناس .

وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾ [النور: ٤١] ، فهذه صلاة وتسبيح حقيقية يعلمها الله

وإن جحدها الجاهلون المكذبون .

وقد أخبر الله تعالى عن الحجارة أن بعضها يزول عن مكانه ويسقط من خشيته، وقد أخبر عن الأرض والسماء أنهما يأذنان له وقولهما ذلك أي يستمعان كلامه وقد خاطبهما فسمعا خطابه وأحسنا جوابه فقال لهما : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [ فصلت: ١١ ] .

وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل ، وسمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد، فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور فالأجسام التي كانت فيها الروح والحياة أولى بذلك .

وقد أشهد الله ـ سبحانه ـ عباده في هذه الدار إعادة حياة كاملة إلى بدن قد فارقته الروح فتكلم ومشى وأكل وشرب وتزوج وولد له كالذين ﴿ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ، ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [البقرة:٢٥٩] ، وكقتيل بني إسرائيل أو كالذين قالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥] ، فأماتهم الله ثم بعثهم من بعد موتهم ، وكأصحاب الكهف وكقصة إبراهيم في الطيور الأربعة .

فإذا أعاد الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعد ما بردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يعيد إليها بعد موتها حياة ما غير مستقرة يقضي بها ما أمره فيها ويستنطقها بها ويعذبها أو ينعمها بأعمالها ؟! .

وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب وعناد وجحود ؟ وبالله التوفيق .

**الأمر الثامن :**

أنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] .

وهذا البرزخ يشرف أهله على الدنيا والآخرة وسمي عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق ، فالمصلوب والمحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذي تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما ، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رماداً وذري بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك ، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك ، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال : قم ، فإذا هو قائم بين يدي الله .

فسأله : ما حملك على ما فعلت ؟ ، فقال : خشيتك يا رب ، وأنت أعلم ، فما تلافاه أن رحمه .

فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال حتى لو عُلِّق الميت على رؤوس الأشجار في مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، ولو دفن الرجل الصالح في أتون (١) من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فيجعل الله النار على هذا برداً وسلاماً ، والهواء على ذلك ناراً وسموماً .

فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصي عليه منها شيء أراده بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته .

## الأمر التاسع :

أن الموت معاد وبعث أول، فإن الله ـ سبحانه ـ جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزي فيهما الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

**فالبعث الأول :** مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول .

**والبعث الثاني :** يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو

---

(١) الموقد الكبير الذي توقد فيه النيران .

النار وهو الحشر الثاني ولهذا في الحديث الصحيح ( **تُؤمن بالبعث الآخر** ) .

فإن البعث الأول لا ينكره أحد وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب .

وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ هاتين القيامتين وهما الصغرى والكبرى في سورة المؤمنين وسورة الواقعة وسورة القيامة وسورة المطففين وسورة الفجر وغيرها من السور.

وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلهما داري جزاء المحسن والمسيء ، ولكن توفية الجزاء إنما تكون يوم المعاد الثاني في دار القرار كما قال تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٥ ] وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به ، ويذيق بدن الفاجر والعاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه ، هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس .

ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ذلك، وأما البرزخ فأول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة إظهاره .

فإذا كان يوم القيامة الكبرى وُفِّيَ أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الأبدان والأرواح وعذابهما ، فعذاب البرزخ ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها ، وهو مشتق منه وواصل إلى أهل البرزخ هناك ،كما دل عليه القرآن والسُّنَّة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة كقوله ﷺ : ( **فيفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها** ) ، وفي الفاجر ( **فيفتح له باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها** ) .

ومعلوم قطعاً أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها، فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله ، وهذان البابان

يصل منهما إلى العبد في هذه الدار أثر خفي محجوب بالشواغل والغواشي الحسية والعوارض ، ولكن يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه ولا يحسن التعبير عنه ، فوجود الشيء غير الإحساس به والتعبير عنه ، فإذا مات كان وصول ذلك الأثر إليه من ذينك البابين أكمل ، فإذا بعث كمل وصول ذلك الأثر إليه ، فحكمة الرب ـ سبحانه وتعالى ـ منتظمة لذلك ، أكمل انتظام في الدور الثلاث .

# المبحث السادس

## هل عذاب القبر دائم أم منقطع ؟

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح ص ( ٢٤٠-٢٤٣ ) :**

جوابه أنه نوعان :

**نوع دائم :** سوى ما ورد في بعض الحديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين فإذا قاموا من قبورهم قالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [ يس : ٥٢ ] .

ويدل على دوامه قوله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [ غافر:٤٦ ] .

ويدل عليه أيضاً ما تقدم في حديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي ﷺ وفيه ( **فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة** ) .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الجريدتين( **لعله يخفف عنهما مالم ييبسا** ) .

فجعل التخفيف مقيداً بمدة رطوبتهما فقط .

وفي حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه ( **ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شيء** ) وقد تقدم .

وفي الصحيح في قصة الذي لبس بردين وجعل يمشي ويتبختر فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في قصة الكافر ( **ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة** ) رواه أحمد .

وفي بعض طرقه ( **ثم يخرق له خرقاً إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة** ) .

**النوع الثاني :**

إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ؛ فيعذب

بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب .

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم (١) .

وهذا كما يشفع الشافع في المعذب في الدنيا فيخلص من العذاب بشفاعته لكن هذه شفاعة قد تكون بدون إذن المشفوع عنده ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه ، فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع ، إذا أراد أن يرحم المشفوع له ، ولا تغتر بغير هذا فإنه شرك وباطل يتعالى الله عنه ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [ البقرة : ٢٥٥ ] ، ﴿ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [ الأنبياء: ٢٨ ] ، ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [ يونس: ٣ ]، ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [ سبأ : ٢٣ ] ، ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [ الزمر : ٤٤ ] . اهـ.

---

( ١ ) الصحيح أن الميت لا ينتفع بقراءة القرآن عليه كما هو مذهب الشافعي وغيره ، وقد بينت ذلك في كتابي إقامة الدليل .

# المبحث السابع

## عذاب القبر يناله من هو مستحق له ،سواء قُبِرَ أو لم يُقبر، حتى أكلته السباع والطير، أو مات بحرق أو غرق ونحو ذلك

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح ص ( ١٦٨-١٧١ ) :**

ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبِرَ أو لم يُقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور .

**وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال :**

كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : **( من رأى منكم الليلة رؤيا ؟** ، قال : فإن رأى أحد رؤيا قصَّها فيقول : ما شاء الله فسألنا يوماً، **فقال : هل رأى أحد منكم رؤيا ؟**، قلنا : لا ، **قال : ولكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد ، يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله . قلت : ما هذا ؟ ، قالوا : انطلق .**

**فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر[١] فيشدخ بها رأسه ، فإذا ضربه تدهده [٢] الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه ، فضربه . قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق .**

**فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه**

---

( ١ ) حجر ناعم صلب .

( ٢ ) أي تدحرج .

رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم ، فإذا اقتربت ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فإذا خمدت رجعوا . فقلت : ما هذا ؟ ، قالا : انطلق .

فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذي في النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه .

فقلت : ما هذا ؟ ، قالا : انطلق .

فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بي إلى الشجرة وأدخلاني داراً لم أر قط أحسن منها ، فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بي فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل . قلت : طوفتماني الليلة فأخبراني عما رأيت .

قالا : نعم الذي رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة ، والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة . وأما الذي رأيت في النقب فهم الزناة والذي رأيت في التهر فآكل الربا .

وأما الشيخ الذي في أصل الشجرة فإبراهيم ﷺ والصبيان حوله فأولاد الناس ، والذي يوقد النار فمالك خازن النار ، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء ، وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك ، فرفعت رأسي فإذا قصر مثل السحابة، قالا : ذلك منزلك ، قلت : دعاني أدخل منزلي ، قالا : إنه بقي لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته أتيت منزلك ) .

وهذا نص في عذاب القبر ، فإن رؤيا الأنبياء وحي مطابق لما في نفس الأمر .

وقد ذكر الطحاوي عن ابن مسعود رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : ( **أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مئة جلده ، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة ، فامتلأ قبره عليه ناراً ، فلما ارتفع عنه أفاق ، فقال : علام جلدتموني ؟** ،

**قالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره ) .**

وفي سُنن أبي داوود من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ ، قال : الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)** . ا هـ. مختصراً ، فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في هذا الفصل بعض الأحاديث التي لا تثبت .

# المبحث الثامن

## ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور ؟

**قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الروح ( ٢١١-٢١٥ ) في جواب هذا السؤال :**

جوابها من وجهين مُجْمَلٌ ومُفَصَّلٌ .

أما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه ، فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه ولا بدناً كانت فيه أبداً ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ، فمستقل ومستكثر ، ومصدق ومكذب .

**وأما الجواب المفصل :**

فقد أخبر النبي ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان في قبورهما يمشي أحدهما بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الاستبراء من البول ، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً ، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذاباً ، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذاباً ، وفي حديث شعبة ( **أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس** ) فهذا مغتاب وذلك نمام .

وقد تقدم حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الذي ضرب سوطاً امتلأ قبره ناراً لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور، ومر على مظلوم فلم ينصره .

وقد تقدم حديث سمرة بن جندب في صحيح البخاري في تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق ،وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به

بالنهار، وتعذيب الزناة والزواني ، وتعذيب آكل الربا كما شاهدهم النبي ﷺ .

ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخدشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يمزقون أعراض الناس ، وقد أخبر النبي ﷺ عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم أنها تشتعل عليه ناراً في قبره ،هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه .

فعذاب القبر عن معاصي القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله ، فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والماضي في الفتنة والداعي إلى البدعة والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف في كلامه وآكل الربا وآكل أموال اليتامى وآكل السحت من الرشوة ونحوهما .

وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد ، وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة ، والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر .

وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه ، والمحلل والمحلل له ، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ، ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله والمفتي بغير ما شرعه الله .

والمعين على الإثم والعدوان ،وقاتل النفس التي حرم الله،والملحد في حرم الله ، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها ، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سُنَّة رسول الله ﷺ .

والنائحة والمستمع إليها ونواحوا جهنم وهم المغنون الغناء الذي حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم،والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج.

والمطففون في استيفاء مالهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه ، والجبارون والمتكبرون والمراؤون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم .

وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنياهم ، والذي إذا خوفته بالله وذكرته به

لم يَرْعَوِ ولم ينزجر، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه، والذي يهدى بكلام الله ورسوله فلا يتهدي ولا يرفع به رأساً فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه.

والذي يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه وربما استثقل به فإذا سمع قرآن الشيطان ورقية الزنى ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج قلبه من دواعي الطرب وود أن المغني لا يسكت.

والذي يحلف بالله ويكذب فإذا حلف بحياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب، والذي يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر.

والذي لا تأمنه على مالك وحريمك والفاحش اللسان البذئ الذي تركه الخلق إتقاء شره وفحشه، والذي يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولايذكر الله فيها إلا قليلاً ولا يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدي ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع في لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة ولا يبالي بما يحصل من المال من حلال أو حرام.

ولا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائي العالمين ويمنع الماعون ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم معذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها.

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات، وفي باطنها الدواهي والبليّات تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها.

تالله لقد وعظتْ فما تركتْ لواعظ مقالاً، ونادت: ياعُمَّار الدنيا لقد عمرتم داراً

موشكة بكم زوالاً ، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً ، عمَّرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكناها ، وخربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها، هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال وبذر الزرع ، وهذه محل للعبر ، رياض من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار أ.هـ

# المبحث التاسع

## ما هي الأسباب المنجية من عذاب القبر ؟

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه الروح ( ٢١٦ ) :**

جوابه أيضاً من وجهين مُجْمَلٌ ومُفَصَّلٌ .

أما المُجْمَلُ فهو تجنب تلك الأسباب التي تقتضي عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ـ عز وجل ـ فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ،وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله ، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته ، وليس للعبد أنفع من هذه النومة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ولا قوة إلا بالله .

**وأما الجواب المُفَصَّلُ فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجي من عذاب القبر:**

فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : **( رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله ،وأجري عليه رزقه،وأمن الفتان )** .

وفي جامع الترمذي من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : **( كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ،فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر )** قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح [١] .

وفي سنن النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رجلاً قال : يارسول الله ،ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ ، قال : ( كفى

---

( ١ ) صححه العلامة الألباني في صحيح سُنن الترمذي .

**بارقة السيوف على رأسه فتنة )** [١] .

وعن المقداد بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : **( للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ،ويرى مقعده من الجنة ،ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ؛ الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه )** رواه ابن ماجة والترمذي،وهذا لفظه،وقال : حديث حسن صحيح [٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر؛ فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله : ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ؛ فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ،فقال النبي ﷺ : **( هي المانعة ، هي المنجية تنجيه ، من عذاب القبر )** قال الترمذي حديث حسن غريب [٣] .

قال أبو عمر بن عبد البر : وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : **( إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾** [٤] .

وفي سنن ابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه - يرفعه - **(من مات مريضاً مات شهيداً ، ووقي من فتنة القبر وغدي وريح عليه برزق من الجنة )** [٥] .

وفي سنن النسائي عن جامع بن شداد قال : سمعت عبد الله بن يسار يقول: كنت جالساً مع سليمان بن صرو وخالد بن عرفطة فذكروا أن رجلاً مات ببطنه فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحدهما للآخر:ألم يقل رسول الله ﷺ : **( من يقتله بطنه لم يعذب في قبره )** [٦] .

---

( ١ ) صححه العلامة الألباني في صحيح سُنن النسائي .

( ٢ ) صححه العلامة الألباني في صحيح سُنن الترمذي .

( ٣ ) قال العلامة الألباني في صحيح الترمذي : ضعيف ، وإنما يصح منه قوله : **(هي المانعة)** .

( ٤ ) قال العلامة الألباني في صحيح الترمذي : حديث حسن .

( ٥ ) قال العلامة الألباني في ضعيف ابن ماجه : ضعيف جداً .

( ٦ ) قال العلامة الألباني في صحيح سُنن النسائي : حديث صحيح .

وفي الترمذي من حديث ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : ( **ما من مسلم يموت يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله فتنة القبر** ) (١) .

ثم ذكر أحاديث أخرى أكثرها لا يصح . ا هـ.

**وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في التذكرة ص ١٢٨ :**

باب ما ينجي المؤمن من أهوال القبر وفتنته وعذابه .

وذلك خمسة أشياء : رباط ، قتل ، قول ، بطن ، زمان .

**الأول :** روى مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه وأمن من الفتان** ) .

ثم ذكر حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال : ( **كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله، فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر** ) .

**قال ـ رحمه الله ـ :** و لا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب فتنقطع بانقطاعه بل هي فضل دائم من الله تعالى لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعائر الإسلام وهذا العمل الذي يجري عليه ثوابه هو ما كان يعمله من الأعمال الصالحة.

**ثم قال ـ رحمه الله ـ :** مسألة الرباط : هو الملازمة في سبيل الله مأخوذة من ربط الخيل ثم سمي ملازم ثغر من ثغور المسلمين مرابطاً ، فارساً كان أو راجلاً ، واللفظة مأخوذة من الرباط ،وقول النبي ﷺ في منتظري الصلاة : ( **فذلكم الرباط** ) إنما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله،والرباط اللغوي هو الأول،وهو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما ، فأما سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرون

---

( ١ ) قال العلامة الألباني في صحيح سُنن الترمذي : حديث حسن .

ويكتسبون هنالك ، فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين ، قاله علماؤنا ، وقد بيّناه في كتاب الجامع لأحكام القرآن من سورة آل عمران والحمد لله . ا هـ.

ثم ذكر السبب الثاني وهو الذي يقتل في سبيل الله وهو الشهيد وذكر دليلاً لذلك حديث راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ ، قال : ( **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة** ) .

وهو حديث أخرجه النسائي وهو صحيح كما سبق .

ثم ذكر حديث المقدام بن معدي كرب أن رسول الله ﷺ قال : ( **للشهيد عند الله ست خصال ...** ) الحديث وهو حديث صحيح كما سبق ، أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما .

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ السبب الثالث مما ينجي من عذاب القبر وهو القول ودلل له بما ورد في الرجل الذي كان يقرأ سورة تبارك في قبره فقال رسول الله ﷺ : ( **هي المانعة** ) . وهو حديث صحيح كما سبق أخرجه الترمذي في سننه .

ثم ذكر السبب الرابع وهو البطن والمراد من مات بداء البطن وذكر الحديث الصحيح الذي ذكرناه سابقاً وهو قول رسول الله ﷺ : ( **من يقتله بطنه لم يعذب في قبره** ) .

ثم ذكر السبب الخامس مما ينجي المؤمن من عذاب القبر وهو الزمان،والمراد به من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة،ذكر الحديث الصحيح في ذلك،وقد سبق ذكره ولله الحمد .

**وبعد هذا المبحث الموسع في فتنة القبر ونعيمه وعذابه أسأل الله العظيم بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ووحدانيته وحياته وقيوميته أن يجعله وسائر أعمالي لوجهه خالصاً ، ولي ولعباده نفعاً ، وأن يقيني به من فتنة القبر وعذابه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه .**

**إلى أن تقوم القيامة الكبرى؛فتعاد الأرواح إلى الأجساد،وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله،وأجمع عليها المسلمون؛ فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غر لاً .**

لما فرغ ـ رحمه الله ـ من الكلام على ما يكون في البرزخ بعد الموت من فتنة ونعيم أو عذاب أشار إلى ما يكون في الدار الآخرة التي تبدأ بالقيامة الكبرى .

وقوله : (**إلى أن تقوم القيامة الكبرى**) .

معنى القيامة وسبب تسميتها بذلك :

**قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في التذكرة ص ( ١٨٧ ) :**

القيامة في العربية مصدر قام يقوم،ودخلها التأنيث للمبالغة على عادة العرب .

**واختلف في تسميتها بذلك على أربعة أقوال :**

**الأول :** لوجود هذه الأمور فيها ـ أي الأهوال والأمور التي تحدث فيها ـ.

**الثاني :** لقيام الخلق من قبورهم إليها قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا** ﴾ [ المعارج : ٤٣ ] .

**الثالث :** لقيام الناس لرب العالمين كما في مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ⑥ ﴾ [المطففين : ٦] ، قال : ( **يوم يقوم أحدكم في رشحه إلى نصف أذنيه** ) .

**الرابع :** لقيام الروح والملائكة صفاً ، قال الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا** ﴾ [ النبأ : ٣٨ ] أ.هـ

وذكر بعض العلماء سبباً آخر وهو قيام العدل ، لقوله تعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ [ الأنبياء : ٤٧ ] .

**قول شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ : (القيامة الكبرى) : فيه إشارة إلى القيامة** الصغرى .

**فإن القيامة قيامتان** : قيامة صغرى وهي الموت ، وقيامة كبرى ،وهي التي يقوم فيها الناس من قبورهم لرب العالمين .

**قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في التذكرة ص ( ١٨٧-١٨٨ ) :**

قال علماؤنا :واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته ولكنها قيامة صغرى وكبرى.

فالصغرى هي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر .

والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة والدليل على أن كل ميت يموت فقد قامت قيامته.

قال النبي ﷺ لقوم من الأعراب وقد سألوه متى القيامة ؟، فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال : ( **إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم** ) أخرجه مسلم وغيره .

**وقال الشاعر:**

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي ... غداة أقل الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وصيروا ... خروجي وتعجيلي إليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط سيرتي ... غداة أتى يومي علي وساعتي

**قوله ـ رحمه الله ـ : (فتعاد الأرواح إلى الأجساد)** .

هذا أول ما يكون مما يتعلق بالمكلف وذلك بعد النفخة الثانية بالصور وهذه الإعادة غير الإعادة التي كانت في البرزخ ، وفي قول المؤلف (**إلى الأجساد**) : دليل على أن الأرواح لا تعاد إلى الأجساد إلا بعد أن يعيد الله الأجساد .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٢٦٢ ) :**

مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب هناك. ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ص ٢٦٦ :** وقد ذكرنا في غير موضع أن الرسل قبل محمد

ﷺ أنذروا بالقيامة الكبرى تكذيباً لمن نفى ذلك من المتفلسفة . ا هـ.

**وقال العلامة ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ص ٤٠٤-٤٠٥ :**

الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسُّنَّة والعقل والفطرة السليمة .

فأخبر الله ـ سبحانه ـ في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه ورد على منكريه في غالب سور القرآن ، وذلك أن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم وهو فطري وكلهم يقر بالرب إلا من عاند كفرعون بخلاف الإيمان باليوم الآخر فإن منكريه كثيرون ، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين وكان هو الحاشر والمقفى بَيَّن تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء ، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري .

والقرآن بَيَّن معاد النفس عند الموت ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى،وينكرون معاد الأبدان ، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ عن طريق التخييل ،وهذا كذب فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم ـ عليهم السلام ـ وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم فقال تعالى :﴿ **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)** ﴾[الأعراف :٢٤-٢٥ ]،ولما قال إبليس اللعين: ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)** ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨] .

وأما نوح عليه السلام فقال : ﴿ **وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨)** ﴾ [ نوح : ١٦-١٧ ] ، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)** ﴾ [الشعراء : ٨٢ ] ، إلى آخر القصة وقال : ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي**

وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١) ﴾ [ إبراهيم : ٤١ ] ، وقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [ البقرة : ٢٦٠ ] ، وأما موسى عليه السلام فقال الله لما ناجاه : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦) ﴾ [ طه : ١٥ - ١٦ ] .

بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد وإنما آمن بموسى ،قال تعالى حكاية عنه ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) ﴾ [ غافر : ٣٢-٣٣ ] إلى قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ [ غافر : ٣٩ ] ، إلى قوله : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [ غافر : ٤٦ ] .

وقال موسى عليه السلام : ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ] .

وقد أخبر في قصة البقرة : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ﴾ [ البقرة : ٧٣ ] .

وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين في آيات من القرآن وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

[ الزمر : ٧١ ] .

وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا ، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة ، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد يذكر ذلك فيها في الدنيا والآخرة ، وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد فقال : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ ﴾ [ سبأ : ٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [ يونس:٥٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ [ التغابن : ٧ ] ، وأخبر عن اقترابها فقال : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾ [ القمر : ١ ] ، ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الأنبياء :١] ،﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ ﴾ [المعارج : ١ ] ، إلى قوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ ﴾ .

[المعارج : ٦-٧ ] .

وقد ذمَّ الله المكذبين بالمعاد فقال : ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [ يونس : ٤٥ ] ، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ [الأنعام : ٣١ ] ، ﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [ الشورى : ١٨ ] .

﴿ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النمل : ٦٦ ] ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النحل : ٣٨-٣٩] ، إلى أن قال :﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [ غافر: ٥٩ ] ، ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [ الإسراء : ٩٧ - ٩٨ ] .. الخ . اهـ.

وأما الأدلة من السُّنَّة فهي كثيرة ، ومنها حديث جبريل المشهور لما سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فأجاب : ( **أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره** ) رواه البخاري ومسلم .

وفي رواية : ( **والبعث بعد الموت** ) .

ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( **أيها الناس ،إنكم تحشرون إلى الله حفاة ، عراة ، غرلاً ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ،ألا وإن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم** عليه السلام ) .

**وأما الإجماع :** فقد أجمع على ذلك المسلمون إجماعاً قطعياً بل حتى اليهود والنصارى .

**وأما العقل :** فوجه دلالته أنه لو لم يكن هناك يوم آخر للجزاء والحساب لكان إيجاد الخلائق عبثاً ، والله منزه عن ذلك .

**قال العلامة ابن القيم في كتابه الفوائد ص ( ٢٩ ) :**

ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع ، وأن كمال الرب تعالى وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه ، وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب والنقائص . ا هـ.

**وبراهين البعث أربعة :**

**الأول :** خلق السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ **أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾** ﴾ [ يس : ٨١ ] .

**الثاني :** خلق الإنسان أولاً ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾** ﴾ [ يس : ٧٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾ [ الروم : ٢٧ ] .

**الثالث :** إحياء الأرض بعد موتها ، قال تعالى : ﴿ **فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ** ﴾ [ فصلت : ٣٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾** ﴾ [ الأعراف : ٥٧ ] .

**الرابع :** إحياء بعض الموتى في دار الدنيا لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [ لقمان : ٢٨ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ يس : ٧٨ – ٨٣ ] ،وقال تعالى : ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [ البقرة : ٢٥٩ ] .

**وقد توسع العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في هذا في أضواء البيان ( ٣ / ٢٢٣-٢٢٤ ).**

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ( ٨٦-٨٨ ) :**

وقال ـ سبحانه ـ في تثبيت أمر البعث ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ إلى آخر السورة .

فلو رام أفصح البشر وأعلمهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو مثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار ووصف حينئذ الدلالة وصحة البرهان لألفى نفسه ظاهر العجز عن ذلك ، فإنه ـ سبحانه ـ افتتح هذه الحجة بسؤال أورده الملحد اقتضى جواباً، وكان في قوله سبحانه : ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ ما وفى بالجواب ، وأقام الحجة وأزال الشبهة لولا ما أراد الله تعالى من تأكيد حجته وزيادة تقريرها وذلك أنه تعالى أخبر أن هذا السائل الملحد لوتبين خلق نفسه وبدء كونه لكانت فكرته فيه كافيه، ثم أوضح ـ سبحانه ـ ما تضمنه قوله : ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾ وصرح جواباً له عن مسألته بقوله : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ فاحتج بالإبداء على الإعادة والنشأة الأولى على الأخرى إذ كل عاقل يعلم علماً

ضرورياً أن من قدر على هذا قدر على هذه وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية عجز عن الأولى بل كان أعجز وأعجز .

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ فهو عليم بالخلق وتفاصيله ومواده وصورته وكذلك هو عليم بالخلق الثاني .

فإذا كان تام العلم كامل القدرة كيف يتعذر عليه أن يحي العظام وهي رميم ؟ .

ثم أكد الأمر بحجة تتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول : العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة ، والحياة في الأبدان تكون مادتها طبيعة حارة فقال تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) ﴾ فأخبر ـ سبحانه ـ بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة ، فالذي يخرج الشيء من ضده هو الذي يفعل ما أنكره الملحد من إحياء العظام وهي رميم .

ثم أكد الدلالة بالتنبيه على أن من قدر على الشيء الأعظم الأكبر فهو على ما دونه أقدر، فقال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ .

فأخبر ـ سبحانه ـ أن الذي أبدع السموات والأرض على جلالتهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على أن يخلق عظاماً صارت رميماً فيردها إلى حالتها الأولى . كما قال تعالى في موضع آخر : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٥٧) ﴾ [ غافر: ٥٧ ] .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) ﴾ [ الأحقاف: ٣٣ ] .

ثم بيَّن ذلك بياناً آخر يتضمن مع إقامة الحجة دفع شبهة كل ملحد وجاحد،وهو أنه ـ سبحانه ـ ليس في فعله بمنزلة غيره يفعل بالآلات الكلفة والتعب والمشقة ولا

يمكنه الاستقلال بالفعل بل لا بد معه من آلة ومشارك ومعين بل يكفي في خلق ما يريد خلقه ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

فأخبر أن نفوذ إرادته ومشيئته وسرعة تكوينه وانقياد الكون له ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله .

وقوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

فسبحان المتكلم بهذا الكلام الذي جمع مع وجازته وفصاحته وصحة برهانه كل ما تدعو إليه الحاجة من تقرير الدليل وجواب الشبهة بألفاظ لا أعذب منها للسمع ولا أحلى من معانيها للقلب ولا أنفع من ثمراتها للعبد .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء:٤٩-٥٢].

**فتأمل ما أجيبوا به عن كل سؤال على التفصيل فإنهم قالوا :**

﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ فقيل في جواب هذا السؤال : إن كنتم تزعمون أن لا خالق لكم ولا رب فهلا كنتم خلقاً لا يصيبه التعب كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك ؟ فإن قلتم : لنا رب خالق خلقنا على هذه الصفة ، وأنشأنا هذه النشأة ، التي لا تقبل البقاء ، ولم يجعلنا حجارة ولا حديداً ، فقد قامت عليكم الحجة بإقراركم ، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم وإعادتكم خلقاً جديداً ؟ .

وللحجة تقرير آخر وهو أنكم لو كنتم من حجارة أو من حديد أو خلق أكبر منهما لكان قادراً على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم وينقلها من حال إلى حال ، ومن قدر على التصرف في هذه الأجسام مع صلابتها وشدتها بالإفناء والإحالة فما يعجزه عن التصرف فيما هو دونها بإفنائه وإحالته ونقله من حال إلى حال ؟ .

فأخبر - سبحانه - أنهم يسألون سؤالاً آخر بقولهم : من يعيدنا إذا استحالت أجسامنا وفنيت ، فأجابهم بقوله : ﴿ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وهذا الجواب نظير جواب قول السائل ﴿ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ .

فلما أخذتهم الحجة ولزمهم حكمها انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به كما يتعلق المقطوع بالحجاج بذلك وهو قولهم : ﴿ مَتَىٰ هُوَ ﴾ فأجيبوا بقوله : ﴿ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) ﴾ .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠) ﴾ [ القيامة : ٣٦-٤٠ ] .

فاحتج سبحانه على أنه لا يترك الإنسان مهملاً معطلاً عن الأمر والنهي والثواب والعقاب وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك ، فإن من نقله من نطفة مني ، ومن المني إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم خلقه وشق سمعه وبصره وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع والأعصاب والرباطات التي هي أشد وأتقن خلقه وأحكمه غاية الإحكام وأخرجه على هذا الشكل والصورة التي هي أتم الصور وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية ؟ ، أم كيف تقتضي حكمته وعنايته أن يتركه سدى ؟ ، فلا يليق ذلك بحكمته ولا تعجز عنه قدرته .

فانظر إلى هذا الحجاج العجيب بالقول الوجيز والبيان الجليل الذي لا يتوهم أوضح منه ، ومأخذه القريب الذي لا تقطع الظنون عن أقرب منه . ا هـ .

### حكم منكر البعث :

حكمه أنه كافر ملحد لأنه مكذب لله ورسوله وما أجمع عليه المسلمون وأجمع عليه اليهود والنصارى وأقر به الشيطان الرجيم حيث قال : ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) ﴾ [ الحجر : ٣٦ ] .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ

تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) ﴾ [ الأنعام: ٢٩-٣٠ ] .

وقال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) ﴾ [ العنكبوت : ٢٣ ] .

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ:** ( فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حُفاة عُراة غُرلاً ) .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( من قبورهم )** هذا بناء على الغالب وإلا فمن الناس من لم يدفن في قبر بل أكلته السباع والطير أو الحيتان وما أشبه ذلك .

**قوله : (لرب العالمين)** : لأن المقصود من قيامهم من قبورهم الحساب والجزاء .

قال تعالى : ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) ﴾ [ ق: ٤١-٤٢ ] ، فيقومون لهذا النداء العظيم من القبور لرب العالمين.

وقال تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) ﴾ [ المطففين : ٤- ٦ ] .

**وقول المصنف : ( حُفاة عُراة غرلاً ) .**

حفاة : جمع حاف وهو الذي ليس على رجليه نعال ولا خف ، عراة : أي ليس على أجسادهم لباس . غرلاً : جمع أغرل وهو الذي لم يختن .

ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : ( **تحشرون حفاة عراة غرلاً**، قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ، **فقال : الأمر أشد من أن يهمهم ذلك** ) .

## وتدنوا الشمس منهم فيلجمهم العرق

هذا من أهوال يوم القيامة، ففي صحيح الإمام مسلم من حديث المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**. قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟، مسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين . قال ﷺ : **فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً** ) .

قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه .

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: ( **إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعاً ، وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس ، أو إلى آذانهم** ) .

وفي البخاري ومسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ : ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٦﴾ ﴾ قال : ( **يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه** ) .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص ٤٩٦-٤٩٨ :**

قد يقول قائل : المعروف الآن أن الشمس لو تدنوا بمقدار شعرة عن مستوى خطها لأحرقت الأرض، فكيف يمكن أن تكون في ذلك اليوم بهذا المقدار من البعد ثم لا تحرق الخلق ؟ .

**فالجواب على ذلك :** أن الناس يحشرون يوم القيامة ليسوا على القوة التي هم عليها الآن بل هم أقوى وأعظم وأشد تحملاً .

لو أن الناس الآن وقفوا خمسين يوماً في شمس لا ظل ولا أكل ولاشرب ، فلا يمكنهم ذلك بل يموتون، لكن يوم القيامة يبقون خمسين ألف سَنة لا أكل ولا شرب ولا ظل إلا من أظله الله ـ عز وجل ـ ومع ذلك يشاهدون أهوالاً عظيمة فيتحملون .

واعتبر بأهل النار كيف يتحملون هذا التحمل العظيم ﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾ [ النساء : ٥٦ ] .

وبأهل الجنة ينظر الإنسان إلى ملكه مسيرة ألف عام إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه كما روي ذلك عن النبي ﷺ .

**فإن قيل : هل أحد يسلم من الشمس ؟ .**

**فالجواب :** نعم هناك أناس يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما أخبر بذلك النبي ﷺ : « **إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** » .

وهناك أصناف أخرى يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

**قوله : ( ويلجمهم العرق ) .**

يلجمهم أي يصل منهم إلى موضع اللجام من الفرس وهو الفم ولكن هذا غاية ما يصل إليه العرق وإلا فبعضهم يصل العرق إلى كعبيه وإلى ركبتيه وإلى حقويه ، ومنهم من يلجمه ، فهم يختلفون في هذا العرق ، ويعرقون في شدة الحر لأن المقام مقام زحام وشدة ودنو شمس ، فيعرق الإنسان مما يحصل في ذلك اليوم ، لكنهم على حسب أعمالهم .

**فإن قلت :** كيف يكون ذلك وهم في مكان واحد ؟ .

**فالجواب :** أننا أصلنا قاعدة يجب الرجوع إليها وهي : أن الأمور الغيبية يجب علينا أن نؤمن بها ونصدق دون أن نقول كيف ؟ ولم ؟ ، لأنها شيء وراء عقولنا ولا يمكن أن ندركها أو نحيط بها .

أرأيت لو أن رجلين دفنا في قبر واحد : أحدهما مؤمن والثاني كافر فإنه ينال المؤمن من النعيم ما يستحق وينال الكافر من العذاب ما يستحق وهما في قبر واحد

وهكذا نقول في العرق يوم القيامة .

**فإن قلت :** هل تقول إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يجمع من يلجمهم العرق في مكان ومن يصل إلى كعبيه في مكان وإلى ركبتيه في مكان وإلى حقويه في مكان ؟ .

**فالجواب :** لا نجزم بهذا ، والله أعلم ، بل نقول :

من الجائز أن يكون الذي يصل العرق إلى كعبه إلى جانب الذي يلجمه العرق والله على كل شيء قدير ، وهذا نظير النور الذي يكون للمؤمنين يسعى بين أيديهم وبأيمانهم والكفار في ظلمة ، فيوم القيامة يجب علينا أن نؤمن به وبما يكون فيه أما كيف ؟ ، ولم ؟ ، فهذا ليس إلينا . ا هـ.

## فتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) ﴾ [ المؤمنون : ١٠٢ – ١٠٣ ] .

في هذه الفقرة إثبات الميزان وهو مما يكون يوم القيامة .

**وفي الميزان عدة مباحث :**

**الأول : تعريفه .**

**أما في اللغة فقد قال الجوهري في الصحاح ( ٢ / ١٦١٦ ) :**

الميزان معروف وأصله موزان انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها . ا هـ.

**وأما في الشرع فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٣٠٢ ) :**

والميزان هو ما يوزن به الأعمال ، وهو غير العدل ، كما دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة . ا هـ.

# المبحث الثاني

## أدلة إثبات الميزان الحقيقي يوم القيامة

دل على إثباته الكتاب والسُّنَّة المتواترة والإجماع .

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) ﴾ [ المؤمنون : ١٠٢ - ١٠٣ ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [ الأنبياء : ٤٧ ] ،وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) ﴾ [ القارعة : ٦ - ٩ ] . وغير ذلك .

وأما السُّنَّة فمنها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : ( **كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** ) .

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : ( **إنه ليؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال : إقرأوا إن شئتم ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [ الكهف : ١٠٥ ]** ) .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : ( **إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ؛فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ،كل سجل مد البصر ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً ؟ ،أظلمتك كتبتي الحافظون ؟، قال : لا يارب . فيقول: ألك عذر أو حسنة ؟، فيهيب الرجل فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك فتخرج له بطاقة فيها ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول :**

**أحضروه فيقول : يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ ، فيقال : إنك لا تُظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، قال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم )** .

وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ : ( **مم تضحكون** ؟ ، قالوا : يا نبي الله من دقة ساقيه ، فقال : **والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد )** .

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : ( **الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان** ) وممن ذكر أن أحاديث الميزان متواترة السفاريني في اللوامع ( ٢ / ١٧٩ ) .

وأما الإجماع فقد حكاه غير واحد من أهل العلم .

**فقد قال الإمام السفاريني في لوامع الأنوار ( ٢ / ١٧٩ ) :**

أجمع أكابر محققي هذه الأمة من أهل السُّنَّة بأن الإيمان بثبوت الوزن والميزان حق واجب وفرض لازب لثبوته وعدم استحالة ذلك عقلاً . ا هـ.

**وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد في التنبيهات السنية ص ٢٢٨ :**

تكاثرت أدلة الكتاب في إثبات الميزان كما تواترت بذلك الأحاديث ، وأجمع أهل الحق على ثبوته ووجوب الإيمان به ، وأنه ميزان حقيقي حسي . ا هـ.

# المبحث الثالث

## في كيفية الميزان

دلت النصوص على أنه ميزان حقيقي حسي مشاهد له كفتان .

**قال الإمام ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ص(٤١٧):**

والذي دلت عليه السُّنَّة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٣٠٢/٤) بعد أن ذكر بعض الأحاديث في إثبات الميزان :**

وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس،فهو مابه يتبين العدل ،والمقصود بالوزن العدل ،كموازين الدنيا وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب . ا هـ.

**وقال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ص (٤١٩) :**

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال ،وثبت أن الميزان له كفتان والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات ، فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان . ا هـ.

**وقال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرحه للواسطية ص( ١١٣ ) :**

وهو ـ الميزان ـ من أمور الآخرة نؤمن به كما جاء ولا نبحث عن كيفيته إلا على ضوء ما ورد من النصوص . ا هـ.

# المبحث الرابع
## في الحكمة من وزن الأعمال

**قال العلامة السفاريني في مختصر اللوامع ( ٤١٠ ) :**

**فإن قيل:** ما الحكمة من الوزن مع أن الله تعالى عالم بكل شيء ، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

أجاب الثعلبي بأن الحكمة في ذلك تعريف الله عباده ما لهم عنده من الجزاء من خير أو شر .

**قال العلامة الشيخ مرعي :** بل الحكمة فيه إظهار العدل وبيان الفضل أنه يزن مثاقيل الذر من خير أو شر،وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ) .

**وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ( ٤١٩ ) :**

ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله ـ سبحانه ـ لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه . ا هـ.

**وقال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرح الواسطية ( ١١٣ ) :**

والحكمة في وزن الأعمال إظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها . ا هـ.

## المبحث الخامس

## من هم الذين لم يثبتوا الميزان حقيقة يوم القيامة ؟ وما هي شبهتهم ؟ وكيف يجاب عنهم ؟

فأقول وبالله التوفيق : الذي رأيت من صنيع كثير من أهل العلم أنهم ينسبون ذلك إلى المعتزلة والتحقيق أن ذلك قول أكثرهم لا كلهم وعليه فيحمل كلام من أطلق ذلك من أهل العلم رحمهم الله .

**فقد قال القاضي عبد الجبار وهو من كبار المعتزلة في شرح الأصول الخمسة :**

ولم يرد الله تعالى بالميزان إلا المعقول منه المتعارف بيننا دون العدل وغيره . ا هـ.

وقد أولوا الميزان بالعدل ، وقيل : الكتاب الذي فيه أعمال الخلق .

**قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في فتح القدير ( ٢ / ١٨٩ ) :**

واختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن الكائن في هذا اليوم فقيل :

المراد به وزن صحائف أعمال العباد بالميزان وزناً حقيقياً وهذا هو الصحيح وهو الذي قامت عليه الأدلة .

وقيل : توزن نفس الأعمال وإن كانت أعراضاً فإن الله يقلبها يوم القيامة أجساماً كما جاء في الخبر الصحيح ( **إن البقرة وآل عمران يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف** ) وكذلك ثبت في الصحيح أنه يأتي القرآن في صورة شاب شاحب اللون ونحو ذلك .

**وقيل :** الميزان : الكتاب الذي فيه أعمال الخلق .

**وقيل :** الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء وذكرهما من باب ضرب المثل كما تقول : هذا الكلام في وزن هذا .

**قال الزجاج :** هذا سائغ من جهة اللسان والأولى أن نتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان .

**قال القشيري :** وقد أحسن الزجاج فيما قال : إذ لو حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة .

**ثم قال:** وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر وصارت هذه الظواهر نصوصاً .

**ثم قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ :**

والحق هو القول الأول ، وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية وليس في ذلك حجة على أحد ، فهذا إذا لم تقبله عقولهم فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، حتى جاءت البدع كالليل المظلم وقال كل ما شاء وتركوا الشرع خلف ظهورهم وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ويتحد قبولهم لها بل كل فريق يدعي على العقل ما يطابق هواه ويوافق ما يذهب إليه هو أو من هو تابع له .

فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم يعرف هذا كل منصف ، ومن أنكره فليصف فهمه وعقله عن شوائب التعصب والتمذهب ، فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه . ا هـ.

والخلاصة أن تأويل الميزان على غير حقيقته مخالف لظواهر نصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمة وخلاف مقتضى العقل .

**أما شبهتهم فإنهم يقولون :** إن الأعمال أعراض وليست أجساماً فكيف توزن والحال ما ذكر .

وقبل ذكر جواب العلماء على شبهتهم أنبّه على أن هذا لا يرد على من يرجح أن الذي يوزن يوم القيامة هو صحائف الأعمال أو العامل ، وإنما يرد على من يقول بوزن

الأعمال أو الجميع فيما يتعلق بالعمل .

**وأما جواب العلماء عن هذه الشبهة فمن وجوه :**

**الأول :** أن الواجب في أمور الغيب التي أخبر بها رسول الله أن نتلقاها بالقبول والتسليم ولا نورد عليها الإشكالات ولا نقول : كيف ، بل نقول : سمعنا وأطعنا وصدقنا .

**الثاني: ما قاله العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص(٥٠١):**

**والجواب عن ذلك أن يقال :** إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يجعل هذه الأعمال أجساماً وليس هذا بغريب على قدرة الله ـ عز وجل ـ وله نظير وهو الموت فإنه يجعل على صورة كبش ويذبح بين الجنة والنار مع أن الموت معنى وليس بجسم وليس الذي يذبح ملك الموت ولكنه نفس الموت حيث يجعله الله تعالى جسماً يشاهد ويرى وكذلك الأعمال يجعلها الله أجساماً توزن بهذا الميزان الحسي . ا هـ. وانظر : شرح الطحاوية لابن أبي العز ص ٤١٩ .

**الثالث :** أن الله قادر على وزنها وهي أعراض فـ ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ يس: ٨٢ ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [ آل عمران: ١٦٥ ] ، كيف لا وقد توصل علم البشر في هذه العصور المتأخرة إلى إيجاد موازين للحرارة والبرودة ونحوها وهي أعراض وعلمهم وقدرتهم لا تساوي شيئاً بجانب علم الله وقدرته ، والله هو الذي ألهمهم وعلمهم سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

# المبحث السادس

## ما الذي يوزن ؟

اختلف العلماء - رحمهم الله - في الذي يوزن هل هو العمل أم العامل أم صحائف الأعمال أم الكل ؟ ، والسبب في ذلك الأحاديث الواردة ، فمنها ما يدل على وزن العمل، ومنها ما يدل على وزن صحائف الأعمال،ومنها ما يدل على وزن العامل .

فذهب جمع من أهل العلم إلى أن الذي يوزن هو العمل وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - واختاره الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح الواسطية ص ٥٠٣ فقد قال بعد ذكر الخلاف :

ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل ويخص بعض الناس فتوزن صحائف أعماله أو يوزن هو نفسه .

وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة فقد يكون هذا أمراً يخص الله به من يشاء من عباده. ا هـ.

ومن أظهر أدلة هذا القول قوله تعالى:﴿ **يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)** ﴾ [الزلزلة : ٦-٨] .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : ( **كلمتان ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** ) .

وحديث أبي مالك الأشعري عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال:( **الحمد لله تملأ الميزان** ).

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال.

**قال السفاريني في مختصر اللوامع ص ٤١٠ بعد أن رجَّح هذا القول :**

وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما وصوّبه الشيخ مرعي وذهب إليه جمهور

المفسرين ويؤيد ذلك حديث البطاقة والسجلات ثم ذكره. ا هـ.

**وممن اختار هذا القول الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في فتح القدير ( ١٨٩/٢ ) حيث قال:**

واختلف أهل العلم في كيفية هذا الوزن في هذا اليوم فقيل: المراد به وزن صحائف أعمال العباد بالميزان وزناً حقيقياً، وهذا هو الصحيح وهو الذي قامت عليه الأدلة. ا هـ.

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن الذي يوزن صاحب العمل واستدلوا بقوله تعالى ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** (١٠٥) ﴾ [ الكهف: ١٠٥ ] ، فقال: ﴿ **فَلا نُقِيمُ لَهُمْ** ﴾ ولم يقل لأعمالهم ولا لصحائف أعمالهم.

كما استدلوا بحديث ابن مسعود الذي سبق ذكره في أن رسول الله ﷺ قال في ساقيه: « **لهما أثقل في الميزان من جبل أُحد** ».

وبحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: « **يؤتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة** ».

ومنهم من ذهب إلى أن الأعمال توزن تارة وصحائف الأعمال تارة والعامل تارة أخرى وهذا هو الذي اختاره ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٢ / ٢٧١ ) فبعد أن ذكر الأقوال السابقة قال:

وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم أ.هـ

ومنهم من ذهب إلى أن العمل والعامل وصحائف الأعمال توزن وهو اختيار ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ( ص ٤١٩ ) حيث قال بعد ذكر بعض أدلة الميزان: فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال. ا هـ.

**كما رجّح هذا الشيخ حافظ الحكمي في معارج القبول ( ٢ / ٨٤٨-٨٤٩ ) حيث قال بعد أن ذكر الخلاف في ذلك:**

والذي استظهر من النصوص ـ والله أعلم ـ أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل

ذلك يوزن لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها . ا هـ.

هذا وقد سبق أن ظاهر كلام شيخ الإسلام يدل على أن الذي يوزن هو العمل وأنه اختيار العلامة ابن عثيمين - رحم الله الجميع - ولابن عثيمين كلام آخر في شرحه للسفارينية يؤيد كلامه السابق قال فيه :

وحديث البطاقة لا يقاوم الأدلة من القرآن والسُّنَّة على أن الذي يوزن هو العمل .

ولهذا صرَّح شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية قال : فتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد وهو الحق لكن حديث البطاقة قد يقال : إن هذا خاص به وبأمثاله من أجل أن يتبين له فضل الله عليه .

وقد يقال : إنه لما وزنت الصحيفة وثقلت بحسب العمل فإن الوزن حقيقة يكون للعمل .

وأما حديث ابن مسعود والآية ، فلا تدل على ذلك لأن معنى ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ يعني لا نقيم لهم قيمة كما تقول: فلان ليس له عندي وزن ، أي لا قيمه له ولا اعتبار.

وأما حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأراد النبي ﷺ أن خفة الوزن لا تدل على قلة العمل أو على خفته وليس بذاك الصريح، فالمعتمد أن التي توزن هي الأعمال. ا هـ.

**قلت :** وهذا المذهب هو أقواها ، والله أعلم .

# المبحث السابع

## هل هو ميزان واحد أم متعدد ؟

**إختلف العلماء في هذا على ثلاثة أقوال :**

الأول : أن الميزان واحد .

الثاني : أن لكل أمة ميزان .

الثالث : أن لكل شخص ميزان .

**قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في التذكرة ص ٢٧٨-٢٧٩ :**

ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السُّنَّة بلفظ الإفراد والجمع فقيل : يجوز أن يكون هناك موازين للعمل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من الأعمال كما قال :

ملك تقوم الحادثات لعدله ... فلكل حادثة لها ميزان
تتصرف الأشياء في ملكوته ... ولكل شيء مدة وأوان

ويمكن أن يكون ميزاناً واحداً عبر عنه بلفظ الجمع كما قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) ﴾ [ هود : ١٢٣ ] ، ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ [ الشعراء : ١٠٥ ] .

وقيل : المراد بالموازين جمع موزون أي الأعمال الموزونة ، لا جمع ميزان . ا هـ.

**وقال العلامة ابن أبي العز الحنفي ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ص ٤١٧ :**

وقوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧ ] ، يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ويحتمل أن يكون المراد الموزونات فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة ، والله أعلم . ا هـ.

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ٤٩٨-٤٩٩ :**

والمؤلف يقول : ﴿ الْمَوَازِينَ ﴾ : بالجمع وقد وردت النصوص بالجمع والإفراد .

فمثال الجمع قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) ﴾ [ المؤمنون : ١٠٢-١٠٣ ] .

وأما الإفراد فقال النبي ﷺ : ( كلمتان ، حبيبتان إلى الرحمن ، خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ) .

فقال : ( في الميزان ) فأفرد ، فكيف نجمع بين الآيات القرآنية وبين هذا الحديث؟!

**فالجواب أن نقول :**

إنها جمعت باعتبار الموزون حيث أنه متعدد ، وأفردت باعتبار أنَّ الميزان واحد أو ميزان كل أمة ، أو أن المراد بالميزان في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ( ثقيلتان في الميزان ) أي : في الوزن .

ولكن الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الميزان واحد ، وأنه جمع باعتبار الموزون بدليل قوله : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ لكن يتوقف الإنسان هل يكون ميزاناً واحداً لجميع الأمم ، أو لكل أمة ميزان ، لأن الأمم كما دلت عليه النصوص تختلف باعتبار أجرها . اهـ.

**قلت :** وبعد ما سبق من النصوص وكلام أهل العلم يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الميزان واحد لعموم الأدلة ، وأن الجمع باعتبار الموزون .

# المبحث الثامن

## هل يستثنى أحد فلا توزن أعماله؟

استثنى بعض العلماء السبعين الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب بدليل ما في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: ( **يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ، هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون ، ولا يكتوون ،وعلى ربهم يتوكلون** ) .

وقد قرر هذا القرطبي في التذكرة وحكاه أيضاً عن الغزّالي ص ٢٧١ .

واختلف في الكفار هل توزن أعمالهم أم لا ،والراجح أن أعمالهم توزن وإلى هذا ذهب القرطبي -رحمه الله- في التذكرة ص ٢٧٠ .

قال الله تعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا** ﴾ [الأنبياء: ٤٧ ] .

وقال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)** ﴾ [ القارعة : ٦-١١ ] .

وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)** ﴾ [ المؤمنون: ١٠٣ ] ، الآيتان : في الأعراف والمؤمنين .

وهذه الآيات إخبار بوزن أعمال الكفار لأن عامة المعنيين بقوله﴿ **خَفَّتْ مَوَازِينُهُ** ﴾ في هذه الآيات هم الكفار وقال في سورة المؤمنين ﴿ **فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ** ﴾ [ المؤمنون: ١٠٥ ] ، وفي الأعراف ﴿ **بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩)** ﴾ [ الأعراف: ٩ ] .

وقال : ﴿ **فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ** ﴾ وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار وإذا جمع بينه وبين قوله : ﴿ **وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)** ﴾ [ الأنبياء:٤٧ ] ، ثبت أن الكفار يسألون عماخالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه .

**وقال -رحمه الله- (ص ٢٧٥ )** : وإنما توزن أعمال المؤمن المتقي لإظهار فضله ، كما توزن أعمال الكفار لخزيه وذله ، فإن أعماله توزن تبكيتاً له على فراغه وخلوه من كل خير. ا هـ.

# المبحث التاسع

## متى يكون وزن الأعمال ؟

**قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في التذكرة ص ( ٢٧٠ ) :**

**قال العلماء :** وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال،والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا** ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)** ﴾ . ا هـ.

ونقل هذا كل من ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية ص ( ٤١٧ ) ، والسفاريني في لوامع الأنوار( ٤٠٧ ) وأقراه .

# المبحث العاشر

## في الأثر المسلكي للإيمان بالميزان

**قال العلامة ابن جبرين ـ حفظه الله ـ في التعليقات الزكية ( ٢ / ١٠٥ ) :**

لا شك أن معرفة هذه الأشياء والإيمان بها له تأثير على العبد ، فإذا صدَّقت بأن هناك وزن حملك على أن تستعد لذلك ، لأن الله تعالى يقول في هذه الآية ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) ﴾ [ المؤمنون : ١٠٢-١٠٣ ] .

وفي آية أخرى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩) ﴾ [ الأعراف : ٩ ] .

وفي آية أخرى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾ [ القارعة : ٦-٩ ] .

وهذا كله دليل على أن هناك وزناً حقيقياً ، فالمسلم الذي يؤمن بذلك يستكثر من الأعمال الصالحة التي يثقل بها ميزانه ، وإذا استكثر منها حرص على أن تكون أعماله صالحة صادقة صادرة من صميم قلبه ، فإن ثقل الأعمال وخفتها يختلف بحسب إخلاص العامل وإخلاص نيته . ا هـ.

**وفي عرصات القيامة: الحوض المورود للنبي ﷺ ،ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل ،وآنيته عدد نجوم السماء ،طوله شهر ،وعرضه شهر ،من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً**

الحوض هو مجتمع الماء .

**قال الإمام القرطبي في التذكرة ص٣٦٢ :والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين :** أحدهما في الموقف قبل الصراط ،والثاني في الجنة،وكلاهما يسمى كوثراً. ا هـ.

**قلت :** ويدل على ما قاله القرطبي ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إياه قال أبو بشير : قلت لسعيد بن جبير : فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه .

وفي البخاري عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال : سألتها عن قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ①﴾ [ الكوثر : ١ ] ، قالت : « نهراً أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف ، آنيته كعد النجوم » .

وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر ، حافتاه قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟، قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر )** .

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (١٦ / ٥٢٧-٥٢٨ ) وهو يتكلم عن سورة الكوثر :**

وخص نبيه ﷺ أنه أعطاه الكوثر وهو من الخير الكثير الذي آتاه الله في الدنيا والآخرة ، فمما أعطاه في الدنيا الهدى والنصر والتأييد وقرة العين والنفس وشرح الصدر ، ونَعَّم قلبه بذكره وحبه بحيث لا يشبه نعيمه نعيم الدنيا ألبتة،وأعطاه في الآخرة الوسيلة والمقام المحمود، وجعله أول من يُفتح له ولأمته باب الجنة ، وأعطاه في

الآخرة لواء الحمد والحوض العظيم في موقف القيامة ، إلى غير ذلك . ا هـ.

**قلت :** فمن أدلة ثبوت الحوض عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① ﴾ .

وقد دل على ذلك السُّنَّة المتواترة والإجماع .

**وقد حكم جمع من أهل العلم بتواتر السُّنَّة في ذلك نظماً ونثراً، ومن ذلك قول العلامة ابن أبي العز في شرح الطحاوية ص ( ٢٢٧ ) :**

الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً ، ولقد استقصى طرقها شيخنا عماد الدين ابن كثير - تغمده الله برحمته - في آخر تاريخه الكبير . ا هـ.

ومن تلك الأحاديث ما في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **( أنا فرطكم على الحوض )** .

ومنها ما في الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : **( أنا فرطكم على الحوض ، من ورد شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً )** .

**وقول المصنف : (وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ ) .**

وهذا هو الصحيح أن الحوض في عرصات القيامة وقبل الصراط واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل الآخر؟ .

**قال العلامة ابن أبي العز- رحمه الله - في شرح الطحاوية ص ٢٢٧-٢٢٨ :**

والحوض قبل الصراط لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام ارتدوا على أعقابهم ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط . ا هـ.

**وقال الإمام القرطبي -رحمه الله - في التذكرة ص ٢٦٢ :**

ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبي ﷺ ، إنما هو بعد الصراط، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط ،والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً على ما يأتي .

**والكوثر في كلام العرب :** الخير الكثير،واختلف في الميزان والحوض أيهما قبل

الآخر، فقيل : الميزان قبل، وقيل : الحوض. قال أبو الحسن القابسي : والصحيح أن الحوض قبل .

**قلت :** والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم كما تقدم ، فيقدم قبل الصراط والميزان والله أعلم .

وقال أبو حامد في كتاب ( كشف علوم الآخرة ) : وحكى بعض السلف من أهل التصنيف : أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله، قال المؤلف ـ القرطبي ـ هو كما قال .

وقد روى البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ **قال : بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم فقلت : إلى أين ؟ ، فقال إلى النار والله . قلت : ما شأنهم ؟، فقال : إنهم قد ارتدوا على أدبارهم القهقرى ، ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل ، فقال لهم : هلم .فقلت إلى أين ؟ ، قال إلى النار والله . قلت : ما شأنهم؟، قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم .**

قلت ـ القرطبي ـ : فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط ، لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه فمن جازه سلم من النار على ما يأتي . . إلى أن قال ـ رحمه الله ـ : « ولا يخطر ببالك أو يذهب همك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض ، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة على مساحته هذه الأقطار أو في المواضع التي تكون بدلاً من هذه المواضع في هذه الأرض ، وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط » . ا هـ.

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : (ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل) .**

هذه من صفات ماء هذا الحوض، فالعين تتعلق به، وكذا الذوق ، وكذا الشم

كما جاء في بعض الأحاديث أن ريحه أطيب من المسك .

ففي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال في الحوض : ( **ماؤه أبيض من الورق ، وريحه أطيب من المسك** ) .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر وثوبان رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( **ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل** ) .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ :** (آنيته عدد نجوم السماء) .

هذا يشمل الكثرة والبريق واللمعان ، فهي كثيرة ومنظرها جميل ، فإنها من ذهب وفضة .

ففي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( **كيزانه كنجوم السماء** ) .

وهذا التشبيه يشمل العدد والوصف ، وهذه الرواية أعم من الرواية الأخرى التي فيها (**أن آنيته عدد نجوم السماء** ) ، وفي الصحيحين من حديث المستورد بن شداد أن رسول الله ﷺ قال :ترى فيه الآنية مثل الكواكب ،وهذه الرواية مثل رواية عبد الله ابن عمرو تشمل العدد والصفة .

وفي مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( **فيه أباريق كنجوم السماء** ) .

بل قد جاء في حديث آخر ( **آنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها** ) .

ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **والذي نفس محمد بيده ، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ، ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة** ) .

وجاء ما يدل على أن هذه الآنية من الذهب والفضة .

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **ترى فيه أباريق الذهب والفضة ، كعدد نجوم السماء** ) .

**قال المصنف ـ رحمه الله ـ :** طوله شهر وعرضه شهر .

وهذا يدل على أنه مربع الشكل وأن طوله مساو لعرضه .

▪ ففي البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : **(حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء)** .

▪ وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **(عرضه مثل طوله)** .

**قلت :** وقد جاءت روايات عن رسول الله ﷺ ظاهرها الاختلاف في بيان سعته .

▪ ففي بعضها **(أن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة)** كما في صحيح مسلم .

▪ وفي بعضها أنه **( كما بين صنعاء والمدينة )** كما في الصحيحين .

▪ وفي بعضها **(أن ما بين ناحيتيه كما بين جربا وأذرح)** كما في الصحيحين .

▪ وفي بعضها **(أن عرضه كما بين المدينة وعمان )** كما في مسلم .

▪ وفي بعضها **(أن قدره كما بين أيلة )** وصنعاء من اليمن كما في الصحيحين .

▪ وفي بعضها **(ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة)** كما في مسلم .

▪ وفي بعضها **( كما بين أيلة إلى الجحفة )** كما في مسلم، وفي بعضها أنه **( مسيرة شهر )** كما في الصحيحين .

**قال القاضي عياض كما في شرح النووي على مسلم ( ١٣ / ٤٥٦-٤٥٧ ) :**

هذا الاختلاف في قدرعرض الحوض ليس موجباً للاضطراب ،فإنه لم يأت في حديث واحد بل في أحاديث مختلفة الرواة عن جماعة من الصحابة سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض وسعته وقرب ذلك من الأفهام لبعد ما بين البلاد المذكورة ، لا على التقدير الموضوع للتحديد بل للإعلام بعظم هذه المسافة، فبهذا تجمع الروايات، هذا كلام القاضي .

قلت ـ النووي ـ : وليس في القليل من هذه منع الكثير ،والكثير ثابت على ظاهر الحديث ولا معارضة ، والله أعلم . ا هـ.

**وقال الإمام القرطبي في التذكرة ص ٢٦٣-٢٦٤ :**

ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف

وليس كذلك وإنما تحدَّث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة ذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها ، فيقول لأهل الشام : ( **ما بين أذرح وجربا** ) ، ولأهل اليمن: ( **من صنعاء إلى عدن** ) ، وهكذا تارة أخرى يقدر بالزمان فيقول: ( **مسيرة شهر** ) والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا ، فكان ذلك بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات، فخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها ـ والله أعلم.

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ) .**

يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ( **حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبداً** ) .

وفي لفظ لمسلم : ( **فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً** ) .

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لمسلم ( ١٥ / ٤٥٢-٤٥٣ ) :**

والظمأ مهموز مقصور كما ورد به القرآن العزيز وهو العطش . . قال القاضي : ظاهر الحديث أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار ، فهذا هو الذي لا يظمأ بعده .

قال : وقيل: لا يشرب منه إلا من قدر له السلامة من النار، قال: ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة وقدر عليه دخول النار لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك،لأن ظاهر هذا الحديث أن جميع الأمة يشرب منه إلا من ارتد وصار كافراً.

قال : وقد قيل : إن جميع الأمم من المؤمنين يأخذون كتبهم بأيمانهم ثم يعذب الله تعالى من شاء من عصاتهم ، وقيل : إنما يأخذه بيمينه الناجون خاصة ، قال القاضي : وهذا مثله . ا هـ.

**قال العلامة ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ٢٢٩ :**

فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض ، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر . ا هـ.

**والصراط منصوب على متن جهنم ، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار ، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كراكب الابل ، ومنهم من يعدو عدواً ، ومنهم من يمشي مشياً ،ومنهم من يزحف زحفاً ،ومنهم من يخطف و يلقى في جهنم، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم .**

بيَّن المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذه الفقرة معنى الصراط ومكانه وصفة المرور عليه .

**والصراط في اللغة :** هو الطريق الواضح .

**وفي الشرع :** ما بيّنه المؤلف بقوله : هو الجسر الذي بين الجنة والنار .

وقد بيَّن المؤلف ـ رحمه الله ـ مكانه بقوله :(**والصراط منصوب على متن جهنم**) .

ثم بيَّن صفة المرور عليه .

وقد جاءت أحاديث كثيرة تبين صفة المرور على هذا الصراط وصفة الصراط ، وأن أول من يمر على الصراط هو رسول الله ﷺ وأمته ، وأنه لا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلامهم : اللهم سلم . سلم .

وأن الرحم والأمانة ترسلان فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً .

فمن تلكم الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث طويل وفيه : (**ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟** ، قالوا : نعم يا رسول الله ، **قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ـ عز وجل ـ تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ، والموثق بعمله ، ومنهم المخردل والمجازى** ) أو نحوه .

وفي البخاري ومسلم أيضاً عن أبي سعيد رضي الله عنه في حديث طويل وفيه :

**(ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم ،قلنا : يا رسول الله ، ما الجسر ؟ ، قال : مدحضة ، مزلة ، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقالَ لها السعدان ، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلَّم ، وناج مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى يمر آخرهم ، يسحب سحباً ) .**

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حديثا طويلاً وفيه :

**(وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق** قال : قلت : بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق ؟،**قال : ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين،ثم كمر الطير وتشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، قال : ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول : رب سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال : وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج ، ومكدوس في النار ) .**

**قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ في التذكرة ص ٢٨٩ :**

فتفكر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها ، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط ، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثاني، والخلائق بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم ، فياله من منظر ، ما أفظعه ، ومرتقى ما أصعبه ، ومجاز ما أضيقه . ا هـ.

**قلت :** نسأل الله حُسن الختام ، وأن يعيذنا من فتنة القبر ، وعذاب القبر والنار ، وأن يثبّت أقدامنا على الصراط ، إنه خير مسئول ومأمول .

**فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض ، فإذا هُذِّبوا ونُقّوا ، أذن لهم في دخول الجنة**

قوله : (**فإذا عبروا** ) . أي مضوا على الصراط ونجوا من السقوط في النار

**قال الإمام القرطبي . رحمه الله . في التذكرة(٢٩٤):**

ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه . اهـ.

قوله : وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار .

**القنطرة في اللغة** : هي الجسر وما ارتفع من البنيان.

وقد دل كلام المؤلف المأخوذ من الحديث على أن مكان القنطرة بين الجنة والنار .

**وقد اختلف العلماء في هذه القنطرة فقيل :** هي تتمة الصراط وهي طرفه الذي يلي الجنة ، وقيل : إنهما صراطان ، وقد اختار الثاني الإمام القرطبي ـ رحمه الله ـ حيث قال في التذكرة ص ( ٢٩٤ ) :

**اعلم ـ رحمك الله ـ أن في الآخرة صراطين:** أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ، ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار،فإذا خلص من هذا الصراط الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذي علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر .. إلى أخر كلامه السابق .

**قلت** :وأياً كان فالمهم الإيمان بها وأن الناس يوقفون عليها ليقتص لبعضهم من بعض.

وقد دل على هذه الفقرة التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ( **إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة النار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفس**

**محمد بيده لأحدكم بمسكنه في الجنة ؛ أدل بمنزله كان في الدنيا ) .**

وقوله : ( **فيقتص لبعضهم من بعض** ) .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ٥٢٠ :**

وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة ، لأن هذا قصاص أخص لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس ، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير ، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص ، فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار لأجل تنقية ما في القلوب حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل كما قال الله تعالى : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** (٤٧) ﴾ [ الحجر : ٤٧ ] . ا هـ.

**قوله : ( هذبوا ونقوا ) .**

**قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح ( ١١ / ٤٠٧ ) :**

بضم الهاء والنون وهما بمعنى التمييز والتخليص من التبعات .

**وقال ـ رحمه الله ـ ( ٥ / ١١٦ ) :** أي خلصوا من الآثام بمقاصصة بعضها ببعض ويشهد لهذا الحديث قوله في حديث جابر الآتي ذكره في التوحيد : لا يحل لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد قِبَلَهُ مظلمة . ا هـ.

**ويستثنى من هؤلاء الذين يوقفون على القنطرة صنفان كما دلت عليه بقية الأحاديث :**

**الأول :** الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب ، كما في الصحيحين .

**الثاني :** الذين يوبقون في النار بأعمالهم ، فإن كانوا كفاراً فهم مخلدون في النار وإن كانوا من الموحدين الذين شاء الله أن يجازيهم بسيئاتهم ثم يخرجون بالشفاعة فإنهم يبثون على أنهار الجنة كما في صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه ، وانظر في هذا : فتح الباري ( ١١ / ٤٠٦ ) ، والتذكرة للقرطبي ( ٢٩٥ ) ، والله أعلم .

**وقوله : ( أذن لهم في دخول الجنة ) .**

سيأتي أنهم يجدون أبواب الجنة مغلقة فيشفع لهم نبينا ﷺ في دخولها .

**وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ ، وأول من يدخلها من الأمم أمته ، وله في القيامة ﷺ ثلاث شفاعات : أما الشفاعة الأولى : فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.**

**وأما الشفاعة الثانية : فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة .**

**وهاتان الشفاعتان خاصتان لــه.**

سبق أن الناس إذا عبروا الصراط وخلصوا من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا أذن لهم بدخول الجنة ، فإذا جاؤوها وجدوا أبوابها مغلقة ، ومن ذا الذي يجرؤ أن يستفتح منهم؟ ، فيكون أول من يستفتح أي يطلب أن تفتح هو نبينا ﷺ ، وهذا من شفاعته الخاصة التي لا يشاركه فيها مشارك ، ودليل ذلك ماروا مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن نبينا ﷺ قال : ( **أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعاً** ) .

وبدليل ماروا مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (**أنا أول شفيع في الجنة ، لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت ، وإن من الأنبياء نبيًا ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد** ) .

وفي لفظ آخر لمسلم : ( **آتي باب الجنة يوم القيامة ، فاستفتح ، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت ، لا أفتح لأحد قبلك** ) .

**ثم قال المؤلف ـ رحمه الله ـ وأول من يدخلها من الأمم أمته ﷺ .**

ويدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ، ونحن أول من يدخل الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق ، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه ، هدانا الله له**

- يوم الجمعة - **فاليوم لنا ، وغداً لليهود ، وبعد غدٍ للنصارى )** .

**ثم قال - رحمه الله - : ( أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف ... إلخ ) .**

**الشفاعة لغةً :** جعل الشيء شفعًا فهي مشتقة من الشفع وهو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع .

**أما في الاصطلاح :** فهي توسط للغير في جلب منفعة أو دفع مضرة .

**قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح الواسطية ص(٥٢٤-٥٢٥) :**

**والشفاعة تنقسم إلى قسمين :**

شفاعة باطلة وشفاعة صحيحة .

فالشفاعة الباطلة : ما يتعلق به المشركون في أصنامهم حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ** ﴾ [ يونس : ١٨ ] .

ويقولون : ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ** ﴾ [الزمر:٣] ، ولكن هذه الشفاعة باطلة لاتنفع كما قال تعالى : ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** (٤٨) ﴾ [ المدثر : ٤٨ ] .

**والشفاعة الصحيحه ماجمعت شروطاً ثلاثة :**

**الأول :** رضى الله عن الشافع.

**الثاني :** رضاهُ عن المشفوع لهُ، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرضى عنهم .

**الثالث :** إذنهُ في الشفاعة،والإذن لايكون إلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له.

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ** (٢٦) ﴾ [ النجم : ٢٦ ] .

ولم يقل عن الشافع ولاالمشفوع لهُ ليكون أشمل.

وقال تعالى : ﴿ **يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً** (١٠٩) ﴾ [طه: ١٠٩] .

وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [ الأنبياء : ٢٨ ] .

فالآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة ، والثانية تضمنت شرطين ، والثالثة تضمنت شرطاً واحداً .

**وقول المؤلف ـ رحمه الله ـ :**

( أما الشفاعة الأولى : فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء : آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه ) .

هذه الشفاعة ثابتة بإجماع المسلمين لم يخالف منهم أحد ، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١ / ٣١٣ ) :

أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسألهُ الناس ذلك وبعد أن يأذن الله لهُ في الشفاعة ، ثم إن أهل السُّنَّة والجماعة متفقون على ما اتفق علية الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ واستفاضت به السنن من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته ويشفع أيضاً لعموم الخلق . ا هـ.

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود الذي قال الله عنه ﴿ **عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [ الإسراء : ٧٩ ] ، وهي أعظم الشفاعات .

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

**( يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ،يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر وتدنو منهم الشمس ،فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولايحتملون فيقول الناس ألاترون ما قد بلغكم ؟ ، ألاتنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ ، فيقول بعضهم لبعض : عليكم بآدم ، فيأتونه فيقولون له : أنت أبو البشر خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، ألاترى مانحن فيه ؟ ، فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي . نفسي . نفسي ، اذهبو إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقولون : يانوح إنك أول رسول إلى أهل**

الأرض ، فقد سماك الله عبداً شكورا ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ؟ ، فيقول كما قال آدم في غضب الله ، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، اشفع لنا إلى ربك ، ألاترى مانحن فيه ؟ ، فيقول كما قال آدم في غضب الله ، وإني قد كذبت ثلاث كذبات ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى : أنت رسول الله فضّلك الله برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ، فيقول كما قال آدم في غضب الله ، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، اذهبو إلى عيسى ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله وكلمته إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبياً ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ، فيقول كما قال آدم في غضب الله ولم يذكر ذنباً ، وكلهم يقولون كما قال آدم : نفسي . نفسي . نفسي ، اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً ﷺ فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ ، فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحُسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ...) الحديث .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في منهاج السُنّة ( ٢ / ٤٢٣-٤٢٥ ) :**

فإن قيل : فإذا كان قد غفر لهم ، فلماذا يمتنعون من الشفاعة يوم القيامة لأجل ما بدا منهم ، فيقول آدم إذا طلبت منه الشفاعة : إني نهيت عن أكل الشجرة و أكلت منها ، نفسي . نفسي ، اذهبو إلى غيري ، اذهبو إلى نوح ، فيأتون نوحاً فيقول : إني دعوت على أهل الأرض دعوة لم أومر بها .

والخليل يذكر تعريضناته الثلاث التي سماها كذباً ، وكانت تعريضاً ، وموسى يذكر قتل النفس .

قيل : هذا من كمال فضلهم وخوفهم وعبوديتهم وتواضعهم فإن من فوائد مايتاب منه أنه يكمل عبودية العبد و يزيده خوفاً وخضوعاً فيرفع الله درجته.

وهذا الامتناع مما يرفع الله به درجاتهم وحكمة الله تعالى في ذلك أن تصير الشفاعة لمن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

ولهذا كان ممن امتنع ولم يذكر ذنباً المسيح ، وإبراهيم أفضل منه وقد ذكر ذنباً ولكن المسيح قال :لست هناكم ،اذهبوا إلى عبد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

وتأخر المسيح عن المقام المحمود الذي خص به محمد ﷺ هو من فضائل المسيح ، ومما يقربه الى الله صلوت الله عليهم أجمعين .

فعلم أن تأخرهم لم يكن لنقص درجاتهم عما كانوا عليه ، بل لما علموه من عظمة المقام المحمود الذي يستدعي من كمال مغفرة الله للعبد وكمال عبودية العبد لله ما اختص به من غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولهذا قال المسيح : اذهبوا إلى محمد عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، فإنه إذا غفر له ما تأخر لم يخف أن يلام إذا ذهب إلى ربه ليشفع ، وإن كان لم يشفع إلابعد الإذن ، بل إذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه لم يكن يحسنها قبل ذلك فيقال له : أي محمد : إرفع رأسك ، وقل يُسمع ، وسل تُعطه ، واشفع تُشفع ، وهذا كله في الصحيحين وغيرهما . ا هـ.

**وقوله ـ رحمه الله ـ :** وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

قد سبق الكلام على دليل هذا النوع من الشفاعة ، ولله الحمد .

**وقوله ـ رحمه الله ـ :** وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

بقي من الشفاعات الخاصة بنبينا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شفاعته في تخفيف العذاب عن عمّه أبي طالب حتى يكون في ضحضاح من النار عليه نعلان من نار أوشراكان من نار يغلي منهما دماغه ، وإنه ليرى أنه أشد أهل النار عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً كما في الصحيح .

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ وبعمِّه أبي طالب ، وأما ما سواه من الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) ﴾ .

وإنما كانت شفاعة نبينا ﷺ لعمه أبي طالب بسبب أنه كان ينصره ويعينه فتنفعه شفاعته في تخفيف العذاب لا من إسقاطه بالكلية ، كما في صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشئ فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟. **قال : نعم . هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار .**

**وأما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصدّيقين وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .**

**قوله ـ رحمه الله ـ :** أما الشفاعة الثالثة .

فهذا النوع من الشفاعة غير مختص به وهو على قسمين :

**الأول :** شفاعة لمن استحق النار أن لا يدخلها .

**الثاني :** شفاعة فيمن دخلها أن يخرج منها .

**أما النوع الأول:** فمما يدل عليه في حق رسول الله ﷺ عموم ما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :( **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) . وهذا يوم القيامة .

كما يدل عليه دعاؤه واستغفاره لهم في صلاته على جنائزهم ودعائه لهم عند زيارته ﷺ لقبورهم ، وكل ذلك في حال حياته ﷺ .

و يدل على ذلك في حق غيره ما جاء في الشهيد أنه يشفع في سبعين من أهله يوم القيامة .

وأن الرجل يشفع في الفئام من الناس يوم القيامة .

ومن ذلك ما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : ( **ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**) . وغير ذلك .

**وأما النوع الثاني** وهو الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها . فمما يدل عليه في حق نبينا ﷺ حديث أنس رضي الله عنه السابق : ( **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** ) .

وأما في حق غيره ﷺ فمما يدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد رضي الله عنه وفيه :( **فيقول الله ـ عز وجل ـ شفعت الملائكة، وشفع النبيون ،وشفع**

المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ... ) الحديث .

**ويدل عليه ما في مسلم - أيضاً - في حديث طويل وفيه :**

( حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون : ربنا كانوا يصلون معنا ويصومون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحدمما أمرتنا به، فيقول: إرجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون : ربنا لم نذر ممن أمرتنا أحداً ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً فيقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً ) .

وهذان القسمان من الشفاعة أجمع عليهما أهل السُّنَّة والجماعة وتواترت الأحاديث بإثباتهما ، وينكرهما المبتدعة من الخوارج والمعتزلة ومن جرى مجراهما من أهل البدع والضلال .

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٣٠٩ ) :**

إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي ﷺ ، وقد اتفق عليها السلف من الصحابة وتابعيهم بإحسان وائمه المسلمين ، وإنما نازع في ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ١ / ١٠٤ ) :**

وقد اتفق المسلمون على أن نبينا شفيع يوم القيامة ، وأن الخلق يطلبون منه الشفاعة لكن عند أهل السُّنَّة أنه يشفع في أهل الكبائر ، وأما عند الوعيدية فإنما يشفع في زيادة الثواب . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ (١ / ١٠٨ ) :**

وقد ثبت بالسُّنَّة المستفيضة بل المتواترة ، واتفاق الأمة أن نبينا ﷺ الشافع المشفع أنه يشفع في الخلائق يوم القيامة ، وأن الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم ، وأنه يشفع لهم .

ثم اتفق أهل السُّنَّة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يُخَلَّدُ في النار من أهل التوحيد أحد ،وأما الخوارج والمعتزله ،فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين ، وهؤلاء مبتدعة ضلال ، وفي تكفيرهم نزاع وتفصيل . ا هـ.

**ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة،بل بفضله ورحمته،ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ،فينشىء الله أقواماً،فيدخلهم الجنة .**

**وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب ،والثواب والعقاب والجنة والنار، وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء ، والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء ، وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك ما يشفي ويكفي ، فمن ابتغاه وجده .**

**قوله ـ رحمه الله ـ :** ( ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة ) .... إلى قوله : ( **فيدخلهم الجنة** ) .

هذا من عظيم فضل الله على عباده ورحمته بهم،قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [ النساء : ٤٨ ] .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( .... **فيقول الله : شفعت الملائكة ،وشفع النبيون ،وشفع المؤمنون ،ولم يبقِ إلا أرحم الراحمين ،فيقبض قبضة من النار ،فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط** ) .

**قوله ـ رحمه الله ـ : بل بفضله ورحمته .**

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مفتاح دار السعاده ص ١٨ :**

**قال غير واحد من السلف** : ينجون من النار بعفو الله ومغفرته ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرته ،ويتقاسمون الجنة بالأعمال،كقوله تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (٧٢) ﴾ [ الزخرف : ٧٢ ] ، وقوله تعالى : ﴿ **ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ** (٧٠) ﴾ [ الزخرف : ٧٠ ] .

قالوا:وأما نفي دخولها بأعمال كما في قوله ﷺ :( **لن يدخل الجنة أحد بعمله ، قالوا :ولا أنت يا رسول الله؟، قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل** ) .

فا المراد به نفي أصل الدخول . وأحسن من هذا أن يقال : الباء المقضتية للدخول

غير الباء التي نفى معها الدخول ، فالمقتضية هي باء السببية الدالة على أن الأعمال سبب للدخول مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والباء التي نفى بها الدخول هي باء المعاوضة والمقابلة التي في نحو قولهم: اشتريت هذا بهذا، فأخبر النبي ﷺ أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا تغمد الله سبحانه لعبده برحمته لما أدخله الجنة ، فليس عمل العبد وإن تناهى موجباً بمجرده إلى دخول الجنة ولا عوضاً لها فإن أعماله وإن وقعت منه على الوجه الذي يحبه الله ويرضاه فهي لا تقاوم نعمة الله التي أنعم بها عليه في دار الدنيا ولا تعادلها بل لو حاسبه لوقعت أعماله كلها في مقابلة اليسير من نعمه ،وتبقى بقية النعم مقتضية لشكرها ، فلو عذبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم له ولورحمه لكانت رحمته خيراً له من عمله كما في السُنن من حديث زيد بن ثابت وحذيفة وغيرهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : **إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم** . ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ :** ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ، فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة .

وهذا يدل على عظيم فضل الله وأن رحمته سبقت غضبه، فإنه ينشئ أقواماً ليسكنهم فضل الجنة ولا ينشئ آخرين للنار، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: قط. قط ،بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة.**

ومن لفظ لمسلم : **يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشئ الله ـ سبحانه ـ لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة .**

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ :**

وأما اللفظ الذي في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ينشىء للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول : هل من مزيد . فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه .

والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده فإن الله أخبر أنه يملأ النار من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله كما قال سبحانه : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [ الملك : ٨ ] . ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار ) .**

أي أنواع ما اشتملت عليه الدار الآخرة ، وقد سميت بالدار الآخرة لتأخرها عن الدنيا وكونها بعدها .

**قوله : ( من الحساب )** . قد تقدم الكلام عليه .

**قوله : ( والثواب والعقاب )** أي الثواب على الطاعات والعقاب على المعاصي والسيئات .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ [ الزلزلة : ٧ – ٨ ] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [ المجادلة : ٦ ] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [ البقرة : ٢٨١ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [ النجم : ٣١ ] .

وفي مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( قال تعالى في الحديث القدسي : يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً ، فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك ، فلا يلومن إلا نفسه )** .

**والجنة والنار ، وتفاصيل ذلك مذكـــورة في الكتب المنزلة من السماء ، والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء، وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك مايشفي ويكفي ، فمن ابتغاه وجده .**

**قوله : والجنة والنار.**

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢٨ / ٤٤٢ ) :**

الجنة اسم للدار التي حوت كل نعيم ، أعلاه النظر إلى الله إلى ما دون ذلك مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مما قد نعرفه وقد لا نعرفه. ا هـ.

**وأما النار فقد قال السفاريني في لوامع الأنوار ( ١ / ٢١٩ ) :**

هي دار البوار ومقر الكفار . ا هـ.

واعلم أن من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة التي خالفوا فيها أهل البدع والضلال أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان أبداً ،وقد بسطت القول في غير هذا الموضع .

**قوله ـ رحمه الله ـ : (وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء).**

أي كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى .

**قوله ـ رحمه الله ـ : (والآثار من العلم المأثور عن الانبياء ) .**

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : العلم الممدوح هو الذي ورثه الأنبياء وهذا العلم أقسامه ثلاثة :**

**الأول :** علم بالله وأسمائه وصفاته ومايتبع ذلك ، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما .

**الثاني :** العلم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية ومما يكون من المستقبلية ومما هو كائن من الأمور الحاضرة ، وفي مثله أنزل الله القصص والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار .

**الثالث :** العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله ومن معارف القلوب وأحوالها وأحوال الجوارح وأعمالها ، وهذا يندرج فيه العلم بأصول الدين وقواعد الإسلام والعلم بالأقوال والأفعال الظاهرة مما هو مذكور في كتب الفقه . ا هـ.

**وقال ابن القيم :**

| | |
|---|---|
| والعلم أقسام ثلاث مالها | من رابع والحق ذو تبيان |
| علم بأوصاف الإله وفعله | وكذالك الأسماء للرحمن |
| والأمر والنهي الذي هو دينه | وجزاؤه يوم المعاد الثاني |

انتهى التنبيهات السنية ( ٢٤٥- ٢٤٦ ).

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص(٥٣٣ - ٥٣٤):**

**اعلم أن العلم المأثور عن الأنبياء قسمان :**

**القسم الأول :** قسم ثبت بالوحي وهو ما ذكر في القرآن والسُّنَّة الصحيحة وهذا لا شك في قبوله واعتقاد مدلوله.

**القسم الثاني :** قسم أتى عن طريق النقل غير الوحي وهذا هو الذي دخل فيه الكذب والتحريف و التبديل والتغيير ، ولهذا لابد أن يكون الإنسان حذرًا مما ينقل بهذه الطريقة عن الأنبياء السابقين حتى قال الرسول ﷺ : ( **إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، قولوا آمنا بما أنزل إلينا وما أُنزل إليكم** ) .

لأنك إن صدَّقت قد تصدِّق بباطل ، وإن كذبته قد تكذب بحق ، فلا تصدق ولا تكذب . قل إن كان هذا من عند الله فقد آمنت به .

**وقد قسم العلماء ما أثر عمن سبق ثلاثة أقسام :**

**الأول :** ما شهد شرعنا بصدقه .

**الثاني :** ماشهد شرعنا بكذبه . والحكم في هذين واضح .

**الثالث :** مالم يحكم بصدقه ولاكذبه فهذا مما يجب فيه التوقف لايصدق

ولايكذب . ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ : (وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده) .**

العلم الموروث عن رسول الله ﷺ هو علم الكتاب والسُّنَّة وفيه ما يشفي ويكفي في كل أبواب العلم.

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [ العنكبوت : ٥١ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء : ٨٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [ يونس:٥٧ ] ،وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [ النساء : ٦٦ ] .

وقال ﷺ :**(تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها ،لايزيغ عنها إلا هالك)** .

**وقال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٣ / ١٦١) :**

في القرآن والأحاديث عنه ﷺ من الأخبار بما سيكون في الدنيا وفي الآخرة أضعاف أضعاف مايوجد عن الأنبياء قبله . ا هـ.

**قوله : مايشفي** : أي من أمراض الشهوات والشبهات .

**قوله : ويكفي** : أي في كل أبواب العلم ، ومن لم يكفه الكتاب والسُّنَّة فلا كفاه الله ، ومن لم يشفه الكتاب والسُّنَّة فلا شفاه الله.

## وتؤمن الفرقة الناجية ( أهل السنة والجماعة ) بالقدر خيره وشره

القدر في اللغة : مصدر قدرت الشيء : إذا أحطت بمقداره .

وهو عند أهل السُّنَّة والجماعة : قدرة الله وعلمه ومشيئته وخلقه وكتابته ، فلا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بمشيئته وعلمه وقدرته (١) .

ولذلك قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : القدر: قدرة الله .

**قال العلامة ابن القيم في شفاء العليل ص( ٢٨ ) :** واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جداً وقال : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين .

وهو كما قال أبو الوفاء : فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد وكتابتها وتقديرها . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة (٣ / ٢٥٤) :**

إن الإمام أحمد يشير ( أي بكلامه السابق ) إلى أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله تعالى ، وأنه يتضمن إثبات قدرة الله تعالى على كل شي . ا هـ.

والإيمان بالقدر أصل من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة وركن من أركان الإيمان .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مقدمة كتابه شفاء العليل ص(٣):**

أما بعد فإن أهم ما يجب معرفته على المكلّف النبيل فضلاً عن الفاضل الجليل ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، فهو من أسنى المقاصد والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه ، ومبدأ الدين المبين وختامه ، فهو أحد أركان الإيمان وقاعدة أساس الإحسان التي يرجع إليها ويدور في جميع تصاريفه عليها ، فالعدل قوام الملك والحكمة مظهر الحمد ، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة وكمال النعمة ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء

---

( ١ ) انظر : شفاء العليل ، لابن القيم ( ص١١٤ ) .

قدير ، فبالقدرة والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين ، ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين . ا هـ.

ومن أدلة القدر حديث جبريل في الصحيحين لما سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال له رسول الله ﷺ : ( **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** ) .

وسيأتي ذكر مزيد من أدلة الكتاب والسُّنَّة على هذا في بيان مراتب القدر .

**قوله ـ رحمه الله ـ : خيره وشره .**

أي أن من معتقد أهل السُّنَّة والجماعة ، أن الخير والشر مقدر من الله مخلوق له قال تعالى : ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [ الزمر : ٦٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** (٤٩) ﴾ [ القمر: ٤٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** (١) **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** (٢) ﴾ [ الفلق : ١-٢ ] .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد (٢ / ٢١٥) :**

وقد دخل في قوله تعالى : ﴿ **مِن شَرِّ مَا خَلَقَ** (٢) ﴾ الاستعاذة من كل شر أي مخلوق قام به الشر من حيوان أوغيره ، إنسياً كان أو جنياً أوهامة أو دابة أو ريحاً أو صاعقة أو أي نوع كان من أنواع البلاء .

**فإن قلت :** فهل في ﴿ **مَا** ﴾ هنا عموم ؟ ، قلت : فيها عموم تقييدي وصفي لا عموم إطلاقي .

والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر فعمومها من هذا الوجه وليس المراد الاستعاذه من شر كل ما خلقه الله ، فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر ، وكذلك الملائكة والأنبياء فإنهم خير محض ، والخير كله حصل على أيديهم ، والاستعاذة من شر ما خلق تعم شر كل مخلوق فيه شر ، وكل شر من الدنيا والآخرة ، وشر شياطين الإنس والجن ، وشر السباع والهوام ، والنار والهواء ، وغير ذلك .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : ( **من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات**

**الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شئ حتى يرتحل منه )** . رواه مسلم . وفي الحديث : **أعوذ بكلمات الله التامات ، التي لا يجاوزها بر ولا فاجر ، من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر ما نزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق ، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن** . ا هـ.

فإن قال قائل : كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ وبين ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك )** ؟ .

**والجواب :** أن علماءنا رحمهم الله قد بيَّنوا أن لا تعارض بين الآية والحديث .

**فقد قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح مسلم :**

إن معنى هذا الحديث ـ كما قال الخطابي وغيره ـ أن فيه الإرشاد إلى الأدب في الثناء على الله تعالى ومدحه بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون ماسواها على وجه التأدب.

**أما قوله :( والشر ليس إليك )** :مما يجب تأويله لأن مذهب الحق أن كل المحدثات فعل الله وخلقه سواء خيرها وشرها وحينئذٍ يجب تأويله، وفيه خمسة أقوال:

**الأول :** معناه لا يتقرب به إليك ، قاله الخليل بن أحمد والنظر بن شميل وإسحاق ابن راهويه ويحيى بن معين وابن خزيمة .

**الثاني :** حكاه المزني ومعناه لا يضاف إليك على انفراده فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير ويا رب الشر ، وإن كان خالق كل شيئ، وحينئذٍ يدخل الشر في العموم .

**الثالث :** معناه الشر لا يصعد إليك ، وإنما يصعد إليك الكلم الطيب والعمل الصالح .

**الرابع :** أن الشر ليس شراً بالنسبة إليك فإنك خلقته بحكمة بالغة وإنما الشر بالنسبة للمخلوقين .

**الخامس :** حكاه الخطابي أنه كقولك فلان إلى بني فلان إذا كان عداده فيهم أو

نسبه إليهم . ا هـ.

أما العلامة ابن القيم فإنه لم يرتض بعض الأجوبة السابقة ، فقد قال في بدائع الفوائد ( ٢ / ٢١٠ ) بعد أن بيَّن أن الجواب الصواب أن الشر ليس في أفعال الله ، بل في مفعولاته وهو أمر نسبي فقال :

إذا عرف هذا عرف معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح ( **لبيك وسعديك ، والشر ليس إليك** ) وأن معناه أجل و أعظم من قول من قال: والشر لا يتقرب به إليك وقول من قال :والشر لا يصعد إليك،وأن هذا الذي قالوه وإن تضمن تنزيهه عن صعود الشر إليه والتقرب به إليه فلا يتضمن تنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر بخلاف لفظ المعصوم الصادق المصدوق ،فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته ـ تبارك وتعالى ـ عن نسبة الشر إليه بوجه ما لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه وإن دخل في مخلوقاته كقوله : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ②** ﴾ وتأمل طريقة القرآن في إضافة الرشد تارة إلى سببه ومن قام به كقوله : ﴿ **وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٤٤]، وقوله : ﴿ **وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [الصف: ٥] .... وتارة بحذف فاعله كقوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ⑩** ﴾ [الجن: ١٠]، فحذفوا فاعل الشر ومريده وصرحوا بمريد الشر ، ونظيره في الفاتحة ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ⑦** ﴾ فذكر النعمة مضافة إليه ـ سبحانه ـ والضلال منسوباً إلى من قام به والغضب محذوفاً فاعله. ا هـ.

وقد جلى ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذا الأمر جلاءً واضحاً أنقله بطوله لأهميته وعظمة هذا الباب ورغبة في قطع كل طريق يفضي إلى الشكوك وإساءة الظنون بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .

**قال ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد ( ٢ / ٢١٠- ٢١١ ) :**

**فإذا عرف هذا فلنتكلم على الشرور المستعاذ منها في هاتين السورتين :**

**الشر الأول :** العام في قوله : من شر ما خلق و( ما ) هاهنا موصولة ليس إلا،والشر

مسند في الآية إلى المخلوق المفعول لا إلى خلق الرب تعالى الذي هو فعله وتكوينه فإنه لا شر فيه بوجه ما فإن الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في أفعاله كما لا يلحق ذاته ـ تبارك وتعالى ـ فإن ذاته لها الكمال المطلق والجلال التام ، ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما ، وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلاً ، ولو فعل الشر ـ سبحانه ـ لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى ، ولا عاد إليه منه حكم ، تعالى وتقدس عن ذلك ، وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض إذ هو محض العدل والحكمة وإنما يكون شراً بالنسبة إليهم ، فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم لا في فعله القائم به تعالى ، ونحن لا ننكر أن الشر يكون في مفعولاته المنفصلة فإنه خالق الخير والشر ، ولكن هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال :

**أحدهما :** أن ما هو شر أو متضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً لا يكون وصفاً ولا فعلاً له .

**الثاني :** أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافي ، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به ، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه ، فله وجهان هو من أحدهما خير وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ خلقاً وتكويناً ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها وأطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها ، وأكثر الناس تضيق عقولهم عن مبادئ معرفتها فضلاً عن حقيقتها فيكفيهم الإيمان المجمل بأن الله ـ سبحانه ـ هو الغني الحميد وفاعل الشر لا يفعله لحاجته المنافية لغناه أو لنقصه وعيبه المنافي لحمده، فيستحيل صدور الشر من الغني الحميد فعلاً وإن كان هو الخالق للخير والشر ، فقد عرفت أن كونه شراً هو أمر إضافي وهو في نفسه خير من جهة نسبته إلى خالقه ومبدعه ، فلا تغفل عن هذا الموضع فإنه يفتح لك باباً عظيماً من معرفة الرب ومحبته ويزيل عنك شبهات حارت فيها عقول أكثر الفضلاء .

**وإذا أشكل عليك هذا فأنا أوضحه لك بأمثلة :**

**أحدها :** أن السارق إذا قطعت يده فقطعها شر بالنسبة إليه وخير محض بالنسبة إلى عموم الناس لما فيه من حفظ أموالهم ودفع الضرر عنهم ، وخير بالنسبة إلى متولي القطع أمراً وحكماً لما في ذلك من الإحسان إلى عبيده عموماً بإتلاف هذا العضو المؤذي لهم المضر بهم فهو محمود على حكمه بذلك وأمره به مشكور عليه يستحق عليه الحمد من عباده والثناء عليه والمحبة .

وكذلك الحكم بقتل من يصول عليهم في دمائهم وحرماتهم ، وجلد من يصول عليهم في أعراضهم ، فإذا كان هذا عقوبة من يصول عليهم في دنياهم ، فكيف عقوبة من يصول على أديانهم ويحول بينهم وبين الهدى الذي بعث الله به رسله وجعل سعادة العباد في معاشهم ومعادهم منوطة به .

أفليس في عقوبة هذا الصائل خير محض وحكمة وعدل وإحسان إلى العبيد ، وهي شر بالنسبة إلى الصائل الباغي، فالشر ما قام به من تلك العقوبة ، أما ما نسب إلى الرب منها من المشيئة والإرادة والفعل فهو عين الخير والحكمة ،**فلا يغلظ حجابك عن فهم هذا النبأ العظيم والسر الذي يطلعك على مسألة القدر ،ويفتح لك الطريق إلى الله ومعرفة حكمته ورحمته وإحسانه إلى خلقه ،وأنه ـ سبحانه ـ كما أنه البر الرحيم الودود المحسن ،فهو الحكيم الملك العدل ، فلا تناقض حكمته رحمته بل يضع رحمته وبره وإحسانه موضعه ،ويضع عقوبته وعدله وانتقامه وبأسه موضعه ، وكلاهما مقتضى عزته وحكمته وبره وهو العزيز الحكيم ، فلا يليق بحكمته أن يضع رضاه ورحمته موضع العقوبة والغضب ولا يضع غضبه وعقوبته موضع رضاه ورحمته . ا هـ.**

**والإيمان بالقدر على درجتين ،كل درجة تتضمن شيئين :**

**فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .**

**قوله ـ رحمه الله ـ : (الإيمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين).**

**يريد ـ رحمه الله ـ أن يبين مراتب القدر الأربع التي هي :**

العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، وقد نظم أحد الشعراء هذه المراتب الأربع فقال :

علم كتابة مولانا مشيئته  وخلقه وهو إيجاد وتكوين

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتاب شفاء العليل ص( ٦٣):**

**الباب العاشر :** في مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر وهي أربع مراتب :

**المرتبة الأولى :** علم الرب ـ سبحانه ـ بالأشياء قبل كونها .

**المرتبة الثانية :** كتابته لها قبل كونها .

**المرتبة الثالثة :** مشيئته لها.

**الرابعة :** خلقه لها . ا هـ.

**ثم إن شيخ الإسلام بدأ بالدرجة الأولى من درجات الإيمان بالقدر ، وبيَّن أنها تتضمن شيئين :**

**الأول :** عموم علم الله بجميع شؤون خلقه جملة وتفصيلاً.

وعلم الله من صفاته الذاتية الملازمة له أزلاً وأبداً ، وعلمه ـ سبحانه ـ يتعلق بذاته وبخلقه ، فقد ـ علم سبحانه ـ جميع أحوال عباده قبل أن يخلقهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .

**ومن أدلة هذه المرتبة قوله تعالى :**

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [ غافر : ٧ ] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [ العنكبوت : ١٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [ الحديد : ٤ ] ، وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [ لقمان : ٣٤ ] ،وقال تعالى :﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾ [ الأنعام : ٧٣ ] ، وقال : ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴿١٩﴾ ﴾ [ غافر : ١٩ ] وغير ذلك من الآيات .

وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قيل يا رسول الله أَعُلِمَ أهلُ الجنة من أهلِ النار ؟ ، **فقال : نعم** . قيل : ففيم العمل؟ ، فقال : **كلٌ مُيسر لما خلق له** .

وفي حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة ببقيع الغرقد ، فقعد وقعدنا حوله ، فنكس رأسه وجعل ينكت بمخصرته الأرض، ثم قال : ( **ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، وشقية أو سعيدة** ، فقال رجل يا رسول الله،ألا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ ، **فقال : من كان من أهل السعادة فيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ، اعملوا فكل مُيسر لما خُلِقَ له ، أما أهل السعادة فييسرون إلى عمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة ، فييسرون لعمل أهل الشقاوة** ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ** ﴿٥﴾ **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ** ﴿٦﴾ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ** ﴿٧﴾ **وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ** ﴿٨﴾ **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ** ﴿٩﴾ **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ** ﴿١٠﴾ ﴾ [ الليل :٥-١٠ ] .

**قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في شفاء العليل ص( ٦٣ ) :**

فأما المرتبة الأولى وهي العلم السابق فقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم ، واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة ، وخالفهم مجوس الأمة . ا هـ.

فمن أنكر هذه المرتبة فهو كافر .

**قال العلامة السَّعدي - رحمه الله - في الدرة البهية ص ( ٢٠ - ٢١ ) :**

وكانت طائفة القدر في أول أمرهم ينكرون العلم وينكرون القدر فيقولون :

إن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها ، ولا تعلقت بها مشيئة الله ، فلما شنع عليهم المسلمون وكفروهم بذلك تحولوا عن قولهم الأول فأثبتوا العلم وأنكروا القدر .

ولهذا كان الأئمة كالإمام أحمد وغيره يقولون : ( ناظروا القدرية بالعلم ، فإن أنكروا العلم كفروا وإن اعترفوا به خصموا ) .

**يعني :** أن القدرية النافين لعلم الله بأفعال عباده جاحدون لنصوص الكتاب والسُّنَّة المصرحة بإحاطة علم الله بما كان وما يكون من أعيان وأوصاف وأفعال مما دق وجلَّ ، فمن أنكر ذلك فقد كذب الكتاب والسُّنَّة صريحاً ، وذلك هو الكفر ، وإن اعترفوا بإحاطة الله بكل شي وبأفعال العباد قبل وقوعها كما هو القول الذي استقر عليه مذهبهم خصموا . ا هـ.

**ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق ، فأول ماخلق الله القلم قال له : أكتب ، قال : ماأكتب؟ قال : اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه ،وما اخطأه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام وطويت الصحف**

كما قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) ﴾ [ الحج : ٧٠ ] .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) ﴾ [ الحديد : ٢٢ ] .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ثم كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلق .....الخ .**

هذه هي المرتبة الثانية من مراتب القدر ، وهي مرتبة الكتابة السابقة للأشياء قبل كونها .

وقد دل على هذه المرتبة الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

**أما الكتاب العزيز :** فمنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) ﴾ وقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) ﴾ [ الأنبياء : ١٠٥ ـ ١٠٦ ] .

**فالزبور هنا :** جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور دواد ، والذكر :أُمُّ الكتاب الذي عند الله،والأرض: الدنيا ، وعباده الصالحون أمة محمد ﷺ هذا أصح الأقوال في هذه الآية ، وهي علم من أعلام النبوة ، فإنه ﷺ أخبر بذلك بمكة وأهل الأرض كلهم كفار أعداء له ولأصحابه ، والمشركون قد أخرجوهم من ديارهم ومساكنهم وشتتوهم في أطراف الأرض ، فأخبرهم ربهم تبارك وتعالى أنه كتب في الذكر الأول أنهم يرثون الأرض من الكفار .ا هـ .

**أما السُّنَّة** فمن ذلك ما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء** ) .

ولما رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبادة بن الوليد عن عبادة بن الصامت قال : حدثني أبي - الوليد بن عبادة - قال : دخلت على عبادة وهو مريض أُتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتي أوصني واجتهد لي ، فقال: أجلسوني ، فلما أجلسوه قال : يا بني ، إنك لن تجد طعم الإيمان ، ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله - تبارك وتعالى - حتى تؤمن بالقدر خيره وشره .

قلت : يا أبتاه ، وكيف لي أن أعلم خير العمل وشره ؟

قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطأك يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**إن أول ما خلق الله تعالى القلم ، ثم قال اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة** ) . يا بني : إن متَّ ولست على ذلك دخلت النار .

وعند الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال لي : ( **يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك ،احفظ الله تجده تجاهك ،إذا سألت فسأل الله ،واذا استعنت فاستعن بالله ،واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشي ،لم ينفعوك إلا بشي قد كتبه الله لك ،وإن اجتمعو على أن يضروك ، لم يضروك إلا بشي قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف** ) .

وفي البخاري وغيره عن عمران بن حصين أنه قال : دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال: (**اقبلوا البشرى يا بني تميم** قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين، ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال : **اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم** ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله ، قالوا : جئنا لنسألك عن هذا الأمر ، قال: **كان الله ولم يكن شي غيره ، وكان عرشه على الماء ،**

**وكتب في الذكر كل شيئ ، وخلق السموات والأرض**، فنادى مناد : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت ، فإذا هي ينقطع دونها السراب ، فوالله لوددت أني كنت تركتها ) .

**وأما الإجماع : فقد قال العلامة ابن القيم في شفاء العليل ص (٨٩ ) :**

وأجمع الصحابة والتابعون وجميع أهل السُّنَّة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب ، وقد دل القرآن على أن الله تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله ، فكتب في اللوح أفعاله وكلامه؛( فتبت يدا أبي لهب ) في اللوح المحفوظ قبل وجود أبي لهب . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ص ٩٢ :**

فالرب ـ سبحانه وتعالى ـ كتب ما يقوله وما يفعله ،وما يكون بقوله وفعله وكتب مقتضى أسمائه وصفاته وآثارها ، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **لما قضى الله الخلق ؛ كتب في كتابه ؛ فهو عنده فوق العرش : أن رحمتي غلبت غضبي** ) . ا هـ.

**وهذا التقدير التابع لعلمه -سبحانه -يكون في مواضع جملة وتفصيلاً . فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً ؛ فيؤمر بأربع كلمات ،فيقال له : اكتب: رزقه، وأجله ،وعمله، وشقي، أو سعيد ،ونحو ذلك . فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل .**

**قوله ـ رحمه الله ـ:** وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع . . . الخ .

بيَّن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في هذه الفقرة أن كتابة الله ـ سبحانه ـ تابعة لعلمه السابق ، وأن تلك الكتابة تكون في مواضع جملهً وتفصيلاً .

ثم أوضح ذلك بقوله : ( فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً ، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له : أكتب : رزقه ، وأجله . . .الخ ) .

**وقد قال العلامة ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ في شرح الطحاوية ص٢٦٦-٢٦٧ :**

والذي دلت عليه السُّنَّة أن الأقلام أربعة،وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره :

**القلم الأول :** العام الشامل لجميع المخلوقات ، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح .

**القلم الثاني :** حين خلق آدم ، وهو قلم عام أيضاً ، لكن لبني آدم ورد في هذا هناك آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم ، عقيب خلق أبيهم .

**القلم الثالث :** حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب: رزقه ، وأجله ، وعمله، وشقي أو سعيد ، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

**القلم الرابع :** الموضوع على العبد عند بلوغه الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون مايفعله بنوآدم كما ورد ذلك في الكتاب والسُّنَّة .

فشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ فيما سبق أشار إلى أن التقدير التابع لعلمه يكون على أقسام جملة وتفصيلاً ثم ذكر اثنين منها ، هما : التقدير العام الشامل للأشياء في اللوح المحفوظ .

**والثاني :** التقدير المتعلق بالجنين ، وهو في بطن أمه ، ثم أشار إلى بقية التقادير بقوله : ونحو ذلك .

**وقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شفاء العليل ص (٣١-٤٩) أقسام التقدير الخمسة وأوضحها بأدلتها وأنا أذكرها هنا اختصاراً :**

**التقدير الأول :** تقدير المقادير قبل خلق السماوات والأرض ، وهو التقدير العام الشامل لكل شيء في اللوح المحفوظ ، وقد سبق ذكر بعض أدلته .

**التقدير الثاني :** تقدير الرب ـ تبارك وتعالى ـ شقاوة العباد وسعادتهم وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم قبل خلقهم ، وهو تقدير ثانٍ بعد التقدير الأول .

**ثم قال ـ رحمه الله ـ مدللاً لهذا القسم :**

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال : **(ما منكم من أحد ،ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة،** قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟، **فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة،** ثم قرأ: **﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾**[الليل :٥-١٠] .

وفي لفظ: **(اعملوا فكل مُيسر ، وأما أهل السعادة فييسرون إلى عمل أهل السعادة ،وأما أهل الشقاوة فييسرون إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قرأ الآية السابقة) .**

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال :قيل يا رسول الله،عُلِمَ أهل الجنة من أهل النار؟ .

فقال: (**نعم**. قيل: ففيم يعمل العاملون؟،قال: **كل مُيسر لما خُلِقَ له**) مفق عليه.

وفي بعض طرق البخاري: ( **كل يعمل لما خُلِقَ له ، أو لما يسر له** ).

ثم ذكر طائفة مباركة من الأدلة على هذا.

**التقدير الثالث:** المتعلق بالجنين وهو في بطن أمه، وهو تقدير شقاوته وسعادته ورزقه وأجله وعمله وسائر ما يلقاه. ثم ذكر له عدة أدلة منها:

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: ( **إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغةً مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ،حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها** ) متفق عليه.

**التقدير الرابع:**

**قال ابن القيم: التقدير الرابع: ليله القدر.**

قال الله تعالى: ﴿ **حمٓ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥** ﴾.

[ الدخان: ١-٥ ].

وهذه هي ليلة القدر قطعاً لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١** ﴾

[القدر:١].

ومن زعم أنها ليلة النصف من شعبان فقد غلط، قال سفيان عن أبي نجيح عن مجاهد: ليلة القدر: ليلة الحكم. وقال سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير: يؤذن للحجاج في ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم،فلا يغادر

منهم أحد ، ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم .

**وقال ابن عليّة :** حدثنا ربيعة بن كلثوم قال : قال رجل للحسن وأنا أسمع : أرأيت ليلة القدر في كل رمضان هي ؟ قال : نعم ، والله الذي لا إله إلا هو إنها لفي كل رمضان ، وإنها لليلة القدر يفرق فيها كل أمر حكيم ، فيها يقضي الله كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها .

وذكر يوسف بن مهران عن ابن عباس ﵄ قال : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السَنة من موت وحياة ورزق ومطر ، حتى الحجاج يقال : يحج فلان ، ويحج فلان .

وذكر عن سعيد بن جبير في هذه الآية : إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق وقد وقع اسمه في الموتى .

وقال مقاتل: يقدر الله في ليلة القدر أمر السَنة في بلاده وعباده إلى السَنة القابلة .

وقال أبو عبد الرحمن السّلمي : يقدر أمر السَنة كلها في ليلة القدر .

وهذا هو الصحيح .أن القدر مصدر قدر الشي يقدره قدراً فهي ليلة الحكم والتقدير.

**وقالت طائفة :** ليلة القدر ليلة الشرف والعظمة من قولهم : ( لفلان قدرٌ في الناس ) . فإذا أراد صاحب هذا القول أن لها قدراً أو شرفاً مع ما يكون من التقدير فقد أصاب ، وإن أراد أن معنى القدر فيها هو الشرف والخطر فقد غلط .

إن الله أخبر ـ سبحانه ـ أن فيها يفرق أي : يفصل الله ويبين كل أمر حكيم .

ثم قال ـ رحمه الله ـ :

**التقدير الخامس : اليومي ـ أي التقدير اليومي ـ.**

قال تعالى :﴿ **يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾[ الرحمن:٢٩ ] .

ذكر الحاكم في صحيحه من حديث أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﵄ أن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء،دفتاه من ياقوتة حمراء ، قلمه نور وكتابه نور ، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة ، ففي كل نظرة

منها يخلق ويرزق ، ويحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء ، فذلك قوله : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) ﴾ (١) .

**وقال مجاهد والكلبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وعطاء ومقاتل :** من شأنه أن يحيي ويميت ، ويرزق ويمنع، وينصر ويعز ويذل ويفك عانياً ، ويشفي مريضاً ، ويجيب داعياً ،ويعطي سائلاً ، ويتوب على قوم ، ويكشف كرباً ، ويغفر ذنباً ، ويضع أقواماً ويرفع آخرين ، دخل كلام بعضهم في بعض . . . إلى أن قال - رحمه الله - :

فهذا تقدير يومي ، والذي قبله تقدير حولي ، والذي قبله تقدير عمري عند تعلق النفس به والذي قبله كذلك عند أول تخليقه وكونه مضغة ، والذي قبله تقدير سابق على وجوده لكن بعد خلق السماوات والأرض ، والذي قبله تقدير سابق على خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكل واحد من هذه التقادير كالتفصيل من التقدير السابق ، وفي ذلك الدليل على علم الرب وقدرته وحكمته وزيادة التعريف لملائكته وعباده المؤمنين بنفسه وأسمائه . ا هـ.

**وقول شيخ الإسلام - رحمه الله - فيما سبق :** ( فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل ) .

**يعني بذلك - رحمه الله - :** العلم والكتابة ، فقد كان غلاة القدرية ينكرونه ويقولون : إن الأمر أنف أي أن الله لا يعلم أفعال العباد إلا بعد وجودها ، ويدل لذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه قال : حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي . حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي

---

( ١ ) لعل هذا مما أخذه ابن عباس رضي الله عنهما عن بني إسرائيل .

أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت :أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برءاء مني ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم ساق حديث عمر في قصة جبريل وسؤاله عن الإيمان والإسلام والإحسان .

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لمسلم (١ / ١٣٠) :**

**قوله : ( يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف ) :**

هو بضم الهمزه والنون أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى إنما يعلمه بعد وقوعه كما قدمنا حكايته عن مذهبهم الباطل وهذا القول قول غلاتهم وليس قول جميع القدريه وكذب قائله وضل وافترى،عافانا الله وسائر المسلمين.ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ( ١ / ١٢٨-١٢٩ ) :**

**واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه :**

أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قدر الأشياء في القدم، وعلم ـ سبحانه ـ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـ سبحانه وتعالى ـ وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها ـ سبحانه وتعالى ـ وأنكرت القدرية هذا ، وزعمت أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يقدرها ولم يتقدم علمه ـ سبحانه وتعالى ـ بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها ـ سبحانه ـ بعد وقوعها ، وكذبوا على الله ـ سبحانه وتعالى وجلَّ ـ عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً .

وسميت هذه الفرقة قدرية لإنكارهم القدر. قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر لكن يقولون الخير من الله والشر من غيره .

**وأما الدرجة الثانية فهي مشيئته النافذة وقدرتــه الشاملة ، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله -سبحانه وتعالى- ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ، وأنه سبحانه على كل شيئ قدير من الموجدات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه -سبحانه- لا خالق غيره ، ولا رب سواه .**

**قول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :** ( وأما الدرجة الثانية ..... الخ ) .

فهذه الدرجة تضمنت مرتبتين من مراتب القدر وهما :

( ١ ) المشيئة . ( ٢ ) الخلق .

**أما المشيئة فقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شفاء العليل ص ٩٣ :**

**المرتبة الثالثة من مراتب القضاء والقدر وهي مرتبة المشيئة :**

وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والبيان ، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، هذا عموم التوحيد الذي لايقوم إلا به .

والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع ، وإن كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يكون وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفى مشيئة الله بالكلية ، ولم يثبت له ـ سبحانه ـ مشيئة واختياراً أو جدبها الخلق ، كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم ، والقرآن والسُّنَّة مملوآن بتكذيب الطائفتين فقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾ [ البقرة : ٢٥٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ **كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [ آل عمران : ٤٠ ] ، وقال : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ**

جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (١١٢) ﴾ [ الأنعام : ١١٢ ] .

**ثم ذكر ـ رحمه الله ـ آيات كثيرة في هذا ثم قال :**

وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم ،وهو ـ سبحانه ـ تارة يخبر أن كل مافي الكون بمشيئته،وتارة أن مالم يشأ لم يكن،وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لوشاء لكان خلاف القدر الذي قدّره وكتبه ، وأنه لو شاء ما عصي ، وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة ، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته ، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته ، وهذا حقيقة الربوبية ، وهو معنى كونه رب العالمين ، وكونه القيوم القائم بتدبير عباده ، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه ، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه ، إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه .....إلى أن قال : وتقدم في حديث حذيفة بن أسيد في صحيح مسلم في شأن الجنين : فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ : ( **اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء** ) .

وفي صحيح البخاري من حديث علي بن أبي طالب حين طرقه النبي ﷺ وفاطمة ليلاً فقال : (**ألا تصليان ؟** ، فقال علي : إنما أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ) .

وفي صحيحه أيضاً قصة نومهم في الوادي عنه ﷺ : ( **إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء** ) .

**ثم قال ـ رحمه الله ـ ص ١٠٥-١٠٦ :**

وهاهنا أمر يجب التنبيه عليه وبمعرفته تزول اشكالات كثيرة تعرض لمن لم يحط به علماً ، وهو أن الله ـ سبحانه ـ له الخلق والأمر ، وأمره ـ سبحانه ـ نوعان :

**أمر كوني قدري وأمر ديني شرعي.**

فمشيئته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره الكوني،وكذلك تتعلق بما يحب وبما يكره كله داخل تحت مشيئته كما خلق إبليس وهو يبغضه وخلق الشياطين والكفار والأعيان والأفعال المسخوطة له وهو يبغضها،فمشيئته ـ سبحانه ـ شاملة لذلك كله .

وأما محبته ورضاه فمتعلقة بأمره الديني وشرعه الذي شرعه على ألسنة رسله، فما وجد منه تعلقت به المحبة والمشيئة جميعاً فهو محبوب للرب واقع بمشيئته كطاعات الملائكة والأنبياء والمؤمنين ، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الديني ولم تتعلق به مشيئته ، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصي تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الديني،وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته ، فلفظ المشيئة،كوني ولفظ المحبة ديني شرعي ، ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتكون هي المشيئة ، وإرادة دينية فتكون هي المحبة .

**وإذا عرفت هذا فقوله تعالى :**

﴿ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [ الزمر:٧ ] ، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [ البقرة : ٢٠٥ ] ، وقوله : ﴿ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [ البقرة : ١٨٥ ] ، لايناقض نصوص القدر والمشيئة العامة الدالة على وقوع ذلك بمشيئته وقضائه وقدره،فإن المحبة غير المشيئة،والأمر غير الخلق،ونظير هذا الأمر فإنه نوعان : أمر تكوين وأمر تشريع .

والثاني قد يعصى ويخالف بخلاف الأول .

فقوله تعالى :﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ [الإسراء:١٦] .

لا يناقض قوله تعالى : ﴿ نَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [ الأعراف : ٢٨ ] ، ولا حاجة إلى تكلف تقدير أمرنا مترفيها بالطاعة فعصونا وفسقوا فيها بل الأمر هاهنا أمر تكوين وتقدير لا أمر تشريع لوجوه :

**أحدها :** أن المستعمل في مثل هذا التركيب أن يكون ما بعد الفاء هو المأمور به كما تقول : أمرته فقام وأمرته فأكل ، كما لو صرَّح بلفظة أفعل . ا هـ.

**وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة و لا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، ولا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه -سبحانه -على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات،فما من مخلوق في الأرض و لا في السماء إلا الله خالقه -سبحانه - لا خالق غيره ، و لا رب سواه .**

في هذا الفقرة زيادة تأكيد في الرد على القدرية النفاة ، فإنه ـ سبحانه ـ لا يكون في ملكه إلا مايريد وما لا يريده لا يكون ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ [ التكوير : ٢٩ ] .

وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) ﴾ [ سبأ : ٢٢ ] . وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٣) ﴾ [ يونس : ٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) ﴾ [ يونس :٣١ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً ﴾ [ فاطر : ٤٤ ] .

**وقوله : ولا يكون في ملكه ما لا يريد .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ( ٥٥٤ ) :**

هذه العبارة تحتاج إلى تفصيل : لايكون في ملكه مالا يريد بالإرادة الكونية أما بالإرادة الشرعية فيكون في ملكه مالا يريده .

**وحينئذٍ نحتاج إلى أن نقسِّم الإرادة إلى قسمين :**

إرادة كونية و إرادة شرعية.

فالإرادة الكونية بمعنى المشيئة ومثالها قول نوح ﷺ لقومه : ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [ هود: ٣٤ ].

والإرادة الشرعية بمعنى المحبّة. مثالها قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [ النساء : ٢٧ ] .

**وتختلف الإرادتان في موجبهما وفي متعلقهما :**

ففي المتعلق : الإرادة الكونية تتعلق فيما وقع سواء أحبه أم كرهه .

والإرادة الشرعية تتعلق فيما أحبه سواء وقع أم لم يقع .

وفي موجبهما : الإرادة الكونية يتعين فيها وقوع المراد ، والإرادة الشرعية لايتعين فيها وقوع المراد، وعلى هذا يكون قول المؤلف : ( ولا يكون في ملكه مالا يريد ) : يعني به الإرادة الكونية .

**فإن قال قائل : هل المعاصي مرادة لله ؟.**

**فالجواب :** أما بالإرداة الشرعية فليست مرادة له لأنه لايحبها، أما بالإرادة الكونية فهي مرادة له ـ سبحانه ـ لأنها واقعة بمشيته . ا هـ.

**قوله:** ( ولارب سواه ) .قال تعالى :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) ﴾ وكل ماسوى الله عالم والله ربه،والرب هو السيد المالك المتصرف وربوبيته عامة وخاصة كما في قوله تعالى ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٨) ﴾ [الشعراء: ٤٧ ـ ٤٨ ] .

**قوله : (وأنه سبحانه على كل شيءٍ قدير من الموجودات والمعدومات ).**

أي أنه ما من شيءٍ موجود أو معدوم إلا والله قادر عليه،فالموجودات الله قادر على إعدامها أو تغييرها، والمعدومات الله قادر على إيجادها،فالله قادر أن يعز الذليل ويذل العزيز، ويعافي السقيم ويسقم الصحيح، ويغني الفقير ويمنع الغني، ويرفع الوضيع ويضع الرفيع ، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) ﴾ [آل عمران: ٢٦ ] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي

الأَرْضِ ﴾ [ فاطر : ٤٤ ] ، وفي الفقرة السابقة رد على القدرية الذين قالوا : إن العبد مستقل بعمله وأن الله ليس بقادر على فعله .

**وقوله ـ رحمه الله ـ :** ( فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه ) .

كلمة مخلوق نكرة من سياق النفي تفيد العموم ، فما من شيء صغير أو كبير جليل أو حقير من الذوات أو الصفات إلا والله ـ سبحانه ـ المنفرد بخلقه دون ما سواه قال تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾ [ فاطر : ٣ ] .

وقال : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [ الزمر : ٦٢ ] ، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴾ [ القمر : ٤٩ – ٥٠ ] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦) ﴾ [ الطور : ٣٥-٣٦ ] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) ﴾ [ الحج :٧٣ ] .

فهو ـ سبحانه ـ وحده المنفرد بالخلق ، ومن ذلك أنه خلق العباد وصفاتهم وأعمالهم قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ [ الصافات :٩٦ ] .

**وقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في كتابه شفاء العليل ص١١٥-١١٧ :**

قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ هذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته ، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته ، فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له .

واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق ،وصفاته ـ سبحانه ـ داخلة في مسمى اسمه فإن الله ـ سبحانه ـ اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال، المنزه عن كل صفة نقص ومثال.

**والعالم قسمان :** أعيان وأفعال، وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال

كما أنه العالم بتفاصيل ذلك ، فلا يخرج شيء منه عن علمه ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته .

**قالت القدرية :** نحن نقول إن الله خالق أفعال العباد لا على أنه محدثها ومخترعها ، لكن على معنى أنه مقدرها ، فإن الخلق : التقدير ، كما قال تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [ المؤمنون : ١٤ ] .

**قال الشاعر :**

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

أي لأنت تمضي ما قدرته وتنفذه بعزمك وقدرتك وبعض القوم يقدر ثم لا قوة له ولا عزيمة على انفاذ ما قدره وأمضاه ، فالله تعالى مقدر أفعال العباد وهم الذين أوجدوها وأحدثوها .

**قال أهل السُّنَّة :** قدماؤكم ينكرون تقدير الله - سبحانه - لأعمال العباد البتة فلا يمكنهم أن يجيبوا بذلك ،ومن اعترف منكم بالتقدير فهو تقدير لا يرجع الى تأثير وإنما هومجرد العلم بها والخبر عنها وليس التقدير عندكم جعلها على قدر كذا وكذا فإن هذا عندكم غير مقدور للرب ولا مصنوع له إنما هو صنع العبد وإحداثه فرجع التقدير إلى مجرد العلم والخبر، وهذا لا يسمى خلقًا في لغة أمة من الأمم، ولو كان هذا خلقاً لكان من علم شيئاً وعلم أسماءه وصفاته وأخبر عنه بذلك خالقاً له ، فالتقدير الذي أثبتموه إن كان متضمناً للتأثير في إيجاد الفعل فهو خلاف مذهبكم وإن لم يتضمن تأثيراً في إيجاده فهو راجع إلى محض الفعل والخبر .

**قالت القدرية :**

قوله : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من العام المراد به الخاص ولا سيما فإنكم قلتم إن القرآن لم يدخل في هذا العموم وهو من أعظم الأشياء وأجلُّها فخصصنا منه أفعال العباد بالأدلة الدالة على كونها فعلهم ومنعهم .

**قال أهل السنة :** القرآن كلام الله ـ سبحانه ـ وكلامه صفة من صفاته ، والخالق وذاته لم تدخل في المخلوق، فإن الخالق غير المخلوق، فليس ها هنا تخصيص البتة، بل الله سبحانه بذاته وصفاته الخالق ، وكل ما عداه مخلوق ، وذلك عموم لا تخصيص فيه بوجه إذ ليس إلا الخالق والمخلوق ، والله وحده الخالق وما سواه كله مخلوق .

وأما الأدلة الدالة على أن أفعال العباد صنع لهم ، وإنما أفعالهم القائمة بهم ، وأنهم هم الذين فعلوها ، فكلها حق نقول بموجبها، ولكن لا ينبغي أن تكون أفعالاً لهم ومخلوقة مفعولة لله ، فإن الفعل غير المفعول ولا نقول : إنها فعل الله والعبد مضطر مجبور عليها ، ولا نقول : إنها فعل للعبد والله غير قادر عليها ولا جاعل العبد فاعلاً لها ، ولا نقول : إنها مخلوقه بين مخلوقين مستقلين بالإيجاد والتأثير ، وهذه الأقوال كلها باطلة .

**قالت القدرية :** قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ يعني مما لا يقدر عليه غيره ، وأما أفعال العباد التي يقدر عليها العباد فإضافتها إليهم ينفي إضافتها إليه وإلا لزم وقوع فعل بين فاعلين وهو محال .

**قال أهل السنة :** إضافتها إليهم فعلاً وكسباً لا ينفي إضافتها إليه ـ سبحانه ـ خلقاً ومشيئة ، فهو ـ سبحانه ـ الذي شاءها وخلقها وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقه لاستحال وقوعها منهم إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأه الله ولم يقدرعليه ولا خلقه . اهـ.

**ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصيته، وهو - سبحانه - يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.**

بعد أن بيَّن شيخ الإسلام مراتب القدر الأربع وأن كل شي بقدر وأن الله هو المنفرد بالخلق لكل الأعيان والأوصاف بيَّن هنا أنه لا تعارض بين ما سبق وبين كونه ـ سبحانه ـ أمر عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته، كما أنه لا تعارض بين تقديره للمعاصي وبغضه لها.

فليس لأحد أن يحتج بالقدر على ترك المأمور وفعل المحظور مخالفة وعد الله ووعيده.

**وقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢ / ٢٩٤ ):**

إن هذا مخالف لدين المسلمين واليهود والنصارى مع مخالفته للمنقول والمعقول. اهـ.[١]

**وقال ص (٣٠١):** ولايوجد أحد يحتج بالقدر في ترك الواجب وفعل المحرم إلا وهو متناقض لا يجعله حجة في مخالفة هواه بل يعادي من آذاه وإن كان محقاً ويحب من وافقه على غرضه وإن كان عدواً لله فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجده لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبته وبغضه وولايته وعداوته. اهـ.

إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فإن هذا مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه، والشر الذي لا خير فيه، إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا

---

(١) **قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٨ / ١٨٩):** وليس لاحد ان يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل العلم وسائر العقلاء فإن هذا لو كان مقبولاً لامكن كل احد ان يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الاموال وسائر أنواع الفساد في الارض ويحتج بالقدر، ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدى عليه، واحتج بالقدر المعتدي لم يقبل منه، بل يتناقض وتناقض، القول يدل على فساده، فالإحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول. اهـ.

اقتص من ظالم باغ ، ولا أخذ المظلوم حقه من ظالمه ، ولفعل كل أحد ما يشتهيه من غير معارض يعارضه فيه ، وهذا فيه من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ (٢ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤) :**

ولو كان في القدر حجة وعذراً لم يكن إبليس ملوماً ولا معاقباً ، ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ، ولاكان جهاد الكفار جائزاً ، ولا إقامة الحد جائز وقطع يد السارق ولاجلد الزاني ولا رجمه ولاقتل القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه.

ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلاً في فطر الخلق ، وعقولهم لم تذهب إليه أمة من الأمم ، ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين يطردون قولهم .

فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لافي دنياه ولا في آخرته ، ولايمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة إن لم يكن أحدهم ملتزم مع الآخر نوعًا من الشرع ، فالشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده .

**لكن الشرائع متنوعة :** فتارة تكون منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك ، ثم المنزلة : تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم وتارة لا تبدل ولا تغير ، وتارة يدخل النسخ في بعضها ، وتارة لا يدخل .

وأما القدر فإنه لايحتج به أحد إلاعند اتباع هواه ، فإذا فعل فعلاً محرمًا بمجرد هواه وذوقه ووجده من غير أن يكون له علم بحسن الفعل ومصلحته استند إلى القدر كما قال المشركون : ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

وقال تعالى :﴿ **كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)** ﴾ [ الأنعام : ١٤٨-١٤٩ ] .

فبيَّن أنهم ليس عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وإنما يتبعون الظن .

والقوم لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الاحتجاج بالقدر ، فإنه لو خرب أحد الكعبة أو شتم إبراهيم الخليل أو طعن في دينهم لعادوه وآذوه كيف وقد عادوا النبي ﷺ على ما جاء به من الدين وما فعله هو، أيضاً من المقدور.

فلو كان الاحتجاج بالقدر حجة لكان للنبي ﷺ وأصحابه .

فإن كل ما يحدث في الوجود فهو مقدور، فالمحق والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر إن كان الاحتجاج به صحيحاً ولكن كانوا يعتمدون على ما يعتقدونه من جنس دينهم وهم في ذلك يتبعون الظن ليس لهم به علم بل هم يخرصون .

وموسى لما قال لآدم : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟.

فقال آدم عليه السلام - فيما قال لموسى - لم تلومني على أمر قدَّره الله عليَّ قبل أن أُخْلَقْ بأربعين عاماً ؟ ، فحجَّ آدم موسى .

لم يكن آدم عليه السلام محتجاً على فعل ما نهي عنه بالقدر ولا كان موسى ممن يحتج عليه بذلك فيقبله ، بل آحاد المؤمنين لا يفعلون مثل هذا فكيف آدم وموسى ؟.

وآدم قد تاب مما فعل واجتباه ربه وهدى ، وموسى أعلم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه فكيف بنبي من الأنبياء ؟.

وآدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتج إلى التوبة ولم يجر ما جرى من خروجه من الجنة وغير ذلك .

ولو كان القدر حجة لكان لإبليس وغيره وكذلك موسى يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنوا إسرائيل بالصعقة وغيرها .

كيف وقد قال موسى : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦] ، وقال : ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ [ الأعراف:١٥٥] ، وهذا باب واسع .

إنما كان لوم موسى لآدم من أجل المصيبة التي لحقتهم بآدم من أكل الشجرة، ولهذا قال : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ ، واللوم لأجل المصيبة التي لحقت

الإنسان نوع ، واللوم لأجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر .

فإن الأب لو فعل فعلاً افتقر به حتى تضرر بنوه فأخذوا يلومونه لأجل ما لحقهم من الفقر : لم يكن هذا كلومه لأجل كونه أذنب .

والعبد مأمور أن يصبر على المقدور ويطيع المأمور وإذا أذنب استغفر كما قال تعالى : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ [ غافر : ٥٥ ] ، وقال تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [ التغابن : ١١ ] ، قال طائفة من السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم فمن احتج بالقدر على ترك المأمور وجزع من حصول ما يكرهه من المقدور فقد عكس الإيمان والدين وصار من حزب الملحدين المنافقين وهذا حال المحتجين بالقدر . ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( وهو ـ سبحانه ـ يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ) .**

**التقوى :** فعل ما أمر الله وترك مانهى الله عنه على علم وبصيرة رجاء ثواب الله وخوفاً من عقابه .

ودليل محبة الله لها أمور ، منها قوله تعالى : ﴿ **فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [ التوبة : ٧ ] .

**والإحسان معناه الإتقان وهو قسمان :**

**إحسان في عبادة الله** : وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

**وإحسان إلى عباد الله** : ببذل الندى ، وكف الأذى ، وطلاقة الوجه .

والدليل على محبة الله للمحسنين قوله تعالى : ﴿ **وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [ البقرة : ١٩٥ ] .

**والقسط :** العدل ، ومن أدلة محبة الله للمقسطين قوله تعالى : ﴿ **وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [ الممتحنة : ٨ ]

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) .**

دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**

﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ ﴾ [البينة : ٧ – ٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ٩٩ ] .

**وقوله ـ رحمه الله ـ : ( ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ) .**

الكفر ضد الإيمان ويكون بالقول وبالفعل و بالاعتقاد وبالشك ودليل عدم محبة الله له قوله تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٢ ] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [ الزمر:٧ ] .

والفسق هو الخروج عن طاعة الله بالكفر فما دونه ، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٩٦ ]،وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ السجدة: ١٨–٢٠ ] .

ومع عدم محبته ـ سبحانه ـ للكافرين والفاسقين إلا أن الله شاء كفرهم وفسقهم ولا تعارض .

**وقوله ـ رحمه الله ـ : ( ولا يأمر بالفحشاء ) .**

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [ النحل : ٩٠ ] ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [ الأعراف: ٢٨ ] .

وقوله : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ .

لقوله تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ [الزمر: ٧ ] ، ولا تعارض بين عدم رضا الله بالكفر وتقديره له .

**وقوله ـ رحمه الله ـ :** ( وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ ) .

دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) ﴾ [ البقرة : ٢٠٥ ] .

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية ص ( ٥٦٣ - ٥٦٤ ) في الكلام على الفقرات السابقة :**

كرر المؤلف مثل هذه العبارات ليبين أنه لا يلزم من إرادته الشيء أن يكون محبوباً له،ولا يلزم من كراهته للشيء أن لا يكون مراداً له بالإرادة الكونية،بل هو ـ عز وجل ـ يكره الشيء ويريده بالإرادة الكونية ،ويوقع الشيء ولا يرضى عنه ولا يريده بالإرادة الشرعية .

**فإن قلت :** كيف يوقع ما لا يرضاه وما لا يحبه ؟!.

وهل أحد يكرهه على أن يوقع ما لا يحبه ويرضاه ؟!.

**فالجواب :** لا أحد يكرهه على أن يوقع ما لا يحبه ولا يرضاه ، وهذا الذي يقع من فعله عز وجل وهو مكروه له ، هو مكروه له من وجه محبوب له من وجه آخر لما يترتب عليه من المصالح العظيمة .

**فمثلاً :** الإيمان محبوب لله،والكفر مكروه له،فأوقع الكفر وهو مكروه له لمصالح عظيمة لأنه لولا وجود الكفر ما عرف الإنسان قدر نعمة الله عليه بالإيمان،ولولا وجود الكفر ما قام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لأن الناس كلهم يكونون على المعروف ولولا وجود الكفر ما قام الجهاد، ولولا وجود الكفر لكان خلق النار عبثاً لأن النار مثوى الكافرين ، ولولا وجود الكفر لكان الناس أمة واحدة ولم يعرفوا معروفاً ولم ينكروا منكراً ،وهذا لا شك أنه مخل بالمجتمع الإنساني ، ولولا وجود الكفر ما عرفت ولاية الله ، لأن من ولاية الله أن تبغض أعداء الله وأن تحب أولياء الله .

وكذلك يقال في الصحة والمرض :فالصحة محبوبة للإنسان وملائمة له ورحمة الله تعالى فيها ظاهرة لكن المرض مكروه للإنسان وقد يكون عقوبة من الله له ومع ذلك

يوقعه لما في ذلك من المصالح العظيمة،كم من إنسان إذا أسبغ الله عليه النعمة بالبدن والمال والولد والبيت والمركوب ترفع ورأى أنه مستغن بما أنعم الله به عن طاعة الله ـ عز وجل ـ كما قال تعالى : ﴿ **كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ⁦(٦)⁩ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ⁦(٧)⁩** ﴾ [العلق: ٦-٧] ، وهذه مفسدة عظيمة ، فإذا أراد الله أن يرد هذا الإنسان الى مكانه ابتلاه حتى يرجع إلى الله ، وشاهد هذا قوله تعالى : ﴿ **ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ⁦(٤١)⁩** ﴾ [ الروم : ٤١ ]

وأنت أيها الإنسان إذا فكرت هذا التفكير الصحيح في تقديرات الله ـ عز وجل ـ عرفت ماله ـ سبحانه وتعالى ـ من الحكمة فيما يقدره من خير أو شر ، وأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يخلق ما يكرهه ويقدر ما يكرهه لمصالح عظيمة قد تحيط بها وقد لا تحيط بها ويحيط بها غيرك ، وقد لا يحيط بها لا أنت ولا غيرك .

**فإن قيل :** كيف يكون الشيء مكروهاً لله ومراداً له ؟!.

**فالجواب :** أنه لا غرابة في ذلك ، فها هو الدواء المر طعماً الخبيث رائحةً يتناوله المريض وهو مرتاح ، لما يترتب عليه من مصلحة الشفاء ، وها هو الأب يمسك بابنه المريض ليكويه الطبيب ، وربما كواه هو بنفسه مع أنه يكره أشد الكره أن يحرق ابنه بالنار . اهـ.

**والعباد فاعلون حقيقه،والله خالق أفعالهم،والعبد هو المؤمن والكافر ،والبر والفاجر، والمصلي والصائم .وللعباد قدرة على أعمالهم ،ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى :** ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ [ التكوير : ٢٨-٢٩ ] .

**وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ،ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها**

**تضمن كلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ الرد على عدة طوائف :**

**الأولى :** الذين يقولون : إن العبد مجبور على عمله وإن الفاعل حقيقة هو الله ، وهولاء هم الجبرية .

**الثانية :** الذين يقولون : إن إثبات القدر بجميع مراتبه السابقة ينافي كون العباد يفعلون باختيارهم وإرادتهم .

**الثالثة :** الذين يقولون : إن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم بأنفسهم وأنه لا تعلق لأفعالهم بمشيئة الله ولا تدخل تحت قدرته ، وهؤلاء هم القدرية النفاة.

فقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : والعباد فاعلون حقيقة فيه رد على الجبرية القائلين بأن العباد ليسوا فاعلين حقيقة إنما أسندت إليهم الأفعال مجازاً .

**وقد أوضح العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ مذهب هؤلاء في كتابه شفاء العليل ص (٥-٦) فقال :**

ثم نبغت طائفة أخرى من القدرية فنفت فعل العبد وقدرته واختياره وزعمت أن حركته الاختيارية ـ ولا اختيار ـ كحركة الأشجار عند هبوب الرياح وكحركات الأمواج وأنه على الطاعة والمعصية مجبور، وأنه غير مُيسر لما خُلِقَ له ، بل هو عليه مقسور مجبور .

ثم تلاهم أتباعهم على آثارهم مقتدين ، ولمناهجهم مقتفين ،فقرروا هذا المذهب وانتموا إليه وحققوه وزادوا عليه أن تكاليف الرب تعالى لعباده كلها تكاليف ما لا يطاق، وأنها في الحقيقة كتكاليف المقعد أن يرقى إلى السبع الطباق، فالتكليف بالإيمان وشرائعه تكليف بما ليس من فعل العبد ولا هو له بمقدور ، وإنما هوتكليف بفعل من هو متفرد بالخلق وهو على كل شيء قدير ، فكلف عباده بأفعاله وليسوا عليها قادرين ، ثم عاقبهم عليها وليسوا في الحقيقة لها فاعلين .

ثم تلاهم على آثارهم محققوهم من العباد فقالوا : ليس في الكون معصية البتة إذ الفاعل مطيع للإرادة موافق للمراد كما قيل :

أصبحت منفعلاً لما يختاره ربي ففعلي كله طاعات

ولاموا بعض هؤلاء على فعله فقال : إن كنت عصيت أمره فقد أطعت إرادته، ومطيع الإرادة غير ملوم وهو في الحقيقة غير مذموم .

وقرر محققوهم من المتكلمين هذا المذهب ، بأن الإرادة والمشيئة هي في حق الرب ـ سبحانه ـ هي واحد ، فمحبته هي نفس مشيئته ، وكل مافي الكون فقد أراده وشاءه ، وكل ماشاءه فقد أحبه .

وأخبرني شيخ الإسلام ـ قدَّس الله روحه ـ أنه لام بعض هذة الطائفة على محبة مايبغضه الله ورسوله فقال له الملوم : المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب ، وجميع مافي الكون مراده ، فأي شيء أبغض منه ؟.

قال الشيخ : فقلت له : إذا كان قد سخط على أقوام ولعنهم وغضب عليهم وذمهم ، فواليتهم أنت وأحببتهم وأحببت أفعالهم ورضيتها، تكون مواليًا له أو معاديًا ؟، قال : فبهت الجبري ولم ينطق بكلمة .

وزعمت هذه الفرقة أنهم بذلك للسنة ناصرون ، وللقدر مثبتون ، ولأقوال أهل البدع مبطلون .

هذا وقد طووا بساط التكليف، وطففوا في الميزان غاية التطفيف،وحملوا ذنوبهم

على الأقدار، وبرؤوا أنفسهم في الحقيقة من فعل الذنوب والأوزار، وقالوا : إنها في الحقيقة فعل الخلاق العليم ، وإذا سمع المنزِّه لربه هذا قال : سبحانك هذا بهتان عظيم ، فالشر ليس إليك ، والخير كله في يديك .

ولقد ظنت هذه الطائفة بالله أسوأ الظن ونسبته إلى أقبح الظلم وقالوا : إن أوامر الرب، ونواهيه كتكليف العبد أن يرقى فوق السموات وتكليف الميت إحياء الأموات والله يعذب عباده أشد العذاب على فعل مالا يقدرون على تركه وعلى ترك مالا يقدرون على فعله بل يعاقبهم على نفس فعله الذي هو لهم غير مقدور وليس أحد ميسر له بل هو عليه مقهور .

**ونرى العارف منهم ينشد مترنمًا ومن ربه مشتكيًا ومتظلمًا :**

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

وليس عند القوم في نفس الأمر سبب ولا غاية ولا حكمة ولا قوة في الأجسام ولا طبيعة ولا غريزة ، فليس في الماء قوة التبريد، ولا في النار قوة التسخين، ولا في الأغذية قوة الغذاء، ولا في الأدوية قوة الدواء، ولا في العين قوة الإبصار،ولا في الأذن قوة السماع، ولا في الأنف قوة الشم، ولا في الحيوان قوة فاعلة ولا جاذبة ولا ممسكة ولا دافع،ة والرب تعالى لم يفعل شيئا بشيء، ولا شيئًا لشيء، فليس في أفعاله باء تسبيب ولا لام تعليل، وما ورد من ذلك فمحمول على باء المصاحبة ولام العاقبة . ا هـ.

**لوازم القول بالجبر :**

( ١ ) إبطال نصوص الكتاب والسُّنَّة .

( ٢ ) تعطيل النبوات .

( ٣ ) تعطيل الشرائع .

( ٤ ) وصف الله بالظلم .

( ٥ ) تعطيل حكمة الله .

( ٦ ) تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

( ٧ ) إقرار المبطلين أجمعين على أباطيلهم من شرع وبدع ومعاصي ظاهرة وباطنة .

( ٨ ) تخطئة رسل الله .

أما لفظ الجبر فهو لفظ مجمل لم يرد في الكتاب والسُّنَّة ، ولذلك أنكره أئمة السُّنَّة .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في شفاء العليل ص ( ٢٦٤ - ٢٦٦ ) :**

ولذلك أنكر أئمة السُّنَّة كالأوزاعي وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد هذا اللفظ .

قال الأوزاعي والزبيدي : ليس في الكتاب والسُّنَّة لفظ ( جبر ) وإنما جاءت السُّنَّة بلفظ ( الجبل ) كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس : ( **إن فيك خصلتان يحبهما الله : الحلم والأناة**. فقال : أخلقين تخلقت بهما أم جبلت عليهما؟ .**قال : بل جبلت عليهما** . فقال :الحمد لله الذي جبلني على مايحب ) .

فأخبر النبي ﷺ أن الله جبله على الحلم والأناة وهما من الأفعال الاختيارية ، وإن كانا خلقين قائمين بالعبد فإن من الأخلاق ما هو كسبي ، ومنها ما لا يدخل تحت الكسب ، والنوعان قد جبل الله العبد عليهما .

وهو ـ سبحانه ـ يحب ما جبل عبده عليه من محاسن الأخلاق ويكره ما جبله عليه من مساوئها ، فكلاهما بجبله ، وهذا محبوب له وهذا مكروه ، كما أن جبريل ـ صلوات الله عليه ـ مخلوق له ، وإبليس عليه لعائن الله ، مخلوق له ، وجبريل له محبوب، له مصطفى عنده ، وإبليس أبغض خلقه إليه .

ومما يوضح ذلك أن لفظ الجبر لفظ مجمل ، فإنه يقال : أجبر الأب ابنته على النكاح وجبر الحاكم الرجل على البيع ، ومعنى هذا الجبر أكرهه عليه ليس معناه أنه جعله محباً لذلك راضياً به مختاراً له ، والله تعالى إذا خلق فعل العبد جعله محباً له مختاراً لإيقاعه ، راضياً به ، كارهاً لعدمه .

فإطلاق لفظ الجبر على ذلك فاسد لفظاً ومعنى ، فإنه سبحانه ـ أجَلُّ وأعَزُّ ـ من أن

يجبر عبده بذلك المعنى، وإنما يجبر العاجز عن أن يجعل غيره فاعلاً بإرادته ومحبته ورضاه ،وأما من جعل العبد مريداً محباً مؤثراً لما يفعله فكيف يقال إنه أجبره عليه، فهو ـ سبحانه ـ أجَلُّ وأعظم وأقدر من أن يجبر عبده ويكرهه على فعل يشاؤه منه ، بل إذا شاء من عبده أن يفعل فعلاً جعله قادراً عليه مريداً له محباً مختاراً لإيقاعه، وهو أيضاً قادر على أن يجعله فاعلاً له باختيار مع كراهته له وبغضه ونفرته عنه .

فكل ما يقع من العباد بإرادتهم و مشيئاتهم فهو ـ سبحانه ـ الذي جعلهم فاعلين له سواء أحبوه أو أبغضوه وكرهوه ، وهو ـ سبحانه ـ لم يجبرهم في النوعين كما يجبر غيره من لا يقدر على جعله فاعلاً بإرادته ومشيئته .

نعم نحن لا ننكر استعمال لفظ الجبر فيما هو أعم من ذلك بحيث يتناول من قهر غيره وقدر على جعله فاعلاً لما يشاء فعله وتاركاً لما لايشاء فعله ، فإنه ـ سبحانه ـ المحدث لإرادته له وقدرته عليه . .

**والفرق بين هذا الجبر وجبر المخلوق لغيره من وجوه :**

**أحدها :** أن المخلوق لا قدرة له على جعل الغير مريداً للفعل محباً له ، والرب تعالى قادر على جعل عبده كذلك .

**الثاني :** أن المخلوق قد يجبره غيره إجباراً يكون به ظالماً معتدياً عليه ، والرب أعدل من ذلك فإنه لا يظلم أحداً من خلقه ، بل مشيئته نافذة فيهم بالعدل والإحسان ، بل عدله فيهم من إحسانه إليهم كما سنبينه إن شاء الله .

**الثالث :** أن المخلوق يكون في جبره لغيره سفيهاً أو غائباً أو جاهلاً ، والرب تعالى إذا جبر عبده على أمر من الأمور كان له في ذلك من الحكمة والعدل والإحسان والرحمة ما هو محمود عليه بجميع وجوه الحمد .

**الرابع :** أن المخلوق يجبر غيره لحاجته إلى ما جبره عليه ولانتفاعه بذلك وهذا لأنه فقير بالذات ، وأما الرب تعالى فهو الغني بذاته الذي كل ما سواه محتاج إليه وليس به حاجة إلى أحد .

**الخامس :** أن المخلوق يجبر غيره لنقصه فيجبره ليحصل له الكمال بما أجبره عليه، والرب تعالى له الكمال المطلق من جميع الوجوه وكماله من لوازم ذاته لم يستفده من خلقه بل هو الذي أعطاهم من الكمال ما يليق بهم ، فالمخلوق يجبر غيره ليكتمل والرب تعالى منزه عن كل نقص ، فكماله المقدس ينفي الجبر .

**السادس :** أن المخلوق يجبر غيره على فعل يعينه به على غرضه لعجزه عن التوصل إليه إلا بمعاونته له فصار الفعل من هذا والقهر والإكراه من هذا محصلاً

لغرض المكره كما أن المعين بغيره باختياره شريك له في الفعل ، والرب تعالى غني عما سواه بكل وجه فيستحيل في حقه الجبر .

**السابع :** أن المجبور على ما لا يريد فعله يجد من نفسه فرقاً ضرورياً بينه وبين ما يريد فعله باختياره ومحبته ، فالتسوية بين الأمرين تسوية بين ما علم بالحس والاضطرار الفرق بينهما ، وهو كالتسوية بين حركة المرتعش وحركة الكاتب وهذا من أبطل الباطل .

**الثامن :** أن الله سبحانه قد فطر العباد على أن المجبور المكره على الفعل معذور لايستحق الذم والعقوبة ويقولون : قد أكره على كذا ، وجبره السلطان عليه .

وكما أنهم مفطورون على هذا فهم مفطورون أيضًا على ذم من فعل القبائح باختياره وشريعته ـ سبحانه ـ موافقة لفطرته في ذلك ، فمن سوى بين الأمرين فقد خرج عن موجب الشرع والعقل والفطرة .

**التاسع :** أن من أمر غيره بمصلحة المأمور وماهو محتاج إليه، ولاسعادة له ولافلاح إلا به لايقال جبره على ذلك وإنما يقال : نصحه وأرشده ونفعه وهداه ونحو ذلك ، وقد لايختار المأمور المنهي ذلك فيجبره الناصح له على ذلك من له ولاية الإجبار ، وهذا جبر الحق ـ أي جبر بحق ـ وهو جائز بل واقع في شرع الرب وقدره وحكمته ورحمته وإحسانه ، لاتمنع هذا الجبر.

**العاشر:** أن الرب ليس كمثله شيء في صفاته ولافي أفعاله،فجعله العبد فاعلاً

لقدرته ومشيئته واختياره أمر يختص به تبارك وتعالى، والمخلوق لايقدر أن يجعل غيره فاعلاً إلا بإكراهه له على ذلك فإن لم يكرهه لم يقدر على غير الدعاء والأمر بالفعل ، وذلك لايصير العبد فاعلاً ، فالمخلوق هو الذي يجبر غيره على الفعل ويكرهه عليه فنسبة ذلك إلى الرب تشبيه له في أفعاله بالمخلوق الذي لايجعل غيره فاعلاً إلا بجبره له وإكراهه،فكمال قدرته تعالى وكمال علمه وكمال مشيئته وكمال عدله وإحسانه وكمال غناه وكمال ملكه وكمال حجته على عبده تنفي الجبر .اهـ.

**ومذهب القدرية مردود عليهم شرعاً وعقلاً وحساً :**

**أما شرعاً :** فقد أثبت الله للعبد فعلاً واختياراً وقدرةً،فقال تعالى : ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴿٢٨﴾ ﴾ [ التكوير : ٢٨ ] ، وقوله : ﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ** ﴾ [الأنفال: ١٧ ]، وقوله تعالى: ﴿ **مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ** ﴾ [ آل عمران: ١٥٢ ] ، وقوله : ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿٦٥﴾ ﴾ [ يس : ٦٥ ] .

**وأما عقلاً :** فلا يعقل أن يضاف الفعل إلى الشخص إضافة مجردة وهو في الحقيقة مجبور على هذا الفعل ثم يلام عليه ويعاقب به لأن هذا ظلم إذ أنه مافعل باختياره هو، والله تعالى يقول: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ [ فصلت: ٤٦ ] ، ولو كان الأمر كما يقولون بالجبر لما كان هناك فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكان ذلك عبثاً .

**أما الحسُّ :** فكل أحد يعمل الخير والشر بمحض إرادته ولا يشعر بقوة خارجية تدفعه إلى أفعال دون إرداة منه .

**وقول المؤلف ـ رحمه الله ـ : ( والله خالق أفعال العباد ) .**

في هذه الجملة رد على القدرية النفاة الذين زعموا أن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم وأوجدوها بقدرتهم وإرادتهم وأن الله لم يخلق أفعالهم وأن أفعالهم غير داخلة تحت قدرة الرب ـ سبحانه وتعالى ـ وقد غلا هؤلاء في النصوص التي تثبت

قدرة العبد وفعله وإرادته ، وتعاموا عن النصوص الأخرى التي فيها أن مشيئة العباد تحت مشيئة الله وأن كل شيء بقضاء وقدر ونحو ذلك .

**ومن شبههم :** أن أفعال العباد التي يقدرون عليها إضافتها إليهم تنفي إضافتها إلى الله ، وإلا للزم وقوع فعل بين فاعلين ، وهو محال .

وقد أجاب أهل السُّنَّة عن هذه الشبهة بأن إضافتها إليهم فعلاً وكسباً لا ينفي إضافتها إليه ـ سبحانه ـ خلقاً ومشيئة ، فهو ـ سبحانه ـ الذي أنشأها وخلقها لهم وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئة الله وقدرته لاستحال وقوعها، إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا ما لم يشأ الله ولم يقدر ويخلقه .

**وانظر شفاء العليل لابن القيم ـ رحمه الله ـ ص ( ١١٨، ١١٩ ) .**

**وقال ـ رحمه الله ـ ص ( ١١٢ ) :**

فكل دليل صحيح للجبرية إنما يدل على إثبات قدرة الرب تعالى ومشيئته ، وأنه خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير، ولا يستثنى من هذا العموم فرد واحد من أفراد الممكنات وهذا حق ، ولكن ليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون العبد قادراً مريداً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة وأفعاله قائمة به، وأنها فعل له لا لله وأنها قائمة به لا بالله .

وكل دليل صحيح يقيمه القدرية فإنما يدل على أن أفعال العباد فعل لهم قائم بهم واقع بقدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم، وأنهم مختارون لها غير مضطرين ولا مجبورين، وليس معهم دليل صحيح ينفي أن يكون الله ـ سبحانه ـ قادراً على أفعالهم وهو الذي جعلهم فاعلين. .وأهل السُّنَّة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لامع هؤلاء ولامع هؤلاء، بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه وهم مع هؤلاء فيما أصابو فيه، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه وهم برءآء من باطلهم،فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه ، ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ومعاداة أهله من ذلك الوجه ، فهم حكام

بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق ، ولا يردون حق طائفة من الطوائف ولا يقابلون بدعة ببدعة،ولا يردون باطلاً بباطل ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم بل يقولون فيهم الحق ويحكمون في مقالاتهم بالعدل ، والله ـ سبحانه ـ أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف فقال : ﴿ **فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ** ﴾ [ الشورى : ١٥ ] . اهـ.

**قول المؤلف ـ رحمه الله ـ :** والعبد هو المؤمن والكافر ، والبر والفاجر، والمصلي والصائم. المراد بالعبودية في هذا الموضع ، العبودية العامة التي تعني الخضوع لأمر الله الكوني ، ومنها قوله تعالى : ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً** (٩٣) ﴾ [ مريم :٩٣ ] .

**ومراد المؤلف ـ رحمه الله ـ بهذا :** الرد على الجبرية أي أن العباد ليسوا مجبورين على هذه الأعمال لأنهم لوكانوا مجبورين عليها لما صح وصفهم بها لأن المجبر على الفعل لايوصف به ولايستحق أن يثاب أو يعاقب عليه .

**وقوله : ( وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ) .**

فيه رد على الجبرية .

**وقوله : ( والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم ) .**

فيه رد على القدرية .

قوله ـ رحمه الله ـ كما قال تعالى: ﴿ **إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** (٢٩) ﴾ .

**قال العلامة الفوزان في تعلقيه على الواسطية ص١٣٣ :**

ثم استدل الشيخ في الرد على الطائفتين بقوله تعالى ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ** ﴾ فيه الرد على الجبرية لأنه أثبت للعباد مشيئة وهم يقولون لامشيئة لهم .

وقوله : ﴿ **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** (٢٩) ﴾ فيه رد على القدرية القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف على مشيئة الله وهذا

باطل لأن الله علق مشيئة العباد على مشيئته ـ سبحانه وتعالى ـ وربطها بها . اهـ.

**قول المؤلف ـ رحمه الله ـ تعالى : ( وهذا الدرجة من القدر) .**

المقصود بهذا درجة المشيئة والخلق .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( يكذب بها عامة القدرية ) .**

أي أن القدرية النفاة الذين يقولون : إن العبد يخلق فعل نفسه بدون مشيئة الله وإرادته .

**قوله ـ رحمه الله ـ : (الذين سمّاهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة) .**

سموا مجوس هذه الأمة لمشابهتهم للمجوس الذين يثبتون خالقين هما النور والظلمة ، فالنور عندهم خلق الخير والظلمة خلقت الشر،فصاروا بذلك ثنوية وهؤلاء القدرية جعلو ا خالقاً مع الله ، فزعموا أن العباد يخلقون أفعالهم بدون إرادة الله ومشيئته .

وأما الحديث الوارد في ذلك بأن القدرية مجوس هذه الأمة ، فلا يصح ، وإنما هو من قول بعض الصحابة ﷺ .

**قوله ـ رحمه الله ـ : (ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها ) .**

المراد بهذا الجبرية الذين جاوزوا الحد في الإثبات حتى جعلوا الفاعل حقيقة لفعل العبد خيره وشره هو الله ، وزعموا أن الفعل إنما نسب إليه مجازاً وهو في الحقيقة مجبور على عمله .

وقد سبق بيان إخراجهم عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها بما لا يزيد عليه ، والله أعلم .

**ومن أصول أهل السنّة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح .**

**وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .**

**قوله :** (ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة) .

الأصول جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره أويتفرع منه غيره .

**والمراد بأصول أهل السُّنَّة هنا :** القواعد التي بنيت عليها عقيدتهم .

**قوله ـ رحمه الله ـ :** (أهل السُّنَّة والجماعة ) .

قد سبق الكلام على معنى السُّنَّة ومعنى الجماعة فلا حاجة للإعادة .

**قوله ـ رحمه الله ـ :** (أن الدين والإيمان .... الخ ) .

الدين يطلق على عدة معان منها الذل والإنقياد .

والمراد به شرعاً : مابعث به النبي ﷺ .

**قوله :** ( الإيمان ) .

**الإيمان لغة :** يُعَرِّفه كثير من العلماء بأنه التصديق ، وقد عرَّفه شيخ الإسلام بالإقرار والطمأنينة وهو متضمن للتصديق ، **فقد قال ـ رحمه الله ـ :**

الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق ، وإنما هو الإقرار والطمأنينة ، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر وكلام الله : خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر ، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام وهو عمل في القلب ، جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمربالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد . اهـ . الصارم المسلول ٤٥٧ ـ ٤٥٨ . وانظر: مجموع الفتاوى ( ٧ / ٥٢٩ـ ٥٤١ ) .

وهذا القول اختاره العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرحه للواسطية وهذا هو الصواب ، والله الموفق .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( الإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ) .**

دل على ماذكره شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

**فمن أدلة القرآن على أن الإيمان قول :**

قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا آمَنَّا** ﴾ [ البقرة : ١٤ ] ، وقوله تعالى ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)** ﴾ [ فصلت : ٣٠ ] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [ الزخرف : ٨٦ ] .

**ومن أدلة السنة على ذلك :**

مارواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **( الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من شعب الإيمان ) .**

**ومن الأدلة على أن الإيمان اعتقاد بالقلب :**

قوله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ [الحجرات: ١٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ** ﴾ [ المائدة: ٤١ ] .

ومن السُّنَّة ما رواه الترمذي في جامعه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : **( يامعشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيِّروهم ، ولاتتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته ؛ يفضحه ولو في جوف رحله ) .**

## ومن الأدله على أن الايمان عمل :

ما في صحيح الإمام البخاري ( ١ / ٧٧ مع فتح ) باب من قال : إن الإيمان هو العمل لقوله تعالى : ﴿ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [ الأعراف : ٤٣ ] .

وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [الحجر: ٩٢] ، عن قول لا إله الا الله، وقال : ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ [ الصافات : ٦١ ] .

ثم ساق إسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ ، قال : ( **إيمان بالله ورسوله** . قيل : ثم ماذا ؟ فقال : **الجهاد في سبيل الله** . قيل: ثم ماذا ؟، **قال : حج مبرور** ) .

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٤ / ٦٩٦ ) في الكلام على قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [ البينة :٥ ].

وقد استدل كثير من الأئمة كالثوري والشافعي بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الايمان . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ في جامع العلوم والحكم ( ١ / ١٠٤ ) :**

وأنكر السلف على من أخرج الأعمال من الإيمان إنكاراً شديداً وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً مُحْدَثاً : سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتادة وأيوب السختياني وإبراهيم النخعي والزهري ويحيى بن أبي كثير وغيرهم وقال الثوري : هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره . وقال الأوزاعي : كان من مضى ممن سلف لايفرقون بين الإيمان والعمل . ا هـ.

## وأما الإجماع :

**فقد قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٧ / ٢٠٩ ) :**

كان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزئ واحد منها إلا بالآخر . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ١ / ٦١ ) :**

وروى في سنده يعني اللالكائي في كتاب السُّنَّة ـ بسنده الصحيح عن البخاري ـ قال : لقيت أكثرمن ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وأطنب ابن أبي حاتم واللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدورعليه الإجماع من الصحابة والتابعين ، وحكاه فضيل ووكيع عن أهل السُّنَّة والجماعة . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ١٢ / ٤٧١ -٤٧٢ ) :**

وأما أهل السُّنَّة والجماعة من الصحابة جميعهم والتابعين وأئمة أهل السُّنَّة وأهل الحديث وجماهير الفقهاء والصوفية مثل مالك والثوري والأوزاعي وحماد بن زيد والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم ومحققي أهل الكلام، فاتفقوا على أن الإيمان والدين قول وعمل،هذا لفظ السلف من الصحابة وغيرهم،وإن كان قد يعني بالإيمان في بعض المواضع ما يغاير العمل، لكن الأعمال الصالحة كلها تدخل أيضاً في الدين والإيمان ويدخل في القول قول القلب واللسان،وفي العمل عمل القلب والجوارح . ا هـ.

انظر في هذا شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة للالكائي ( ٤ / ٣٨٢ ) والتمهيد لابن عبدالبر ( ٩ / ٢٣٨ ) وشرح السُّنَّة للبغوي ( ١ / ٣٨ ) ومجموع الفتاوى ( ٧ / ٣٠٩ ) ومدراج السالكين ( ١ / ٤٣١ )وتفسير ابن كثير ( ٢ / ٢٨٥ ) وغير ذلك .

**قوله ـ رحمه الله ـ: ( قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح ) .**

**المراد بقول القلب :** تصديقه وإقراره ومعرفته .

**وأما قول اللسان :** فهو الإقرار بالشهادتين ، وذلك بالنطق بهما مع القدرة ، قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : إذا لم يتكلم بهما ـ أي الشهادتين ـ مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين،وهو كافر باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير علمائها . ا هـ. مجموع الفتاوى ( ٧ / ٦٠٩ ) .

**وأما عمل القلب :** فهو انقياده،ومن ذلك إخلاص العمل لله ومحبته وتعظيمه

وخشيته والتوكل عليه وبغض ما يبغضه الله ورسوله . . . .إلخ .

**وأما عمل اللسان :** فقراءة القرآن والإتيان بالأذكار المشروعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء ونحو ذلك ، وأما عمل الجوارح : فمنها الصلاة والصوم والحج وما أشبه ذلك .

وانظر : مجموع الفتاوى ( ٧ / ١٨٦-٣٣٠-٣٩٥-٣٩٦-١٨٧-٦٠٩ ) .

**والناظر في عبارات السلف في هذا الباب يجد أن منهم من يقول :**

الإيمان قول وعمل ، ومنهم من يقول : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح ، ومنهم من يقول : قول وعمل ونية ، ومنهم من يقول : قول وعمل ونية واتباع السُّنَّة . وكل هذا صحيح .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى(٧ / ١٧٠ - ١٧١) :**

**ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السُّنَّة في تفسير الإيمان ، فتارة يقولون :**

هو قول وعمل ، وتارة يقولون : هو قول وعمل ونية ، وتارة يقولون : قول وعمل ونية واتباع السُّنَّة ، وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح .

فإذا قالوا : قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعًا وهذا المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق . . . . ثم قال - رحمه الله - :

**والمقصود هنا :** أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لايفهم منه إلا القول الظاهر أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب .

**ومن قال :** قول وعمل ونية ، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان ، وأما العمل فقد لايفهم منه النية فزاد ذلك .

ومن زاد اتباع السُّنَّة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا عند الله إلا باتباع السُّنَّة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، وإنما أرادوا ماكان مشروعًا من الأقوال والأعمال،

ولكن مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط ، فقالوا : بل هو قول وعمل.

**والذين جعلوه :** أربعة أقسام فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبدالله التستري عن الإيمان ما هو ؟ ، فقال : قول وعمل ونية وسُنَّة لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سُنَّة فهو بدعة . ا هـ.

**فأقوال الناس في تعريف الإيمان كما يلي :**

( ١ ) **قول أهل السُّنَّة والجماعة الذي أجمعوا عليه أنه** : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

( ٢ ) **قول المرجئة** : أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط ، فأخرجوا العمل وهذا قول محدث .

( ٣ ) **قول الكرامية** : أنه نطق باللسان فقط، فالمنافقون مؤمنون على هذا القول .

( ٤ ) **قول الجهمية** : أنه معرفة القلب، فدخل بذلك كل كافر معترف بقلبه لكنه مخالف للإيمان قولاً وعملاً ، وكل هذه الأقوال ماعدا الأول ، أقوال مُحْدَثة باطلة ، أعاذنا الله منها ومن أهلها .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ) .**

دل على هذا الكتاب والسُّنَّة والإجماع والحسُّ .

أما دلالة الكتاب على ذلك فمنها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** (٢) ﴾ [ الأنفال : ٢ ].

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** (١٢٤) ﴾ [ التوبة : ١٢٤ ] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا** (٢٢) ﴾ [ الأحزاب : ٢٢ ] .

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [ الفتح : ٤ ] .

وهذه الآيات صريحة في زيادة الإيمان ، كما أنها تدل على النقصان إذ كل قابل للزيادة قابل للنقصان .

ولذلك قال الحافظ ابن حجر في الفتح ( ١ / ٤٧ ) تحت تبويب البخاري باب قول النبي ﷺ : بني الإسلام على خمس ، وهو قول وفعل يزيد وينقص : ثم ذكر البخاري الآيات السابقة .

**قال الحافظ ـ رحمه الله ـ:** شرع المصنف يستدل لذلك ـ زيادة الإيمان ونقصانه ـ بآيات من القرآن مصرحة بالزيادة وبثبوتها يثبت المقابل ، فإن كل قابل للزيادة قابل للنقصان ضرورة . ا هـ.

وبنحوه قال الكرماني في شرحه للبخاري ( ١ / ٧١ ) .

**وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح تحت باب زيادة الإيمان ونقصانه:**

**فإن قيل :** فلم أعاد في هذا الباب الآيتين المذكورتين فيه وقد تقدمتا في أول كتاب الإيمان ؟ .

**فالجواب :** أنه أعادهما ليواطئ بهما معنى الكمال المذكور في الآية الثالثة، لأن الاستدلال بهما نص في الزيادة وهو يستلزم النقص، وأما الكمال فليس نصًا في الزيادة بل هو مستلزم للنقص فقط، واستلزامه للنقص يستدعي قبوله الزيادة . ا هـ.

**وأما دلالة السُّنَّة على ذلك فكثيرة جداً وقد عقد أئمة الحديث أبواباً في هذا وأوردوا تحتها عدة أحاديث ومنهم :**

( ١ ) الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ فقد بوَّب في صحيحه ( ١ / ١٣٧ فتح ) باب زيادة الإيمان ونقصانه .

( ٢ ) الإمام النووي ـ رحمه الله ـ فقد بوَّب في شرح مسلم( ١ / ٢٥٠ نووي ) باب : تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه . ثم ذكر باباً آخر : باب بيان

نقصان الإيمان بالمعاصي .

( ٣ ) وبوَّب الإمام الترمذي في جامعه ( ٥ / ٩ ) : باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه .

( ٤ ) وبوَّب الإمام النسائي في سننه ( ٧ / ١١٢ ) باب زيادة الإيمان .

( ٥ ) وبوَّب الإمام أبو داود في سننه ( ٤ / ٢٢٠ ) باب زيادة الإيمان ونقصانه .

( ٦ ) وبوَّب الإمام البيهقي في كتابه شعب الإيمان ( ١ / ١٥٩ ) باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم .

وانظر الإيمان لابن منده( ١ /٣٤٥ – ٥٤١ ) ، شرح الاعتقاد للالكائي ( ٥ / ٨٦٠ ) والسُّنَّة للخلال ( ٢ / ٥٨١ -٥٨٣ ) ، وغير ذلك .

**ومن أدلة السُّنَّة في هذا :**

( ١ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **( الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأفضلها قول :لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان )** . رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم .

وقد استدل بهذا الحديث جماعة من أهل العلم على زيادة الإيمان ونقصانه فقد أخرجه الترمذي في جامعه ( ٥ / ٩ ) في باب ماجاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه . ا هـ.

وبوب له ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ( ١/ ٤٠٧ ) بقوله : ذكر الخبر المدحض قول من زعم أن الإيمان واحد لا يزيد ولا ينقص ا.هـ

**وقال الإمام ابن منده في كتابه الإيمان ( ١ / ٣٠٠ ) بعد إيراده لهذا الحديث :**

والعباد يتفاضلون في الإيمان على قدر تعظيم الله في القلوب والإجلال له والمراقبة لله في السر والعلانية وترك اعتقاد المعاصي فمنها قيل : الإيمان يزيد وينقص. ا هـ.

وقال الإمام الخطابي - رحمه الله - في معالم السنن( ٧ / ٤٣– ٤٤ ) بحاشية سنن

أبي داود ) :وفي هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء له أعلى وأدنى ، فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والإسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها .... إلى أن قال : ومن هذا الباب إثبات التفاضل في الإيمان وتباين المؤمنين في درجاته . اهـ.

**وقال العلامة السعدي - رحمه الله - في كتابه (شجرة الايمان ) ص (١٤ ) بعد سياق هذا الحديث :**

وهذا صريح في أن الإيمان يزيد وينقص بحسب زيادة هذه الشرائع واتصاف العباد بها أوعدمه، ومن المعلوم أن الناس يتفاوتون فيها تفاوتًا كبيرًا فمن زعم أن الإيمان لايزيد ولاينقص فقد خالف الحس مع مخالفته لنصوص الشرع كما ترى. ا هـ.

( ٢ ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **من رأى منكم منكراً ؛ فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** ) .

**وقد بوَّب الإمام النووي - رحمه الله - في شرحه لمسلم لهذا الحديث :**

باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص. ا هـ.

وبوب له الإمام النسائي في سننه ( ٧ / ١١١ ) باب تفاضل أهل الإيمان. ا هـ.

**وقال الإمام ابن منده في كتاب الايمان ( ١ / ٣٤١ ) :** ذكر خبر يدل على أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان يزيد وينقص. ا هـ.

**وقال محقق كتاب الإيمان ( ١ / ٣٤٤ ) معلقاً على هذا الحديث :**

فقد نص على أن العمل باليد أو القول باللسان أو الاعتقاد بالقلب من الإيمان وأن الإيمان يزيد عند المرء حتى يدفعه إلى تغيير المنكر بيده وينقص ،حتى إنه لا يستطيع إنكار ذلك إلا بقلبه وكل من الإيمان . ا هـ.

( ٣ ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **ما رأيت من**

**ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن** ، قلن : وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله ؟، **قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟** ، قلن : بلى . قال : **فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟** ، قلن : بلى . **قال : فذلك نقصان دينها )** .

والأحاديث في هذا كثيرة جداً .

**أما الإجماع فقد حكاه جماعة من أهل العلم ، ففي التمهيد لابن عبد البر (٢٣٨/٩) قال - رحمه الله - :**

أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولاعمل إلا بنية ، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٧٦٢/٧) :**

وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (٢ / ٣٧٩ ) في الكلام على قوله تعالى :** ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ :

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان ونقصانه في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة بل حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد وأبي عبيد . ا هـ.

**وقال سفيان الثوري - رحمه الله - كما في تذكرة الحفاظ ( ٢ / ٥٣ ) :**

**خلاف ما بيننا وبين المرجئة ثلاث**؛يقولون الإيمان قول لا عمل،ونقول :قول وعمل .ونقول : يزيد وينقص وهم يقولون : إنه لا يزيد وينقص. ونحن نقول : النفاق وهم يقولون : لانفاق . ا هـ. القائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي ( ٢٣٢- ٢٣٣ ) .

**وأما الحسُّ :**

فإن المؤمن كلما ازدادت طاعاته القولية والعملية أحس بزيادة إيمانه ، وكلما قَلَّتْ أحس بنقصانه .

## فـــائدة :

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح السفارنية ص ( ٤٠٧ ) :**

**نقص الإيمان على قسمين :**

( ١ ) نقص لاحيلة للإنسان فيه كنقص دين المرأة بترك الصلاة في أيام الحيض ، فإن هذا لااختيار لها فيه بل لو قالت : دعوني أصلي حتى لاينقص إيماني .قلنا : هذا حرام عليك لو صليت لزاد نقص الإيمان أكثر، إذن هذا نقص لاحيلة للإنسان فيه فهل يلام عليه ؟ الذي نقص دين أولا ؟ ، لايلام عليه لأن هذا الاختيار له فيه إطلاقًا فلا لوم عليه .

( ١ ) نقص باختيار الإنسان فهذا ينقسم إلى قسمين من حيث اللوم :

١- إن كان سببه المعصية أو ترك الواجب فإنه يلام عليه ويأثم به .

٢- وإن كان نقصه بترك تطوع غير واجب فإنه لايلام عليه لوماً يؤثم به .

و إن كان قد يقال : يافلان اجتهد في العمل الصالح .

ولهذا قيل لابن عمر : نعم الرجل لو كان يقوم من الليل .

وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص : **( ياعبد الله ، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل )** .

وهذا لاشك أنه نوع لوم لكنه لوم لاإثم به بخلاف ترك الواجب أو فعل المحرم فإنه يلام لوماً يأثم به . ا هـ.

## فصل

زيادةالإيمان ونقصانه تتعلق بالقلب واللسان والجوارح ، ومن تأمل أدلة الكتاب والسُّنَّة ووقف على كلام العلماء في ذلك ظهر له ذلك ظهوراً جلياً .

وسأكتفي بذكر دليل لتفاضل الإيمان في القلوب وآخر لتفاضله بالعمل ، وآخر بالقول ، ثم أردف ببعض كلام العلماء.

أما تفاضل الإيمان في القلوب .

**ففي البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :**

**( يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لاإله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ، وفي قلبه وزن ذرة من خير ) .**

**قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في الفتح ( ١ / ٤٦ ) :**

قال الشيخ محي الدين : والأظهر أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ، ولهذا كان إيمان الصدّيق أقوى من إيمان غيره ؛ بحيث لايعتريه الشبهة - قال الحافظ - ويؤيده أن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقيناً وإخلاصاً وتوكلاً منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٤٧٩ ) :**

والذي مضى عليه سلف الأمة وأئمتها أن نفس الإيمان الذي في القلوب يتفاضل كما قال النبي ﷺ : **(أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمان )** . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاروى ( ٧ / ٥٦٣-٥٦٤ )**

الوجه الثاني في زيادة الإيمان ونقصه :وهو زيادة أعمال القلوب ونقصها ،فإنه من

المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضلون في حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه والتوكل عليه والإخلاص له ، وفي سلامة القلوب من الرياء والعجب والكبر ونحو ذلك ، والرحمة للخلق والنصح لهم ونحوذلك من الأخلاق الإيمانية ، وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : ( **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يلقى في النار** ) .

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)** ﴾ [ التوبة : ٢٤ ]

وقال رسول الله ﷺ : ( **والله إني لأخشاكم لله، وأعلمكم بحدوده** ) .

وقال ﷺ : (**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين**) .

وقال له عمر رضي الله عنه : يارسول الله ، لأنت أحب إليَّ من كل شي إلا من نفسي ، قال : ( **لا يا عمر ، حتى أكون أحب إليك من نفسك** ، قال: فلأنت أحب إليَّ من نفسي : **قال : الآن يا عمر** ) .

وهذه الأحاديث ونحوها في الصحاح وفيها بيان تفاضل الحب والخشية .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥ ] ، وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه ، فإنه قد يكون الشي الواحد يحبه تارة أكثر مما يحبه تارة ، ويخافه تارة أكثر مما يخافه تارة .

ولهذا كان أهل المعرفة من أعظم الناس قولاً بدخول الزيادة والنقصان فيه لما يجدون من ذلك في أنفسهم ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ**

النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ [ آل عمران: ١٧٣ ] ، وإنما زادهم طمأنينة وسكوناً .

**الوجه الثالث :** أن نفس التصديق والعلم في القلب يتفاضل باعتبار الإجمال والتفصيل فليس تصديق من صدق الرسول مجملاً من غير معرفة منه بتفاصيل أخباره كمن عرف ما أخبربه عن الله وأسمائه وصفاته والجنة والنار والأمم وصدَّقه في ذلك كله، وليس من التزم طاعته مجملاً ومات قبل أن يعرف تفصيل ما أمره به كمن عاش حتى عرف ذلك مفصلاً وأطاعه فيه .

**الوجه الرابع :** أن نفس العلم والتصديق يتفاضل ويتفاوت كما تتفاضل سائر صفات الحي من القدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ....... إلى أن قال :

**وإذا قال القائل :** العلم بالشي الواحد لايتفاضل كان بمنزلة قوله : القدرة على المقدور الواحد لاتتفاضل وقوله : رؤية الشي الواحد لا تتفاضل وكذلك سمع الصوت الواحد يتفاضلون في إدراكه ....... إلى أن قال :

والإنسان يجد في نفسه أن علمه بمعلومه يتفاضل حاله فيه كما يتفاضل حاله في سمعه لمسموعه ورؤيته لمرئيه وقدرته على مقدوره وحبه لمحبوبه وبغضه لبغيضه ورضاه بمرضيه وسخطه لمسخوطه وإرادته لمراده وكراهيته لمكروهه ومن أنكر التفاضل في هذه الحقائق كان مسفسطاً . ا هـ. وانظر أيضاً ( ٦ / ٤٧٩ – ٤٨٠ ).

وانظر في هذا فتح الباري لابن رجب ( ١ / ٩-١٠ ) وتعظيم قدرالصلاة لمحمد بن نصر ( ٢ / ٦٧٠-٦٧١ )،تفسير ابن كثير ( ٤ / ٢٣٥ ) والتنبيهات اللطيفة للسَّعدي ( ص٨٦ ) ، وشرح السفارينية لابن عثيمين ـ رحمه الله ـ ( ٣٩٩–٤٠١ ) وغير ذلك .

وأما تعلق الزيادة والنقصان بأعمال الجوارح فمما يدل لذلك مارواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( الإيمان بضع وستون شُعبة ، والحياء شُعبة من الإيمان )** .

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٧ / ٥٦٢ ) :**

والتفاضل في الإيمان بدخول الزيادة والنقص فيه يكون من وجوه متعددة :

**أحدها :** الأعمال الظاهرة ، فإن الناس يتفاضلون فيها وتزيد وتنقص وهذا مما اتفق الناس على دخول الزيادة فيه والنقصان . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ٦ / ٤٧٩ ) :**

وأما زيادة العمل الصالح الذي على الجوارح ونقصانه فمتفق عليه وإن كان في دخوله في مطلق الإيمان نزاع والذي عليه أهل السُّنَّة أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص . ا هـ.

وأما تعلق الزيادة والنقصان باللسان ففي البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه ؛ كمثل الحي والميت )** .

**قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله - في فتح الباري ( ١ / ٩ ) :**

فأما زيادة الإيمان بزيادة القول، ونقصانه بنقصانه، فهو كالعمل بالجوارح أيضاً، فإن من زاد ذكره لله وتلاوته لكتابه زاد إيمانه، ومن ترك الذكر الواجب بلسانه نقص إيمانه . ا هـ.

## أســـباب زيـــادة الإيمـــان :

**ذكر العلامة السعدي - رحمه الله - في كتابه التوضيح والبيان لشجرة الإيمان عدة أسباب لزيادة الإيمان أذكرها اختصاراً :**

( ١ ) معرفة أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسُّنَّة والحرص على فهم معانيها والتعبد لله فيها فذلك أعظم ينبوع ومادة لحصول الإيمان وقوته وثباته ، ومعرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان ، والإيمان يرجع إليها .

( ٢ ) تدبر القرآن على وجه العموم فإن المتدبر لا يزال يستفيد من علوم القرآن ومعارفه ما يزداد به إيماناً كما قال تعالى : ﴿ **إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴿٢﴾ ﴾ .

وهذا من أعظم مقويات الإيمان يقويه من وجوه كثيرة ، فالمؤمن بمجرد ما يتلو

آيات الله ويعرف ماركب عليه من الأخبار الصادقة والأحكام الحسنة يحصل له من أمور الإيمان خير كثير فكيف إذا أحسن تأمله وفهم مقاصده وأسراره ، ولهذا كان المؤمنون الكمل يقولون : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

( ٣ ) معرفة أحاديث النبي ﷺ وما تدعو إليه من علوم الإيمان وأعماله كلها من محصِّلات الإيمان ومقوياته .

( ٤ ) معرفة النبي ﷺ ومعرفة ماهو عليه من الأخلاق العالية والأوصاف الكاملة ، فإن من عرفه حق المعرفة لم يرتب في صدقه وصدق ما جاء به من الكتاب والسُّنَّة والدين الحق كما قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٩] ، أي فمعرفته ﷺ توجب للعبد المبادرة إلى الإيمان ممن لم يؤمن ، وزيادة الإيمان ممن آمن به ، وقد قيل لبعضهم : لم بادرت إلى الإيمان بمحمد ﷺ قبل أن تعرف رسالته ؟.

فقال : ما أمربشيء فقال العقل ليته نهى عنه ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به .

فاستدل هذا العاقل الموفق بحسن شريعته ﷺ وموافقتها للعقول الصحيحة على رسالته ، فبادر إلى الإيمان به .

ولهذا استدل ملك الروم هرقل لما وصف له ما جاء به الرسول وما كان يأمر به وما ينهى عنه استدل بذلك أنه من أعظم الرسل واعترف بذلك اعترافًا جلياً ، ولكن منعته الرئاسة وخشية زوال ملكه من اتباعه ، كما منعت كثيراً ممن اتضح لهم أنه رسول الله حقاً ، وهذا من أكبر موانع الإيمان في حق أمثال هؤلاء .

وأما أهل البصائر والعقول الصحيحة فإنهم يرون هذه الموانع والرآسات والشبهات والشهوات تضمحل ولايرون لها قيمة حتى يعارض بها الحق الصحيح النافع المثمر للسعادة عاجلاً وآجلاً .

ولهذا كان المعتنون بالقرآن حفظاً ومعرفة والمعتنون بالأحاديث الصحيحة أعظم إيماناً ويقيناً من غيرهم وأحسن عملاً في الغالب .

( ٥ ) التفكر في الكون في خلق السموات والأرض وما فيهن من المخلوقات المتنوعة والنظر في نفس الإنسان وما هو عليه من الصفات .

فإن ذلك داع قوي للإيمان لما في هذه الموجودات من عظمة الخلق الدال على قدرة خالقها وعظمته، وما فيها من الحسن والانتظام والإحكام الذي يحيرالألباب الدال على سعة علم الله وشمول حكمته وما فيها من أصناف المنافع والنعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى الدالة على سعة رحمة الله وجوده وبره، وذلك كله يدعو إلى تعظيم مبدعها وبارئها وشكره واللهج بذكره وإخلاص الدين له، وهذا روح الإيمان ويسره.

( ٦ ) الإكثار من ذكر الله كل وقت ومن الدعاء الذي هو العبادة ، فإن الذكر لله يغرس شجرة الإيمان في القلب ويغذيها وينميها، وكلما ازداد العبد ذكراً لله قوي إيمانه، كما أن الإيمان يدعو إلى كثرة الذكر ، فمن أحب الله أكثر من ذكره ، ومحبة الله هي الإيمان بل هي روحه .

( ٧ ) معرفة محاسن الدين ، فإن الدين الإسلامي كله محاسن، عقائده أصح العقائد وأصدقها وأنفعها، وأخلاقه أحمد الأخلاق وأجملها، وأعماله وأحكامه أحسن الأحكام وأعدلها .

وبهذا النظر الجليل يزين الله الإيمان في قلب العبد ويحببه إليه كما امتن به على خيار خلقه بقوله: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [ الحجرات: ٧ ].

( ٨ ) الاجتهاد في التحقق في مقام الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى خلقه، فيجتهد أن يعبد الله كأنه يشاهده ويراه فإن لم يقو على هذا استحضر أن الله يشاهده ويراه فيجتهد في إكمال العمل وإتقانه، ولا يزال العبد يجاهد نفسه ليتحقق بهذا المقام العالي حتى يقوى إيمانه ويقينه، ويصل في ذلك إلى حق اليقين الذي هو أعلى مراتب اليقين، فيذوق حلاوة الطاعات ويجد ثمرة المعاملات،وهذا

هو الإيمان الكامل .

( ٩ ) الإحسان إلى الخلق بالقول والفعل والمال والجاه وأنواع المنافع هو من الإيمان ومن دواعي الإيمان، والجزاء من جنس العمل فكما أحسن إلى عباد الله وأوصل إليهم من بره ما يقدر عليه أحسن الله إليه أنواعاً من الإحسان، ومن أفضلها أن يقوي إيمانه ورغبته في فعل الخير والتقرب إلى ربه وإخلاص العمل له ، وبذلك يتحقق العبد بالنصح لله ولعباده، فإن الدين النصيحة،ومن وفق للإحسان في عبادة ربه والإحسان في معاملة الخلق فقد تحقق نصحه، ولذلك قال النبي ﷺ : **( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )** متفق عليه .

( ١٠ ) الدعوة إلى الله ودينه والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والدعوة إلى أصل الدين والدعوة إلى التزام شرائعه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وبذلك يكمل العبد بنفسه ويكمِّل غيره، وذلك أن نفس الدعوة إلى الله والنصيحة لعباده من أكبر مقويات الإيمان .

وصاحب الدعوة لابد أن يسعى بنصر هذه الدعوة ، ويقيم الأدلة والبراهين على تحقيقها ، ويأتي الأمور من أبوابها، ويتوسل إلى الأمور من طرقها ، وهذه الأمور من طرق الإيمان وأبوابه .

وأيضًا فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما سعى إلى تكميل العباد ونصحهم وتوصيتهم بالحق وصبر على ذلك ، لابد أن يجازيه الله من جنس عمله ، ويؤيده بنور منه وروح وقوة إيمان وقوة التوكل .

وأيضًا فإنه متصد لنصر الحق ، ومن تصدى لشيء فلابد أن يفتح عليه فيه من الفتوحات العلمية والإيمانية ، بمقدار صدقه وإخلاصه .

( ١١ ) توطين النفس على مقاومة جميع ماينافي الإيمان من شعب الكفر والنفاق والفسوق والعصيان .

( ١٢ ) قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المؤمنون : ١-١٠] .

فهذه الصفات الثمان كل واحدة منها تثمر الإيمان وتنميه كما أنها من صفات الإيمان وداخلة في تفسيره ، فحضور القلب في الصلاة وكون المصلي يجاهد نفسه على استحضار ما يقوله ويفعله من القراءة والذكر والدعاء فيها والقيام والقعود والركوع والسجود من أسباب زيادة الإيمان ونمائه .

وقد سمى الله الصلاة إيماناً بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة :١٤٣] ،وقوله:﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [ العنكبوت: ٤٥ ] . فهي أكبر ناهٍ عن كل فحشاء ومنكر ينافي الإيمان .

كما أنها تحتوي على ذكر الله الذي يغذي الإيمان وينميه لقوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .

والزكاة تنمي الإيمان وتزيده وهي فرضها ونفلها كما قال النبي ﷺ : ( **والصدقة برهان** ) . أي على إيمان صاحبها فهي دليل الإيمان وتغذيه وتنميه .

**والإعراض عن اللغو :** الذي هو كل كلام لاخير فيه وكل فعل لاخير فيه بل يقولون الخير ويفعلونه ويتركون الشر قولاً وفعلاً لا شك أنه من الإيمان ويزداد به الإيمان ويثمر الإيمان، ولهذا كان الصحابة ﷺ ومن بعدهم إذا وجدوا غفلة أو تشعُّث إيمانهم ، يقول بعضهم لبعض : اجلس بنا نؤمن ساعة .

فيذكرون الله ويذكرون نعمه الدينية والدنيوية فيتجدد بذلك إيمانهم .

وكذلك العفة عن الفواحش خصوصاً فاحشة الزنا لاريب أن هذا من أكبر علامات الإيمان ومنحنياته ، فالمؤمن لخوفه مقامه بين يدي ربه نهى النفس عن الهوى إجابةً لداعي الإيمان وتغذية لما معه من الإيمان .

ورعاية الأمنات والعهود وحفظها من علائم الإيمان ، وفي الحديث : ( **لا إيمان لمن لا أمانة له** ) . ا هـ.

**وقد ذكر العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أصول زيادة الإيمان ونقصانه في تلخيص الحموية ص ١٠٤ــ ١٠٥ فقال :**

## ولزيادة الإيمان أسباب منها :

( ١ ) معرفة أسماء الله وصفاته ، فإن العبد كلما ازداد معرفة بها وبمقتضياتها وآثارها إزداد إيماناً بربه وحباً له وتعظيماً .

( ٢ ) النظر في آيات الله الكونية والشرعية ، فإن العبد كلما نظر فيها وتأمل مااشتملت عليه من القدرة الباهرة والحكمة البالغة ، ازداد إيماناً ويقيناً بلا ريب .

( ٣ ) فعل الطاعة تقرباً إلى الله تعالى، فإن الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته، فكلما كان العمل أحسن ، كانت زيادة الإيمان به أعظم، وحسن العمل يكون بحسب الإخلاص والمتابعة .

وأما جنس العمل فإن الواجب أفضل من المسنون، وبعض الطاعات أوكد وأفضل من البعض الآخر، وكلما كانت الطاعة أفضل كانت زيادة الإيمان بها أعظم .

وأما كثرة العمل فإن الإيمان يزداد بها ، لأن العمل من الإيمان فلا جرم أن يزيد بزيادته .

( ٣ ) ترك المعصية خوفًا من الله ـ عز وجل ـ وكلما قوي الداعي إلى فعل المعصية كانت زيادة الإيمان بتركها أعظم، لأن تركها مع قوة الداعي إليها دليل على قوة إيمان العبد وتقديمه مايحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسه .

## وأما نقص الإيمان فله أسباب منها :

( ١ ) الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته .

( ٢ ) الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله وأحكامه الكونية والشرعية فإن ذلك يوجب مرض القلب أو موته باستيلاء الشهوات والشبهات عليه .

( ٣ ) فعل المعصية فينقص الإيمان بحسب جنسها وقدرها والتهاون بها وقوة الداعي إليها أوضعفه .

فأما جنسها وقدرها فإن نقص الإيمان بالكبائر أعظم من نقصه بالصغائر ، ونقص الإيمان بقتل النفس المحرمة أعظم من نقصه بأخذ مال محترم ، ونقصه بمعصيتين أكثر من نقصه بمعصية واحدة ، وهكذا .

وأما التهاون بها ، فإن المعصية إذا صدرت من قلب متهاون بمن عصاه، ضعيف الخوف منه كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت من قلب معظم لله ، شديد الخوف منه ، لكن فرطت منه المعصية .

وأما قوة الداعي إليها فإن المعصية إذا صدرت ممن ضعفت منه دواعيها كان نقص الإيمان بها أعظم من نقصه إذا صدرت ممن قويت منه دواعيها ولذلك كان استكبار الفقير وزنى الشيخ أعظم إثماً من استكبار الغني وزنى الشاب كما في الحديث : **( ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم )** وذكر منهم الأشيمط الزاني والعائل المستكبر لقلة داعي تلك المعصية فيهما .

( ٤ ) ترك الطاعة ، فإن الإيمان ينقص به ، والنقص به على حسب تأكد الطاعة ، فكلما كانت الطاعة أوكد كان نقص الإيمان بتركها أعظم ، وربما فقد الإيمان كله كترك الصلاة .

**ثم إن نقص الإيمان بترك الطاعة على نوعين :**

نوع يعاقب عليه وهو ترك الواجب بلا عذر.

ونوع لا يعاقب عليه وهو ترك الواجب لعذرشرعي أو حسي وترك المستحب .

**فالأول :** كترك المرأة الصلاة أيام الحيض .

**والثاني :** كترك صلاة الضحى ، والله أعلم .

وإذا أردت أن تعرف إيمان العبد ودينه فانظر حاله هل يرعى الأمانات كلها : مالية أو قولية أو أمانات الحقوق ؟.

وهل يرعى الحقوق والعهود والعقود التي بينه وبين الله والتي بينه وبين العباد ؟.

فإن كان كذلك فهو صاحب دين وإيمان وإن لم يكن كذلك نقص من دينه وإيمانه بمقدار ما انتقص من ذلك وختمها بالمحافظة على الصلوات على حدودها وحقوقها وأوقاتها لأن المحافظة على ذلك بمنزلة الماء الذي يجري على بستان الإيمان فيسقيه وينميه ويؤتي أكله كل حين.

وشجرة الإيمان كما تقدم محتاجة إلى تعاهدها كل وقت بالسقي ، وهو المحافظة على أعمال اليوم والليلة من الطاعات والعبادات وإلى إزالة مايضرها من الصخور والنوابت الغريبة الضارة وهو الغفلة عن المحرمات قولاً وفعلاً . اهـ.

**وهم مع ذلك لايكفّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج .**

**قوله ـ رحمه الله ـ :** (وهم مع ذلك) .

أي وأهل السُّنَّة والجماعة مع أنهم يرون أن الأعمال من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص لايكفرون بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج إلامن استحل تلك المعاصي والكبائر.

**وقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :** (أهل القبلة) .

المراد بهم المسلمون وإن كانو عصاة لأنهم يستقبلون القبلة وهي الكعبة ، وذلك لأن شعار المسلمين الصلاة ، ولهذا يعبر عنهم بها فيقال : اختلف أهل الصلاة واختلف أهل القبلة.

والمصنفون لمقالات المسلمين يقولون : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين .

وفي الصحيح :(**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له مالنا وعليه ماعلينا**) . انظر : مجموع الفتاوى (٧ / ٥١٣) .

**قوله ـ رحمه الله ـ :** (بمطلق المعاصي) .

ولم يقل بالمعاصي والكبائر هذا من دقته وسعة علمه ، لأن المعاصي منها ما هو كفر ، وأما مطلق المعصية فإنه لا يكون كفراً.

**الفرق بين الشيء المطلق ومطلق الشيء :**

أن الشيء المطلق هو الكامل ، ومطلق الشيء أصله ، فالإيمان المطلق هو الكامل ، ومطلق الإيمان هو أصل الإيمان .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في بدائع الفوائد :**

الإيمان المطلق لا يطلق إلاعلى الكامل لكمال المأمور به،ومطلق الإيمان يطلق على الكامل والناقص،ولهذا نُفي الإيمان المطلق عن الزاني والسارق وشارب الخمر،ولم يُنف عنه مطلق الإيمان، فالإيمان المطلق يمنع دخول النار،ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها.ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( كما يفعله الخوارج ) .**

الخوارج : هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٧ / ٤٨١) :**

وهؤلاء الخوارج لهم أسماء يقال لهم الحرورية لأنهم خرجوا بمكان يقال له حروراء ، ويقال لهم أهل النهروان لأن علياً قاتلهم هناك ومن أصنافهم الإباضية أتباع عبد الله بن أباض ، والأزارقة أتباع نافع بن الأزرق، والنجدات أصحاب نجدة الحروري وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب ، بل بما يرونه هم من الذنوب ، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك ، فكانوا كما نعتهم النبي ﷺ يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان .

وكفَّروا عليًّا بن أبي طالب وعثمان بن عفان ومن والاهما ، وقتلوا عليًّا بن أبي طالب مستحلين لقتله ، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي منهم وكان هو وغيره من الخوارج مجتهدين في العبادة لكن كانوا جهالا فارقوا السُّنَّة والجماعة فقال هؤلاء : ما الناس إلا مؤمن وكافر ، والمؤمن من فعل جميع الواجبات وترك جميع المحرمات ،فمن لم يكن كذلك فهو كافر مُخلد في النار ، ثم جعلوا كل من خالف قولهم كذلك فقالوا : إن علياً وعثمان ونحوهما حكموا بغير ما أنزل الله وظلموا فصاروا كفارا . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في الفتاوى (٣ / ٣٥٥) :**

أصل قول الخوارج أنهم يكفِّرون بالذنب ويعتقدون ذنبًا ما ليس بذنب ، ويرون اتباع الكتاب والسُّنَّة التي تخالف ظاهر الكتاب وإن كانت متواترة ، ويكفرون من خالفهم ويستحلون منه لارتداده عندهم مالا يستحلونه من الكافر الأصلي كما قال النبي ﷺ فيهم : ( **يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان** ) .

ولهذا كفَّروا عثمان وعليًّا وشيعتهما ، وكفَّروا أهل صفين ـ الطائفتين ـ في نحو ذلك من المقالات الخبيثة . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى ( ١٣ / ٣٢ ) :**

ولما اقتتل المسلمون بصفِّين واتفقوا على تحكيم حكمين خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء فكف عنهم أمير المؤمنين وقال : لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء ولانمنعكم المساجد إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبدالله بن خباب وأغاروا على سرح المسلمين فعلم عليٌّ أنهم الطائفة التي ذكرها الرسول ﷺ حيث قال : **(يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، آيتهم رجل مخدج اليد عليها بضعة عليها شعرات) .**

وفي رواية **( يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان )** .

فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله ﷺ وقال : هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس فقاتلهم ووجد العلامة بعدأن كاد لايوجد، فسجد لله شكرا . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - (١٩ / ٧١ - ٧٤) :**

أول البدع ظهورا في الإسلام وأظهرها ذماً في السُّنَّة والآثار:بدعة الحرورية المارقة.

فإن أولهم قال للنبي ﷺ في وجهه: اعدل يامحمد فإنك لم تعدل،وأمر النبي ﷺ بقتلهم وقتالهم،وقاتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب. والأحاديث عن النبي ﷺ مستفيضة بوصفهم وذمهم والأمر بقتالهم.

**قال أحمد بن حنبل** :صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه،قال النبي ﷺ :

**(يحقِّرأحدكم صلاته مع صلاتهم،وصيامه مع صيامهم،وقراءته مع قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة) .**

**ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم :**

**أحدهما :** خروجهم عن السُّنَّة وجعلهم ماليس بسيئة سيئة أو ماليس بحسنة حسنة ، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي : اعدل فإنك لم تعدل حتى قال له النبي ﷺ : ( **ويلك ؛ ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ ، لقد خبت وخسرت إن لم أعدل** ) .

**فقوله : ( فإنك لم تعدل )** جعل منه لفعل النبي ﷺ سفهاً وترك عدل .

**وقوله : ( إعدل )** : أمر بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لاتصلح .

وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسُّنَّة فقائلها لابد أن يثبت ما نفته السُّنَّة وينفي ما أثبتته السُّنَّة ويحسن ما قبحته السُّنَّة أو يقبح ما حسنت السُّنَّة وإلا لم يكن بدعة .

وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل ، لكن أهل البدع يخالفون السُّنَّة الظاهرة المعلومة .

والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سُنَّته ولم يحبّوا طاعته ومتابعته ، وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن ؛ دون ما شرعه من السُّنَّة التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن .

وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا ، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يحكى عن عمرو بن عبيد في حديث الصادق المصدوق، وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة إما برد النقل وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السُّنَّة التي جاء بها الرسول بل ولا بحقيقة القرآن .

## الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع :

أنهم يكفِّرون بالذنوب والسيئات ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دارالإسلام دار حرب ، ودارهم هي دار الإيمان ، وكذلك

يقول جمهور الرافضة وجمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم، فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سُنَّة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة، وهوجعل العفو سيئة وجعل السيئة كفراً ، فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين ، وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم .

وهذان الأصلان هما خلاف السُّنَّة والجماعة ، فمن خالف السُّنَّة فيما أتت به أوشرعته فهو مبتدع خارج عن السُّنَّة ، ومن كفر المسلمين بما رآه ذنبًا سواءً كان ديناً أو لم يكن ديناً وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة، وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصليين . ا هـ.

**بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ، كما قال -سبحانه- في آية القصاص :**

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [ البقرة : ١٧٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾ [ الحجرات : ٩ - ١٠ ]

بيَّن شيخ الإسلام - رحمه الله - في هذه الفقرة أن الأخوة الإيمانية لا تنتفي بوجود الكبائر ، فإن مرتكب الكبيرة مالم يكن مستحلاً لها أخ لنا في الإيمان ، فالقاتل أخ للمقتول، والسارق أخ للمسروق منه ، والزاني أخ للعفيف ، وشارب الخمر أخ للمعافى من ذلك، خلافاً للخوارج الذين ينفون الأخوة الإيمانية بين هؤلاء ، وهم محجوجون بالكتاب والسُّنَّة والإجماع .

وقد ذكر شيخ الإسلام آيتين في الدلالة على ماسبق الأولى ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .

ووجه الدلالة من الآية أن الله سمى المقتول أخ للقاتل مع أن القاتل ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ، فلم تنتف الأخوة الإيمانية بسبب الوقوع في كبيرة من كبائر الذنوب.

والآية الثانية قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠ ﴾

**وجه الدلالة من الآية ما قاله شيخ الإسلام - رحمه الله - في منهاج السُّنَّة (٥/٢٩٣) بعد أن ذكر الآيتين السابقتين :**

فقد سماهم مؤمنين مع الاقتتال والبغي ، وقد أمر الله تعالى بالإصلاح بينهم

وجعلهم إخوة المصلح بينهم الذي لم يقاتل، فعلم أن البغي لا يخرج عن الإيمان ولا عن إخوة الإيمان . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - في منهاج السُّنَّة (٨ / ٥٢٩-٥٣٠) :**

فوصفهم بالإيمان مع الاقتتال والبغي وأخبر أنهم إخوة ، وأن الأخوة لاتكون إلا بين المؤمنين لا بين مؤمن وكافر.

وفي صحيح البخاري وغيره عن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للحسن :

**( إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ) .**

فأصلح الله به بين عسكر عليّ وعسكر معاوية ، فدل على أن كليهما مسلمون ودل على أن الله يحب الإصلاح بينهما ويثني على من فعل ذلك ، ودل على أن مافعله الحسن كان رضى لله ورسوله ، ولو كان القتال واجباً أو مستحباً لم يكن تركه رضىً لله ولرسوله .

وأيضاً فالنقل المتواتر عن الصحابة أنهم حكموا في الطائفتين بحكم الإسلام وورثوا بعضهم من بعض ولم يسبوا ذراريهم ولم يغنموا أموالهم التي لم يحضروا بها القتال بل كان يصلي بعضهم على بعض وخلف بعض .

**وهذا أحد مانقمه الخوارج على عليّ رضي الله عنه فإن مناديه نادى يوم الجمل :**

لا يتبع مدبر ولايجهز على جريح ، ولم يغنم أموالهم ولاسبي ذراريهم ، وأرسل ابن عباس إلى الخوارج وناظرهم في ذلك . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره (٤ / ٢٦٩) بعد أن ذكر الآيتين السابقتين :**

فسماهم مؤمنين مع الاقتتال،وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لايخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لاكما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم .

وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن عن أبي بكر رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خطب يوماً ومعه الحسن على المنبر ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس

أخرى ، ويقول : ( **إن ابني هذا سيد ، ولعل الله تعالى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** ) .

فكان كما قال النبي ﷺ ، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة . ا هـ.

**ومما يرد به على الخوارج في هذا الباب مابوَّب به البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان حيث قال :**

باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفَّر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك لقول النبي ﷺ : ( **إنك امرؤ فيك جاهلية** ) . وقول الله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [ النساء : ٤٨ ] .

حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور قال :

لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ : ( **يا أبا ذر، أعيرته بأمه ؟ ، إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم** ) .

باب ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾ فسماهم المؤمنين .

حدثنا عبدالرحمن بن المبارك .حدثنا حماد بن زيد . حدثنا أيوب ويونس عن الحسن عن الأحنف بن قيس قال : ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال : أين تريد ؟ قلت : أنصر هذا الرجل . قال ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ( **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**. فقلت: يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ ، **قال : إنه كان حريصاً على قتل صاحبه** ) .

**قال الحافظ ابن حجر في الفتح ( ١ / ١٠٧ ) :**

قال ابن بطال : غرض البخاري الرد على من يكفِّر بالذنوب كالخوارج،ويقول :

إن من مات على ذلك يخلد في النار ، والآية ترد عليهم لأن المراد بقوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ من مات على كل ذنب سوى الشرك .

**ثم قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ :** وأما قصة أبي ذر رضي الله عنه فإنما ذكرت ليستدل بها على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوى الشرك لايخرج عن الإيمان بها سواء كانت من الصغائر أم من الكبائر وهذا واضح .

**ثم قال :** واستدل المؤلف أيضاً على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر بأن الله تعالى أبقى عليه اسم المؤمن فقال : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٠] ، واستدل أيضًا بقوله ﷺ : ( **إذا التقى المسلمان بسيفيهما** ) فسماهما مسلمين مع التوعد بالنار، والمراد هنا إذاكانت المقاتلة بغير تأويل سائغ . اهـ.

**ومما يدل أيضا على بطلان مذهب الخوارج المكفرين لمرتكب الكبيرة ماقاله شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٧ / ٤٨٢ ـ ٤٨٧ ):**

ومذهب هؤلاء باطل بدلائل كثيرة من الكتاب والسُّنَّة ، فإن الله ـ سبحانه ـ أمر بقطع يد السارق دون قتله ، ولو كان كافرًا مرتدًا لوجب قتله، لأن النبي ﷺ قال : ( **من بدل دينه فاقتلوه** ) .

وقال ﷺ : ( **لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كُفرٌ بعد إسلام ، وزنا بعد إحصان ، أو قتل نفس يُقتل بها** ) .

وأمر ـ سبحانه ـ أن يُجلد الزاني والزانية مئة جلدة ولو كانا كافرين لأمر بقتلهما .

وأمر ـ سبحانه ـ أن يُجلد قاذف المحصنة ثمانين جلدة ولو كان كافرًا لأمر بقتله .

وكان النبي ﷺ يجلد شارب الخمر ولم يقتله ، بل قد ثبت عنه ﷺ في صحيح البخاري وغيره: أن رجلا كان يشرب الخمر وكان اسمه عبد الله حمارًا ، وكان يضحك النبي ﷺ ، وكان كلما أتي به إليه جلده ، فأتي به إليه مرة ؛ فلعنه رجل ، فقال رسول الله ﷺ : ( **لاتلعنه ؛ فإنه يُحب الله ورسوله** ) .

فنهى عن لعنه بعينه وشهد له بحب الله ورسوله ، مع أنه قد لعن شارب الخمر عمومًا .

**إلى أن قال - رحمه الله - :**

فلما شاع في الأمة أمر الخوارج تكلمت الصحابة فيهم ورووا عن النبي ﷺ الأحاديث فيهم وبيَّنوا مافي القرآن من الرد عليهم ، وظهرت بدعتهم في العامة فجاءت بعدهم المعتزلة الذين اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري وهم : عمرو ابن عبيد ، وواصل بن عطاء الغزال وأتباعهما فقالوا : أهل الكبائر مخلدون في النار كما قالت الخوارج ولا نسميهم لا مؤمنين ولا كفاراً بل فساق ننزلهم منزلة بين المنزلتين .

وأنكرو شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وأن يخرج من النار بعد أن يدخلها .

قالوا : ما الناس إلا رجلان : سعيد لا يعذَّب أوشقي لا ينعَّم .

الشقي نوعان : كافروفاسق ولم يوافقو الخوارج على تسميتهم كفاراً .

وهؤلاء يُرَدُّ عليهم بمثل ما ردوا به على الخوارج ، فيقال لهم : كما أنهم قسموا الناس إلى مؤمن لا ذنب له وكافر لا حسنة له قسمتم الناس إلى مؤمن لا ذنب له وإلى كافر وفاسق لا حسنة له فلو كانت حسنات هذا كلها محبة وهو مخلد في النار لاستحق المعاداة المحضة بالقتل والاسترقاق كما يستحقها المرتد،فإن هذا قد أظهردينه بخلاف االمنافق، وقد قال تعالى في كتابه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [ النساء : ٤٨ ] . فجعل ما دون ذلك الشرك معلقًا بمشيئته .

ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب ، فإن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره ، كما قال - سبحانه - في الآية الأخرى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)** ﴾ [ الزمر : ٥٣ ] ، فهنا عمم وأطلق لأن المراد به التائب ، وهناك خصَّ وعلَّق .

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥) ﴾ [ فاطر : ٣٢-٣٥ ] .

**فقد قسم ـ سبحانه ـ الأمة التي أورثها الكتاب واصطفاها ثلاثة أصناف :** ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات .

وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الطبقات الثلاث المذكورة في حديث جبريل : الإسلام الإيمان الإحسان . كما سنذكره ـ إن شاء الله ـ .

ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أريد من اجتنب الكبائر والتائب من جميع الذنوب فذلك مقتصد أو سابق بالخيرات ، فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب .

لكن من تاب كان مقتصداً أو سابقًا كذلك من اجتنب الكبائر كفرت عنه السيئات كما قال تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [ النساء : ٣١ ] ، فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه موعود بالجنة ولو بعد عذاب يطهره من الخطايا .

فإن النبي ﷺ ذكر أن ما يصيب المؤمن في الدنيا من المصائب مما يجزي به ويكفر عنه خطاياه كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : ( **مايصيب المؤمن من وصب ولانصب ، ولا هم ولا حزن ، ولا غم ولا أذى ؛حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه** ) .

وأيضًا فقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في أنه يُخرج أقوامًا من النار بعد ما دخلوها ، وأن النبي ﷺ يشفع في أقوام دخلوا النار .

**وهذه الأحاديث حجة على الطائفتين :** الوعيدية الذين يقولون : من دخلها من أهل التوحيد لم يخرج منها، وعلى المرجئة الواقفة الذين يقولون : لا ندري هل

يدخل من أهل التوحيد النار أحد أم لا ؟ ، كما يقول ذلك طوائف من الشيعة والأشعرية ، كالقاضي أبي بكر وغيره.

أما ما يذكرعن غلاة المرجئة أنهم قالوا : لن يدخل النار من أهل التوحيد أحد فلا نعرف قائلاً مشهوراً من المنسوبين إلى العلم يذكر عنه هذا القول .

وأيضاً فإن النبي ﷺ قد شهد لشارب الخمر المجلود مرات، بأنه يحب الله ورسوله، ونهى عن لعنته ، ومعلوم أن من أحب الله ورسوله أحبه الله ورسوله بقدر ذلك .

وأيضاً فإن الذين قذفوا عائشة أم المؤمنين كان فيهم مسطح بن أثاثة ، وكان من أهل بدر وقد أنزل الله فيه لما حلف أبو بكر أن لا يصله : ﴿ **وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾ [ النور : ٢٢ ] .

وإن قيل أن مسطحاً وأمثاله تابوا لكن الله لم يشترط في الأمر بالعفو عنهم والصفح والإحسان إليهم التوبة،وكذلك حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، كاتب المشركين بأخبار النبي ﷺ ، فلما أراد عمر قتله قال النبي ﷺ : ( **إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ماشئتم ؛ فقد غفرت لكم** ) وكذلك ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال : ( **لايدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة** ) وهذه النصوص تقتضي أن السيئات مغفورة بتلك الحسنات،ولم يشترط مع ذلك توبة وإلا فلا اختصاص لأولئك بهذا ، والحديث يقتضي المغفرة بذلك العمل ، وإذا قيل إن هذا لأن أحداً من أولئك ولم يكن له إلا صغائر لم يكن ذلك من خصائصه أيضاً ، وأن هذا يستلزم تجويز الكبيرة من هؤلاء المغفور لهم .

وأيضاً قد دلت نصوص الكتاب والسُّنَّة على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب ثم ذكرها ـ رحمه الله ـ . اهـ.

وأختم الكلام على الخوارج هنا بسؤال سئل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى( ٤ / ٣٠٧ ) عن العبد المؤمن هل يكفَّر بالمعصية أم لا؟ .

**فأجاب :**

لايكفر بمجرد الذنب، فإنه ثبت بالكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يُجلد ولا يُقتل ، والشارب يُجلد، والقاذف يُجلد ، والسارق يُقطع .ولو كانوا كفاراً لكانوا مرتدين ووجب قتلهم ، وهذا خلاف الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف . اهـ.

## ولايسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية ، ولايخلدونه في النار، كما تقوله المعتزلـــة

الفاسق هوالخارج من طاعة الله ، ويطلق على الكافر وعلى العاصي فمن إطلاقه على الكافر قوله تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [ النور: ٥٥ ] ، وكقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ (١٨) ﴾ [ السجدة: ١٨ ] ، ومن إطلاقه على العاصي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [ الحجرات: ٦ ] .

**قال الراغب الأصفهاني في المفردات ص (٣٨٢) :**

**فسق فلان** : خرج عن حجر الشرع، وذلك من قولهم: « فسق الرطب » إذا خرج عن قشره ، وهو أعم من الكفر. ا هـ.

فالفاسق الذي فسوقه بمعصية لاتخرجه عن دائرة الإسلام وهو الفاسق الملي .

ومعنى الملي : المنتسب إلى ملة الإسلام الذي لم يخرج منها .

**وقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى(٣/١٨٢ـ ١٨٣):**

كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي وهو أول اختلاف حدث في الملة هل هو كافر أو مؤمن؟، فقالت الخوارج : إنه كافر ، وقالت الجماعة : إنه مؤمن ، وقالت طائفة : نقول : هو فاسق ، لا مؤمن ولا كافر، ننزله منزلة بين المنزلين وخلدوه في النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه ؛ فسموا معتزلة . ا هـ.

**وقد قسم ـ رحمه الله ـ الناس في الفاسق الملي إلى أقسام ثلاثة فقال كما في مجموع الفتاوى ( ٧ / ٦٧٠ ـ ٦٧٣ ) :**

الناس في الفاسق من أهل الملة مثل الزاني والسارق والشارب ونحوهم ثلاثة أقسام : طرفين ووسطين ، أحد الطرفين : أنه ليس بمؤمن بوجه من الوجوه ولايدخل في عموم الأحكام المتعلقة باسم الإيمان .

**ثم من هؤلاء من يقول:** هو كافر كاليهودي والنصراني وهو قول الخوارج .

**ومنهم من يقول:** ننزله منزلة بين المنزلتين وهي منزلة الفاسق وليس هو بمؤمن ولا كافر وهم المعتزلة .

**وهؤلاء يقولون:** إن أهل الكبائر يخلدون في النار وإن أحداً منهم لايخرج منها، وهذا من مقالات أهل البدع التي دل الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان على خلافها .

قال الله تعالى : ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)** ﴾ [الحجرات : ٩-١٠] ، فسماهم مؤمنين وجعلهم إخوة مع الاقتتال وبغي بعضهم على بعض .

وقال الله تعالى : ﴿ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ** ﴾ [ النساء : ٩٢ ] ، ولو أعتق مذنبًا أجزأ عتقه بإجماع العلماء .

**ولهذا يقول علماء السلف في المقدمات الاعتقادية :**

لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل .

وقد ثبت الزنا والسرقة وشرب الخمر على أناس في عهد النبي ﷺ ولم يحكم فيهم حكم من كفر ولاقطع الموالاة بينهم وبين المسلمين بل جلد هذا وقطع هذا وهو في ذلك يستغفر لهم ويقول : ( **لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم** ) وأحكام الإسلام كلها مرتبة على هذا الأصل .

**الطرف الثاني :**

**قول من يقول:** إيمانهم باقٍ كما كان لم ينقص بناءً على أن الإيمان هو مجرد التصديق والاعتقاد الجازم .

وهو لم يتغير وإنما نقصت شرائع الإسلام، وهذا قول المرجئة والجهمية ومن سلك

سبيلهم وهو أيضاً مخالف للكتاب والسُّنَّة وإجماع السابقين والتابعين لهم بإحسان .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) ﴾ [ الحجرات : ١٥ ] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [ الأنفال : ٢ - ٤ ] .

وقال تعالى : ﴿ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [ الفتح : ٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [ التوبة : ١٢٤ ] .

وقال النبي ﷺ : **(الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول :لاإله إلا الله، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق)**، وقال لوفد عبد القيس : **( آمركم بالإيمان بالله أتدرون ماالإيمان بالله ؟ ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم )** .

وأجمع السلف أن الايمان قول وعمل، يزيد وينقص، ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب ثم قول اللسان وعمل الجوارح . إلى أن قال ـ رحمه الله ـ : وعند هذا فالقول الوسط الذي هو قول أهل السُّنَّة والجماعة : أنهم لا يسلبون الاسم على الإطلاق ، ولا يعطونه على الإطلاق .

**فنقول :** هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن عاصٍ ، أو مؤمن بإيمانه ؛ فاسق بكبيرته ويقا ل : ليس بمؤمن حقا وليس بصادق الإيمان . ا هـ.

**وحاصل القول :** أن من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة أنهم لايسلبون الفاسق الملي مطلق الإيمان أو الإسلام بالكلية كما فعلت الخوارج ولايخلدونه في النار كما يقوله الخوارج والمعتزلة ولايعطونه الإيمان المطلق كما يقول المرجئة بل يقول أهل السُّنَّة والجماعة : هو مؤمن عاص أو مؤمن ؛ بإيمانه فاسق بكبيرته ، والله أعلم .

## بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾

مراد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ أننا إذا أطلقنا كلمة الإيمان فإنها تتناول المؤمن الكامل في إيمانه، والمؤمن ناقص الإيمان وهو الفاسق ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فإن الرقبة المؤمنة هنا يدخل فيه الفاسق .

**وقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٧ / ٦٧١) :**

قوله ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ ولو إعتق مذنبًا أجزأ عتقه بإجماع العلماء . ا هـ.

**و قال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٧ / ٢٤٠-٢٤١) :**

**وأهل السُّنَّة يقولون :** الفساق يخرجون من النار بالشفاعة وأن معهم إيمان يخرجون به من النار، لكن لايطلق عليهم اسم الإيمان ، لأن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة ، وهؤلاء ليسوا من أهله، وهم يدخلون في الخطاب بالإيمان ، لأن الخطاب بذلك هو لمن دخل في الإيمان، وإن لم يستكمله فإنه إنما خوطب ليفعل تمام الإيمان، فكيف يكون قد أتمَّه قبل الخطاب ؟.

وإلا كنا قد تبينا هذا المأمور من الإيمان قبل الخطاب ، وإنما صار من الإيمان بعد أن أمروا به .

فالخطاب بـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ غير قوله : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ** ﴾ ونظائرها فإن الخطاب بـ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ :

**أولاً :** يدخل فيه من أظهر الإيمان وإن كان منافقًا في الباطن يدخل فيه في الظاهر فكيف لايدخل فيه من لم يكن منافقاً وإن لم يكن من المؤمنين حقًا .

**وحقيقته أن من لم يكن من المؤمنين حقاً يقال فيه :** إنه مسلم ومعه إيمان يمنعه الخلود في النار ، وهذا متفق عليه بين أهل السُّنَّة .

لكن هل يطلق عليه اسم الإيمان ؟.

**هذاهوالذي تنازعوا فيه فقيل :** يقال : مسلم ، ولايقال مؤمن .وقيل : بل يقال: مؤمن ، والتحقيق أن يقال : إنه مؤمن ناقص الإيمان ، مؤمن بإيمانه ؛ فاسق بكبيرته ، ولايعطى إسم الإيمان المطلق ، فإن الكتاب والسُّنَّة نفيا عنه الاسم المطلق ، واسم الإيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله ، لأن ذلك إيجاب عليه ، وتحريم عليه وهو لازم له كما يلزم غيره . ا هـ.

**وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ .**

وقوله ﷺ : **( لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن ) .**

**ونقول:** هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه ؛ فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم .

يريد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بهذا أن الفاسق الملي إذا ذكر الإيمان المطلق أي الكامل فإنه لا يدخل في ذلك لأنه ليس بكامل الإيمان بل ناقص الإيمان .

والآية الكريمة دليل على ذلك ، فإن الله وصف فيها المؤمن الكامل جعلنا الله منهم بمنّه وكرمه .

وكذلك الحديث المذكور فإن الذي نفي عن السارق والزاني والشارب والمنتهب هو الإيمان المطلق لا مطلق الإيمان ، أي نفي عنهم الإيمان الكامل لا أصل الإيمان .

**فقد قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح مسلم ( ١ / ٢٣٢ ) في الكلام على الحديث السابق :**

هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه : لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على

نفي الشيء ويراد نفي كماله . كما يقال : لا علم إلا مانفع ولا مال إلا الإبل ، ولا عيش إلا عيش الآخرة . وإنما تأولناه على ما ذكرناه لحديث أبي ذر رضي الله عنه وغيره : ( **من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، وإن زنا وإن سرق** ) .

وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور أنهم بايعوه ﷺ على أن لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا إلى آخره ثم قال لهم : ( **فمن وفَّى منكم فأجره على الله ، ومن فعل شيئًا من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاءعذبه** ) .

فهذان الحديثان مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [ النساء : ٤٨ ] .

ومع إجماع أهل الحق على أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفَّرون بذلك ، بل هم مؤمنون ناقصوا الإيمان ، إن تابوا سقطت عقوبتهم وإن ماتوا مصرِّين على الكبائر كانوا في هذه المشيئة ، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولاً وإن شاء عذبهم ثم أدخلهم الجنة ، وكل هذه الأدلة تضطرنا إلى تأويل هذا الحديث وشبهه . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح ( ١٢ / ٧٤ ) :**

ومن أقوى ما يحمل على صرفه عن ظاهره ـ أي الحديث السابق ـ إيجاب الحد في الزنا على أنحاء مختلفة في حق الحر المحصن والحر البكر وفي حق العبد ، فلو كان المراد بنفي الإيمان ثبوت الكفر لاستووا في العقوبة، لأن المكلفين فيما يتعلق بالإيمان والكفر سواء، فلما كان الواجب فيه من العقوبة مختلفًا دل على أن مرتكب ذلك ليس بكافر حقيقة، ثم ذكر ـ رحمه الله ـ كلام النووي وأقوالاً أخرى ثم قال :

وحاصل ماجتمع لنا من الأقوال في الحديث ثلاثة عشر قولاً خارجًا عن قول الخوارج وعن قول المعتزلة، وقد أشرت إلى أن بعض الأقوال المنسوبة لأهل السُّنَّة ، يمكن رد بعضها إلى بعض .

**قال المازري :** هذه التأويلات تدفع قول الخوارج ومن وافقهم من الرافضة أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد في النار إذا مات من غير توبة، وكذا قول المعتزلة إنه فاسق مخلد في النار، فإن الطوائف المذكورين تعلقوا بهذا الحديث وشبهه وإذا احتمل ما قلناه اندفعت حجتهم . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٣٠٧ ) :**

فإنه ثبت بالكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف أن الزاني غير المحصن يجلد ولايقتل والشارب يجلد والقاذف يجلد والسارق يقطع ، ولو كانوا كفارا لكانوا مرتدين ووجب قتلهم ، وهذا خلاف الكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة ( ٥ / ٢٩٢ـ ٢٩٣ ) :**

لوكان صاحب الكبيرة كافرًا لكان مرتدًا ووجب قتله ، والله تعالى قد أمر بجلد الزاني وأمر بجلد القاذف وأمر بقطع السارق ، ومضت سُنَّة رسول الله ﷺ بجلد الشارب .

فهذه النصوص صريحة بأن الزاني والشارب والسارق والقاذف ليسوا كفاراً مرتدين يستحقون القتل ، فمن جعلهم كفاراً ، فقد خالف نص القرآن والسُّنَّة المتواترة . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٧ / ٣٦٠ ) :**

لايقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشيء الكامل يقع على الكامل منه ولا يستعمل في الناقص ظاهراً إلا بقيد ، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ : ( **لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** ) . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ( ٧ / ٦٧٦ ) :**

والزاني والسارق والشارب والمنتهب لم يعدم الإيمان الذي به يستحق أن لا يخلد في النار وبه ترجى له الشفاعة والمغفرة وبه يستحق المناكحة والموارثة لكن عدم الإيمان الذي به يستحق النجاة من العذاب ويستحق به تكفير السيئات وقبول

الطاعات وكرامة الله ومثوبته وبه يستحق أن يكون محموداً مرضياً. اهـ.

**وقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :** ونقول : هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ..........الخ

**قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرحه للواسطية ص ( ١٣٨ ) :**

ثم إن الشيخ ـ رحمه الله ـ ذكر النتيجة للبحث السابق واستخلص الحكم بقوله في حق الفاسق الملي .

( ونقول : هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه ؛ فاسق بكبيرته ) .

وهذا هو الحكم العادل جمعا بين النصوص التي أثبتت الإيمان له كآية القصاص وآية حكم البغاة السابقين ، وبناءً على ذلك ( فلا يعطى الاسم المطلق ) أي :اسم الإيمان الكامل ( ولايسلب مطلق الاسم ) أي : الإيمان الناقص فيحكم عليه بالخروج من الإيمان كما تقوله المعتزلة والخوارج ، والله أعلم .

فالإيمان المطلق هو الإيمان الكامل ، ومطلق الإيمان هو الإيمان الناقص. ا هـ.

**ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى :**

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ⑩ ﴾ [ الحشر : ١٠ ] .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة ) .**

أي : من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة سلامة قلوبهم .....الخ بل هذا من أعظم أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة خلافاً لمن طمس الله بصائرهم وامتلأت بالحقد والحسد على الصحابة الأطهار الأبرار قلوبهم .

والصحابي لغةً : مشتق من الصحبة .

**قال السخاوي ـ رحمه الله ـ في فتح المغيث ( ٣ / ٨٦ ) :**

**الصحابي لغة :** يقع على من صحب أقل مايطلق عليه اسم صحبة ، فضلاً عمن طالت صحبته وكثرت مجالسته . ا هـ.

وأما تعريف الصحابي اصطلاحاً فقد قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ( ١ / ١٨٥ ) صح ماوقفت عليه من ذلك أن الصحابي : من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به ومات على الإسلام . فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى .ا هـ.

**قول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : ( سلامة قلوبهم ) .**

أي من الغل و الحقد والبغض والكراهية ومأشبه ذلك .

وإنما سلمت قلوب أهل السُّنَّة من ذلك لأنها مملوءة بحب الصحابة وتعظيمهم وإجلالهم محبة وتعظيماً وإجلالاً شرعياً على مايليق بهم دون غلو .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( وألسنتهم ) .**

أي أن ألسنة أهل السُّنَّة والجماعة سلمت من الوقيعة في مقام الصحابي العالي بتكفير أو تفسيق أو لعن أو طعن أو سب أو شتم ومن كل قول لا يليق بهم ﷺ .

وإنما سلمت ألسنة أهل السُّنَّة من هذا الإثم والعدوان لأنها ملئت بالثناء عليهم و الترضي عنهم و الاستغفار لهم و إشاعة فضائلهم و ذكر مناقبهم .

ومن أسباب هذه المحبة والتعظيم والثناء الجميل عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم ماقاله الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في قطر الولي ص( ٢٩٢-٢٩٨ ) أجزل الله مثوبته ورفع درجته وجزا ه الله عن صحابة رسوله خير الجزاء حيث قال، ونعم ما قال: اعلم أن الصحابة لاسيما أكابرهم الجامعين بين الجهاد بين يدي رسول الله ﷺ ، والعلم بما جاء به وأسعدهم الله ـ سبحانه ـ من مشاهد النبوة وصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السراء والضراء ، وبذلهم أنفسهم وأموالهم في الجهاد في سبيل الله سبحانه ، حتى صاروا خير القرون بالأحاديث الصحيحة .

فهم خيرة الخيرة لأن هذه الأمة هي كما أكرمهم الله به بقوله : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] .

وكانوا الشهداء على العباد في القرآن العظيم فهم خير العباد جميعًا وخير الأمم سابقهم ولاحقهم وأولهم وآخرهم ، وهؤلاء الصحابة ﷺ هم خير قرونهم وأفضل طوائفهم إلى يوم القيامة .

فتقرر بهذا أن الصحابة ﷺ خير العالم بأسره من أوله إلى آخره لايفضلهم أحد إلا الأنبياء والملائكة ، ولهذا لم يعدل مثل أُحُدٍ ذهبًا مُدُّ أحدهم ولا نصيفه .

فإذا لم يكونوا رأس الأولياء وصفوة الأتقياء فليس لله أولياء ، ولا أتقياء ولا بررة ولا أصفياء .

وقد نطق القرآن الكريم بأن الله قد رضي عن أهل بيعة الشجرة ، وهم جمهور الصحابة إذ ذاك .

وثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم ثبوتاً متواتراً أن الله ـ سبحانه ـ اطلع على أهل بدر فقال ( **اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم** ) .

وشهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجماعة منهم بأنهم من أهل الجنة .

فقوله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث : ( **من عادى لي وليا** ) يصدق عليهم صدقاً أولياً ويتناولهم بفحوى الخطاب .

فانظر ـ أرشدك الله ـ إلى ما صارت الرافضة ـ أقمأهم الله ـ تصنعه بهؤلاء الذين هم رؤوس الأولياء ورؤساء الأتقياء وقدوة المؤمنين وأسوة المسلمين وخيرة عباد الله أجمعين من الطعن واللعن والثلب والسب والشتم والثلم .

وانظر إلي أي مبلغ بلغ الشيطان الرجيم بهؤلاء المغرورين المجترئين على هذه الأعراض المصونة المحترمة المكرمة ، فيالله العجب من هذه العقول الرقيقة والأفهام الشنيعة والأذهان المختلة والإدراكات المعتلة .

فإن هذا التلاعب الذي تلاعب بهم الشيطان يفهمه أقصر الناس عقلاً وأبعدهم فطانة وأجمدهم فهماً وأقصرهم في العلم باعاً وأقلهم اطلاعاً .

فإن الشيطان ـ لعنه الله ـ سوَّل لهم بأن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم الذين لهم المزايا التي لايحيط بها حصر ولا يحصيها حد ولا عد أحقاء بما يهتكون من أعرضهم الشريفة ويجحدون من مناقبهم المنيفة حتى لم يكونوا هم الذين أقاموا أعمدة الإسلام بسيوفهم وشادوا قصور الدين برماحهم .

واستباحوا الممالك الكسروية وأطفأوا الملة النصرانية والمجوسية وقطعوا حبائل الشرك من الطوائف المشركة من العرب وغيرهم ، وأوصلوا دين الإسلام إلى أطراف المعمورة من شرق الأرض وغربها ويمينها وشمالها ، فاتسعت رقعة الاسلام ، وطبقت الأرض شرائع الإيمان ، وانقطعت علائق الكفر وانقصمت حباله وانفصمت أوصاله ، ودان بدين الله الأسود والأحمر والوثني والملي .

فهل رأيت وسمعت باضعف من هؤلاء تمييزاً ، وأكثر منهم جهلاً ، وأزيف

منهم رأياً ؟ !.

يا لله العجب يعادون خير عباد الله وأنفعهم للدين الذي بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم لم يعاصروهم ولاعاصروا من أدركهم ولا أذنبوا إليهم بذنب ولا ظلموهم في مال ولادم ولا عرض ، بل قد صاروا تحت أطباق الثرى ، وفي رحمة واسع الرحمة منذ مئين من السنين .

وما أحسن ماقاله بعض أمراء عصرنا وقد رام كثير من أهل الرفض أن يفتنوه ويوقعوه في الرفض ( ما لي ولقوم بيني وبينهم زيادة على اثنتي عشرة مائة من السنين ).

وهذا القائل لم يكن من أهل العلم بل هو عبد صيّره مالكه أميرًا وهداه عقله إلى هذه الحجة العقلية التي يعرفها بالفطرة كل من له نصيب من عقل، فإن عداوة من لم يظلم المعادي في مال ولا دم ولا عرض ولا كان معاصراً له حتى ينافسه فيما هو فيه يعلم كل عاقل أنه لا يعود على الفاعل بفائدة .

هذا على فرض أنه لايعود عليه بضرر في الدين فكيف وهو أعظم الذنوب التي لاينجي فاعلها إلا عفو الغريم المجني عليه بظلمة له في عرضه ؟

انظر ـ عافاك الله ـ ماورد في غيبة المسلم من الوعيد الشديد ، مع أنها ذكر الغائب بما فيه كما صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيانها لما سأله السائل عن ذلك ، ثم سأله عن ذكره بما ليس فيه ، جعل ذلك من البهتان كما هو ثابت في الصحيح ، ولم يرخص فيها بوجه من الوجوه .

وقد أوضحنا ذلك في الرسالة التي دفعنا بها ما قاله النووي وغيره من جواز الغيبة في ست صور وزيفنا ما قالوه تزييفا لايبقى بعده شك ولاريب ومن بقي في صدره حرج وقف عليها فإنها دواء لهذا الداء الذي هلك به كثير من عباد الله سبحانه .

فإذا كان هذا حرامًا بيننا وذنبًا عظيماً في غيبة فرد من أفراد المسلمين الأحياء الموجودين فكيف غيبة الأموات التي صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

النهي عنها بقوله : ( **لاتسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا** ) .

فكيف إذاكان هؤلاء المسبوبين الممزقة أعراضهم المهتوكة حرماتهم هم خير الخليقة وخير العالم كما قدمنا تحقيقه فسبحان الصبور الحليم .

فياهذا المجترىء على هذه الكبيرة المقتحم على هذه العظيمة إن كان الحامل لك عليها والموقع لك في وبالها هو تأميلك الظفر بأمر دنيوي عرض عاجل ، فاعلم أنك لاتنال منه طائلاً ولاتفوز منه بنقير ولا قطمير .

فقد جربنا وجرب غيرنا من أهل العصور الماضية أن من طلب الدنيا بهذا السبب الذي فتح بابه الشيطان الرجيم وشيوخ الملاحدة من الباطنية والقرامطة والإسماعيلية تنكدت عليه أحواله وضاقت عليه معايشه وعاندته مطالبه وظهر عليه كآبة المنظر وقماءة الهيئة ورثاثة الحال حتى يعرف غالب من رآه أنه رافضي وماعلمنا بأن رافضيا أفلح في ديارنا هذه قط .

وإن كان الحامل لك على ذلك الدين فقد كذبت على نفسك وكذبك شيطانك وهو كذوب .

فإن دين الله هو كتابه وسُنَّة رسوله، فانظر هل ترى فيهما إلا الإخبار لنا بالرضا عن الصحابة وأنهم أشداء على الكفار ، وأن الله يغيظ بهم الكفار ، وأنه لايلحق بهم غيرهم ولايماثلهم سواهم .

- وهم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وأنفقوا بعده كما حكاه القرآن الكريم .
- وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله .
- وهم الذين قاموا بفرائض الدين ونشرها في المسلمين .
- وهم الذين وردت لهم في السُّنَّة المطهرة المناقب العظيمة والفضائل الجسيمة عموماً وخصوصاً .

ومن شك في هذا نظر في دواوين الإسلام وفيما يلتحق بها من المسندات والمستدركات والمعاجيم ونحوها فإنه سيجد هنالك مايشفي عليله ويروي غليله

ويرده عن غوايته ويفتح له أبواب هدايته .

هذا إذا كان يعرف أن الشريعة الإسلامية هي الكتاب والسُّنَّة وأنه لاشريعة بين أظهرنا من الله ورسوله إلا ذلك فإن كان لايدري بهذا ويزعم أن له سلفاً في هذه المعصية العظيمة والخصلة الذميمة فقد غره الشيطان بمخذول مثله ومفتون مثل فتنته، وقد نزه الله ـ عز وجل ـ علماء الإسلام سابقهم ولا حقهم ومجتهدهم ومقلدهم عن الوقوع في هذه البلية ، الحالقة للدين ، المخرجة لمرتكبها من سبيل المؤمنين إلى طريق الملحدين .

فإن زعم أنه قد قال بشيء من هذا الضلال المبين قائل من أهل البيت المطهرين فقد افترى عليهم الكذب البيِّن والباطل الصراح، فإنهم مجمعون سابقهم ولاحقهم على تعظيم جانب الصحابة الأكرمين، ومن لم يعلم بذلك فلينظر في الرسالة التي ألفتها في الأيام القديمة وسميتها : ( إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ) .

فإني نقلت فيها نحو أربعة عشرة إجماعاً عنهم من طرق مروية عن أكابرهم وعن التابعين لهم المتمسكين بمذهبهم ، فيا أيها المغرور بمن اقتديت وعلى من اهتديت وبأي حبل تمسكت و في أي طريق سلكت .

يالك الويل والثبور كيف أذهبت دينك في أمر يخالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويخالف جميع المسلمين منذ قام الدين إلى هذه الغاية وكيف رضيت لنفسك بأن تكون خصماً لله ـ سبحانه ـ ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولسُنَّته ولصحابته ولجميع المسلمين ؟.

**أين يتاه بك وإلى أي هوة يرمى بك ؟ :**

أما تخرج نفسك من هذه الظلمات المتراكمة إلى أنوار هذا الدين الذي جاءنا به الصادق المصدوق عن رب العالمين ، وأجمع عليه المسلمون أجمعون ، ولم يخالف فيه مخالف يعتد به في إجماع المسلمين ، اللهم إلا أن يكون رافضياً خبيثاً ، أو

باطنياً ملحداً ، أو قرمطياً جاحداً ، أو زنديقاً معانداً . ا هـ.

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ :**

كما وصفهم الله في قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) ﴾ . [ الحشر : ١٠ ] .

**أقول وبالله التوفيق :**

**هذه الآية مسبوقة بآيتين :**

الأولى قوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) ﴾ [ الحشر : ٨ ] .

ويدخل في هؤلاء دخولاً أولياً سادات المهاجرين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون المهديون ﷺ وعن سائر الصحابة أجمعين . فهذه الآية في المهاجرين .

الثانية : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) ﴾ [ الحشر : ٩ ] .

**وهذه الآية في الأنصار ﷺ وأرضاهم ،وقد وصفهم الله بثلاثة أوصاف عظيمة:**

( ١ ) ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ .

( ٢ ) ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ﴾ .

( ٣ ) ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ .

ثم ذكر الله الآية التي أوردها المصنف بعد هاتين الآيتين في بيان صفة التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة وأنهم يسألون الله المغفرة لأنفسهم ولإخوانهم في الدين الذين سبقوهم، وعلى رأسهم أصحاب الرسول ﷺ ويعترفون لهم بالسبق بالإيمان،

كما يدعون الله أن يطهر قلوبهم من الغل والحقد والبغض للذين آمنوا، وعلى رأسهم أصحاب رسول الله ﷺ لكون السياق فيهم.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة (٢ / ١٨- ١٩) :**

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم ويسألون الله أن لايجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء ، ولاريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة ، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السُّنَّة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك ، وهذا نقيض مذهب الرافضة، وقد روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : الناس على ثلاث منازل فمضت منزلتان وبقيت واحدة فأحسن ماأنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** (٨) ﴾ قال : هؤلاء المهاجرون ، وهذه منزلة قد مضت ثم قرأ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (٩) ﴾ الآية ثم قال : هؤلاء الأنصار ، هذه منزلة قد مضت ، ثم قرأ ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** (١٠) ﴾ الآية ثم قال : فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة فأحسن ماأنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا الله لهم .

وروي أيضاً بإسناده عن مالك بن أنس أنه قال : من سبَّ السلف فليس له من الفيء نصيب ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا**

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الآية وهذا معروف عن مالك وغير مالك من أهل العلم كأبي عبيد القاسم بن سلام وكذلك ذكره أبو حكيم النهرواني من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء. ا هـ.

**قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في تفسيره (٥/٢٨٧/٢٨٨) عند هذه الآية:**

أمرهم الله - سبحانه وتعالى - بعد الاستغفار للمهاجرين والأنصار أن يطلبوا من الله - سبحانه وتعالى - أن ينزع من قلوبهم الغل للذين آمنوا على الإطلاق فيدخل في ذلك الصحابة دخولاً أولياً لكونهم أشرف المؤمنين ولكون السياق فيهم، فمن لم يستغفر للصحابة على العموم ويطلب رضوان الله لهم فقد خالف ماأمره الله به في هذه الآية فإن وجد في قلبه غلاً لهم فقد أصابه نزغ من الشيطان وحل به نصيب وافر من عصيان الله بعداوة أوليائه وخيرأمة نبيه ﷺ، وانفتح له باب من الخذلان يفد به على نار جهنم إن لم يتدارك نفسه باللجأ إلى الله - سبحانه - والاستغاثة به بأن ينزع عن قلبه ماطرقه من الغل لخير القرون وأشرف هذ الأمة، فإن جاوز مايجده من الغل إلى شتم أحد منهم فقد انقاد للشيطان بزمام ووقع في غضب الله وسخطه .

وهذ الداء العضال وإنما يصاب به من ابتلي بعلم من الرافضة أو صاحب من أعداء خير الأمة الذين تلاعب بهم الشيطان وزين لهم الأكاذيب المختلفة والأقاصيص المفتراة والخرافات الموضوعة وصرفهم عن كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه . ا هـ.

**قال ابن أبي العز - رحمه الله - في شرح الطحاوية (ص٤٧٠) :**

فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ ، بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة ، قيل لليهود : من خير أهل ملتكم؟، قالوا : أصحاب موسى ، وقيل للنصارى : من خير أهل ملتكم ؟، قالوا : أصحاب عيسى ، وقيل للرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ ، قالوا : أصحاب محمد ولم يستثنوا منهم إلا القليل ، وفيمن سبوهم من هوخير ممن استثنوهم بأضعاف

مضاعفة . اهـ.

**قال الحافظ بن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٤ / ٢٢٩ ) :**

وماأحسن ما استنبطه الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب ، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء . اهـ.

**وطاعة لرسول الله ﷺ في قوله :**

**( لاتسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ) .**

مراد شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ أن أهل السُّنَّة والجماعة سلمت قلوبهم وألسنتهم للصحابة طاعة لله ورسوله ﷺ : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [ الأحزاب : ٧١ ] ، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [ النساء : ٦٩ ] .

وقوله ﷺ كما في الصحيحين : ( **لاتسبُّوا أصحابي** ) .

العبرة فيه بعموم اللفظ لابخصوص السبب والنهي يتناول من سبَّ واحداً منهم أو سبَّهم جميعاً، وإذا كنا قد نُهينا عن سبِّهم ، ففحوى الخطاب هنا ودلالة المنطوق والمفهوم في نصوص كثيرة من الكتاب والسُّنَّة وجوب محبتهم وتعظيمهم على وفق الشرع، والثناء عليهم وحسن الظن بهم، فهذا طريق السلامة في الدنيا والآخرة ، وما سواه فطريق الخذلان وسُلَّم الحرمان .

**وقد ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة ( ٦ / ٢٢٣ ) الحديث السابق ثم قال :**

وذلك أن الإيمان الذي كان في قلوبهم حين الإنفاق في أول الإسلام وقلة أهله وكثرة الصوارف عنه وضعف الدواعي إليه لايمكن أحداً أن يحصل له مثله من بعدهم وهذا يعرف بعضه من ذاق الأمور وعرف المحن والابتلاء الذي يحصل للناس وما يحصل للقلوب من الأحوال المختلفة .

وهذا ممايعرف به أن أبا بكر رضي الله عنه لن يكون أحد مثله ، فإن اليقين والإيمان الذي كان في قلبه لايساويه فيه أحد .

قال أبو بكر بن عياش : ماسبقهم أبوبكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر

في قلبه .

وهكذاسائر الصحابة حصل لهم بصحبتهم للرسول مؤمنين به مجاهدين معه إيمان ويقين لم يشركهم فيه من بعدهم . ا هـ.

**قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في قطر الولي ص (٢٥٥ ) :**

فانظر إلى هذه المزية العظيمة والخصيصة الكبيرة التي لم تبلغ من غيرهم إنفاق مثل الجبل الكبير من الذهب نصف المد الذي ينفقه الواحد منهم ، فرضي الله عنهم وأرضاهم .

فهم أفضل أولياء الله ـ سبحانه ـ وأكرمهم عليه وأعلاهم منزلة عنده ، وهم الذين عملوا بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ . ا هـ.

**حكم من سبَّ الصحابة ـ ﷺ ـ وقبح من سبَّهم :**

( ١ ) من كفَّر الصحابة أوزعم أنهم ارتدوا إلا نفراً يسيراً ، فهذا لاشك في كفره ولاشك في كفر من لم يكفره.

( ٢ ) من فسَّق الصحابة أيضاً ﷺ فهو كافر أيضاً .

( ٣ ) من قذف أم المؤمنين عائشة ﵂ بعد أن برَّأها الله من فوق سبع سماوات ، فهو كافر بالإجماع .

( ٤ ) من سبَّ الصحابة ﷺ سباً لايقدح في عدالتهم ولافي دينهم مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم ونحو ذلك فهذا لايحكم بكفره لمجرد هذا ومع ذلك يستحق التأديب والتعزير الذي يردعه ويردع أمثاله.

( ٥ ) من اقترن بسبِّه دعوى أن علياً إله أو أنه كان هو النبي ، وإنما غلط جبريل في الرسالة ، فهذا لا شك في كفره ، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره .

( ٦ ) من سبَّ أحداً من الصحابة ﷺ أو تنقَّصه أو عابه أو عرَّض بعيبه ، فقد قال فيه الإمام أحمد : مبتدع رافضي خبيث مخالف ، لا يقبل الله منه صرفاً ولاعدلاً . ا هـ. فإن استحل سبَّ أحداً من الصحابة فهو كافر .

( ٧ ) من كفَّر أحد الخلفاء الراشدين أو ضلَّلهم فإنه يكفر بذلك .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في الصارم المسلول ص ( ٥٩٠ ـ ٥٩١ ):**

أما من اقترن بسبّه دعوى أن علياً إله أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبريل في الرسالة فهذا لا شك في كفره بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره .

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت أو زعم له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك ،وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم . وأما من سبَّهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم ، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك ، فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك ، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم، وأما من لعن وقبح مطلقاً فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد .

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلاّ نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب في كفره

لأنه كذب لما نصه القرآن الكريم في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين ، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسُّنَّة كفارأو فساق وأن هذه الآية التي هي ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] ، وخيرها هو القرن الأول كانت عامتهم كفاراً أو فساقاً ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم ، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارها .

وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام .

ولهذا تجد عامة من ظهرعليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم وقد ظهرت لله فيهم مثلات وتواتر النقل بأن وجوهم تمسخ خنازيرفي المحيا والممات وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك وممن من صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في النهي عن سبِّ

الصحابة وما جاء فيه من الإثم والعقاب . ا هـ.

**قال القرطبي - رحمه الله - في المفهم (٦ / ٤٩٣) :**

ولا يختلف في أن من قال إنهم كانوا على كفر أو ضلال كافر يقتل لأنه أنكر معلوماً ضرورياً من الشرع ، فقد كذَّب الله ورسوله ﷺ فيما أخبر به عنهم ، وكذلك الحكم فيمن كفَّر أحد الخلفاء الأربعة أو ضلَّلهم ، وهل حكمه حكم المرتد فيستتاب ؟ ، أو حكم الزنديق فلا يستتاب ؟، ويقتل على كل حال ؟، هذا مما يختلف فيه . ا هـ.

**وقال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في شرح الواسطية ٥٩٢ :**

من سب الصحابة على العموم كان كافراً ، بل لا شك في كفر من شك في كفره أما إن سبهم على سبيل الخصوص فينظر في الباعث لذلك فقد يسبهم من أجل أشياء خلقية أو خلقية أو دينية ولكل واحد من ذلك حكمه . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - في الصارم المسلول ص ( ٥٦٨ - ٥٦٩ ) في حكم من سب أزواج رسول الله ﷺ :**

**فصل : فأما من سب أزواج النبي ﷺ فقال القاضي أبو يعلى :**

من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف، وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد وصرَّح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم .

إلى أن قال : قال أبوالسائب القاضي : كنت يوماً بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان وكان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى مدينة السلام يفرق على سائر ولد الصحابة وكان بحضرته رجل فذكر عائشة رضي الله عنها بذكر قبيح من الفاحشة فقال : ياغلام اضرب عنقه . فقال العلويون : هذا رجل من شيعتنا .

فقال : معاذ الله ، هذا رجل طعن على النبي ﷺ ، قال الله تعالى : ﴿ **الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا**

يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ النور : ٢٦ ] .

فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث ، فهو كافر ، فاضربوا عنقه، فضربوا عنقه ، وأنا حاضر ، رواه اللالكائي .

**إلى أن قال : وأما من سبَّ غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان :**

**أحدهما** : أنه كسابّ غيرهن من الصحابة على ما سيأتي .

**والثاني** : وهو الأصح أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة رضي الله عنها ، وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده . ا هـ.

## مســألة :

الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول بإجماع العلماء .

**قال الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ في الكفاية ص٤٦-٤٧ :**

باب ماجاء في تعديل الله ورسوله للصحابة رضي الله عنهم ، وأنه لايحتاج إلى سؤال عنهم وإنما يجب فيمن دونهم .

كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى الرسول ﷺ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم في نص القرآن.

**ثم ذكر عدة نصوص في ذلك ثم قال:** والأخبار في هذا المعنى تتسع وكلها مطابقة لما ورد في نص القرآن وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة رضي الله عنهم والقطع على تعديلهم ونزاهتهم،فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى له المطلع على بواطنهم إلى تعديل أحد من الخلق له،فهم على هذه الصفة إلا أن يثبت على أحد ارتكاب ما لا يحتمل إلا قصد المعصية والخروج من باب التأويل فيحكم بسقوط العدالة ، وقد برأهم الله من ذلك ورفع أقدارهم عنه على أنه لو لم يرد من الله ـ عز وجل ـ ورسوله

فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد لنزاهتهم وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين ، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء . اهـ.

**وقال الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ كما في فتح الباري ( ٧ / ٣٦١ ) :**

الصحابة كلهم عدول مرضيون ثقات أثبات ، وهذا أمر مجتمع عليه عند أهل العلم بالحديث . ا هـ.

**وقال ابن الصلاح ـ رحمه الله ـ في مقدمته كما في التقييد والايضاح ( ٣٠١ ) :**

للصحابه أسرار خصيصة وهي أنه لايسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة . . . إلى أن قال :

إن الأمة مجتمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر ، وكأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم . ا هـ.

**وقال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى شرح مسلم (١٥ / ١٢٢ ) :**

إتفق أهل الحل والعقد ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة (٢ / ٤٥٧ ) :**

ولهذا كان الصحابة كلهم ثقات باتفاق أهل العلم بالحديث والفقة . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى الإصابة (١ / ١٦٢ ) :**

اتفق أهل السُّنَّة على أن الجميع عُدولٌ ، ولم يخالف فى ذلك إلا شذوذ من المبتدعة . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في اختصار علوم الحديث :**

والصحابة ﷺ كلهم عدول عند أهل السُّنَّة والجماعة ، لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز ، وبما نطقت به السُّنَّة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل . ا هـ.

**وقال السخاوي ـ رحمه الله ـ في فتح المغيث (٣ / ١٠٨ ) :**

وهم ﷺ باتفاق أهل السُّنَّة عُدولٌ كلهم مطلقاً ، كبيرهم وصغيرهم لابس الفتنة أم لا ، وجوباً لحسن الظن ، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر من امتثال أوامره بعده ، وفتحهم الأقاليم وتبليغهم عنه الكتاب والسُّنَّة ، وهدايتهم الناس ومواظبتهم على الصلاة والزكاة وأنواع القربات ؛ مع الشجاعة والبراعة والكرم والإيثار والأخلاق الحميدة ، التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة . ا هـ.

## ويقبلون ماجاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم

أي أن أهل السُّنَّة والجماعة يقبلون ما دلّ عليه الكتاب والسُّنَّة وما أجمعت عليه الأمة من فضائل الصحابة ومراتبهم بخلاف الروافض والنواصب الذين لم يقبلوا ذلك.

**والفضائل:** جمع فضيلة وهي مايفضل به المرء غيره وهي الخصلة الجميلة.

**والمراتب:** الدرجات لأن الصحابة ﷺ لهم مراتب ودرجات فبعضهم أفضل من بعض، وكل له رتبة وفضل رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومما جاء في فضائل الصحابة من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (١٠٠)﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** (٢٩)﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** (٧٢) **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** (٧٣) **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** (٧٤) **وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ**

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾ [ الأنفال : ٧٢-٧٥ ] .

وهذه الآيات تتضمن الثناء العظيم على الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار وما وعدهم الله به من الأجر والثواب الجزيل .

**ومما جاءت به السُّنَّة في فضائلهم :**

مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **لاتسبوا أصحابي ؛ فوالذي نفسي بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** ) .

ومن ذلك مارواه البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ( **خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجئ أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته** ) .

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه رفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء ، فقال : ( **النجوم أمنة للسماء ، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أُمتي ما يوعدون** ) .

**وقال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث :**

**قال العلماء :** الأمنة « بفتح الهمز والميم » والأمن والأمان بمعنى ، ومعنى الحديث أن النجوم مادامت باقية فالسماء باقية ، فاذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة ، وهَنَتْ السماء ، فانفطرت وانشقت وذهبت .

وقوله ﷺ : ( **وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون** ) أي من الفتن والحرب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحاً ووقع كل ذلك .

قوله ﷺ : ( **وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** )

**معناه :** ( ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه ، وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم ، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك ، وهذه كلها معجزاته ﷺ ) . اهـ.

**أقول :** هذه الآيات والأحاديث من فضائل الصحابة العامة التي يقبلها أهل السُّنَّة والجماعة ، ويقولون بها ويعتقدونها ، كما أنهم يقبلون الفضائل الخاصة ، كما سيأتي في كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ .

## ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ( وهو صُلح الحديبية ) وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ، ويفضلون المهاجرين على الأنصار

**قول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : ( يفضلون من أنفق من قبل الفتح «وهو صلح الحديبية » وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ) .**

الدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ **لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [ الحديد : ١٠ ] .

**المراد بالفتح هنا :** صلح الحديبية كما قاله شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وهو أصح القولين في الآية، بدليل مارواه الإمام البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية ،كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مئة، والحديبية بئر. . . الحديث .

**وقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في منهاج السنَّة (٢ / ٢٦) في الآية السابقة:**

وهذه الآية نص في تفضيل المنفقين المقاتلين في قوله تعالى : ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ** ﴾ هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم ، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة . ا هـ.

**وقوله ـ رحمه الله ـ : ( ويفضلون المهاجرين على الأنصار) .**

دليل ذلك قوله تعالى :﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾ [ التوبة : ١٠٠ ] . .

وقال تعالى : ﴿ **لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ** ﴾ [ التوبة : ١٠٠ ] .

وقال تعالى : ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ⑧ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ** ﴾ [ الحشر : ٨ ـ ٩ ] .

فهذه المواضع الثلاثة قدَّم الله المهاجرين على الأنصار في الذِّكر ، فدل ذلك على تقدميهم في الفضل .

والمهاجرون هم الذين هاجروا من بلادهم إلى المدينة قبل الفتح . والأنصار هم الذين هاجر إليهم رسول الله في المدينة ، وهم الأوس والخزرج وكانوا يعرفون قبل ذلك ببني قيلة، وهي الأم التي تجمع القبيلتين ، فسماهم الله ورسوله الأنصار ، فصار هذا الوصف الشريف عَلَماً عليهم ، والأحاديث في فضائلهم كثيرة ﵃ .

والمهاجرون تركوا ديارهم وأهلهم وأموالهم نصرة لله ودينه ورسوله ﷺ فجمعوا بين الهجرة والنصرة ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

**ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر : ( اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ) وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر النبي ﷺ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص(٥٩٥-٥٩٧):**

أهل بدر مرتبتهم أعلى من مراتب الصحابة .

وبدر مكان معروف كانت فيه الغزوة المشهورة وكانت في السنة الثانية من الهجرة في رمضان ، وسمى الله تعالى يومها يوم الفرقان .

وسببها أن النبي ﷺ سمع أن أبا سفيان قدم بعير من الشام إلى مكة فندب أصحابه من أجل هذه العير فقط ، فانتدب منهم ثلاث مئة وبضعة عشررجلاً ، معهم سبعون بعيراً وفرسان ، وخرجوا من المدينة لايريدون قتالاً .

لكن الله ـ عز وجل ـ بحكمته جمع بينهم وبين عدوهم .

فلما سمع أبو سفيان بذلك وأن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خرج إليه لتلقي العير أخذ بساحل البحر وأرسل صارخاً إلى أهل مكة يستنجدهم فانتدب أهل مكة لذلك وخرجوا بأشرافهم وكبرائهم وزعمائهم خرجوا على الوصف الذي ذكر الله عز وجل : ﴿ **بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [ الأنفال : ٤٧ ] .

وفي أثناء ذلك جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير فتآمروا بينهم في الرجوع لكن أبا جهل قال: والله لا نرجع حتى نقدم بدراً فنقيم فيها ننحر الجزور ، ونسقي الخمور، وتضرب علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً .

وهذا الكلام يدل على الفخر والخيلاء والاعتزاز بالنفس ، ولكن ـ الحمد لله ـ كان لأمر على عكس مايقول ، سمعت العرب بهزيمتهم النكراء فهانوا في نفوس العرب.

قدموا بدراً والتقت الطائفتان وأوحى الله تعالى إلى الملائكة : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

**فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾** ﴾.

[ الأنفال : ١٢-١٤ ] .

حصل اللقاء بين الطائفتين وكانت الهزيمة – ولله الحمد ـ على المشركين والنصر المبين للمؤمنين وانتصروا وأسروا منهم سبعين رجلاً وقتلوا سبعين منهم أربعة عشر رجلاً من كبرائهم وصناديدهم سحبوا فألقوا في قليب من قلب بدر خبيثة قبيحة .

ثم إن النبي ﷺ بعد انتهاء الحرب بثلاثة أيام ركب ناقته ووقف عليهم يدعوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم : ( **يا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ ، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًا** ) .

فقالوا : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ .

فقال : ( **والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم** ) .

والنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقف عليهم توبيخاً وتقريعاً وتنديماً وهم قد وجدوا ما وعد الله حقاً.

قال تعالى : ﴿ **ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾** ﴾ فوجدوا النار من حين ماتوا وعرفوا أن الرسول حق ولكن أنى لهم التناوش من مكان بعيد .

فأهل بدر الذين جعل الله على أيديهم هذا النصر المبين ، والفرقان هاب العرب به رسول الله ﷺ وأصحابه ، وكان لهم منزلة عظيمة بعد هذا النصر

اطَّلع الله عليهم وقال : ( **اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** ) فكل ما يقع منهم من ذنوب فإنه مغفور لهم بسبب هذه الحسنة العظيمة الكبيرة التي جعلها الله تعالى على أيديهم .

وفي هذا الحديث دليل على أن ما يقع منهم من الكبائر مهما عظم فهو مغفور لهم .

وفيه بشارة بأنهم لن يموتوا على الكفر لأنهم مغفور لهم وهذا يقتضي أحد أمرين :

- إما أنهم لا يمكن أن يكفروا بعد ذلك .
- وإما أنهم إن قدر أن أحدهم كفر فسيوفق للتوبة والرجوع إلى الإسلام .

وأياً كان ففيه بشارة عظيمة لهم ولم نعلم أن أحداً منهم كفر بعد ذلك . ا هـ.

**وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ. بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكانـــوا أكثر من ألف وأربعمائة**

هذا الكلام في بيان فضل أهل بيعة الرضوان.

وكان سبب هذه البيعة أنه ﷺ خرج من المدينة سنة ست من الهجرة ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه أو يزيدون، قاصدين مكة لأداء العمرة فصدَّه المشركون، فبعث عثمان رضي الله عنه فشاع أن عثمان قتل، فطلب النبي ﷺ البيعة من أصحابه وكانت بيعةً على الموت، فبايعه أصحابه رضي الله عنهم تحت الشجرة.

وقد كان من جملة المبايعين تحت الشجرة أبوبكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ، وقد بايع النبي ﷺ عن عثمان رضي الله عنه .

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال جاء عبدٌ لحاطبٍ إلى رسول الله يشكو حاطباً فقال يارسول الله : ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ : ( **كذبت ، لا يدخلها ؛ فإنه شهد بدراً والحديبية** ) .

ثم ذكر الإمام مسلم حديثاً آخر لجابر رضي الله عنه قال : أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة : ( **لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها**. قالت :بلى يارسول الله فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا** ﴾ [ مريم : ٧١ ] فقال النبي ﷺ : قد قال الله عز وجل : ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا** (٧٢) ﴾ [ مريم : ٧٢ ] .

**قال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث :**

قوله ﷺ : ( **لايدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد** ) قال العلماء : معناه لايدخلها أحد منهم قطعاً كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب وإنما قال : (إن شاء الله) للتبرك لا للشك .

وأما قول حفصة:( بلى )وانتهرها النبي ﷺ فقالت :﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا** ﴾ ،

فقال النبي ﷺ : وقد قال : ﴿ ثُمَّ نُنجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ فيه دليل للمناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ . والصحيح أن المراد بالواو في الآية المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون . ا هـ.

**وقوله ـ رحمه الله ـ : ( بل لقد رضي الله عنهم ... الخ ) .**

لقوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩)** ﴾ [ الفتح : ١٨ ] .

وفي هذه الآية إخبار من الله بأنه قد رضي عن المبايعين لرسول الله ﷺ تحت الشجرة وشهد لهم بالإيمان ، فكل من بايع تحت الشجرة فهو مؤمن مرضي عنه ، وكفى بها فضيلة .

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

أخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الحال التي هي من أكبر الطاعات وأجلّ القربات .

﴿ **فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ من الإيمان ﴿ **فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ** ﴾ شكرًا لهم على ما في قلوبهم وزادهم هدى ، وعلم مافي قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله فانزل عليهم السكينة تثبتهم وتطمئن بها قلوبهم ﴿ **وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا** ﴾ وهو فتح خيبر ، لم يحضره سوى أهل الحديبية فاختصوا بخيبر وغنائهما جزاء لهم ، وشكراً على مافعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته . ا هـ.

## ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ كالعشرة وثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من الصحابة

**قوله - رحمه الله - :** ( ويشهدون بالجنة ....الخ ) .

**الشهادة بالجنة نوعان :**

١- شهادة معلقة بوصف .

٢- شهادة معلقة بشخص .

أما الشهادة المعلقة بوصف فالشهادة لكل مؤمن وبر وتقي بأنه في الجنة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [ الكهف : ١٠٧-١٠٨ ] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الانفطار : ١٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [ القمر : ٥٤-٥٥ ] .

**وأما الشهادة المتعلقة بشخص فقد اختلف فيها على ثلاثة أقوال :**

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في منهاج السنة (٥ /٢٩٥ - ٢٩٦):**

إنما قد نقف في الشخص المعين فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا على علم لأنه حقيقة باطنه وماما ت عليه لا نحيط به لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء ولهم في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال : منهم من لايشهد بالجنة لأحد إلا للأنبياء ، وهذا قول محمد بن الحنفية والأوزاعي .

**الثاني :** أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص ، وهذا قول كثير من أهل الحديث .

**الثالث :** يشهدون بالجنة لهؤلاء ولمن شهد له المؤمنون ، كما قال النبي ﷺ : ( **أنتم شهداء الله في الأرض** )، وقال : ( **يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار** ، قالوا : بم يارسول الله ؟ ، **قال : بالثناء الحسن والثناء السيء** ) .

فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار، وكان أبو ثور يقول : أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة ويحتج بهذا ، وبسط هذه المسألة له موضع آخر ا.هـ

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الرسائل والمسائل ( ١ / ٥٣ ) :**

فمن ثبتت ولايته لله بالنص وأنه من أهل الجنة كالعشرة وغيرهم فعامة أهل السُّنَّة يشهدون له بما شهد له به النص .

وأما من شاع له لسان صدق من الأمة بحيث اتفقت الأمة على الثناء عليه فهل يشهد له بذلك ؟، هذا فيه نزاع بين أهل السُّنَّة ، والأشبه أن يشهد له بذلك ، هذا في الأمر العام .

والدليل على الشهادة للعشرة رضي الله عنهم بالجنة ما رواه الترمذي وغيره أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه حدَّث في نفر أن رسول الله ﷺ قال : **(عشرة في الجنة : أبو بكر وعمر في الجنة وعثمان وعلي والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص** ، فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال القوم : ننشدك بالله يا أبا الأعور من العاشر؟ ، قال : نشدتموني بالله ، أبو الأعور في الجنة ، أبو الأعور هو سعيد بن زيد ) .

حديث صحيح صححه العلامة الألباني وغيره .

**وقد جمع العشرة في بيتين من الشعر فقيل :**

للمصطفى خير صحب نصَّ أنهم ... في جنة الخلد زادهم شرفا
هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسعدين والخلفا

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ : (وثابت بن قيس بن شمَّاس) .**

ودليل ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [الحجرات : ٢] .

جلس ثابت بن قيس في بيته وقال : أنا من أهل النار . واحتبس ثابت بن قيس

عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ ، فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟، اشتكى ؟ ، قال سعد : إنه لجاري وما علمت له بشكوى . قال : فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ .

فقال ثابت : أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار ، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : **( بل هو من أهل الجنة )** .

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ) .**

وهم كثر ، ومنهم الحسن والحسين ، وخديجة، وعبد الله بن سلام ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وزيد بن حارثة ، وغيرهم رضي الله عنهم .

## ويقرّون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر

أورد شيخ الإسلام - رحمه الله - هذا عن علي رضي الله عنه خاصة للرد على الرافضة الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر، ويقدمونه عليهما في الخلافة ويطعنون في خلافتهما.

**وقد قال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٤/٤٢١ - ٤٢٥):**

أما تفضيل أبي بكر ثم عمر على عثمان وعلي فهذا متفق عليه بين أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة في العلم والدين من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

وهو مذهب مالك وأهل المدينة والليث بن سعد وأهل مصر والأوزاعي وأهل الشام وسفيان الثوري وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أهل العراق.

وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد وغير هؤلاء من أئمة الإسلام الذين لهم لسان صدق في الأمة، وحكى مالك إجماع أهل المدينة على ذلك فقال: ما أدركت أحداً ممن أقتدي به يشك في تقديم أبي بكر وعمر.

وهذا مستفيض عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وفي صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية أنه قال لأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أبتِ؟، من خير الناس بعد الرسول ﷺ؟، قال: يا بني أو ما تعرف؟، قلت: لا. قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟، قال: ثم عمر.

ويروى هذا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من نحو ثمانين وجهاً، وأنه كان يقوله على منبر الكوفة. بل قد قال: لا أوتى بأحدٍ يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري.

فمن فضَّله على أبي بكر رضي الله عنهما وعمر جُلِدَ بمقتضى قوله رضي الله عنه ثمانين سوطاً.

وكان سفيان يقول : من فضل علياً على أبي بكر فقد أزرى بالمهاجرين وما أرى أنه يصعد له إلى الله عمل وهو مقيم على ذلك .

إلى أن قال :وقد استفاض في الصحيحين وغيرهما عن النبي ﷺ من غير وجه من حديث أبي سعيد وابن عباس وجندب بن عبد الله وابن الزبير وغيرهم أن النبي ﷺ قال : ( **لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله** ـ يعني نفسه ﷺ ـ ) .

**وفي الصحيح أنه قال على المنبر :**

( **إن أمنَّ الناس عليّ في صحبته وذات يده : أبو بكر ، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله . ألا لا يبقين في المسجد خوخة إلا سُدَّت ؛ إلا خوخة أبي بكر** ) .

وهذا صريح في أنه لم يكن عنده من أهل الأرض من يستحق المخالَّه لو كانت ممكنة من المخلوقين إلا أبا بكر، فعلم أنه لم يكن عنده أفضل منه ولا أحب إليه منه .

وكذلك في الصحيح أنه قال عمرو بن العاص للنبي ﷺ : أي الناس أحب إليك ؟، (**قال : عائشه** . قال فمن الرجال ؟ ، **قال أبوها** ) .

وكذلك في الصحيح أنه قال لعائشة رضي الله عنها : ( **ادعي لي أباكِ وأخاكِ حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من بعدي ، ثم قال : يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**) .

وفي الصحيح عنه ، أن امرأة قالت يا رسول الله : أرأيت إن جئت فلم أجدك ـ وكأنها تعني الموت ـ **قال : فأتي أبا بكر** .

وفي السنن عنه ﷺ قال : ( **اقتدوا باللذين من بعدي ، أبي بكر وعمر**) .

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه كان في سفر فقال : ( **إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا** ) .

وفي السنن عنه ﷺ أنه قال : (**رأيت كأني وضعت في كفة ، والأمة في كفة**

**فرجحت بالأمة ، ثم وضع أبو بكر في في كفة والأمة في كفة فرجح أبو بكر ، ثم وضع عمر في كفة والأمة في كفة فرجح عمر )** .

وفي الصحيحين أنه كان بين أبي بكر وعمر كلام فطلب أبو بكر من عمر أن يستغفر له فلم يفعل ، فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فذكر ذلك فقال : (**اجلس يا أبا بكر يغفر الله لك** وندم عمر ، فجاء إلى منزل أبي بكر فلم يجده فجاء إلى النبي ﷺ فغضب النبي ﷺ ، **وقال : يا أيها الناس إني جئت إليكم فقلت إني رسول الله إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر : صدقت . فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟**،فما أوذي بعدها ) .

وقد تواتر في الصحيح والسنن أن النبي ﷺ لما مرض قال : (**مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس : مرتين أو ثلاثاً** ) حتى قال : ( **إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مُروا أبا بكرأن يصلي بالناس** ) .

فهذا التخصيص والتكرير والتوكيد في تقديمه في الإمامة على سائر الصحابة مع حضور عمر وعثمان وعلي وغيرهم مما بين للأمة تقدمه عنده ﷺ على غيره .

وفي الصحيح أن جنازة عمر رضي الله عنه لما وضعت جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتخلل الصفوف ثم قال :

لأرجوا أن يجعلك الله مع صاحبيك، فإني كثيراً ما كنت أسمع النبي ﷺ يقول : (**دخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، وذهبت أنا وأبو بكر وعمر** ) . فهذا يبين ملازمتهما للنبي ﷺ في مدخله ومخرجه وذهابه .

ولذلك قال مالك للرشيد لما قال له : يا أبا عبد الله ، أخبرني عن منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ . قال : يا أمير المؤمنين منزلتهما منه في حياته كمنزلتهما منه بعد وفاته . فقال : شفيتني يا مالك.

وهذا يبين أنه كان لهما من اختصاصهما بصحبته وموازرتهما له على أمره ومباطنتهما مما يعلمه بالاضطرار ، كل من كان عالماً بأحوال النبي ﷺ وأقواله وأفعاله

وسيرته مع أصحابه .

ولهذا لم يتنازع في هذا أحد من أهل العلم بسيرته وسُنَّته وأخلاقه ، وإنما ينفي هذا أو يقف فيه من لا يكون عالماً بحقيقة أمور النبي ﷺ .

وإن كان له نصيب من كلام أو فقه أو حساب أوغير ذلك أو من يكون قد سمع أحاديث مكذوبة تناقض هذه الأمور المعلومة بالاظطرار عند الخاصة من أهل العلم ، فتوقف في الأمر أو رجح غير أبي بكر رضي الله عنه . ا هـ.

**ويقول العلامة عبد المحسن العباد حفظه الله في كتابه :** « أغلوٌ في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة؟ » ص( ٣١ -٣٧ ) في معرض الرد على بعض الرافضة :

وبعد أن أوردت كارهاً مضطراً فيما تقدم من كلام هذا الحاقد الجديد وبعض أسلافه من المتقدمين و المتأخرين كلمات مظلمة موحشة في الغلو في بعض القرابة والجفاء في الأنبياء والصحابة وعلى الأخص أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإني أورد هنا كلمات مشرقة مضيئة مؤنسة من كلام خير الصحابة والقرابة بعضهم في بعض .

**فمما قاله خير القرابة وأفضل هذه الأمة بعد الخلفاء الثلاثة قبله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما :**

( ١ ) روى البخاري في صحيحه ( ٣٦٧١ ) بإسناده عن محمد بن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طالب قال : ( قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ ، قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟، قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول: عثمان قلت : ثم أنت ؟ ، قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين ) .

( ٢ ) روى الإمام أحمد في مسنده قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا منصور بن عبد الرحمن يعني الغداني الأشل عن الشعبي ، حدثني أبو جحيفة الذي كان علي يسميه وهب الخير ، قال : قال لي علي : يا أبا جحيفة الا أخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيها ؟ ، قال : قلت : بلى.

قال : ولم أكن أرى أن أحداً أفضل منه . قال : أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو

بكر وبعد أبي بكر عمر وبعدهما آخر ثالث ولم يسمه .

وإسناده صحيح رجاله رجال الشيخين إلا منصور بن عبد الرحمن فهو من رجال مسلم وأثر علي هذا عن أبي جحيفة ، جاء في مسند الإمام أحمد وزوائده لابنه عبد الله من طرق صحيحة أو حسنة ، وأرقامها ( ٨٣٣-٨٣٧-٨٧١ ) .

( ٣ ) وروى الإمام أحمد في فضائل الصحابة ( ٤٧٤ ) : حدثنا الهيثم بن خارجة والحكم بن موسى قالا : حدثنا شهاب بن خراش قال : حدثني الحجاج بن دينار عن أبي معشر عن إبراهيم النخعي قال : ضرب علقمة بن قيس هذا المنبر فقال : خطبنا عليٌّ على هذا المنبر ، فحمد الله وذكره ما شاء الله أن يذكره ، ثم قال : ألا إنه بلغني أن أناساً يفضلوني على أبي بكر وعمر ، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت ، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم ، فمن قال شيئاً من ذلك فهو مفترٍ ، عليه ما على المفتري ، إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر.... ) .

وهذا إسناد حسن ، وأبو معشر هو زياد بن كليب وهو ثقة .

وأخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة ( ٩٩٣ ) وقال الألباني : إسناده حسن .

وفي زوائد فضائل الصحابة ( ٤٩ ) عن عبد الله بن أحمد بإسناد فيه ضعف إلى الحكم بن حجل قال : سمعت علياً يقول : ( لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفترى ) .

وهوأيضًا كذلك في السُّنَّة لابن أبي عاصم ( ١٢١٩ ) وهو قريب في المعنى من الذي قبله عن علقمة ، وقد أشار إبراهيم النخعي إلى هذه العقوبة من علي لمن يفضله على الشيخين بقوله لرجل قال له : ( عليّ أحب إليَّ من أبي بكر وعمر ) فقال له إبراهيم : أما إن علياً لو سمع كلامك لأوجع ظهرك ، إذا تجالسونا بهذا ، فلا تجالسونا ) .

رواه عنه ابن سعد في الطبقات ( ٦ / ٢٧٥ ) بإسناده إليه عن أحمد بن يونس عن أبي الأحوص و مفضل بن مهلهل عن مغيرة عنه ورجاله ثقات محتج بهم ،

وهم من رجال الصحيحين إلا المفضل بن مهلهل فهو من رجال مسلم وفيه عنعنة المغيرة عن إبراهيم وهو مدلس .

وإذا كانت هذة عقوبة عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من يفضله على أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم فكيف تكون عقوبته من يفضله وبعض أبناءه وأحفاده على الأنبياء والمرسلين؟! .

( ٤ ) وروى ابن ماجة في سننه ( ١٠٦ ) قال: حدثنا علي بن محمد . ثنا وكيع . ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة قال : سمعت عليًا يقول : ( خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، وخير الناس بعد أبو بكر عمر) ورجاله محتج بهم ثلاثة منهم من رجال البخاري ومسلم وصححه الألباني .

( ٥ ) وروى ابن أبي شيبة في مصنّفه ( ٧ / ٤٣٤ ) قال : حدثنا ابن نمير عن عبد الملك بن سلع عن عبد خير قال : سمعت عليًّا يقول : قبض رسول الله ﷺ على خير ماعليه نبي من الأنبياء ، قال : ثم استُخْلف أبو بكر فعمل بعمل رسول الله ﷺ وبسنته ، ثم قبض أبو بكر على خير ماقبض عليه أحد، وكان خير هذه الأمة بعد نبيهم ، ثم استخلف عمر وعمل بعملها وسنتها ثم قبض على خير ماقبض عليه أحد وكان من خير هذه الأمة بعد نبيهم وبعد أبي بكر) .

ورجال هذا الاسناد محتج بهم ، فعبد خير وعبد الله بن نمير ثقات ، وعبد الملك ابن سلع صدوق .

( ٦ ) وروى البخاري في صحيحه ( ٣٦٨٥ ) ومسلم ( ٣٣٨٩ ) عن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال : ماخلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك،وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول : ( **ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ،ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر** ) .

هذه نماذج مما عند أهل السُّنَّة والجماعة من كلام حسن قاله أبو الحسن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

في أبي بكر وعمر رضي الله عنهم .

وأيضاً فإن علياً رضي الله عنه قد سمى ثلاثة من أبناءه بأسماء أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كما في الرياض المستطابة للعامري ص ١٧٩ .

وزوج علي رضي الله عنه ابنته من فاطمة أم كلثوم من عمر رضي الله عنهم ولو حصل في نفوس بعضهم على بعض شيء فإنه منزوع منهم في الجنة كما قال الله عزوجل : ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾** ﴾ [الحجر : ٤٧-٤٨] .

وإذا نظر من له أدنى عقل في هذه الروايات عند أهل السُّنَّة ثم نظر في الروايات التي ذكرها هذا الحاقد البغيض عن قومه في ذم أبي بكر وعمر تبين له الفرق الواضح بين الحق والباطل، والهدى والضلال ، والضياء والظلام ، والرائحة الطيبة والرائحة الخبيثة المنتنة . ا هـ.

ومما جاء في كتب السُّنَّة والشيعة أن رسول الله ﷺ زوج عثمان رضي الله عنه رقية ثم أُمّ كلثوم ، بنات رسول الله رضي الله عنهن .

وزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته أم كلثوم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأمها هي فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنها وقد ولدت أم كلثوم لعمر بن الخطاب رقية وزيد .

**ومن أولاد أبي بكر الصديق :** عبد الرحمن وابنته حفصة بنت عبد الرحمن تزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن أولاد عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق : أسماء وابنتها فروة أم جعفر الصادق ـ رحمه الله ـ .

ومن أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه : **اثنان اسم كل واحد منهما : أبو بكر، واثنان اسم كل واحد منهما عمر واثنان اسم كل واحد منهما عثمان .**

ومن أبناء علي رضي الله عنه الحسين وقد سمى اثنين من أولاده : أبا بكر والآخر عمر .

ومن أبناء علي رضي الله عنه : محمد بن الحنفية وقد سمى أحد أبنائه عمر . وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين كنيته أبو بكر ، وسمى أحد

أبنائه : عمر . والحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أبنائه أبو بكر وعمر والحسن، وللحسن بنت وهي زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب زوجها الوليد عبد الملك بن مروان .

وموسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر زين العابدين من أبنائه : أبو بكر وعمر وعائشة (١) .

فإذا كان هؤلاء الأئمة يعتقدون أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم قد غصبوا خلافة علي رضي الله عنه كما تزعمه الرافضة ، أو أن هؤلاء ارتدوا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وما أشبه ذلك، فماذا يعني ماسبق؟ .

( فاعتبروا يا أولي الألباب ) . بل الأمر على خلاف ماتزعمه الرافضة ، وقد سبق إيضاح هذا بجلاء ، ولله الحمد .

(١) من مراجع ما سبق : الإرشاد للمفيد ، مقاتل الطالبين للأصفهاني ، تاريخ اليعقوبي ، التنبيه والإشراف للمسعودي ، كشف الغمة للإربلي ، الفصول المهمة ، معجم رجال الحديث للخوني ، جلاء العيون للمجلسي والكافي للكليني عمدة الطالب ، طبقات ابن سعد ، نسب قريش ، منتهى الآمال لعباس القمي وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، النسب والمصاهرة بين أهل البيت والصحابة ، لعلاء الدين المدرس ، والإفادة في تاريخ أئمة الزيدية لأبي طالب . اهـ . من منشور بعنوان الآل والأصحاب أصهار وأحباب جمع وترتيب أبي الحسن عليّ المالكي بالتعاون مع مركز إحياء تراث آل البيت .

**ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي ﷺ كما دلت عليه الآثار ، وكما أجمع الصحابة ﷺ على تقديم عثمان في البيعة ، مــع أن بعض أهل السُنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ﷺ بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل ،فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي ، وقدم قوم علياً وقوم توقفوا لكن استقر أهل السُنة على تقديم عثمان ثم علي ﷺ .**

**تضمنت هذه الفقرة مايلي :**

( ١ ) أن أهل السُّنَّة والجماعة متفقون على تقديم وتفضيل أبي بكر ثم عمر ﷺ على عثمان وعلي ﷺ .

( ٢ ) أن أهل السُّنَّة والجماعة متفقون أيضًا على تقديم عثمان ﷺ في الخلافة والبيعة على علي ﷺ .

( ٣ ) أن أهل السُّنَّة والجماعة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ﷺ أيهما أفضل على ثلاثة أقوال :

أ ـ تفضيل عثمان على عليّ ﷺ .

ب ـ تفضيل عليّ على عثمان ﷺ .

ج ـ التوقف .

( ٤ ) أن أمر أهل السُّنَّة في مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي ﷺ قد استقر على تقديم عثمان ثم علي ﷺ .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤/٤٢٥ ـ ٢٤٨ ):**

عثمان وعلي ـ ﷺ ـ فهذه دون تلك ، فإن هذه كان قد حصل فيها نزاع ، فإن سفيان الثوري وطائفة من أهل الكوفة رجحوا علياً على عثمان ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره .

وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي وهي إحدى الروايتين عن مالك لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على عليّ كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي

وأبي حنيفة وأصحابه ،وأحمد بن حنبل وأصحابه ، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام .

حتى إن هؤلاء يتنازعون فيمن يقدم علياً على عثمان هل يعد من أهل البدعة ؟ على قولين : همارِوايتان عن أحمد وقد قال أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني : من قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار. وأيوب هذا إمام أهل السُّنَّة وإمام أهل البصرة روى عنه مالك في الموطأ وكان لايروي عن أهل العراق ، وروي أنه سئل عن الرواية عنه فقال : ماحدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه ، وذكره أبوحنيفة فقال : لقد رأيته قعد مقعداً في مسجد رسول الله ﷺ ما ذكرته إلا اقشعر جسمي .

والحجة لهذا ما أخرجاه في الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر أنه قال : كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ ،كنا نقول : أبوبكر ثم عمر ثم عثمان . وفي بعض الطرق : يبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره .

وأيضًا فقد ثبت بالنقل الصحيح في صحيح البخاري وغير البخاري أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما جعل الخلافة شورى في ستة أنفس :عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ولم يدخل معهم سعيد بن زيد ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة،وكان من بني عدي ـ قبيلة عمر ـ وقال عن ابنه عبد الله يحضركم عبد الله وليس له في الأمر شيء ،ووصى أن يصلي صهيب بعد موته حتى يتفقون على واحد، فلما توفي عمر واجتمعوا عند المنبر قال طلحة : ما كان لي من هذا الأمر فهو لعثمان ، وقال الزبير : ما كان لي من هذا الأمر فهو لعلي. وقال سعد : ما كان لي من هذا الأمر فهو لعبد الرحمن بن عوف ، فخرج ثلاثة وبقي ثلاثة.

فاجتمعوا فقال عبد الرحمن بن عوف: يخرج منا واحد ويولي منا واحداً فسكت عثمان وعلي .فقال عبد الرحمن : أنا أخرج وروي أنه قال : عليه عهد الله وميثاقه أن يولي أفضلهما .ثم قام عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام بلياليها يشاور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، ويشاور أمهات المؤمنين ، ويشاور أمراء الأمصار ، فإنهم كانوا في المدينة حجوا مع عمر وشهدوا موته .

حتى قال عبد الرحمن بن عوف : إن لي ثلاثاً ما اغتمضت بنوم فلما كان اليوم الثالث قال لعثمان : عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن ولئن وليت علياً لتسمعن ولتطيعن ؟ ، قال : نعم . وقال لعلي : عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن ،ولئن وليت عثمان لتسمعن ولتطيعن ؟ ، قال : نعم . قال : إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان فبايعه علي وعبد الرحمن وسائر المسلمين بيعة رضى ، واختيار من غير رغبة أعطاهم إياها ولارهبة خوفهم بها .

وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على عليّ فلهذا قال أيوب وأحمد بن حنبل والدارقطني : من قدَّم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار .

فإنه إن لم يكن عثمان أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا إما جاهلين بفضله وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني، ومن نسبهم إلى الجهل والظلم فقد أزرى بهم.

ولو زعم زاعم أنهم قدموا عثمان لضغن كان في نفس بعضهم على عليّ وأن أهل الضغن كانوا ذوي شوكة ونحو ذلك مما يقوله أهل الأهواء ، فقد نسبهم إلى العجز عن القيام بالحق وظهور أهل الباطل منهم على أهل الحق .

هذا وهم في أعز ما كانوا وأقوى ماكانوا فإنه حين مات عمر كان الإسلام من القوة والعز والظهور والاجتماع والائتلاف فيما لم يصيروا في مثله قط . وكان عمر أعز أهل الإيمان ، وأذل أهل الكفر والنفاق إلى حد بلغ في القوة والظهور مبلغًا لا يخفى على من له أدنى معرفة بالأمور.

فمن جعلهم في مثل هذه الحال جاهلين أو ظالمين أو عاجزين عن الحق فقد أزرى بهم وجعل خير أمة أخرجت للناس على خلاف ماشهد الله به لهم وهذا هو أصل مذهب الرافضة . ا هـ.

وبماسبق من الكلام يعلم أن عثمان رضي الله عنه مقدَّم على عليّ في الفضل، كما أنه مقدَّم عليه في الخلافة ، وأن تفضيل عثمان على عليّ رضي الله عنهما هو الذي استقر عليه أمر أهل السُّنَّة ، وأسباب ذلك بينة في كلام شيخ الإسلام وغيره .

**وإن كانت هذه المسألة ( مسألة المفاضلة بين عثمان وعليّ ) ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة ،وذلك لأنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.**

في هذه الفقرة من كلام شيخ الإسلام أوضح فيها حكم تقديم علي على عثمان في الفضل ، وحكم تقديمه عليه في الخلافة ، وعلى أبي بكر وعمر .

وأن مسألة المفاضلة بين علي وعثمان من المسائل الاجتهادية وليست من مسائل الأصول التي يضلل فيها المخالف عند جمهور أهل السنّة وإن كان قد استقر الأمر عند أهل السنّة ـ كما سبق ـ على تقديم عثمان رضي الله عنه .

**وأما المسألة الثانية وهي مسألة التقديم في الخلافة :**

فمن قدم علياً رضي الله عنه على عثمان في الخلافة فهو ضال ، ومن باب أولى من قدمه على أبي بكر وعمر .

فأهل السنّة والجماعة يعتقدون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه لما صح في فضله ومكانته وسابقته وبيعة الصحابة رضي الله عنهم له .

ثم عمر الفاروق رضي الله عنه لفضله وعهد أبي بكر رضي الله عنه إليه بالخلافة بعده ، وبيعة الصحابة رضي الله عنهم له .

ثم عثمان رضي الله عنه لفضله ومبايعة علي رضي الله عنه وأهل الشورى والصحابة رضي الله عنهم له ، وقد أخبر عبد الرحمن بن عوف بعد مشاورته المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، ثلاثة أيام أنهم لم يعدلوا بعثمان رضي الله عنه .

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لفضله ولأن أهل الشورى قدموه هو وعثمان فلما استشهد عثمان كان أحق الصحابة بالخلافة فكان رابع الخلفاء الراشدين المهديين ( وقد نص الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ على تبديع من توقف في خلافته، وقال : هو أضل من حمار أهله وأمر بهجرانه ونهى عن مناكحته ، ولم يتردد أحمد ولا أحد

من أئمة السُّنَّة في أنه ليس غير علي أولى بالحق منه ولا شكوا في ذلك ). ا هـ. مجموع الفتاوى ( ٤ / ٤٣٨ ) .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء ، فهو أضل من حمار أهله ) .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ـ( ٦٠٦ - ٦٠٧ ) :**

الذي يطعن في خلافة أحد من هؤلاء ويقول : إنه لايستحق الخلافة أو إنه أحق ممن سبقه فهو أضل من حمار أهله .

وعبَّر المؤلف بهذا التعبير لأنه تعبير الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ ولا شك أنه أضل من حمار أهله .

وإنما ذكر الحمار لأنه أبلد الحيوانات على الإطلاق، فهو أقل الحيوانات فهماً فالطعن في خلافة أحد من هؤلاء أو في ترتيبه ، طعن في الصحابة جميعاً .

فيجب علينا أن نعتقد بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ ، وأنهم في أحقية الخلافة على هذا الترتيب ، حتى لا نقول إن هناك ظلمًا في الخلافة كما ادعته الرافضة ،حين زعموا أن أبا بكر وعمر وعثمان والصحابة كلهم ظلمة لأنهم ظلموا عليًّا بن أبي طالب حين اغتصبوا الخلافة منه ، أما من بعدهم فإننا لا نستطيع أن نقول : أن كل خليفة استخلفه الله على الناس ، فهو أحق بالخلافة من غيره .

لأن من بعدهم ليسوا في خير القرون بل حصل فيهم من الظلم والانحراف والفسوق ما استحقوا به أن يولى عليهم من ليس أحق بالخلافة منهم كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾[ الأنعام: ١٢٩ ] .

واعلم أن الترتيب في الأفضلية على ما سبق لا يعني أن من فضل غيره فإنه يفضله في كل شيء ، بل قد يكون للمفضول فضيلة لم يشاركه فيها أحد ، وتميز أحد هؤلاء الأربعة أو غيرهم بميزة يفضل بها غيره لا يدل على الأفضلية المطلقة ، فيجب التفريق بين الإطلاق والتقييد . ا هـ.

## ويحبون أهل بيت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ويتولونهم

أي أن من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة محبة آل بيت رسول الله ﷺ وتوليهم.

**قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفه ص ( ٩٤ ) :**

**فمحبة أهل النبي ﷺ واجبة من وجوه :**

**منها أولاً :** لإسلامهم وفضلهم وسوابقهم .

**ومنها :** لما تميزوا به من قرب النبي ﷺ واتصالهم بنسبه .

**ومنها :** لما حثَّ ـ عليه صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ورغب فيه ـ أي من محبتهم وموالاتهم .

ولما في ذلك من علامة محبة الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم . ا هـ.

وإذا كان من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة محبة أهل البيت وتوليهم، فإنهم لا يبغضونهم ولا يعادونهم ، بل يتبرؤون من أهل البدع والضلال، الذين نصبوا لهم العداوة والبغضاء .

وكتب أهل السُّنَّة والجماعة مملوءة بذكر الأحاديث الصحيحة في فضائل أهل البيت عموماً وخصوصاً ، ففي الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء من ذلك شيء كثير ،بل وهناك مصنفات في فضائلهم وفضائل بعضهم استقلالاً ،وكتب عقائد أهل السُّنَّة فيها النصوص الواضحة في أن محبة أهل بيت النبي ﷺ وموالاتهم من أصول اعتقادنا، وفيها البراءة من طريقة النواصب الذين يؤذون آل بيت رسول الله ﷺ بقول أو فعل .

إلا أن أهل السُّنَّة يحبون آل البيت حباً شرعياً لا غلو فيه ، طاعة لله ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ويتقربون إلى الله بالدفاع عن أهل بيت النبي ﷺ السائرين على هديه ، والمتمسكين بسُنَّته ﷺ .

**ولآل البيت حقوق يجب رعايتها :**

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٤٠٧) :**

وكذلك آل بيت الرسول ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفئ ،وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ فقال لنا : **( قولوا : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد ؛كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ؛ كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد )** . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة ( ٤ / ٥٩٩) :**

ولاريب أن لآل محمد ﷺ حقاً على الأمة لايشركهم فيه غيرهم ويستحقون من زيادة المحبة والموالاة مالا يستحقه سائر بطون قريش . ا هـ.

**بعض ماجاء عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في قرابة رسول الله ﷺ :**

**قال العلامة عبد المحسن العباد في كتابه : أغلوا في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة ، ص ( ٣٨-٤٢ ) :**

**ومما جاء عن الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في قرابة رسول الله ﷺ :**

( ١ ) روى البخاري في صحيحه ( ٣٧١٢ ) أن أبابكر قال لعلي رضي الله عنهما : **( والذي نفسي بيده ، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي )** .

( ٢ ) روى البخاري في صحيحه أيضًا ( ٣٧١٣ ) عن ابن عمر عن أبي بكر رضي الله عنهم قال : **( ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته )** قال الحافظ ابن حجر في شرحه : يخاطب بذلك الناس ويوصيهم به ، والمراقبة للشيء ، المحافظة عليه ، يقول: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولاتسيئوا إليهم .

( ٣ ) وروى البخاري أيضاً ( ٣٥٤٢ ) عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي ، وعلي يضحك . قال الحافظ في شرحه : قوله :

( بأبي ) فيه حذف تقديره ( أفديه بأبي ) ، وقال أيضاً : في الحديث فضل أبي بكر ومحبته لقرابة النبي ﷺ .

( ٤ ) روى البخاري أيضاً ( ١٠١٠ ) ، ( ٣٧١٠ ) عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال :( اللهم إنا كنا نتوسل بنبينا ﷺ فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ؛ فيسقون ) .

والمراد بتوسل عمر بالعباس رضي الله عنهما التوسل بدعائه كما جاء مبيناً في بعض الروايات وقد ذكرها الحافظ في شرح الحديث في كتاب الاستسقاء من فتح الباري .

واختيار عمر للعباس رضي الله عنهما للتوسل بدعائه إنما هو لقرابته من رسول الله ﷺ ولهذا قال رضي الله عنه في توسله : ( وإنا نتوسل اليك بعم نبينا ) ولم يقل بالعباس .

ومن المعلوم أن علياً رضي الله عنه أفضل من العباس وهو من قرابة الرسول ﷺ لكن العباس أقرب ولو كان النبي ﷺ يورث عنه المال لكان العباس هو المقدم في ذلك لقوله ﷺ : ( **ألحقوا الفرائض بأهلها ، فما أبقت الفرائض فلأولى رجل ذكر** ) أخرجه البخاري ومسلم.

وما يزعمونه من ظلم أبي بكر رضي الله عنه أهل البيت في منع ميراثه ﷺ تنفيذاً لما جاء عنه ﷺ فقد روى البخاري ( ٦٧٢٥ ) ( ٦٧٢٦ ) ومسلم ( ١٧٥٩ ) عن عائشه رضي الله عنها : أن فاطمة والعباس - رضي الله عنهما - أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر، فقال لهما أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **لا نورث ، ما تركنا صدقة ، وإنما يأكل آل محمد من هذا المال** ) . . .الحديث .

وأما الخلافة فمعاذ الله أن يتولاها أبو بكر رضي الله عنه وهي حق لغيره ، وإنما تولاها بمبايعة أصحاب رسول الله ﷺ إياه ، وتحقق بهذه البيعة ما أخبرنا به رسول الله ﷺ بقوله : ( **يأبى الله والمؤمنون ، إلا أبا بكر** ) .

فقد روى البخاري ( ٥٦٦٦ ) ومسلم ( ٢٣٨٧ ) في صحيحهما ، واللفظ لمسلم

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ في مرضه : ( **ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل : أنا أولى ، ويأبى الله والمؤمنون ، إلا أبا بكر** ) .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ( ٤٥٣/١ ) في عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين وضع الديوان وقالوا له :**

يبدأ أمير المؤمنين بنفسه فقال : لا . ولكن ضعوا عمر رضي الله عنه حيث وضعه الله ، فبدأ بأهل بيت رسول الله ﷺ ثم من يليهم ، حتى جاءت نوبته في بني عدي وهم متأخرون عن أكثر بطون قريش . اهـ.

**من هم آل بيت النبي ﷺ ؟ :**

اختلف في ذلك على أقوال ، ذكرها ابن القيم - رحمه الله - في جلاء الأفهام وغيره.

والراجح - والله أعلم - أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة ، وهم : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب .

ودليل ذلك مارواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال : ( **أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتي رسول ربي ؛ فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به** ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : **وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي** ) فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ ، أليس نساؤه من أهل بيته ؟ ، قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرِم الصدقة بعده .

قال : ومن هم ؟، قال : هم آل علي ، وآل عقيل، وآل جعفر ، وآل عباس . قال : كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة ؟ ، قال: نعم .

وروى مسلم أيضًا من حديث ابن شهاب عن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد

المطلب حدثه أن عبد المطلب بن ربيعة أخبره أن أباه ربيعة بن الحارث قال لعبد المطلب بن ربيعة وللفضل بن العباس ﷺ إئتيا رسول الله ﷺ فقولا له : إستعملنا يارسول الله على الصدقات ـ فذكر الحديث ـ وفيه : فقال لنا : ( **إن هذه الصدقة إنما هي أوساخ الناس ، وإنما لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد** ) .

وأفضل آل بيته ﷺ عليٌ وفاطمة والحسن والحسين الذين أدار عليهم الكساء وخصهم بالدعاء، ففي صحيح مسلم عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء عليٌّ فأدخله ، ثم قال : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ [ الأحزاب : ٣٣ ] .

وفي مسند الإمام أحمد : ( **اللهم أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ـ كررها ثلاثاً ـ** ) .

**ومما ذكره ابن القيم في كتابه جلاء الأفهام ص(٣٣٠-٣٣٣) للاحتجاج للقائلين بدخول أزواجه ﷺ في آل بيته قوله :**

قال هؤلاء: إنما دخل الأزواج في الآل وخصوصاً أزواج النبي ﷺ تشبيهًا لذلك بالنسب، لأن اتصالهن بالنبي ﷺ غير مرتفع، وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته، وهن زوجاته في الدنيا والآخرة، فالسبب الذي لهن بالنبي ﷺ قائم مقام النسب، وقد نص النبي ﷺ على الصلاة عليهن ، ولهذا كان القول الصحيح هو منصوص الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أن الصدقة تحرم عليهن لأنها أوساخ الناس ، وقد صان الله ـ سبحانه ـ ذلك الجناب الرفيع وآله من كل أوساخ بني آدم .

ويا لله العجب، كيف يدخل أزواجه في قوله ﷺ ( **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا** )، وقوله في الأضحيه ( **اللهم هذا عن محمد وآل محمد** ) وفي قول عائشة ﷺ : ( **ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز بر** ) ،وفي قول المصلي ( **اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد** ) ، ولايدخلن في قوله : (**إن الصدقة لا تحل لمحمد**

ولا لآل محمد ) مع كونها من أوساخ الناس ، فأزواج رسول الله ﷺ أولى بالصيانة عنها والبعد منها ؟! .

**فإن قيل :** لو كانت الصدقة حراماً عليهن لحرمت على مواليهن كما أنها لما حرمت على بني هاشم حرمت على مواليهم، وقد ثبت في الصحيح أن بريرة تُصدق عليها بلحم فأكلته ولم يحرمه النبي ﷺ وهي مولاة لعائشة رضي الله عنها .

قيل : هذا هو شبهة من أباحها لأزواج النبي ﷺ .

**وجواب هذه الشبهه :** أن تحريم الصدقة على أزواج النبي ﷺ ليس بطريق الأصالة ، وإنما هو تبع لتحريمها عليه ﷺ ، وإلا فالصدقه حلال لهن قبل اتصالهن به فهن فرع في هذا التحريم ، والتحريم على المولى فرع التحريم على سيده ، فلما كان التحريم على بني هاشم أصلاً استتبع ذلك مواليهم ، ولما كان التحريم على أزواج النبي ﷺ تبعاً لم يقو ذلك على استتباع مواليهن لأنه فرع عن فرع .

قالوا : وقد قال الله تعالى : ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ** ﴾ [ الأحزاب : ٣٠ ] ، وساق الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ** ﴾ [ الأحزاب : ٣٤ ] .

**ثم قال :** فدخلن في أهل البيت لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن فلا يجوز إخراجهن من شيء منه ، والله أعلم .

ويدل على تحريم الصدقه على موالي بني هاشم ما رواه أبو داوود في سننه ( ١٦٥٠ ) والترمذي ( ٦٥٧ ) والنسائي ( ٢٦١١ ) بإسناد صحيح ، واللفظ لأبي داوود عن أبي رافع : ( أن النبي ﷺ بعث رجلاً على الصدقة من بني مخزوم ، فقال لأبي رافع : اصحبني فإنك تصيب منها ، قال : حتى آتي رسول الله ﷺ فأساله فأتاه فساله فقال : ( **مولى القوم من أنفسهم وإنا لا تحل لنا الصدقة** ) . ا هـ .

**واختلف في نساء النبي ﷺ هل هن من أهل بيته على قولين :** أرجحهما ـ والله أعلم ـ أنهن من أهل بيته،وقد رجح هذا جماعة من محققي أهل العلم سلفاً وخلفاً

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - .

**وممن قرر المسألة من العلماء المعاصرين المحدث العلامة عبد المحسن العباد - حفظه الله - في رسالته : فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السُّنَّة والجماعة ، حيث قال ص ( ٨-١٤ ) :**

فأما دخول أزواجه رضي الله عنهن في آله ﷺ ، فيدل لذلك قول الله عز وجل : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤)** ﴾ [ الأحزاب :٣٣-٣٤ ] .

فإن هذه الآية تدل على دخولهن حتمًا لأن سياق الآيات قبلها وبعدها خطاب لهن،ولاينافي ذلك ماجاء في مسلم ( ٢٤٢٤ ) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ .

لأن الآية دالة على دخولهن لكون الخطاب في الآية لهن ، ودخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في الآية دلّت عليه السُّنَّة في هذا الحديث ، وتخصيص النبي ﷺ لهؤلاء الأربعة رضي الله عنهم في هذا الحديث لايدل على قصر أهل بيته عليهم دون القرابات الأخرى ، وإنما يدل على أنهم من أخص أقاربه ، ونظير دلالة هذه الآية على دخول أزواج النبي ﷺ في آله ودلالة حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم على دخول علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم في آله، نظير ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ** ﴾ [التوبة : ١٠٨ ] ، على أن المراد به مسجد قباء ، ودلالة السُّنَّة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه ( ١٣٩٨ ) على أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى ، مسجده ﷺ .

**وقد ذكر هذا التنظير شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رسالة : ( فضل أهل البيت وحقوقهم ) ص ( ٢٠-٢١ ) .**

وزوجاته ﷺ داخلات تحت لفظ الآل لقوله ﷺ : ( **إن الصدقة لا تحل لمحمد ، ولا لآل محمد** ) . ويدل لذلك أنهن يعطين من الخُمس .

وأيضًا مارواه ابن أبي شيبة في مصنفه ( ٣ / ٢١٤ ) : بإسناد صحيح عن أبي مليكة ، أن خالد بن سعيد بعث إلى عائشة ﵂ ببقرة من الصدقة، فردَّتها وقالت : ( **إنا آل محمد ﷺ ، لا تحل لنا الصدقة** ) .

## ويحفظون فيهم وصية رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حيث قال يوم غدير خم : ( أذكّركم الله في أهل بيتي )

يشير شيخ الإسلام إلى الحديث الذي رواه مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فينا خطيباً بماءٍ يدعى خماً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكَّر ثم قال :

**( أما بعد :ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر ،يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما :كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحثَّ على كتاب الله ورغب فيه ،ثم قال : وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل البيت )** .

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لمسلم :**

قوله صلى الله عليه وسلم : ( **وأنا تارك فيكم ثقلين** ) فذكر كتاب الله وأهل بيته قال العلماء : سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما ، وقيل : لثقل العمل بهما . ا هـ.

وقوله صلى الله عليه وسلم : ( **أذكركم الله في آل بيتي**) ثلاثًا .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ( ٦٠٩ ) :**

يعني اذكروا الله اذكروا خوفه وانتقامه إن أضعتم حق آل البيت ، واذكروا رحمته وثوابه إن قمتم في حقهم . ا هـ.

**وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره ( ٤ / ١٤٧ ) :**

ولاننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على الأرض فخراً وحسباً ونسباً ،ولاسيما إذا كانوا متبعين للسُّنَّة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم ،كالعباس وبنيه ،وعليٍّ وأهل ذريته، رضي الله عنهم أجمعين . ا هـ.

**أما غدير خم :**

**فالغدير في اللغة** : مستنقع ماء المطر سمي بذلك ، لأن السيل غادره أي تركه .

**قاله ابن فارس في معجم المقاييس ( ٤ / ٤١٣ ) .**

وأما ( خم ) بضم الخاء وتشديد الميم، فقيل : اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة ، وهو غدير مشهور يضاف إلى الغيضة ، فيقال : غدير خم. والغيضة : الشجرالملتف .

وقيل : خم اسم رجل نسب الغدير إليه فقيل : غدير خم .

وذلك اليوم الذي خطب فيه النبي ﷺ في غدير خم وذكر بأهل بيته هويوم الثامن عشر من ذي الحجة ، والرافضة يحتفلون بهذا اليوم ، ويجعلونه عيداً .

**وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الأعياد الزمانية المبتدعة في اقتضاء الصراط المستقيم (٢ / ٦١٨-٦١٩) :**

ثم قال : النوع الثاني من الأعياد الزمانية المبتدعة :

**ماجرى فيه حادثة كما كان يجري في غيره من غير أن يوجب ذلك جعله موسماً ولا كان السلف يعظمونه كثامن عشر ذي الحجة الذي خطب النبي ﷺ فيه بغدير خم مرجعه من حجة الوداع ، فإنه ﷺ خطب فيه خطبة وصى فيها النبي ﷺ باتباع كتاب الله ، ووصى فيها بأهل البيت كما روى ذلك مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .**

**فزاد بعض أهل الأهواء في ذلك حتى زعموا أنه ﷺ عهد إلى علي رضي الله عنه بالخلافة بالنص الجلي بعد أن فرش له وأقعده على فراش عالية ، وذكروا كلاماً وعملاً قد علم بالاضطرار أنه لم يكن من ذلك شيء، وزعموا أن الصحابة تمالؤوا على كتمان هذا النص ، وغصبو الوصي حقه وفسقوا وكفروا إلا نفراً قليلاً ،والعادة التي جبل الله عليها بني آدم ، ثم ما كان القوم عليه من الأمانة والديانة وما أوجبته شريعتهم من بيان الحق ، يوجب العلم اليقيني بأن مثل هذا ممتنع كتمانه .**

وليس الغرض الكلام في مسألة الإمامة ، وإنما الغرض أن اتخاذ هذا اليوم عيداً محدث لا أصل له ، فلم يكن في السلف لا من أهل البيت ولامن غيرهم من اتخذ ذلك اليوم عيداً حتى يحدث فيه أعمالاً ، إذ الأعياد شريعة من الشرائع فيجب فيها الاتباع لا الابتداع ،وللنبي ﷺ خطب وعهود ووقائع في أيام متعددة ، مثل يوم بدر وحنين والخندق وفتح ومكة ووقت هجرته ودخوله المدينة ، وخطب له متعددة يذكر فيها قواعد الدين .

ثم لم يوجب ذلك أن يتخذ أمثال تلك الأيام أعياداً ، وإنما يفعل مثل هذا النصارى الذين يتخذون أمثال أيام حوادث عيسى عليه السلام أعياداً ، أو اليهود ، وإنما العيد شريعة ، فما شرعه الله اتُّبع ، وإلا لم يحدث في الدين ما ليس منه . ا هـ.

**وقال- أيضا-للعباس عمه،وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال : (والذي نفسي بيده ، لايؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي ) .**

**وقال:( إن الله اصطفى بني إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ).**

أما الحديث الأول فهو حديث ضعيف، أخرجه الإمام أحمد والنسائي والترمذي وغيرهم من طريق يزيد بن أبي زياد ، ويزيد هذا ضعيف ، وممن ضعَّف الحديث العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ .

والأدلة على وجوب محبة أهل بيت النبي ﷺ كثيرة ، ولله الحمد .

وأما الحديث الثاني، فلم يصح بهذا اللفظ ، والذي في صحيح مسلم عن واثلة ابن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم** ) .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٧٣ - ٤٧٤ ):**

**الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة :** اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم ، عبرانيهم وسريانيهم ، ورروميهم وفرسيهم وغيرهم .

وأن قريشاً أفضل العرب ، وأن بني هاشم أفضل قريش ، وأن الرسول أفضل بني هاشم. فهو ﷺ أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً .

وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم لمجرد كون النبي ﷺ منهم ، وإن كان هذا من الفضل .

بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك يثبت لرسول الله ﷺ أنه أفضل نفساً ونسباً .

ولهذا ذكر أبو محمد حرب بن إسماعيل الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسُّنَّة التي قال فيها :

هذا مذهب أئمة أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السُّنَّة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها ، فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السُّنَّة وسبيل الحق ، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مَخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وغيرهم ، ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم ، وكان من قولهم: ( **إن الإيمان قول وعمل ونية** ) وساق كلاماً طويلاً ... إلى أن قال : ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها .... ولا نقول بقول الشعوبية وأرذال الموالي الذين لايحبون العرب ولا يقرون بفضلهم ، فإن قولهم بدعة وخلاف... إلى أن قال : ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب ، والغالب أن مثل هذا الكلام لايصدر إلا عن نوع نفاق ، إما في الاعتقاد ، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك . اهـ.

**ويتولون أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين ، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة ﵂ أمُ أكثر أولاده ، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية والصدّيقة بنت الصدّيق ﵂ التي قال فيهـا النبي ﷺ : ( فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ) .**

**قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرح الواسطية ص( ١٥٠ ) :**

في هذه الجملة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في أزواج النبي ﷺ فقال: **( ويتولون أزواج النبي ﷺ )** : أي يحبونهن ويوقرونهن لأنهن أمهات المؤمنين في الاحترام والتوقير ، وتحريم نكاحهن على الأمّة ، أما بقية الأحكام فحكمهن حكم الأجنبيات من حيث تحريم الخلوة بهن والنظر إليهن ، قال الله تعالى: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [ الأحزاب: ٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ .

[ الأحزاب : ٥٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ [ الأحزاب : ٥٣ ] فهن أمهات المؤمنين في الاحترام والتحريم لافي المحرمية. ا هـ.

فإذا كان من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين طاعة لله ورسوله فهم يبغضون من يبغضهن أويسبُّهن ويتبرؤون منه ويكفِّرون من رمى أُم المؤمنين عائشة ﵂ بما برأها الله منه من فوق سبع سماوات بعد نزول براءتها ، وكذلك من قذف إحدى أمهات المؤمنين ﵅ .

**قول المصنف : ( ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة) .**

لقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ**

آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [ غافر : ٧ - ٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [ الزخرف : ٧٠ ] ، فزوجة الإنسان في الدنيا تكون زوجته في الآخرة إن كانت من أهل الجنة .

وفي البخاري وغيره أن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما بعث عماراً والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم ، خطب عمار فقال : إني لأعلم أنها زوجته - أي عائشة - في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها .

**قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - :**

وأول زوجاته خديجة بنت خويلد بن أسد ، تزوجها رسول الله ﷺ بمكة وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقيت معه إلى أن أكرمه الله برسالته فآمنت به ونصرته . ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين .

**ومن خصائصها** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أنه ﷺ لم يتزوج عليها غيرها وأولاده كلهم منها إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية .

**ومنها :** أنها خير نساء الأمة واختلف في تفضيلها على عائشة على ثلاثة أقوال .

**ومنها :** أن الله بعث إليها السلام مع جبريل فبلغها النبي ﷺ بذلك .

**ومنها :** أنها لم تسؤه قط ولم تغاضبه ولم ينلها منه إيلاء ولاعتب قط ولاهجر .

**ومنها :** أنها أول امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه الأمة .

فلما توفاها الله تزوج بعدها سودة بنت زمعة وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة ، وهذه من خصائصها .

وتزوج الصدّيقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهي بنت ست قبل الهجرة بسنتين ، وبنى بها الرسول أول مقدمه في السَّنَة الأولى ، وهي بنت تسع ، ومات عنها وهي بنت ثمانية عشر سنة ، وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع ، وأوصت أن يصلي عليها أبو هريرة سنة ثمانية وخمسين .

**ومن خصائصها :** أنها أحب أزواج النبي ﷺ إليه .

وأنه كان ينزل عليه الوحي في لحافها وأن الله لما أنزل آية التخيير بدأ بها فخيَّرها .

وأن الله برأها مما رماها به أهل الإفك ، وأن أكابر الصحابة ﷺ كان إذا أُشكل عليهم الأمر، استفتوها فيجدون علمه عندها .

وأن رسول الله ﷺ توفي في بيتها وفي يومها وبين سحرها ونحرها ، ودفن في بيتها - ﷺ - .

وأن المَلَك أرى صورتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في سرقة حرير ، وأن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يومها من رسول الله ، تقرباً إلى رسول الله ﷺ .

وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمربن الخطاب ﷺ ، وتوفيت قبل سنة سبع وقيل ثمانية وعشرين .

وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان ﷺ واسمها رملة ، وتزوجها رسول الله ﷺ وهي بأرض الحبشة ، وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار ، وولي نكاحها عثمان بن عفان ﷺ .

وتزوج الرسول أم سلمة واسمها هند بنت أبي أمية ﷺ وتوفيت قبل سنة اثنتين وخمسين ، ودفنت بالبقيع وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً ، وقيل : ميمونة .

وتزوج الرسول زينب بنت جحش ﷺ وكانت عند مولاه زيد بن حارثة ، فطلقها فزوجها الله إياه من فوق سبع سماوات وأنزل الله عليه : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [ الأحزاب : ٣٧ ] ، وهذا من خصائصها ، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع ﷺ .

وتزوج الرسول ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية ﷺ ، تزوجها الرسول سنة ثلاث من الهجرة وكانت تسمى أم المساكين ، ولم تلبث عند رسول الله إلا يسيراً شهرين أو ثلاثة وتوفيت ﷺ .

وتزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث ﷺ من بني المصطلق وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها ، فقضى رسول الله

كتابتها وتزوجها سنة ست من الهجرة ، وتوفيت سنة ست وخمسين .

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيي رضي الله عنها من ولد هارون بن عمران أخي موسى سنة سبع فإنها سبيت من خيبر ، توفيت سنة ست وثلاثين ، وقيل سنة خمسين .

ومن خصائصها أن رسول الله ﷺ أعتقها ، وجعل عتقها صداقها رضي الله عنها .

وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها ، تزوجها في سرف ، وبنى بها بسرف ، وماتت بسرف ، وسرف على بعد سبعة أميال من مكة ، وميمونة آخر من تزوج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين ، توفيت سنة ثلاث وستين .

فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء وهن إحدى عشرة . ا هـ. نقلاً من كتاب التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص ( ٢٩٤ - ٢٩٥ ) .

ثم وقفت على كلام ابن القيم في جلاء الأفهام وقد اختصره صاحب التنبيهات .

**قول المصنف - رحمه الله - :** ( وخصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المنزلة العالية ) .

**أقول :** أما كونها أم أكثر أولاده : فظاهر إذ لم يولد للنبي ﷺ من غيرها إلا ولده إبراهيم من سريته مارية رضي الله عنها .

**وأما كونها أول من آمن به :** فقيل هي أول من آمن مطلقاً كما هو ظاهر كلام شيخ الإسلام هنا وقيل أول من آمن من النساء .

**وأما كونها أول من عاضده :** فمما يدل على ذلك مارواه البخاري في صحيحه في قصة بدء الوحي ومجيء جبريل إلى النبي ﷺ في غار حراء فرجع يرجف فؤاده فدخل على خديجة رضي الله عنها فقال : ( زملوني ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة رضي الله عنها وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت : كلا والله ، لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة رضي الله عنها حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن

عم خديجة وكان امرءاً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ .

فأخبره رسول الله ﷺ خبر مارأى، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى ، ياليتني فيها جذعًا ، ياليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ : ( **أومخرجي هم** ؟ ، قال نعم . لم يأتي رجل قط بمثل ماجئت به إلاعودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي ) .

**قوله :** ( **وكان لها منه المنزلة العالية** ) . مما يدل على ذلك مارواه البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( **خير نساءها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد** ) .

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتى جبريل النبي ﷺ فقال : ( **يارسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ـ عز وجل ـ ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لاصخب فيه ولا نصب** ) .

ولما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

( ما غِرْتُ على امرأة ما غِرْتُ على خديجة ، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين ، لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربه أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة ، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها ) .

وفي صحيح مسلم أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت :

( ما غرْتُ على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة وإني لم أدركها . قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ، قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة ؟ ، فقال رسول الله ﷺ : **إني قد رُزقت حبها** ) .

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يقول : ( **إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد** ) .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ :** والصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنها .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٦١٣) :**

أما كونها صدِّيقة فلكمال تصديقها لرسول الله ﷺ ولكمال صدقها في معاملته وصبرها على ما حصل من الأذى في قصة الإفك ، ويدلك على صدقها وصدق إيمانها بالله ، أنه لما نزلت براءتها قالت رضي الله عنها : إني لا أحمد إلا الله ، وهذا يدل على كمال إيمانها وصدقها .

وأما كونها بنت الصديق فكذلك أيضاً فإن أباها رضي الله عنه هو الصديق في هذه الأمة بل صديق الأمم كلها لأن هذه الأمة أفضل الأمم ، فإذا كان صديق هذه الأمة فهو صديق غيرها من الأمم . اهـ.

وقد سبقت الإشارة إلى كثير من فضائلها رضي الله عنها .

وقد ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ من فضائلها مارواه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ( **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** ) .

**قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرح الواسطية ص (١٥١) :**

والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم ، والخبز من البر ، وهو أفضل الأقوات ، واللحم أفضل الإدام . فإذا كان اللحم سيد الإدام والبر سيد القوت ، ومجموعهما الثريد كان الثريد أفضل الطعام . اهـ.

**قلت :** وقد قيل :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

وقد اختلف في أيهما أفضل خديجة أم عائشة رضي الله عنها على ثلاثة أقوال : أوسطها وأحسنها كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في مجموع الفتاوى

( ٤ / ٣٩٣ ) حيث قال :

سبقُ خديجة ﵂ وتأثيرها في أول الإسلام ، ونصرها وقيامها في الدين لم تشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ﵅ ، وتأثير عائشة ﵂ في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة وإدراكها من العلم ما لم تشركها فيه خديجة ولا غيرها ، مما تميزت به عن غيرها . اهـ.

وانظر جلاء الأفهام ص ( ٣٤٨ ) .

## فائدة :

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٣٩٥ ) :**

وأما نساء النبي ﷺ فلم يقل إنهن أفضل من العشرة إلا أبو محمد بن حزم . وهو قول شاذ لم يسبقه إليه أحد وأنكره عليه من بلغه من أعيان العلماء ، ونصوص الكتاب والسُّنَّة تبطل هذا القول .

وحجته التي احتج بها فاسدة ، فإنه احتج على ذلك بأن المرأة مع زوجها في درجته في الجنة ودرجة النبي ﷺ أعلى الدرجات فيكون أزواجه في درجته .

**وهذا يوجب عليه :** أن يكون أزواجه أفضل من الأنبياء جميعهم وأن تكون زوجة كل نبي من أهل الجنة أفضل ممن هو مثله ، وأن يكون من يطوف على النبي ﷺ من الولدان ومن يزوج به من الحور العين أفضل من الأنبياء والمرسلين ، وهذا كله مما يعلم بطلانه عموم المؤمنين . اهـ.

## ويتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبّونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل

بعد أن ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ بين الغلاة والجفاة ،وأنهم يحبُّون أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً حباً شرعياً ويقبلون كل ماجاء في الكتاب وصحيح السُّنَّة وإجماع الأمة من فضائلهم ومراتبهم ،ولا يذكرونهم إلا بالجميل ،ويستغفرون لهم ويترضَّون عنهم جميعاً، ويعتقدون أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ، وينزلون أهل بيت رسول الله منزلتهم الشرعية ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ ، ويؤدون إليهم حقوقهم الشرعية دون غلو أو جفاء .

بعد أن بيَّن شيخ الإسلام - رحمه الله - تلك الوسطية المحمودة التي يحبها الله ورسوله بيَّن أن أهل السُّنَّة والجماعة يتبرءون من طريقة الروافض والنواصب .

الروافض الذين امتلأت قلوبهم بغضاً للصحابة ﷺ وألسنتهم بسبهم ولعنهم وتكفيرهم إلا نفراً يسيراً ، وغلو في محبة أهل البيت غلواً فاحشاً حتى ألَّهوا عليًّا ابن أبي طالب رضي الله عنه ، واعتقدوا العصمة في أئمتهم وأنهم بلغوا مرتبة لم يبلغها نبي مرسل أو ملك مقرب ، بل أعطوهم كثيراً من صفات الله - سبحانه وتعالى - فحسبنا الله ونعم الوكيل .

كما أن أهل السُّنَّة يتبرءون من طريقة النواصب الذين نصبوا العداوة لأهل بيت رسول الله ﷺ وآذوهم بقول أو عمل .

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٩٢ - ٤٩٣) :**

اتفق أهل السُّنَّة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة ويتبرءون من الناصبة الذين يكفرون عليًّا بن أبي طالب ويفسِّقونه ، ويتنقصون بحرمة أهل البيت مثل من كان يعاديهم على الملك أو يعرض عن حقوقهم الواجبة أو يغلو في تعظيم

يزيد بن معاوية بغير الحق ، ويتبرءون من الرافضة الذين يطعنون على الصحابة وجمهور المؤمنين ويكفِّرون عامة صالحي أهل القبلة وهم يعلمون أن هؤلاء أعظم ذنباً وضلالاً من أولئك . ا هـ.

**أصل قول الرافضة :**

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٣٥٦) :**

**وأصل قول الرافضة**: أن النبي ﷺ نصَّ على عليٍّ بن أبي طالب نصاً قاطعاً للعذر، وأنه إمام معصوم ومن خالفه كفر ، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم ، واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيروا الشريعة ، وظلموا واعتدوا بل كفروا إلا نفراً قليلاً ، إما بضعة عشر أو أكثر .

**ثم يقولون** : إن أبابكر وعمر ونحوهما مازالا منافقين وقد يقولون : بل آمنوا ثم كفروا .

وأكثرهم يكفِّرون من خالف قولهم ويسمون أنفسهم المؤمنين ومن خالفهم كفاراً ويجعلون مدائن الإسلام التي لاتظهر فيها أقوالهم دار ردة ، أسوأ حالاً من مدائن المشركين والنصارى ، ولهذا يوالون اليهود والنصارى والمشركين على بعض جمهور المسلمين .

ومعاداتهم ومحاربتهم كما عرف من موالاتهم الكفار المشركين على جمهور المسلمين ، ومن موالاتهم الإفرنج النصارى على جمهور المسلمين ، ومن موالاتهم اليهود على جمهور المسلمين .

ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم ولاريب أنهم أبعد طوائف المبتدعة عن الكتاب والسُّنَّة ، ولهذا كانوا هم المشهورين عند العامة بالمخالفة للسُّنَّة .

فجمهور العامة لاتعرف ضد السني إلا الرافضي ، فإذا قال أحدهم أنا سُنِّي ، فإنما معناه لست رافضياً . ا هـ.

**بيـــان عجز الروافض عن دفع ظلم وبغي النواصب :**

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في منهاج السنَّة ( ٤ / ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ) :**

أما أهل السنَّة فأصلهم مطَّرد في هذا الباب ـ وغيره ـ وأما أنتم ـ أيها الروافض ـ فمتناقضون وذلك أن النواصب من الخوارج وغيرهم الذين يكفرون علياً أو يفسّقونه أو يشكون في عدالته من المعتزلة والمروانية وغيرهم لو قالوا لكم :

**مالدليل على إيمان عليّ وإمامته وعدله ؟**

لم يكن لكم حجة فإنكم إن احتججتم بما تواتر من إسلامه وعبادته قالوا لكم : وهذا متواتر عن الصحابة والتابعين والخلفاء الثلاثة وخلفاء بني أمية كمعاوية ويزيد ابن عبد الملك وغيرهم وأنتم تقدحون في إيمانهم فليس قدحنا في إيمان عليّ وغيره إلا وقد حكم في إيمان هؤلاء أعظم .

والذين تقدحون أنتم فيهم أعظم من الذين نقدح نحن فيهم .

وإن احتججتم بما في القرآن من الثناء والمدح قالوا : آيات القرآن عامة تتناول أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم ، مثل ما تتناول علياً أو أعظم من ذلك ، وأنتم قد أخرجتم هؤلاء من المدح والثناء ، فإخراجنا عليًّا أيسر .

**وإن قلتم بماجاء عن النبي ﷺ في فضائله قالوا :**

هذه الفضائل روتها الصحابة الذين رووا فضائل أولئك فإن كانوا عدولاً فاقبلوا الجميع ، وإن كانوا فُسَّاقاً فإن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ، وليس لأحد أن يقول في الشهود إنهم إن شهدوا لي كانوا عدولاً ، وإن شهدوا علي كانوا فساقاً .

أو إن شهدوا بمدح من أحببته كانوا عدولاً ، وإن شهدوا بمدح من أبغضته كانوا فساقاً .

وأما إمامة عليّ فهؤلاء ينازعونكم في إمامته هم وغيرهم، فإن احتججتم عليهم بالنص الذي تدعونه كان احتجاجهم بالنصوص التي يدعونها لأبي بكر معارضاً لذلك ، ولاريب عند كل من يعرف الحديث أن تلك أولى بالقبول والتصديق

وكذلك يستدل على تصديقها بدلالات كثيرة يعلمها من ليس من علماء أهل الحديث ، وإن احتججتم بمبايعة الناس له قالوا : من المعلوم أن الناس اجتمعوا على بيعة أبي بكر وعمر وعثمان ؛ أعظم مما اجتمعوا على بيعة عليّ .

وأنتم قد قدحتم في البيعة ، فالقدح في هذه أيسر .

فلا تحتجون على إمامة عليّ بنص ولا إجماع إلا كان مع أولئك من النص والإجماع ما هو أقوى من حجتكم فيكون إثبات خلافة من قدحتم في خلافته أولى من إثبات خلافة من أثبتم خلافته . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٤ / ٤٦٩-٤٧٢) :**

وأما الرافضي فلا يمكنه إقامة الحجة على من يبغض علياً من النواصب كما يمك ذلك أهل السنَّة الذين يحبون الجميع فإنه إن قال : إسلام عليّ معلوم بالتواتر ، ق له: وكذلك إسلام أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم وأنت تطعن في هؤلاء في إسلامهم وإما في عدالتهم .

فإن قال : إيمان عليّ ثبت بثناء النبي ﷺ قلنا له : هذه الأحاديث إنما نقا الصحابة الذين تطعن أنت فيهم ورواة فضائلهم : سعد بن أبي وقاص وعائ وسهل بن سعد الساعدي وأمثالهم ، والرافضة تقدح في هؤلاء .

فإن كانت رواية هؤلاء وأمثالهم ضعيفة بطل كل فضيلة تروى لعلي رضي الله عنه و يكن للرافضة حجة .

وإن كانت روايتهم صحيحة ثبتت فضائل علي وغيره ممن روى هؤلاء فضائل كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم .

فإن قال الرافضي : فضائل عليّ متواترة عند الشيعة كما يقولون : إن النص عليه بالإمامة متواتر.

قيل له : أما الشيعة الذين ليسوا من الصحابة فإنهم لم يروا النبي ﷺ وسمعوا كلامه ، ونقلهم نقل مرسل منقطع ، إن لم يسنده إلى الصحابة لم يكن صحيحاً .

والصحابة الذين تواليهم الرافضة نفر قليل ـ بضعة عشر وإما نحو ذلك ـ وهؤلاء لايثبت التواتر بنقلهم لجواز التواطؤ على مثل هذا العدد القليل .

والجمهور الأعظم من الصحابة الذين نقلوا فضائلهم تقدح الرافضة فيهم ، ثم إذا جوزوا على الجمهور الذين أثنى عليهم القرآن الكذب والكتمان فتجويز ذلك على نفر قليل أولى وأجوز .

**وأيضًا فإذا قال الرافضي :** إن أبا بكر وعمر عثمان كان قصدهم الرياسة والملك فظلموا غيرهم بالولاية .

**قال لهم :** هؤلاء لم يقاتلوا مسلماً على الولاية وإنما قاتلوا المرتدين والكفار وهم الذين كسروا كسرى وقيصر وفتحوا بلاد فارس وأقاموا الإسلام وأعزوا الإيمان وأهله وأذلوا الكفر وأهله .

وعثمان دون أبي بكر وعمر في المنزلة ومع ذلك فقد طلبوا قتله وهو في ولايته فلم يقاتل المسلمين ولاقتل مسلماً على ولايته .

فإن جوزت على هؤلاء أنهم كانوا ظالمين في ولايتهم أعداء الرسول كانت حجة الناصبي عليك أظهر ، وإذا أسأت القول في هؤلاء ونسبتهم إلى الظلم والمعاداة للرسول وطائفته كان ذلك حجة للخوارج والنواصب المارقين عليك .

**فإنهم يقولون :** أيما أولى أن ينسب إلى طلب الرياسة : من قاتل المسلمين على ولايته ولم يقاتل الكفار وابتدأهم بالقتال ليطيعوه وهم لايطيعونه ، وقتل من أهل القبلة الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويحجون البيت العتيق ، ويصومون شهر رمضان ، ويقرءون القرآن ألوفاً مؤلفة ، ومن لم يقتل مسلماً بل أعزوا أهل الصلاة والزكاة ونصروهم وآووهم . أومن قُتل وهو في ولايته لم يقاتل ولم يدفع عن نفسه حتى قتل في داره وبين أهله رضي الله عنه ؟ .

فإن جوزت على مثل هذا أن يكون ظالمًا للملك ظالماً للمسلمين بولايته ، فتجويزك هذا على من قاتل على الولاية وقتل المسلمين عليها أولى وأحرى .

وبهذا وأمثاله يتبين أن الرافضة أمة ليس لها عقل صريح ولا نقل صحيح ولادين مقبول ولادنيا منصورة ، بل هم من أعظم الطوائف كذبًا وجهلاً ودينهم يدخل على المسلمين كل زنديق ومرتد ، كما دخل فيهم النصيرية والإسماعيلية وغيرهم .

فإنهم يعمدون إلى خيار الأمة يعادونهم وإلى أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين يوالونهم ، ويعمدون إلى الصدق الظاهر المتواتر يدفعونه وإلى الكذب المختلف الذي يعلم فساده يقيمونه،فهم كما قال الشعبي وكان من أعلم الناس بهم: لو كانوا من البهائم لكانوا حمراً ولو كانوا من الطير لكانوا رخما . ا هـ .

الطعن في الصحابة طعن في القرآن والسُّنَّة والإسلام وفي رسول الله وحكمة الله.

## [ ١ ] أما كون ذلك طعناً في القرآن والسُنّة :

**فقد قال شيخ الاسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٤٣٠ ) :**

والقرآن قد أثنى على الصحابة في غير موضع كقوله : ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ .

[ التوبة : ١٠٠ ].

وقوله تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [ الحديد : ١٠ ] .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) ﴾ [ الفتح : ٢٩ ] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) ﴾ [ الفتح : ١٨ ] .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : ( **لايدخل النار أحد بايع تحت الشجرة** ) .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال :( **لاتسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده ، لو أن أحدكم أنفق مثل جبل أُحد ذهبًا ،ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه** ) .

وقد ثبت عنه في الصحيح من غير وجه أنه قال : ( **خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** ) .

وهذه الأحاديث مستفيضة بل متواترة في فضائل الصحابة وتفضيل قرونهم على من بعدهم من القرون ، فالقدح فيهم قدح في القرآن والسُّنَّة ، ولهذا تكلم الناس في تكفير الرافضة . ا هـ.

**وقال الإمام أبو زرعة الرازي كما في الكفاية للخطيب ص٤٩ :**

إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذ القرآن والسُنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليطلبوا الكتاب والسُّنَّة والجرح بهم أولى وهم زنادقة . اهـ .

**[ ٢ ] وأما كون ذلك طعناً في الاسلام .**

**فقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٤٢٩ ) :**

فهؤلاء ـ الصحابة ـ الذين نقلوا القرآن والإسلام وشرائع النبي ﷺ وهم الذين نقلوا فضائل عليّ وغيره .

**فالقدح فيهم يوجب أن لا يوثق بما نقلوه من الدين وحينئذ :**

فلاتثبت فضيلة لا لعلي ولا لغيره ،والرافضة جهال ليس لهم عقل ولانقل ولا دين ولا دنيا منصورة، فإنه لو طلب منهم الناصبي الذي يبغض عليًّا ويعتقد فسقه أو كفره كالخوارج وغيرهم،أن يثبتوا إيمان عليّ وفضله،لم يقدروا على ذلك بل تغلبهم الخوارج، فإن فضائل علي إنما نقلها الصحابة الذين تقدح فيهم الرافضة فلا يتيقن له

فضيلة معلومة على أصلهم . ا هـ.

## [ ٣ ] أما كون ذلك طعناً في رسول الله ﷺ :

**فقد قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٤٢٩ ) :**

القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول قدح في الرسول ﷺ كما قال مالك وغيره من أئمة العلم : هؤلاء طعنوا في أصحاب رسول الله ﷺ ، إنما طعنوا في أصحابه ليقول القائل : رجل سوء كان له أصحاب سوء ، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين . ا هـ.

## [ ٤ ] أما كون ذلك طعنا في حكمة الله :

من جهة أن الله بعث محمداً ﷺ في شرار الخلق كما تزعم الرافضة واختارهم لصحبة نبيه وتبليغ دينه وحمل شريعته ، بل الطعن في الصحابة ولعنهم وتكفيرهم تكذيب لله - سبحانه وتعالى - في ثنائه عليهم ووعده العظيم لهم بقوله : ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١)** ﴾ [ التوبة : ١٠٠ ].

**قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية :**

فقد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان فياويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد رسول الله ﷺ ، وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم ، وأما أهل السُّنَّة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ، ويعادون من يعادي الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبتدون ، ولهذا هم حزب الله المفلحون وعباده المؤمنون . ا هـ.

## سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٩٠) :**

لم يظهر اسم الرفض إلا حين خرج زيد بن علي بن الحسين بعد المئة الأولى لما أظهر الترحم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رفضته الرافضة فسموا : « رافضة » واعتقدوا أن أبا جعفر هو الإمام المعصوم واتبعه آخرون فسموا زيدية نسبة إليه . ا هـ.

فصل في تكفير الرافضة لخيار الصحابة الأكرمين وسادات العلماء والربانيين وإعانتهم للكفار على المسلمين .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٤٧٧-٤٨٤) :**

والرافضة كفَّرت أبا بكر وعمر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار،والذين اتبعوهم بإحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفَّروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين .

فيكفِّرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم أو يستغفرون لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم .

ولهذا يكفِّرون أعلام الملة مثل سعيد بن المسيب وأبي مسلم الخولاني وأويس القرني ، وعطاء بن أبي رباح وإبراهيم النخعي ، ومثل مالك والأوزاعي وأبي حنيفة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والثوري والشافعي وأحمد بن حنبل وفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري ، وغير هؤلاء .

ويستحلون دماء من خرج عنهم ، ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور ، كما يسميه المتفلسفة ونحوهم بذلك ، وكما تسميه المعتزلة مذهب الحشو ، والعامة وأهل الحديث .

ويرون في أهل الشام ومصر والحجاز والمغرب واليمن والعراق والجزيرة وسائر بلاد

الإسلام أنه لايحل نكاح هؤلاء ولا ذبائحهم وأن المائعات التي عندهم من المياه والأدهان وغيرها نجسة .

ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى لأن أولئك عندهم كفار أصليون ، وهؤلاء مرتدون ، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي .

ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين فيعاونون التتار على الجمهور .

وهم كانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيز خان ملك الكفار إلى بلاد الإسلام وفي قدوم هولاكو إلى بلاد العراق وفي أخذ حلب ونهب الصالحية ، وغير ذلك بخبثهم ومكرهم لما دخل فيه من توزر منهم للمسلمين وغير من توزر منهم .

وبهذا السبب نهبوا عسكر المسلمين لما مر عليهم وقت انصرافه إلى مصر في النوبة الأولى . وبهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين .

وبهذا السبب ظهر فيهم من معاونة التتار والإفرنج على المسلمين والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام .

وكذلك لما فتح المسلمون الساحل ـ بعكة وغيرها ـ ظهر فيهم من الانتصار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم .

وكل هذا الذي وصفت بعض أمورهم وإلا فالأمر أعظم من ذلك .

وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إليها ، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين ممن ينتسب إلى أهل القبلة ، إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم .

فهم أشد ضرراً على الدين وأهله ، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج والحرورية . ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة ، فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذبًا ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم ، وسيما النفاق فيهم أظهر منه في سائر الناس ، وهي التي قال فيها النبي ﷺ : ( **آية المنافق ثلاث :**

**إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان )** ، وفي رواية : **( أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذاحدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذاخاصم فجر)** .

وكل من جربهم يعرف اشتمالهم على هذه الخصال ولهذا يستعملون التقية التي هي سمة المنافقين واليهود ويستعملونها مع المسلمين ﴿ **تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)** ﴾ [ المائدة : ٨٠ - ٨١ ] .

وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة لاسيما السامرة من اليهود فإنهم أشبه بهم من سائر الأصناف يشبهونهم في دعوى الإمامة في شخص أو بطن بعينه .

والتكذيب لكل ماجاء بحق غيره يدعونه . وفي اتباع الأهواء وتحريف الكلم عن مواضعه وتأخير الفطر وصلاة المغرب وغير ذلك وتحريم ذبائح غيرهم .

ويشبهون النصارى في الغلو في البشر والعبادات المبتدعة وفي الشرك وغيرذلك وهم يوالون اليهود والنصارى والمشركين على المسلمين وهذه شيم المنافقين .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ [ المائدة : ٥١ ] .

وقال تعالى : ﴿ **تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠) وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)** ﴾ [المائدة : ٨٠ - ٨١ ] .

وليس لهم عقل ولا نقل ولادين صحيح ولادنيا منصورة وهم لا يصلون جمعة ولا جماعة ، والخوارج كانوا يصلون جمعة وجماعة وهم لا يرون جهاد الكفار مع أئمة المسلمين ولا الصلاة خلفهم ، ولا طاعتهم في طاعة الله، ولا تنفيذ شيء من

أحكامهم لاعتقادهم أن ذلك لا يسوغ إلا خلف إمام معصوم .

ويرون أن المعصوم قد دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة وهو إلى الآن لم يخرج ولارآه أحد ولا علَّم أحداً ديناً ولا حصل به فائدة بل مضرة .

ومع هذا فالإيمان عندهم لايصح إلا به ولايكون مؤمناً إلامن آمن به ولا يدخل الجنة إلا أتباعه . . . إلى أن قال ـ رحمه الله ـ :

وأكثر محققيهم ـ عندهم ـ يرون أن أبابكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار وأزواج النبي مثل عائشة وحفصة وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ماآمنوابالله طرفة عين قط لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله كما يقوله بعض علماء السُّنَّة .

ومنهم من يرى أن فرج النبي ﷺ الذي جامع به عائشة وحفصة لابد أن تمسه النار ليطهر بذلك من وطيء الكوافر ـ على زعمهم ـ لأن وطيء الكوافر حرام عندهم .

ومع هذا يردون أحاديث رسول الله ﷺ الثابتة المتواترة عنه عند أهل العلم مثل أحاديث البخاري ومسلم .

**ويرون أن شعر شعراء الرافضة مثل :** الحميري وكوشيار الديلمي وعمارة اليمني خيراً من أحاديث البخاري ومسلم .

وقد رأينا في كتبهم من الكذب والافتراء على النبي ﷺ وصحابته وقرابته أكثر ممارأينا من الكذب في كتب أهل الكتاب من التوراة والإنجيل .

وهم مع هذا يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلا يقيمون فيها جمعة ولاجماعة،ويبنون على القبور المكذوبة وغير المكذوبة مساجد يتخذونها مشاهد ،وقد لعن رسول الله ﷺ من اتخذ المساجد على القبور ونهى أمته عن ذلك .

وقال قبل أن يموت بخمس: **(إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك )** .

ويرون أن حج هذه المشاهد المكذوبة وغير المكذوبة من أعظم العبادات حتى إن

من مشائخهم من يفضلها على حج البيت الذي أمر الله به رسوله . ووصف حالهم يطول .

فبهذا يتبين أنهم شر من عامة أهل الأهواء وأحق بالقتال من الخوارج .

وهذا هو السبب فيما شاع من العرف العام أن أهل البدع هم الرافضة .

فالعامة شاع عندها أن ضد السني هو الرافضي فقط لأنهم أظهر معاندة لسنة رسول الله ﷺ وشرائع دينه من سائر أهل الأهواء ... إلى أن قال ـ رحمه الله ـ :

وأيضا فغالب أئمتهم زنادقة إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام كما فعلته أئمة الملاحدة الذين خرجوا بأرض أذربيجان في زمن المعتصم مع بابك الخرمي وكانوا يسمون : ( الخرمية ) و ( المحمرة ) و القرامطية الباطنية الذين خرجوا بأرض العراق وغيرها بعد ذلك .

وأخذوا الحجر الأسود وبقي معهم مدة كأبي سعيد الجنابي وأتباعه .

والذين خرجوا بأرض المغرب ثم جاوزوا إلى مصر وبنوا القاهرة وادعوا أنهم فاطميون مع اتفاق أهل العلم بالأنساب أنهم بريئون من نسب رسول الله ﷺ وأن نسبهم متصل بالمجوس واليهود واتفاق أهل العلم بدين رسول الله ﷺ أنهم أبعد عن دينه من اليهود والنصارى .

بل الغالية الذين يعتقدون إلاهية علي و الأئمة .

ومن أتباع هؤلاء الملاحدة أهل دور الدعوة الذين كانوا بخراسان والشام واليمن وغير ذلك. وهؤلاء من أعظم من أعان التتار على المسلمين باليد واللسان بالموازرة والولاية وغير ذلك لمباينة قولهم لقول المسلمين واليهود والنصارى ولهذا كان ملك الكفار هولاكو يقرر أصنامهم . اهـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة (٣ / ٣٧٧-٣٧٨) :**

وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موادته للمسلمين .

ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم

ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين ، ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثالة كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين ، وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين ، وكذلك الذين قاتلهم المسلمون بالشام كانت الرافضة من أعظم أعوانهم .

وكذلك إذا صار اليهود دولة في العراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم ، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ، ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم . ا هـ.

**وقال أيضا في منهاج السُّنَّة (٧ / ٤١٤-٤١٧) :**

الرافضة يوالون أعداء الدين ، الذين يعرف كل أحد معاداتهم ، من اليهود والنصارى والمشركين : مشركي الترك ، ويعادون أولياء الله الذين هم خيار أهل الدين ، وسادات المتقين ، وهم الذين أقاموه وبلغوه ونصروه .

ولهذا كان الرافضة من أعظم الأسباب في دخول الترك الكفار إلى بلاد الإسلام .

وأما قصة الوزير ابن العلقمي وغيره كالنصير الطوسي مع الكفار وممالأتهم على المسلمين ؛ فقد عرفها الخاصة والعامة .

**وكذلك من كان منهم بالشام :** ظاهروا المشركين على المسلمين ، وعاونوهم معاونة عرفها الناس .

وكذلك لما انكسر عسكر المسلمين ، لما قدم غازان ظاهروا الكفار النصارى وغيرهم من أعداء المسلمين ، وباعوهم أولاد المسلمين - بيع العبيد - وأموالهم وحاربوا المسلمين محاربة ظاهرة ، وحمل بعضهم راية الصليب .

وهم كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديماً على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم .

وقد دخل فيهم أعظم الناس نفاقاً من النصيرية والإسماعيلية ونحوهم ، ممن هو

أعظم كفراً في الباطن ، ومعاداة لله ورسوله من اليهود والنصارى .

فهذه الأمور وأمثالها مما هي ظاهرة مشهورة يعرفها الخاصة والعامة توجب ظهور مباينتهم للمسلمين ومفارقتهم للدين ودخولهم في زمرة الكفار والمنافقين ، حتى يعدهم من رأى أحوالهم جنساً آخر غير جنس المسلمين ، فإن المسلمين الذين يقيمون دين الإسلام في الشرق والغرب ، قديماً وحديثاً ، هم الجمهور ، والرافضة ليس لهم سعي إلا في هدم الإسلام ونقض عراه وإفساد قواعده ، والقدر الذي عندهم من الإسلام إنما قام بسبب قيام الجمهور به .

ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة ، ومن يحفظه حفظاً جيداً فإنما تعلمه من أهل السُّنَّة ، وكذلك الحديث إنما يعرف ويصدق فيه ويؤخذ عن أهل السُّنَّة ، وكذلك الفقه والعبادة والزهد والجهاد والقتال إنما هو لعساكر أهل السُّنَّة ، وهم الذين حفظ الله بهم الدين علماً وعملاً ، بعلمائهم وعبّادهم ومقاتليهم .

والرافضة من أجهل الناس بدين الإسلام ، وليس للإنسان منهم شيء يختص به إلا ما يسر عدو الإسلام ويسوء وليه ، فأيامهم في الإسلام كلها سود .

وأعرف الناس بعيوبهم وممادحهم أهل السُّنَّة ، لا تزال تطلع على أمور غيرها عرفتها ، كما قال تعالى في اليهود ﴿ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ [ المائدة : ١٣ ] .

ولو ذكرت بعض ما عرفته منهم بالمباشرة ونقل الثقات ، وما رأيته في كتبهم لاحتاج ذلك إلى كتاب كبير .

وهم الغاية في الجهل وقلة العقل ، يبغضون من الأمور مالا فائدة لهم في بغضه ، ويفعلون من الأمور مالا منفعة لهم فيه إذا قُدّر أنهم على حق مثل نتف النعجة ، حتى كأن لهم عليها ثأراً ، كأنهم ينتفون عائشة ، وشق جوف الكبش كأنهم يشقون جوف عمر ، فهل فعل هذا أحد من طوائف المسلمين بعدوه غيرهم ؟! .

ولو كان مثل هذا مشروعاً لكان بأبي جهل وأمثاله أولى .

ومثل كراهتهم للفظ العشرة لبغضهم للرجال العشرة .

وقد ذكر الله لفظ العشرة في غير موضع من القرآن ، كقوله : ﴿ وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② ﴾ [ الفجر: ١-٢ ] ، وقوله : ﴿ وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ ﴾ [ الأعراف : ١٤٢ ] ، ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [ البقرة : ١٩٦ ] .

وأما التسعة فذكرها في معرض الذم كقوله : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ㊽ ﴾ [ النمل : ٤٨ ] ، فهل كره المسلمون التكلم بلفظ التسعة لأجل أولئك التسعة ، وهم يختارون التكلم بلفظ التسعة على لفظ العشرة ؟!.

وكذلك كراهيتهم لأسماء سمي بها من يبغضونه ، وقد كان من الصحابة من تسمى بأسماء تسمى بها عدو الإسلام، مثل الوليد الذي هو الوحيد وكان ابنه من خيار المسلمين واسمه الوليد ، وكان النبي ﷺ يقنت له في الصلاة ويقول: ( **اللهم نجّ الوليد بن الوليد** ) كما رواه أهل الصحيحين .

ومثل أبيّ بن خلف الذي قتله النبي ﷺ ، وفي المسلمين أبيّ بن كعب وغيره ، ومثل عمرو بن ود [ العامري ] وفي الصحابة عمرو بن أمية وعمرو بن العاص ، ومثل هذا كثير .

ولم يغير النبي ﷺ اسم رجل من الصحابة لكون كافر سمي به .

فلو قدر كفر من يبغضونه لكان كراهتهم لمثل أسمائهم في غاية الجهل ، مع أن النبي ﷺ كان يدعوهم بها . ا هـ.

**وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الرافضة في المنار المنيف ص (٧٥ ) :**

ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم وضحكة يسخر منهم كل عاقل . ا هـ.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون : إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ماهو كذب ومنها ماقد زيد فيه ونقص وغيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون ، إما مجتهدون مصيبون ،وإما مجتهدون مخطئون .

وهم مع ذلك لايعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل مايوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر .حتى إنهم يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم .وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون ، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم .

ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته . أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه . فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين ، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا لهم أجر واحد ، والخطأ مغفور ثم القدر الذي ينكر من فعلهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح .

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لاكان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله .

أنقل في هذا الموضع كلام العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرحه للواسطية على هذه الفقرة ، فقد أجاد وأفاد ، ووفى بالمراد ، ثم أنقل من كلام أئمة السلف ما يؤيد ما قاله شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ .

**قال العلامة الفوزان ص (١٥٣ ـ ١٥٤):**

بيّن الشيخ ـ رحمه الله ـ موقف أهل السُّنَّة والجماعة من الاختلاف الذي وقع بين الصحابة في وقت الفتنة والحروب التي حصلت بينهم وموقفهم مما ينسب إلى

الصحابة من مساوىء ومثالب اتخذها أعداء الله سبباً للوقيعة فيهم والنيل منهم كما حصل من بعض المتأخرين والكتاب العصريين الذين جعلوا أنفسهم حكماً بين أصحاب رسول الله ﷺ فصوّبوا وخطّئوا بلا دليل بل باتباع الهوى وتقليد المغرضين الذين يحاولون الدّس على المسلمين بتشكيكهم بتاريخهم المجيد وسلفهم الصالح ، الذي هم خير القرون لينفذوا من ذلك إلى الطعن في الإسلام ، وتفريق كلمة المسلمين.

وما أحسن ماذكره الشيخ هنا من تجلية الحق وإيضاح الحقيقة ، فقد ذكر أن موقف أهل السُّنَّة مما نسب إلى الصحابة وما شجر بينهم - أي تنازعوا فيه - يتلخص في أمرين :

**الأمر الأول :** أنهم يمسكون عما شجر بين الصحابة ، أي يكفون عن البحث فيه ولا يخوضون فيه لما في الخوض في ذلك من توليد الإحن والحقد على أصحاب رسول الله ﷺ وذلك من أعظم الذنوب .

فطريق السلامة هو السكوت عن ذلك وعدم التحدث به .

**والأمر الثاني :** الاعتذار عن الآثار المروية في مساويهم لأن في ذلك دفاعاً عنهم ورداً لكيد أعدائهم ، وقد ذكر أن جملة الاعتذارات تتلخص فيمايلي :

( ١ ) ( هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ) قد افتراه أعداؤهم ليشوهوا سمعتهم كما تفعل الرافضة - قبحهم الله - والكذب لا يلتفت إليه .

( ٢ ) هذه المساوىء المروية ( منها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه الصحيح ) ودخله الكذب فهو محرف لا يعتمد عليه لأن فضل الصحابة معلوم وعدالتهم متيقنة فلا يترك المعلوم المتيقن لأمر محرف مشكوك فيه .

( ٣ ) ( والصحيح منه ) أي من هذه الآثار المروية ( هم فيه معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون ) فهو من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ،لما في الصحيح عن أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ( **إذا اجتهد الحاكم فأصاب ، فله أجران ، وإن**

**اجتهد وأخطأ ، فله أجر واحد )** .

( ٤ ) أنهم بشر يجوز على أفرادهم ما يجوز على البشر من الخطأ فأهل السُّنَّة : (لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ) لكن مايقع منهم من ذلك فله مكفرات عديدة منها :

**[ أ ]** أن ( لهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ) فما يقع من أحدهم يغتفر بجانب ماله من الحسنات العظيمة ،كما في قصة حاطب لما وقع منه ما وقع في غزوة الفتح غفر له بشهوده وقعة بدر ( حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لايغفر لمن بعدهم،لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ماليس لمن بعدهم )وقد قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [ هود:١١٤ ] .

**[ ب ]** أنهم تضاعف لهم الحسنات أكثر من غيرهم ولايساويهم أحد في الفضل ( وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون،وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أُحد ذهباً ممن بعدهم ) ، أخرج الشيخان وغيرهما أحاديث عن أبي هريرة وابن مسعود وعمران بن حصين، أن رسول الله ﷺ قال: ( **خير القرون قرني ثم الذين يلونهم** ) الحديث ، والقرون جمع قرن،والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الأمور المقصودة، ويطلق القرن على المدة من الزمان .

**[ ج ]** كثرة مكفرات الذنوب لديهم فإنهم يتوفر لهم من المكفرات مالم يتوفر لغيرهم ( فإذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أوأتى بحسنات تمحوه أوغفر له بفضل سابقته ) أي : الأعمال الصالحة التي أسبقها قبله ( أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء من الدنيا كفر به عنه ) أى امتحن وأصيب بمصيبة محي عنه ذلك الذنب بسببها ، كما في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : ( **ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفَّر الله بها من خطاياه** ) . متفق عليه .

والصحابة أولى الناس بذلك .

قال: ( فإذا كان هذا في الذنوب المحققة ) أي: الواقعة منهم فعلاً وأن لديهم رصيداً من الأعمال الصالحة التي تكفرها ، ( فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين ).

الاجتهاد : هو بذل الطاقة في معرفة الحكم الشرعي ( **إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد** ) والخطأ مغفور كما سبق بيان دليل ذلك قريباً وإذاً فما يصدر من الصحابي من خطأ على قلّته هو بين أمرين :

**الأول :** أن يكون صدر عن اجتهاد وهو فيه مأجور وخطؤه مغفور .

**والثاني :** أن يكون صدر عن غير اجتهاد وعنده من الأعمال والفضائل والسوابق الخيرة ما يكفره ويمحوه ، وقوله : ( ثم الذي ينكر من فعل بعضهم ... الخ ) هو كالتلخيص لما سبق .

## وبيان فضائل الصحابة إجمالاً هي :

( ١ ) الإيمان بالله ورسوله ، وهو أفضل الأعمال .

( ٢ ) الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وهو ذروة سنام الإسلام .

( ٣ ) الهجرة في سبيل الله ، وهي من أفضل الأعمال .

( ٤ ) النصرة لدين الله ، قال الله تعالى فيهم : ﴿ **وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾ [ الحشر : ٨ ] .

( ٥ ) العلم النافع والعمل الصالح .

( ٦ ) أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، فأمة محمد ﷺ خير الأمم ،كما قال الله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ** ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ] ، وخير هذه الأمة صحابة رسول الله، لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ :( **خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم** ) الحديث .

( ٧ ) أنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله،كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد : أن النبي ﷺ قال: ( **أنتم توفون سبعين أمة**

**أنتم خيرها وأكرمها على الله سبحانه** ) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه . ا هـ.

**وهاك الآن كلام الإئمة الموافق لما قرره شيخ الإسلام - رحمه الله - :**

**قال الإمام أحمد - رحمه الله - في كتابه السُّنَّة :**

ومن السُّنَّة ذكر محاسن أصحاب محمد ﷺ كلهم أجمعين والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سبَّ أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم، فهو مبتدع رافضي. حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضلية. ا هـ.

**قال الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - في رسالة أهل الثغر ص (٣٠٣ / ٣٠٤) :**

وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة رضي الله عنهم إلا بخير ما يذكرون به ، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج ، وأن نظن بهم أحسن الظن وأحسن المذاهب ، ممتثلين في ذلك لقول رسول الله ﷺ : ( **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا** ) وقال أهل العلم : ومعنى ذلك لا تذكروهم إلا بخير الذكر . ا هـ.

**وقال - رحمه الله - في آخر الإبانة ص ١٧٨ - ١٧٩ :**

فأما ما جرى بين عليّ والزبير وعائشة - رضي الله عنهم أجمعين - فإنما كان على تأويل واجتهاد وعلي الإمام ، وكلهم من أهل الاجتهاد ، وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة ، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان على تأويل واجتهاد .

وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدِّيْن وقد أثنى الله على جميعهم ، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم ، والتبري من كل من ينقص أحداً منهم رضي الله عنهم جميعهم . ا هـ.

**وقال القاضي عياض - رحمه الله - في الشفا (٢ / ٥٢-٥٣) :**

ومن توقيره وبره ﷺ توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم، والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم، والإمساك عما شجر بينهم، ومعاداة من عاداهم

والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم،وأن يُلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات، ويخرج لهم أصوب المخارج، إذ هم أهل ذلك،ولا يذكر أحد منهم بسوء ولايغمض عليه أمر،بل نذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرتهم، ويسكت عما وراء ذلك ، كما قال الرسول ﷺ : ( **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا** ) . ا هـ.

**وقال الإمام ابن بطة العكبري ـ رحمه الله ـ في الإبانة الصغرى ص٢٩٤ :**

نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل،فقد غفر الله لهم،وأمرك بالاستغفار لهم،والتقرب إليه بمحبتهم وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم ، وأنهم سيقتتلون وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم، وكل ماشجر بينهم مغفور لهم . ا هـ.

**وقال الإمام الطحاوي ـ رحمه الله ـ في عقيدته المشهورة :**

ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولانفرط في حب أحد منهم ،ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان و، بغضهم كفر ونفاق وطغيان . ا هـ.

**وقال ابن أبي زيد القيرواني ـ رحمه الله ـ في مقدمة الرسالة :**

ولايذكر أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا بأحسن ذكر ،والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن تلتمس لهم المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب . ا هـ.

**وقال الإمام أبو إسماعيل الصابوني ـ رحمه الله ـ في عقيدة أصحاب الحديث :**

ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر مايتضمن عيباً لهم ونقصاً فيهم،ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم. ا هـ.

**وقال أبو عمر الداني ـ رحمه الله ـ في الرسالة الوافية ص١٣٢ :**

ومن قولهم أن يحسن القول في السادات الكرام أصحاب محمد ﷺ، وأن تذكر فضائلهم وتنشر محاسنهم ، ويمسك عما سوى ذلك مما شجر بينهم ، لقوله ﷺ :

( **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا** ) يعني إذا ذكروا بغير الجميل .

ولقوله : ( **الله الله في أصحابي** ) ويجب أن يلتمس لهم أحسن المخارج وأجمل المذاهب لمكانهم من الإسلام وموضعهم من الدين والإيمان، وأنهم أهل الرأي والاجتهاد ، وأنصح الناس للعباد ، وهم من قال الله تعالى فيهم : ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴿٤٧﴾ ﴾ [ الحجر : ٤٧ ] .

وقد شهد لهم بالجنة في غير موضع من كتابه فقال تعالى ﴿ **لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴿٨٨﴾ **أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴿٨٩﴾ ﴾ [ التوبة : ٨٨- ٨٩] ، رحمة الله عليهم أجمعين . اهـ.

**وقال الشيخ يحي بن أبي بكر العامري ـ رحمه الله ـ في كتابه :** الرياض المستطابة في من له رواية في الصحيحين من الصحابة ص ( ٣١١ ) :

وينبغي لكل صيِّن متديِّن مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر والاعتذار عن مخطئهم،وطلب المخارج الحسنة لهم،وتسليم صحة إجماع ما أجمعوا عليه على ماعلموه، فهم أعلم بالحال،والحاضر يرى مالا يرى الغائب، وطريقة العارفين الاعتذارعن المعائب،وطريقة المنافقين تتبع المثالب،وإذا كان اللازم من طريقة الدين ستر عورات المسلمين،فكيف الظن بصحابة خاتم النبيين مع اعتبار قوله ﷺ : ( **لاتسبوا أحدا من أصحابي** ) وقوله : ( **من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه** ) .

هذه طريقة صلحاء السلف وما سواها مهاوٍ وتلف . اهـ.

**وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في مختصر السيرة ص٢٣٠:**

وأجمع أهل السُّنَّة على السكوت عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم ، ولايقال فيهم إلا الحسنى ، فمن تكلم في معاوية أو في غيره فقد خرج عن الإجماع ، والله سبحانه وتعالى أعلم . اهـ.

رضي الله عن الصحابة أجمعين وأرضاهم ، وأقمأ من أبغضهم وعاداهم .

## ومن أصول أهل السُّنة التصديق بكرامات الأولياء ،وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات،وأنواع القدرة والتأثيرات

من أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة التي خالفوا بها أهل البدع أهل الإفراط والتفريط التصديق بكرامات الأولياء وما يجريه الله على أيديهم من خوارق العادات، فإن من أهل البدع من أنكر كرامات الأولياء ومنهم من جعل ما يصدر عن السحرة والفسقة والملاحدة ورؤوس البدع والضلال من هذا الباب ، جهلا أو تلبيساً.

**والكرامة لغة :** اسم يوضع للإكرام كما في لسان العرب ( ١٢ / ٥١٢ ) .

**والولي في اللغة :** من الوَلْي وهو القرب،كما أن العدو من العَدْو وهو البعد،فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعته . ا هـ. مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية ( ١ / ٥٠ ) .

وأولياء الله هم كل من جمع بين الإيمان والتقوى، فمن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً قال تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)** ﴾ [ يونس : ٦٢ – ٦٣ ] .

الولاية تقوى بقوة الإيمان ، والتقوى تضعف بضعفها .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في الفرقان ص ( ٢٤ ) :**

وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى ، كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله ـ عز وجل ـ بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ص٣٩ :**

وإذا كان العبد لايكون وليًا لله إلا إذا كان مؤمناً تقياً لقوله تعالى : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣)** ﴾ .

وفي صحيح البخاري الحديث المشهور يقول الله تبارك وتعالى فيه : ( **ولايزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه** ) ولايكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين ثم بعد ذلك لايزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين، فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون وليًّا لله ، وكذلك من لايصح إيمانه وعباداته . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ص٤١ :**

وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً ، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ظفره، إذا كان مباحاً كما قيل :

كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عباء. ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ص٤٨ :**

وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لايغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ومما نهى الله عنه. ا هـ.

## الأنبياء أفضل من الأولياء بالإجماع :

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في الفرقان ص ( ٦٢ ) :**

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم بأربع مراتب فقال تعالى : ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا** ﴿٦٩﴾ ﴾ [ النساء ٦٩ ] . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ ص ( ٧٢ ) :**

ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله ، لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهذا كافر ملحد .

وإذا قال : أنا محتاج إلى محمد ﷺ في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب . ا هـ.

**وقال ص٧٣:**

**وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبسون على الناس فيقولون:**

ولايته أفضل من نبوته وينشدون :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويقولون : نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم ، فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد لا إبراهيم ولا موسى فضلاً عن أن يماثله فيها هؤلاء الملحدون .

وكل رسول نبي ولي ، فالرسول نبي ولي ، رسالته متضمنة لنبوته ، ونبوته متضمنة لولايته .

وإذا قدروا مجرد إنباء الله إياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع، فإنه حال إنبائه إياه ممتنع أن يكون إلا ولياً لله، ولاتكون مجردة عن ولايته ، ولو قدرت مجردة لم يكن أحداً مماثلاً للرسول في ولايته . ا هـ.

## كرامات الأولياء إنما حصلت ببركة اتباع الأنبياء

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في الفرقان ص (١٢٠) :**

وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ تعالى في المصدر السابق :**

فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ ،فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بيّن لهم أن يتبعوه فيه،فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين. ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في الفرقان ( ٢٠ ) :**

فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان . ا هـ.

وقال ـ رحمه الله ـ تعالى في المصدر السابق: ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم مابلغ ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ولا ولي لله تعالى . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله تعالى ـ :**

وقد اتفق العلماء أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء ، لم تثبت له ولاية بل ولا إسلام حتى ينظر في وقوفه على الأمر والنهي، الذي بعث الله به الرسول ﷺ . ا هـ.

**وقال في الفرقان ص٦١ :**

اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه. ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله تعالى ـ في الفرقان ص ( ١٢ ) :**

ومن حين بعثه الله جعله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون ولياً لله إلا من آمن به وبما جاء به واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [ آل عمران : ٣١ ] .

**قال الحسن البصري ـ رحمه الله ـ :** ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم ، وقد بيَّن الله فيها أن من اتبع الرسول فإن الله يحبه ، ومن ادعى محبة الله ولم يتبع الرسول ﷺ فليس من أولياء الله .

وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم أولياء الله ، ولايكونون من أولياء الله ، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله ، وأنه لايدخل الجنة إلا من كان منهم ، بل يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ** ﴾ [ المائدة : ١٨ ] .

و قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [البقرة : ١١١-١١٢] .

وكان مشركوا العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[المؤمنون: ٦٦-٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٠-٣٤] .

فبيَّن ـ سبحانه ـ أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته إنما أولياؤه المتقون . ا هـ.

## أنـــــواع الكرامات :

**الكرامات على أنواع فمنها :**

ما يكون لحجة في الدين وذلك بتأييد الله لوليه وخرق العادة له لإظهاره على أعداء الله وإقامة دين الله وإحقاق الحق وإبطال الباطل .

ومنها ما يكون لحاجة المسلمين بتفريج كرباتهم وإجابة دعواتهم ودفع عدوهم وما أشبه ذلك ، فيحصل لهم بسبب ذلك من قوة الإيمان والثبات عليه شيئ كثير.

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في الفرقان ص ( ١٢٠ ) :**

وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ تعالى ص ( ١٢٨ ) :**

ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لالنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثرمنها في الصحابة بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة . ا هـ.

**ونستفيد من كلام شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ إضافة إلى ماسبق :**

( ١ ) أنه لاتلازم بين الولاية والكرامة ، فقد يكون العبد من أولياء الله ولاتحصل له كرامة مع حصولها لمن هو دونه لعلو درجته وغناه عن الكرامة .

( ٢ ) أن من أعظم أولياء الله درجة من يجري الله على يديه الخوارق لهداية الخلق ولحاجتهم .

## أقسام الناس في خوارق العادات :

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في الفرقان ص ( ١٣٩ ـ ١٤٠ ) :**

**والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام :**

قسم يكذب وجود ذلك لغير الأنبياء وربما صدق به مجملاً وكذب ما يذكر له عن كثير من الناس لكونه عنده ليس من الأولياء .

ومنهم من يظن أن كل ماكان له نوع من خرق العادة كان ولياً لله ، وكلا الأمرين خطأ ، ولهذا نجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أولياء الله ، وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة.

**والصواب القول الثالث :** وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله ـ عز وجل ـ كما قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ [ المائدة : ٥١ ] .

وهؤلاء العباد الزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسُّنَّة تقترن بهم الشياطين فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً ، وإذا حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم ولابد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً .

ومن الإثم مايناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين، قال الله تعالى : ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢)** ﴾ [ الشعراء : ٢٢١-٢٢٢ ] .

والأفاك : الكذاب ، والأثيم : الفاجر .

ومن أعظم مايقوي الأحوال الشيطانية سماع الغناء والملاهي،وهو سماع المشركين قال الله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ [ الأنفال : ٣٥ ] .

**قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السلف :**

التصدية : التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصفير ، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك من الاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط لا بكف ولا بدف، ولا تواجد ولا سقطت بردته ، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه . ا هـ.

**خوارق العادات قد تجري على أيدي بعض الكفار والمنافقين والمبتدعين :**

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ تعالى في الفرقان ص٦١-٦٤ :**

وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها وليا لله فقد يكون عدواً لله فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين، فلايجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل

عليها الكتاب والسُّنَّة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن ،وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة .

**مثال ذلك:** أن الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لايتوضأ ولايصلي الصلوات المكتوبة بل يكون ملابسًا للنجاسات معاشرًا للكلاب يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل رائحته خبيثة لايتطهر الطهارة الشرعية ولايتنظف ، وقد قال النبي ﷺ : ( **لا تدخل الملائكة بيتًا فيه جُنب ولا كلب** ) .

وقال عن هذه الأخلية ( **إن هذه الحشوش محتضرة** ) أي يحضرها الشيطان .

وقال : ( **من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم** ) وقال : ( **إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا** ) .

وقال : ( **إن الله نظيف يحب النظافة** ) وقال : ( **خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم ، الحية، والفأرة ، والحدأة ، والكلب العقور** ) وفي رواية ( **الحية والعقرب** ) وأمر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بقتل الكلاب .

وقال: ( **من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً ، نقص من عمله كل يوم قيراط** ) ، وقال : ( **لاتصحب الملائكة رفقة معهم كلب** ) ، وقال : ( **إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم ، فليغسله سبع مرات ، إحداهن بالتراب** ) .

وقال تعالى : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)** ﴾ .

[الأعراف : ١٥٦-١٥٧] .

فإذا كان الشخص مباشرًا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان ، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين ، أويأكل الحيات والعقارب والزنابير

وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ولايخلص الدين لرب العالمين ، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوي على المقابر ولاسيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أوالمشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان لاعلامات أولياء الرحمن . اهـ.

**الفرق بين كرامات أولياء الرحمن وبين ما يشبهها من خوارق وأحوال أولياء الشيطان .**

**الفروق بينهما كثيرة منها :**

( ١ ) أن كرامات الأولياء سببها : الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية سببها ، مانهى الله عنه ورسوله .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في الفرقان ص ( ١٣٢ - ١٣٨ ) :**

**وبين كرامات الأولياء وبين مايشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة منها :**

أن كرامات الأولياء سببها : الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية سببها : ما نهى الله عنه ورسوله .

وقد قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣)** ﴾ [الأعراف : ٣٣ ] .

فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها ، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأمور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات ، أو كانت مما يُستعان بها على ظلم الخلق ، وفعل الفواحش

فهي من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية .

ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط كما جرى هذا لغير واحد .

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركًا فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك تصور على صورته،وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله،كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين.

**ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له :** أنا الخضر وربما أخبره ببعض الأمور وأعانه على بعض مطالبه كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى .

وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ويقضي الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء تتعلق بالميت ويدخل إلى زوجته ويذهب .وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند فيظنون أنه عاش بعد موته .

**ومن هؤلاء شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال :**

إذا أنا مت فلاتدع أحدا يغسلني فأنا أجيء وأغسل نفسي فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه ، فلما قضى ذلك الداخل غُسْلَه ، أي غسل الميت ، غاب وكان ذلك شيطانًا وكان قد أضل الميت ، وقال : إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك فلما مات جاء أيضًا في صورته ليغوي الأحياء كما أغوى الميت قبل ذلك .

**ومنهم يرى عرشًا في الهواء وفوقه نور ويسمع من يخاطبه ويقول :**

أنا ربك ،فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول ،

ومنهم من يرى أشخاصًا في اليقظة ، يدعي أحدهم أنه نبي أو صدّيق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد .

وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره ، فيرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة فيعتقدها الميت .

**وإنما هو جني تصور بتلك الصورة ويكون شيطانًا وكل من قال :**

إنه رأى نبيًا بعين رأسه ، فما رأى إلا خيالاً .

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر إما الصدّيق رضي الله عنه أو غيره قد قص شعره أو حلقه أو ألبسه طاقيته أو ثوبه فيصبح وعلى رأسه طاقية وشعره محلوق أو مقصر وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسُّنَّة وهم درجات .

والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وعلى مذهبهم والجن والكافر والفاسق والمخطئ فإن كان الإنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال وقد يعاونونه إذا وافقهم على مايختارونه من الكفر مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة أو يقلب فاتحة الكتاب أوسورة الإخلاص أو سورة الكرسي أو غيرهن ، ويكتبهن بنجاسة فيغورون له الماء وينقلونه بسبب مايرضيهم به من الكفر، وقد يأتونه بمن يهواه من امرأة أو صبي ، إما في الهواء وإما مدفوعًا ملجأً إليه إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها .

والإيمان بها إيمان بالجبت والطاغوت ، والجبت السحر والطاغوت الشياطين والأصنام ، وإن كان الرجل مطيعًا لله ورسوله باطنًا وظاهرًا لم يمكنهم الدخول معه في ذلك أو مسالمته .

ولهذا كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيوت الله كان عمار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور

ومشاهد الموتى فيدعون الميت أو يدعون به أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب أقرب إلى الأحوال الشيطانية .

**ثم ذكر ـ رحمه الله ـ عدة أحاديث في النهي عن اتخاذ القبور مساجد والصلاة عندها واتخاذها عيداً ثم قال :**

وكذلك عباد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب وكذلك من دعا الميت أو دعا به أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت المساجد، ويروون حديثًا هو كذب باتفاق أهل المعرفة، وهو : ( **إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور**) .

وإنما هذا وضع من فتح باب الشرك .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين .

مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه ، يفعل الشيطان هذا ليضلهم ، وإذا قرأت آيه الكرسي هناك بصدق بطل هذا ، فإن التوحيد يطرد الشيطان ، ولهذا حُمل بعضهم في الهواء فقال لا إله إلا الله فسقط ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله تعالى ـ ص ( ١٤٤ ) :**

فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول : هنيئًا لك ياولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك .

وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح

وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تريه أنوارًا وتحضر عنده من يطلبه ، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله ، وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له: أنا من أمر الله ويعده بأنه المهدي الذي بشَّر به النبي ﷺ ، ويظهر له الخوارق مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينًا أو شمالاً ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي أو نومه أو ذهابه حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر وتحمله إلى مكة وتأتي به .

وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة وتقول له : هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك فيقول في نفسه : كيف تصوروا بصورة المردان فيرفع رأسه فيجدهم بلحى، ويقول له : علامة أنك المهدي أنك تنبت في جسدك شامة فتنبت ويراها وغير ذلك وكله من مكر الشيطان . ا هـ.

( ٢ ) ما يأتي به السحرة والكهان ، وكل مخالف للرسل يمكن معارضته بمثله وأقوى منه، أما آيات الأنبياء وكرامات الأولياء فلا يمكن أن تعارض بمثلها ولا بأقوى منها .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ في النبوات ص ( ٤٤٢ ) :**

ما يأتي به السحرة والكهان وكل مخالف للرسل تمكن معارضته بمثله وأقوى منه كما هو الواقع لمن عرف هذا الباب ، وآيات الأنبياء لايمكن أحداً أن يعارضها لا بمثلها ولا بأقوى منها ، وكذلك كرامات الصالحين، لا تعارض لا بمثلها ولا بأقوى منها ، بل قد يكون بعضها آيات أكبر من بعض ، وكذلك آيات الصالحين لكنها متصادقة متعاونة على مطلوب واحد ، وهو عبادة الله وتصديق رسله ، فهي آيات ودلائل وبراهين متعاضدة على مطلوب واحد ، والأدلة بعضها أدل وأقوى من بعض . ا هـ.

( ٣ ) أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده ، بخلاف الأحوال الشيطانية فإنها تبطل أو تضعف إذا ذكر الله . انظر: مجموع الفتاوى ( ١١ / ٢٨٧ ) .

( ٤ ) أن خوارق السحرة والكهان ونحوهم وأحوالهم تنال بأفعالهم من شركيات وبدع وفجور وما أشبه ذلك أما كرامات الأولياء فلا تحصل بشيء من ذلك بل الله يفعلها آية وعلامة يكرمهم بها .

**فائدة :**

انظر: ( الفروق بين آيات الأنبياء والسحر والكهانة في النبوات ) لشيخ الإسلام ص٤٣٩-٤٤٩ .

## في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات

**دلالات كرامات الأوليـــاء :**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ تعالى في شرح الواسطية ص( ٦٣١ ) :**

**وهذه الكرامات لها أربع دلالات :**

**أولاً :** بيان كمال قدرة الله ـ عز وجل ـ حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله .

**ثانياً :** تكذيب القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل ، لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل لكانت الطبيعة على نسق واحد لا يتغير ، فإذا تغيرت العادات والطبيعة ، دل على أن للكون مدبراً وخالقاً .

**ثالثاً :** أنها آية للنبي المتبوع كما أسلفنا قريبا .

**رابعاً :** أن فيها تثبيتًا وكرامة لهذا الولي . ا هـ.

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ :** في أنواع العلوم والمكاشفات ........ الخ .

**قال العلامة الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرح الواسطية ( ١٥٧ ) :**

إشارة إلى أن الكرامة منها مايكون من باب العلم والكشف بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره ، أو يرى ما لا يراه غيره يقظة أو مناماً ، أو يعلم ما لا يعلمه غيره ، ومنها ما هو من باب القدرة والتأثير .

**مثال النوع الأول :** قول عمر :« يا سارية الجبل »وهو بالمدينة و« سارية » في المشرق .

وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرجه من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى وعلمه بحال الغلام .

**ومثال النوع الثاني :** قصة الذي عنده علم من الكتاب وإتيانه بعرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام ، وقصة أهل الكهف ، وقصة مريم ، وقصة خالد بن الوليد لما شرب السم ولم يحصل له منه ضرر . ا هـ.

**والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة**

أي أن كرامات الأولياء قد حدثت في الأمم السابقة ، وفي صدر هذه الأمة ، ولن تنقطع إلى يوم القيامة، فمن الكرامات في الأمم السابقة ماذكره الله ـ سبحانه ـ في كتابه في قصة أصحاب الكهف ، وأنهم بقوا في كهفهم ثلاثمائة سنة وتسع سنوات بلا آفة ، وهم نيام ، فإن ذلك كرامة عظيمة لهم .

وهكذا قصة مريم ، ومن ذلك أنها حملت وولدت من غير زوج مع كمال العفاف والإحصان، ومن ذلك ماقاله الله عنها : ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

ومن ذلك مارواه البخاري في صحيحه في قصة سارة زوجة إبراهيم خليل الله وكيف نجاها الله من ذلك الملك الظالم الفاجر الكافر .

وما في البخاري أيضًا في قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام وما أكرمها الله به .

ومن ذلك ما في الصحيحين من قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين آووا إلى الغار .

ومن ذلك ما في الصحيحين من قصة جريج الراهب مع أمه .

ومن ذلك ما راوه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ : (بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال : ياعبد الله ، ما اسمك؟، قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟، فقال: إني سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه، يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟، قال: أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما

يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثاً ، وأرد فيها ثلثه ) وغير ذلك كثير.

**وأما كرامات الصحابة رضي الله عنهم فمن ذلك :**

ماروواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أسيد بن حضير رضي الله عنه بينما هو ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه ، فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ، ثم جالت أيضًا .

**قال أسيد :** فخشيت أن تطأ يحي فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. قال: فغدوت على النبي ﷺ فقلت : (بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي فقال رسول الله ﷺ : **اقرأ ابن حضير** ، قال : فقرأت ثم جالت أيضًا ، فقال رسول الله ﷺ : **اقرأ ابن حضير** ، قال : فقرأت ثم جالت أيضًا . فقال رسول الله : **اقرأ ابن حضير** ، قال: فانصرفت ، وكان يحيى قريباً منها خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو ما أراها ، فقال رسول الله : **تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم** ) .

ومن ذلك ماروواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط سرية عيناً وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري،فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم:بنو لحيان فنفروا لهم قريبًا من مئتي رجل كلهم رامٍ فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرًا تزودوه من المدينة فقالوا لهم : هذا تمر يثرب، فاقتصوا آثارهم ، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد وأحاط بهم القوم فقالوا لهم : انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهود والميثاق لا نقتل منكم أحداً ، فقال عاصم بن ثابت ـ أمير السرية ـ أما أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً في سبعة فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الأنصاري وابن دثنه ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا قسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر،والله لا أصحبكم، إن لي في هؤلاء لأسوة ـ يريد القتلى ـ وجروه وعالجوه على

أن يصحبهم فأبى فقتلوه ، فانطلقوا بخبيب وابن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقيعة بدر .

فابتاع خبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيراً فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته :أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته فأخذ إبناً لي وأنا غافلة حين أتاه قالت ، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي، فقال: تخشين أن أقتله ؟ ، ما كنت لأفعل ذلك .

والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب في يده ، وإنه لموثق في الحديد وما بمكة من تمر .

وكانت تقول : إنه لرزق من الله رزقه خبيباً ، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحل ، قال لهم خبيب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ذروني أركع ركعتين ، ثم قال : لولا أن تظنوا أن ما بي جزع لطولتها ، اللهم احصهم عدداً .

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبراً فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب ، فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم وما أصيبوا ، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشئ منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم ، فلم يقدروا على أن يقطعوا من لحمه شيئًا .

ومن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ، وإذا نور بين أيديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما .

وقال معمر عن ثابت عن أنس : إنه أُسيد بن حضير ورجلاً من الأنصار .

**وقال حماد :** أخبرنا ثابت عن أنس ، كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي ﷺ .

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن عمر بن محمد، أن أباه حدَّثه عن سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل أن أروى خاصمته في بعض داره فقال: دعوها وإياها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه،طوقه في سبع أرضين يوم القيامة)** اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها ، واجعل قبرها في دارها .

قال : فرأيتها عمياء تلتمس الجدر تقول : أصابتني دعوة سعيد بن زيد ، فبينما هي تمشي في الدار مرت على بئر في الدار فوقعت فيها، فكانت قبرها .

ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن مطرف قال: قال لي عمران بن حصين: أحدِّثك حديثًا عسى الله أن ينفعك به ، إن رسول الله ﷺ جمع بين حجة وعمرة ثم لم ينه حتى مات ، ولم ينزل فيه قرآن يحرمه، وقد كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت فعاد .

ومعنى قوله : كان يسلم علي أن الملائكة كانت تسلم عليه، فلما اكتوى تركت الملائكة السلام عليه ، فلما ترك الكي عادت فسلمت عليه .

## ومما جاء في كرامات التابعين فمن بعدهم :

روى الإمام مسلم في صحيحه أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر رضي الله عنه :هل هنا أحد من القرنيين ؟ ، فجاء ذلك الرجل فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد قال: **( إن رجلاً يأيتكم من اليمن يقال له : أويس ،لا يدع باليمن غير أم له ، وقد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه ، إلا موضع الدينار أوالدرهم ، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم )** .

في البخاري عن علقمة قال : ( قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت : اللهم يسر لي جليسًا صالحًا فأتيت قوما فجلست إليهم فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي قلت : من هذا ؟، قالوا : أبو الدرداء، فقلت: إني دعوت الله أن ييسر لي

جليساً صالحاً ، فيسَّرك لي ) .

**وقال يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ ( ٢ / ٣٨٠ ) :**

حدَّثنا أبو اليمان ، حدَّثنا صفوان عن سليم بن عامر الخبائري أن السماء قحطت ؛ فخرج معاوية بن أبي سفيان وأهل دمشق يستسقون ، فلما قعد معاوية على المنبر قال : أين يزيد بن الأسود الجرشي ؟ .

فناداه الناس فأقبل يتخطى الناس ،فأمر معاوية فصعد المنبر فقعد عند رجليه فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا ، اللهم إنا نستشفع إليك بيزيد بن الأسود الجرشي ، يا يزيد ارفع يديك إلى الله ، فرفع يزيد يديه ورفع الناس أيديهم ، فما كان أوشك أن فارت سحابة في الغرب كأنها ترس وهبت لها ريح ، فسقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم .

**قال العلامة الألباني في الإرواء (٣ / ١٤٠) :** إسناده : صحيح .

**وفي السير للذهبي (١٢ / ١٢٦):**

قال أبو أحمد بن الناصح : سمعت محمد بن حامد بن السري وقلت له :

لم لا تقول في محمد بن المثنى إذا ذكرته : الزَّمِنْ كما يقول الشيوخ ؟ .

فقال : لم أره زمناً رأيته يمشي ، فسألته فقال : كنت في ليلة شديدة البرد فجثوت على يدي ورجلي فتوضأت وصليت ركعتين وسألت الله فقمت أمشي : قال فرأيته يمشي ولم أره زمناً .

حكاية صحيحة رواها السلفي عن الرازي ، أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد الفارسي حدثنا ابن الناصح . ا هـ.

**وذكر الخطيب في التاريخ ( ٢ / ١٦٤ ) :** أن الرحلة في طلب الحديث جمعت بين محمد بن جرير ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر فأرملوا ولم يبق عندهم ما يقوتهم وأضربهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة،فمن

خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لأصحابه :

أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة قال : فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق الباب ،ففتحوا الباب فنزل عن دابته فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ ، فقيل : هوذا ،فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ثم قال : أيكم محمد بن جرير ، فقالوا : هو هذا ، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه ،ثم قال : أيكم محمد بن هارون ؟ ، فقالوا : هو ذا ، فأخرج صرة فيها خمسون دينارا فدفعها إليه ،ثم قال: أيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقالوا : هو ذا يصلي، فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها خمسون ديناراً ، ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس فرأى في المنام خيالاً قال: إن المحامد طووا كشحهم جياعاً ، فأنفذ إليكم هذه الصرار ، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إليّ أمدكم . ا هـ.

**وهاك الآن بعض الأحوال الشيطانية المشتملة على الزندقة والفجور ويسميها أصحابها كرامات :**

**ذكر الشعراني في طبقات الصوفية ما يعدونه من كرامات الأولياء ومن ذلك مايلي:**

( ١ ) وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى وكان دكانه منتناً قذراً لأن كل كلب وجده ميتاً أو خروفًا يأتي به فيضعه داخل الدكان ، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده وأنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها ثم وقع في مشخة حمير .

( ٢ ) وكان رضي الله عنه إذا رأى امراة أو أمرداً راوده عن نفسه وحسس على مقعدته ، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير،ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس.

( ٣ ) ويتحدث الشعراني عن سيده ( علي وحيش ) فيقول : وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ، ينزله من على الحمارة ويقول له: تمسك رأسها حتى أفعل بها ، فإن

أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة .

( ٤ ) يقول الشعراني عن سيده محمد الخضري : أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي أنه جاءهم يوم الجمعة فسألوه الخطبة ، فطلع على المنبر وحمد الله وأثنى عليه وحده ، ثم قال : وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام .

فقال الناس : كفر فسل السيف ونزل وهرب الناس كلهم من الجامع ، فجلس على المنبر إلى أذان العصر ، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع ، ثم جاء بعض أهالي البلاد المجاورة فأخبر أهل كل بلدة أنه خطب عندهم وصلى فيهم فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة هذا ، ونحن نراه جالسًا عندنا في الخطبة . اهـ. الصوفية في ميزان الإسلام ص٢٧ – ٢٨ .

**وذكر ابن الحاج ـ رحمه الله تعالى ـ في المداخل (٣ / ٢١٥) :**

أنه حكي عن بعض المريدين أنه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له : هو في عافية، فأرسل خلفه فحضر فسأله مالموجب لانقطاعك ؟.

فقال : ياسيدي،كنت أجئ لكي أصل ، والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو إلى الحضور . فسأله عن كيفية وصوله فأخبره أنه في كل ليلة يصلي ورده في الجنة ، فقال له الشيخ : يا بني والله ما دخلتها أبداً ، فلعلك أن تتفضل علي فتأخذني معك لعلي أن أدخلها كما دخلتها أنت : قال نعم . فبات الشيخ عند المريد فلما أن كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ : هذا الطائر الذي يحملني في كل ليلة على ظهره إلى الجنة ، فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر فطار بهما ساعة ثم نزل بهما في موضع كثير الشجر ، فقام المريد ليصلي وقعد الشيخ. فقال له المريد : يا سيدي أما تقوم الليلة ؟. فقال الشيخ : يابني الجنة هذه وليس في الجنة صلاة . فبقي المريد يصلي والشيخ قاعد ، فلما أن طلع الفجر جاء الطائر ونزل . فقال المريد للشيخ : قم بنا نرجع إلى موضعنا . فقال له الشيخ : اجلس ما رأيت أحداً يدخل الجنة ويخرج منها . فجعل الطائر يضرب بأجنحته

ويصيح حتى أراهم أن الأرض تتحرك بهم ، فبقي المريد يقول للشيخ : قم بنا لئلا يجري علينا منه شيئ . فقال له الشيخ : هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك إلى أن تبين الضوء ، وإذا هو على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما ، فصفع الشيخ المريد ، وقال له : هذه الجنة التي أوصلك الشيطان إليها ، قم فاحضر مع اخوانك، أو كما جرى . ا هـ.

**ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً ،واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال:** (عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة ) **ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ**

في هذه الفقرة من كلام شيخ الاسلام ـ رحمه الله تعالى ـ ومابعدها إلى قوله : ( **كثر الخلاف وانتشرت الأمة** ) بيان لمنهج التلقي والاستدلال عند أهل السُّنَّة والجماعة بخلاف أهل البدع والأهواء الذين يعتمدون في ذلك على عقولهم وأهوائهم أو الأذواق والمنامات أو آراء الرجال والأقيسة الفاسدة وما أشبه ذلك .

**قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ تعالى في التنبيهات اللطيفة ص (١٠٣) :**

لما ذكر طريقة أهل السُّنَّة في مسائل الأصول المعينة ذكر طريقهم الكلي في أخذ دينهم، أصوله وفروعه ، وأنهم سلكوا في ذلك الصراط المستقيم والعصمة النافعة الكتاب والسُّنَّة ، واتبعوا أعظم الناس معرفة وعلمًا واتباعًا للكتاب والسُّنَّة،وهم الصحابة ﷺ عموماً والخلفاء الراشدين خصوصاً ، فسلكوا إلى الله ذلك الطريق مستصحبين هذه الأصول الجليلة ،وما جاءهم مما قاله الناس أو ذهبوا إليه من المقالات وزنوه بمعيار الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة فاستقامت طريقتهم وسلموا من بدع الأقوال المخالفة لما عليه الرسول وأصحابه في الاعتقادات،كما سلموا من بدع الأعمال، فلم يتعبدوا ولم يشرعوا إلا ما شرعه الله ورسوله . ا هـ.

وهناك كلاماً عظيماً نفيسًا في بيان طريقة أهل السُّنَّة والجماعة وصفاتهم .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ كما في مختصر الصواعق ص٥٧٠-٥٧٦:**

**قال أبو المظفر السمعاني :**

كل فريق من المبتدعة يعتقد أن ما يقوله هو الحق الذي كان عليه رسول الله ﷺ

وأصحابه لأن كلهم يدعون شريعة الإسلام ملتزمون في الظاهر شعارها يرون أن ما جاء به محمد هو الحق غير أن الطرق تفرقت بهم بعد ذلك وأحدثوا في الدين مالم يأذن به الله ورسوله ﷺ ، فزعم كل فريق أنه هو المتمسك بشريعة الإسلام وأن الحق الذي قام به رسول الله ﷺ هو الذي يعتقده وينتحله ، غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار ، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف وقرنًا عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين ، وأخذه التابعون عن أصحاب النبي ﷺ ، وأخذه الصحابة عن رسول الله ﷺ ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث ، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين بغير طريقه لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم، فإذا سمعوا شيئًا من الكتاب والسُّنَّة عرضوه على معيار عقولهم ، فإن استقام لهم قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستكرهة ، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه ونبذوا الدين وراء ظهورهم وجعلوا السُّنَّة تحت أقدامهم .

وأما أهل السُّنَّة فجعلوا الكتاب والسُّنَّة أمامهم ، وطلبوا الدين من قبلها وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم وآرائهم عرضوه على الكتاب والسُّنَّة، فإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسُّنَّة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم فإن الكتاب والسُّنَّة لا يهديان إلا إلى الحق ، ورأي الإنسان قد يكون حقًا وقد يكون باطلاً ، وهذا قول أبي سليمان الداراني ، وهو أوحد أهل زمانه ، قال: ما حدثتني نفسي بشئ إلا طلبت عليه شاهدين من الكتاب والسُّنَّة ، فإن أتي بهما وإلا رددته .

ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولها إلى آخرها قديمها وحديثها ، وجدتها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ، وتباعد ما بينهم في الديار ، وسكون كل واحد منهم قطراً من الأقطار في باب

الاعتقاد على وتيرة واحدة ، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون عنها ، قلوبهم في ذلك على قلب واحد ، ونقلهم لا ترى فيه اختلافًا ولا تفرقًا في شيئ ما ، وإن قل .

بل لو جمعت ماجرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته ، كأنه جاء عن قلب واحد وجرى على لسان واحد ، وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** (٨٢) ﴾ [النساء: ٨٢] ،وقال سبحانه تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣ ] .

وأما إذا نظرت إلى أهل البدع رأيتهم متفرقين مختلفين شيعًا وأحزابًا لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد يبدع بعضهم بعضًا ، بل يرتقون إلى التكفير يكفر الابن أباه والأخ أخاه والجار جاره، وتراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف تنقضي أعمارهم ولم تتفق كلماتهم ﴿ **تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ** ﴾ [ الحشر : ١٤ ]، وهل على الباطل أظهر من هذا ؟ .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ** ﴾ [ الأنعام : ١٥٩ ] ، فبرأ الله رسوله من أهل التفرق والاختلاف .

وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسُّنَّة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والإتلاف، وأهل البدع أخذوا الدين من عقولهم فأورثهم التفرق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات قلَّما تختلف، وإن اختلفت في لفظة أو كلمة فذلك الاختلاف لا يضر الدين ولايقدح فيه .

وأما المعقولات والخواطر والآراء فقلَّما تتفق بل عقل كل واحد ورأيه وخاطره يرى صاحبه غير ما يرى الآخر .

**فإن قال قائل :** أنتم سميتم أنفسكم أهل السُّنَّة و ما نراكم في ذلك إلا مدعين

لأنا وجدنا كل فرقة من الفرق تنتحل اتباع السُّنَّة وتنسب من خالفها إلى البدعة وليس على أصحابكم منها سمة وعلامة أنهم أهلها دون من خالفها من سائر الفرق وكلنا في انتحال هذا اللقب شركاء متكافئون، ولستم بأولى بهذا اللقب إلا أن تأتوا بدلالة ظاهرة من الكتاب والسُّنَّة أو من إجماع أو من المعقول .

**فالجواب :**

أن الأمر على مازعمتم أنه لايصح لأحد دعوى إلا ببيّنة عادل ة، أو بدلالة ظاهرة من الكتاب والسُّنَّة ، وهما لنا قائمتان بحمد الله .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾ [الحشر :٧] فأمرنا باتباعه وطاعته فيما سَنَّه وأمر به ، وما نهى عنه وما حكم به .

وقال ﷺ : ( **عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي** ) .

وقال : ( **من رغب عن سُنَّتي فليس مني** ) فعرفنا سُنَّته ، ووجدنا بهذه الآثار المشتهرة ، التي رويت بالأسانيد الصحيحة المتصلة ، التي نقلها حفَّاظ العلماء وثقاتهم بعضهم عن بعض .

ثم نظرنا فرأينا فرقة أصحاب الحديث لها أطلب وفيها أرغب ، ولها أجمع ، ولأصحابها أتبع ، فعلمنا يقينًا أنهم أهلها دون من عداهم من جميع الفرق ، فإن صاحب كل حرفة أو صناعة إن لم يكن معه آلات الصناعة والحرفة شهدت له تلك الآلات بل شهد له كل من عاينه قبل الاختبار .

كما إذا رأيت رجلاً قد فتح باب دكانه على بز علمت أنه بزاز، أو على تمر علمت أنه تمار ، أو على عطر علمت أنه عطار ، وإذا رأيت بين يديه الكير والسندان والمطرقة ، علمت أنه حداد .

وكل صاحب صنعة يستدل على صناعته بآلته ،فحكم له بها بالمعاينة من غير اختبار، فلو رأيت بين يدي إنسان قدومًا أو منشارًا أو مثقبًا وهو مستعد للعمل بها ثم سميته خياطًا جهلت، ولو قال صاحب التمر لصاحب العطر : أنا عطار وصاحب

البناء للبزاز : أنا بزاز لقال له : كذبت ، وصدقه الناس على تكذيبه .

ثم كل صاحب صنعة وحرفة يفتخر بصناعته ، ويجالس أهلها ويألفهم ويستفيد منهم ، ويحرص على بلوغ الغاية في صناعته ، وأن يكون فيها أستاذًا ، ورأينا أصحاب الحديث قديمًا وحديثًا هم الذين رحلوا في هذه الآثار ، وطلبوا فأخذوها من معادنها وحفظوها واغتبطوا بها ودعوا إلى اتباعها ، وعابوا من خالفهم .

وكثرت عندهم وفي أيديهم حتى اشتهروا بها كما يشتهر أصحاب الحرف والصناعات بصناعتهم وحرفهم .

ثم رأينا قومًا انسلخوا من حفظها ومعرفتها، وتنكبوا عن اتباع صحيحها وشهيرها ، وغنوا عن صحبة أهلها وطعنوا فيها وفيهم ، وزهدوا الناس في حقها وضربوا لها ولأهلها أسوأ الأمثال ، ولقبوهم أقبح الألقاب ، فسموهم نواصب ومشبهة وحشوية ومجسمة ، فعلمنا بهذه الدلائل الظاهرة والشواهد القائمة أن أولئك أحق بها من سائر الفرق .

ومعلوم أن الاتباع هو الأخذ بسنة رسول الله ﷺ التي صحت عنه والخضوع لها والتسليم لأمر رسول الله ﷺ، ووجدنا أهل الأهواء بمعزل عن ذلك ، فهذه علامة ظاهرة ودليل واضح يشهد لأهل السُّنَّة باستحقاقها وعلى أهل البدع والأهواء بأنهم ليسوا من أهلها .

**قلت ـ ابن القيم ـ :**

**ولهم علامات أخر منها :** أن أهل السُّنَّة يتركون أقوال الناس لها ، وأهل البدع يتركونها لأقوال الناس .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة يعرضون أقوال الناس عليها، فما وافقها قبلوه وما خالفها طرحوه، وأهل البدع يعرضونها على آراء الرجال ، فما وافق آراءهم منها قبلوه ، وما خالفها تركوه وتأولوه .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة يدعون عند التنازع إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال

وعقولها ، وأهل البدع يدعون إلى التحاكم إلى آراء الرجال ومعقولاتها .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة إذا صحت لهم السُّنَّة عن رسول الله ﷺ لم يتوقفوا عن العمل بها واعتقاد موجبها على أن يوافقها موافق بل يبادرون إلى العمل بها من غير نظر إلى من وافقها أو خالفها .

وقد نص الشافعي على ذلك في كثير من كتبه ، وعاب على من يقول : لا أعمل بالحديث ، حتى أعرف من قال به وذهب إليه .

بل الواجب على من بلغته السُّنَّة الصحيحة ، أن يقبلها وأن يعاملها بما كان يعاملها به الصحابة حين يسمعونها من رسول الله ﷺ ، فينزل نفسه منزلة من سمعها منه ﷺ .

قال الشافعي : ( أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد ) .

وهذا من أعظم علامات أهل السُّنَّة أنهم لايتركونها إذا ثبتت عندهم لقول أحد من الناس كائناً من كان .

**ومنها :** أنهم لاينتسبون إلى مقالة معيّنة ولا إلى شخص معين غير الرسول ، فليس لهم لقب يعرفون به ولا نسبة ينتسبون إليها، إذا انتسب سواهم إلى المقالات المحدثة وأربابها ، كما قال بعض أئمة أهل السُّنَّة وقد سئل عنها فقال : السُّنَّة ما لا اسم له سوى السُّنَّة .

وأهل البدع ينتسبون إلى المقالة تارة ، كالقدرية والمرجئة ، وإلى القائل تارة كالهاشمية والنجارية والضرارية ، وإلى الفعل تارة كالخوارج والروافض .

وأهل السُّنَّة بريئون من هذه النسب كلها ، وإنما نسبتهم إلى الحديث والسُّنَّة .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة إنما ينصرون الحديث الصحيح والآثار السلفية ، وأهل البدع ينصرون مقالاتهم ومذاهبهم .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة إذا ذكروا السُّنَّة وجردوا الدعوة إليها ، نفرت من ذلك قلوب

أهل البدع فلهم نصيب من قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [ الإسراء : ٤٦ ] .

وأهل البدع إذا ذكرت لهم شيوخهم ومقالاتهم استبشروا بها فهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) ﴾ [ الزمر : ٤٥ ] .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة يعرفون الحق ويرحمون الخلق ، فلهم نصيب وافر من العلم والرحمة، وربهم تعالى وسع كل شيء رحمة وعلمًا ، وأهل البدع يكذبون بالحق ويكفرون الخلق فلا علم عندهم ولا رحمة، وإذا قامت عليهم حجة أهل السُّنَّة عدلوا إلى حبسهم وعقوبتهم إذا أمكنهم .

ورثوا فرعون فإنه لما قامت عليه حجة موسى ولم يمكنه عنها جواب قال : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) ﴾ [ الشعراء :٢٩ ] .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة إنما يوالون ويعادون على سُنَّة نبيهم ﷺ ، وأهل البدع يوالون ويعادون على أقوال ابتدعوها .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة لم يؤصلوا أصولاً حكموها وحاكموا خصومهم إليها ، وحكموا على من خالفها بالفسق والتكفير ، بل عندهم الأصول كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وما كان عليه الصحابة .

**ومنها :** أن أهل السُّنَّة إذا قيل لهم : قال الله ، قال رسول الله ﷺ ، وقفت قلوبهم عند ذلك ولم تَعْدُه إلى أحد سواه ، ولم تلتفت إلى ماذا قال فلان وفلان ، وأهل البدع بخلاف ذلك .

**ومنها :** أن أهل البدع يأخذون من السُّنَّة ما وافق أهواءهم صحيحاً كان أو ضعيفاً ويتركون ما لم يوافق أهواءهم من الأحاديث الصحيحة ، فإذا عجزوا عن رده نفوه عوجاً بالتأويلات المستنكرة ، التي هي تحريف له عن مواضعه ، وأهل السُّنَّة ليس لهم هوى في غيرها . ا هـ.

**وقول شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :**

( ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ) .

أي أن أهل السُّنَّة يعلمون ذلك ويعتقدونه ويعملون بمقتضاه كما هو لسان حالهم ومقالهم .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا** ﴾ [ النساء : ٨٧ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً** ﴾ [ النساء : ١٢٢ ] .

وقال تعالى في نبيه ﷺ ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَاطِ اللَّهِ** ﴾ [ الشورى : ٥٢ ] .

وكان النبي ﷺ يستفتح خطبه بقوله : ( **فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد** ﷺ ... الحديث ) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه .

فهدي رسول الله ﷺ خير هدي على الإطلاق ، في العقائد والمعاملات ، في جميع الحالات .

**ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس،ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد،ولهذا سموا أهل الكتاب والسُنّة،وسموا أهل الجماعة، لأن الجماعة هي الاجتماع ،وضدها الفرقة ، وإن كان لفظ الجماعة قد صار إسماً لنفس القوم المجتمعين .**

السبب في أن أهل السُّنَّة والجماعة يؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس لأن الله ـ سبحانه ـ أنزل كتابه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، وجعله الله روحاً ونوراً وصراطاً مستقيماً ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [ فصلت : ٤٢ ] .

قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [ النحل : ٨٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾ [ الإسراء :١٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [ المائدة : ١٦ ] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [ يونس : ٥٧ – ٥٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [ الإسراء : ٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى : ٥٢ ] .

وقال تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية : ٦ ] ، وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [ العنكبوت : ٥١ ] ، وغير ذلك من الآيات .

وقال ﷺ : ( **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ،كتاب الله** ) أو بهذا المعنى .

والسبب في أن أهل السُّنَّة لا يقدِّمون هدي أحد على هدي رسول الله ﷺ ، لأن هديه ﷺ خير الهدي على الإطلاق في كل الأبواب ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** (٢١) ﴾ [ الأحزاب : ٢١ ] .

**قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية :**

هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله . ا هـ.

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (١) ﴾ [ الحجرات : ١ ] .

**قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره :**

أي لاتسارعوا في الأشياء بين يديه ، أي في قبله ، بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور . ا هـ.

وقال تعالى : ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [ النور : ٥٤ ] ، وقال تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** (٦٥) ﴾ [ النساء : ٦٥ ] .

فسمي أهل السُّنَّة والجماعة بأهل الكتاب والسُّنَّة لأنهما عدتهم وعمدتهم ، منها يصدرون وإليها يرجعون وبها يحكمون وإليها يحتكمون ، ومنها يدعون وإليها يدعون ، فالكتاب والسُّنَّة مصدرهم وموردهم لا يبغون عنهما حولاً ولا يرتضون بهما بدلاً ، ومن لم يكفه الكتاب والسُّنَّة فلا كفاه الله .

فسمي أهل السُّنَّة بذلك لانتسابهم إليها وعملهم بها وسمّو أهل الجماعة لاجتماعهم على ذلك فهم مجتمعون على تعلم السُّنَّة والعمل بها والدعوة إليها والذبّ عنها ولم ينتسبوا لسواها ، وإن اجتمع غيرهم على البدع والأهواء والضلال والإثم والعدوان ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [ النور : ٤٠ ] .

**والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهو يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال ، باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين . والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة**

**الإجماع :** هو اتفاق مجتهدي هذه الأمة بعد موت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - على حكم شرعي .

**وأدلة حجية الإجماع :** الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

فمن أدلة القرآن قوله تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [ النساء : ٥٩ ] .

**ومن أدلة السُّنَّة :** قوله ﷺ : ( **لا تجتمع أمتي على ضلالة** ) .

**وأما الإجماع : فقد قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في منهاج السُّنَّة (٧ / ٣٩٧):**

إجماع الأمة حجة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع . اهـ.

**وقال - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (١١ / ٣٤١) :**

**الطريق الرابع :** الإجماع ، وهو متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والكلام وغيرهم في الجملة،وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة لكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة ،وأما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً .

ولهذا اختلف أهل العلم فيما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة واختلف في مسائل منه كإجماع التابعين على أحد قولي الصحابة والإجماع الذي لم ينقرض عصر أهله حتى خالفهم بعضهم والإجماع السكوتي وغير ذلك . اهـ.

**مادل عليه الإجماع الثابت فقد دل عليه النص ، ولا توجد مسألة دل عليها الإجماع إلا وفيها نص .**

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (١٩ / ١٩٥):**

فلا يوجد قط مسألة مجمع عليها إلا وفيها بيان من الرسول ، ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الإجماع، فيستدل به كما أنه يستدل بالنص من لم يعرف دلالة النص ، وهودليل ثان مع النص كالأمثال المضروبة في القرآن ، وكذلك الإجماع دليل آخر كما يقال :

قد دل على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، وكل من هذه الأصول يدل على الحق مع تلازمها ، فإن مادل عليه الإجماع فقد دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة ، وما دل عليه القرآن فعن الرسول أُخذ ، فالكتاب والسُّنَّة كلاهما مأخوذ عنه ، ولا يوجد مسألة يتفق عليها الإجماع إلا وفيها نص . ا هـ.

## هل يكفر مخالف الإجماع ؟ :

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠) :**

**وقد تنازع الناس في مخالف الإجماع هل يكفر؟ على قولين :**

والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه كما يكفر مخالف النص بتركه لكن هذا لايكون إلا فيما علم ثبوت النص به وحينئذٍ فالإجماع مع النص دليلان كالكتاب والسُّنَّة. ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٧ / ٣٨ ـ ٣٩) :**

فكل مسألة يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فإنها مما بيَّن الله فيه الهدى ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر كما يكفر مخالف النص البيِّن وأما إذا كان يظن الإجماع ولايقطع به فها هنا قد لايقطع أيضاً بأنها مما تبين فيه الهدى من جهة الرسول ومخالف مثل هذا الإجماع قد لايكفر بل قد يكون ظن الإجماع خطأ والصواب في خلاف هذا القول ، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لايكفر . ا هـ.

فالأصول الثلاثة التي يعتمد عليها في العلم والدين هي الكتاب والسُّنَّة

والإجماع المستند إليهما ، أو إلى أحدهما ، فالكتاب والسُّنَّة أصلان ذاتيان ، وأما الإجماع فأصل مبني على غيره إذ لا إجماع إلا بنص .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في درء تعارض العقل والنقل ( ١ / ٢٧٢ ) :**

فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ وما اتفقت عليه الأمة ، فهذه الثلاثة هي أصول معصومة . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢٠ / ٩ـ١٠ ) :**

فمبني أحكام الدين على ثلاثة أقسام : الكتاب والسُّنَّة والإجماع ... وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم ، فإن الأمة لاتجتمع على ضلالة ولكن كثيراً من المسائل يظن بعض الناس فيها إجماعاً ولا يكون الأمر كذلك بل يكون القول الآخر أرجح في الكتاب والسُّنَّة . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٢٤ / ٣٧٧ ) :**

ولايعتمد أهل العلم والإيمان في مثل مسائل العلم والدين إلا على نصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة . ا هـ.

**هل صح عن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أنه قال: من ادعى الاجماع فقد كذب؟**

**الجواب :** نعم ، ولقوله توجيه وسبب .

**ففي مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله برقم ( ١٨٢٦ ) :**

**قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ :** ما يدعي الرجل فيه الإجماع هذا الكذب من ادعى الإجماع فهو كذب، لعل الناس قد اختلفوا . ا هـ.

وسبب قول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ أن طائفة من أهل البدع كانوا يردون السُّنَّة الصحيحة بدعوى مخالفتها للإجماع مع أنهم لم يحيطوا بكلام العلماء في تلك المسائل.

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في بيان الدليل على بطلان التحليل ص ( ٥٦١ـ٥٦٢ ):**

**وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد :**

من ادعى الإجماع فهو كاذب،وإنما هذه دعوى بشر ـ المريسي ـ وابن علية يريدون

أن يبطلوا السنن بذلك .

يعني أحمد أن المتكلمين في الفقه من أهل البدع إذا ناظرتهم بالسنن والآثار قالوا :

هذا خلاف الإجماع وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لايحفظونه إلا عن بعض فقهاء المدينة وفقهاء الكوفة مثلاً فيدعون الإجماع من قلّة معرفتهم بأقاويل العلماء واجتراءهم على رد السُنن بالآراء حتى كان بعضهم تسرد عليه الأحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الأحكام فلا يجد له معتصماً إلا أن يقول :هذا لم يقل به أحد من العلماء وهو لايعرف إلا أبا حنيفة أو مالكاً لم يقولوا بذلك ولو كان علم لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قال ذلك خلقاً كثيراً . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ كما في مختصر الصواعق ص (٥٠٦ ) :**

وليس مراده ـ أي الإمام أحمد ـ بهذا استبعاد وجود الإجماع ولكن أحمد وأئمة الحديث بلو بمن يرد عليهم السُّنَّة الصحيحة بإجماع الناس على خلافها فبين الشافعي وأحمد أن هذه الدعوى كذب وأنه لا يجوز رد السنن بمثلها . ا هـ.

**وقال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إعلام الموقعين (٢ / ٢٤٦) :**

وحين نشأت هذه الطريقة تولد عنها معارضة النصوص بالإجماع المجهول وانفتح باب دعواه ، وصار من لم يعرف الخلاف من المقلدين إذا احتج عليه بالقرآن والسُّنَّة ، قال : هذا خلاف الإجماع ، وهذا هو الذي أنكره أئمة الإسلام وعابوه من كل ناحية على من ارتكبه وكذّبوا من ادعاه .

**فقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله :**

من ادعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس اختلفوا ، هذه دعوى بشر المريسي والأصم ولكن يقول : لانعلم الناس اختلفوا أو لم يبلغنا .

**وقال في رواية المروزي :** كيف يجوز للرجل أن يقول : أجمعوا إذا سمعتهم يقولون : أجمعوا فاتهمهم لو قال : إني لم أعلم مخالفاً كان حسن .

**وقال في رواية أبي طالب :** هذا كذب، ماعلمه أن الناس مجمعون، ولكن يقول

ما أعلم فيه اختلافاً فهو أحسن من قوله : إجماع الناس .

**وقال في رواية أبي الحارث** : لاينبغي لأحد أن يدعي الإجماع لعل الناس اختلفوا ، ولم يزل أئمة الإسلام على تقديم الكتاب على السُّنَّة ، والسُّنَّة على الإجماع ، وجعل الإجماع في المرتبة الثالثة . اهـ.

وهناك من حمل كلام الإمام أحمد على أنه من باب الورع .

وبما سبق وغيره فالمعروف عن الإمام أحمد ، أنه ممن يقول بحجية الإجماع كسائر أئمة المسلمين بخلاف أهل البدع .

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ :**

**(والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الخلاف وانتشرت الأمة)** .

أي أن الإجماع الذي يمكن الإحاطة به ويجزم بوقوعه هو ما كان عليه السلف الصالح ، وهم القرون الثلاثة المفضلة ، لأنهم كانوا قليلاً ويمكن الإحاطة بأقوالهم ، بخلاف الأزمنة المتأخرة بعد السلف الصالح ، فإن الإجماع لاينضبط ويتعذر الجزم بوقوعه لسببين :

( ١ ) كثرة الاختلاف بحيث لايمكن الإحاطة بأقوالهم .

( ٢ ) إنتشار الأمة بعد الفتوح في أقطار الأرض .

ولم يذكر شيخ الإسلام القياس لماحصل فيه من الخلاف ، والله أعلم .

**ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر علىٰ ما توجبه الشريعة،ويرون إقامةالحج والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ويحافظون على الجماعات،ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ : ( المؤمن للمؤمن كالبنيان ، يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه ) .وقوله ﷺ : ( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسَّهر ) .**

**ويأمرون بالصبر عند البلاء،والشكر عند الرخاء، والرضا بمُرّ القضاء .**

هذا الفصل كالتتمة للفصل السابق ، وهو من مكملات عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة وثمراتها .

**وقد تضمن هذا الفصل عدة مسائل :**

**الأولى :** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ماتوجبه الشريعة .

**المعروف :** اسم جامع لكل مايحبه الله من الإيمان والعمل الصالح .

**والمنكر :** اسم جامع لكل ما يكرهه الله ونهى عنه .

وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة . قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) ﴾ [ آل عمران : ١٠٤ ].

وقال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [ آل عمران : ١١٠ ].

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [ التوبة : ٧١ ] .

وقال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩] .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ؛ فبلسانه ، فإن لم يستطع ؛ فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان )** .

وفي صحيح البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **( مثل القائم في حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجو ، ونجو جميعاً )** .

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في رياض الصالحين ص (٩٤) :**

القائم في حدود الله تعالى معناه : المنكر لها ، القائم في دفعها وإزالتها ، والمراد بالحدود : مانهى الله عنه . ا هـ.

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٠٦) :**

صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن صلاح المعاش والعباد في طاعة الله ورسوله ، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أُخرجت للناس . ا هـ.

**وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (١ / ٢١٢) :**

وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة ، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين ، ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة ، ولا يعتد بخلافهم كما قال الإمام أبو المعالي إمام الحرمين : لايكترث بخلافهم في هذا ، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء . ا هـ.

## حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٦٥-٦٦) :**

وإذا كان جماع الولايات هو أمر ونهي ، فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر، وهذا نعت النبي والمؤمنين كما قال تعالى :﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[ التوبة : ٧١ ] .

وهذا واجب على كل مسلم قادر، وهو فرض على الكفاية،ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره ، والقدرة هو السلطان والولاية ، فذووا السلطان أقدر من غيرهم ، وعليهم من الوجوب ماليس على غيرهم ، فإن مناط الوجوب القدرة ، فيجب على كل إنسان بحسب قدرته ، قال تعالى : ﴿ **فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن: ١٦] . اهـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ (٢٨ / ١٢٦) :**

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن،ولما كان الجهاد من تمام ذلك كان الجهاد أيضاً كذلك فإن لم يقم به من يقوم بواجبه أثم كل قادر بحسب قدرته إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته كما قال ﷺ : **(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ؛ فبلسانه ، فإن لم يستطع ؛فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان )** . اهـ.

**وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (١ / ٢١٣) :**

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية ، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين ، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف .

ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لايعلم به إلا هو أولا يتمكن من إزالته إلا هو ، وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف .

**قال العلماء ـ رحمهم الله ـ :** ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول .

وكما قال الله عز وجل: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [المائدة : ٩٩] ، ومثَّل العلماء بهذا بمن يرى إنساناً في الحمام أو غيره مكشوف بعض العورة ونحو ذلك، والله أعلم .

**قال العلماء :** ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه بل عليه الأمر وإن كان مخلاً بما أمر به والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه فإنه يجب عليه شيئان : أن يأمر نفسه وينهاها ويأمر غيره وينهاه ، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر ؟ . ا هـ.

## هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص بولاة الأمور ؟

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (١ / ٢١٣) :**

**قال العلماء :** ولايختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك جائز لآحاد المسلمين .

**قال إمام الحرمين :** والدليل عليه إجماع المسلمين ، فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية ، والله أعلم. ا هـ.

## من هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؟

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (١ / ٢١٣) :**

إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه،وذلك يختلف باختلاف الشيء ، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء. ا هـ.

## مراتب إنكار المنكر وضوابطه :

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إعلام الموقعين (٣ / ٦ ـ ٧) :**

النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ماهو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لايسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، وقالوا : أفلا نقاتلهم ؟ ، **قال : لا ما أقاموا الصلاة** .

وقال ﷺ : **(من رأى من أميره ما يكره فليصبر ، ولاينزعنَّ يداً من طاعته )** .

ومن تأمل ماجرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولَّد منه ماهو أكبر منه فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم ، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه ، من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر ، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء .

**فإنكار المنكر أربع درجات :**

**الأولى :** أن يزول ويخلفه ضده .

**الثانية :** أن يقل وإن لم يزل بجملته .

**الثالثة :** أن يخلفه ماهو مثله .

**الرابعة :** أن يخلفه ماهو شر منه فالدرجتان الأوليان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة .

فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم

الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ماهو أحب إلى الله ورسوله كرمي النشّاب وسباق الخيل ونحو ذلك .

وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أوسماع مكاء وتصدية ، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما ماهو أعظم من ذلك فكان ماهم فيه شاغلاً عن ذلك ، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجون ونحوها ، وخفت من نقله عنها وانتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحرة ، فدعه وكتبه الأولى وهذا باب واسع .

**وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ يقول :**

مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه وقلت له :

إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم . ا هـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في رسالة الأمر بالمعروف ص ١٧ :**

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أوالمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيه راجحة على المفسدة إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لايحب الفساد بل كل ما أمر الله به هو صلاح،وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذم الفساد والمفسدين في غير موضع ، فحيث كانت مفسدة الأمر بالمعروف والنهي أعظم من مصلحته لم تكن أمر الله به ، وإن كان قد ترك واجب وفعل محرم . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ في منهاج السنّة ( ٤ / ٥٣٦ ) :**

لكن إذا لم يزل المنكر إلا بما هو أنكر منه صارت إزالته على هذا الوجه منكراً وإذا لم يحصل المعروف إلا بمنكر مفسدته أعظم من مصلحة ذلك المعروف كان تحصيل ذلك المعروف على هذا الوجه منكراً. ا هـ.

**قلت :** وقد أشار المصنف ـ رحمه الله ـ إلى هذه الضوابط والمراتب بقوله : على ما توجبه الشريعة . ا هـ.

## صفـــات الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر :

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في منهاج السُّنَّة (٥ / ٢٥٣-٢٥٤) :**

ينبغي أن يكون عليماً بما يأمر به ، عليماً بما ينهى عنه ، رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه، فالعلم قبل الأمر ، والرفق مع الأمر والحلم بعد الأمر، فإن لم يكن عالماً لم يكن له أن يقفو ماليس له به علم ، وإن كان عالماً ولم يكن رفيقاً كان كالطبيب الذي لا رفق فيه فيغلظ على المريض فلا يقبل منه ، وكالمؤدب الغليظ الذي لا يقبل منه الولد .

وقد قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤)** ﴾ [ طه : ٤٤ ] .

ثم إذا أمر أو نهى فلابد أن يؤذى في العادة فعليه أن يصبر ويحلم قال تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان : ١٧ ] ، وقد أمر الله نبيه ﷺ بالصبر على أذى المشركين في غير موضع وهو إمام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله وقصده طاعة لله فيما أمر به ، وهو يحب، صلاح المأمور وإقامة الحجة عليه . ا هـ.

غربة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن النووي ،فكيف بزماننا ! ، وما هو الواجب نحو ذلك ؟ .

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم (١ / ٢١٤) :**

واعلم أن هذا الباب، أعني: باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً،وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه ، وإذا كثر الخبث عمَّ العقاب الصالح والطالح ،وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**

**أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [ النور : ٦٣ ] .

فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله ـ عز وجل ـ أن يعتني بهذا الباب فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه ويخلص نيته ولايهابنّ من ينكر عليه لارتفاع مرتبته ، فإن الله تعالى قال : ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ﴾ [الحج : ٤٠ ] . وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [ آل عمران : ١٠١ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [ العنكبوت : ٦٩ ] ، وقال تعالى : ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)** ﴾ [ العنكبوت : ٢ - ٣ ] .

واعلم أن الأجر على قدر النصب ، ولا يتاركه أيضاً لصداقته ومودته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ودوام المنزلة لديه ،فإن صداقته ومودته توجب له حرمة وحقاً ، ومن حقه أن ينصحه ويهديه إلى مصالح آخرته وينقذه من مضارها ، وصديق الإنسان ومحبه هو من سعى في عمارة آخرته ، وإن أدى ذلك إلى نقص في دنياه .

وعدوه من يسعى في ذهاب أو نقص آخرته وإن حصل بسبب ذلك صورة نفع في دنياه ، وإنما كان إبليس عدواً لنا لهذا وكانت الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ أولياء للمؤمنين لسعيهم في مصالح آخرتهم وهدايتهم إليها ، ونسأل الله الكريم توفيقنا وأحبابنا وسائر المسلمين لمرضاته وأن يعمنا بجوده ورحمته ، والله أعلم . ا هـ .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( ويرون إقامة الحج والجمع والأعياد مع الأمراء ، أبراراً كانوا أو فجاراً ) .**

**هذه هي المسألة الثانية .**

قوله : ( **يرون** ) : أي يعتقدون ، وهذه المسألة من أصول أهل السُّنَّة والجماعة التي خالفوا بها أهل البدع ، لأن الخروج على الحكام الظلمة والفسقة رأس كل شر كما يفعله ويعتقده الخوارج والرافضة .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في إعلام الموقعين (٣ / ٦ـ٧) :**

فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ماهو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لايسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر ، وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وقالوا: أفلا نقاتلهم ؟ ، **فقال : لا ما أقاموا الصلاة .**

وقال : ( **من رأى من أميره مايكرهه فليصبر ، ولاينزعن يداً من طاعته** ) .

ومن تأمل ماجرى على الإسلام من الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر فطلب إزالته فتولد منه ماهو أكبر منه ... إلى أن قال ـ رحمه الله ـ : ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ماهو أعظم منه. اهـ.

**وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى ( ٤ / ٤٤٤ ) :**

ولهذا كان مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ترك الخروج بالقتال على الملوك البغاة والصبر على ظلمهم إلى أن يستريح برٌّ ويستراح من فاجر . اهـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٢٨٠ـ٢٨١) :**

ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يصلون الجمعة والأعياد ولايدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم ... فالصلاة خلف المستور جائزة باتفاق علماء المسلمين ومن قال : إن الصلاة باطلة أومحرمة خلف من يعرفون فجوره كما صلى ابن مسعود وغيره خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان يشرب الخمر، وصلى الصبح مرَّة أربعاً وجلده عثمان على ذلك . وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف . اهـ.

**وقال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في التنبيهات اللطيفة ص ١٠٤ تحت الفقرة السابقة من كلام شيخ الإسلام :**

وذلك لأن غرضهم الوحيد تحصيل المصالح وتكملتها وتعطيل المفاسد وتقليلها

فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير وترغيبه فيه قولاً وفعلاً ، فيشاركون الولاة الظلمة في الخير ، ويفارقونهم في الشر ، ويحرصون على الاتفاق ، وينهون عن الافتراق . ا هـ.

**المسألة الثالثة قول المصنف ـ رحمه الله ـ :** ويحافظون على الجماعات .

أي أن من صفات أهل السُّنَّة والجماعة المحافظة على أداء الصلاة في جماعة، الصلوات الخمس والجمعة والأعياد ونحو ذلك امتثالاً للأوامر الشرعية،وحرصاً على الأجور العظيمة المترتبة على ذلك ، وتحصيلاً للمصالح الكثيرة الدينية والدنيوية .

وأهل السُّنَّة بهذا يخالفون المنافقين الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة وخلافاً للرافضة الذين لا يرون الجماعة إلا خلف إمام معصوم .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ :** من ظن أن صلاته وحده أفضل من أجل خلوته أو غير ذلك فهو مخطىء ضال، وأضل منه من لم ير الجماعة إلا خلف المعصوم فعطّل المساجد وعمّر المشاهد. ا هـ.

**المسألة الرابعة : قول المصنف ـ رحمه الله ـ : (ويدينون بالنصيحة للأمة) .**

أي أن من صفات أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يتخذون النصيحة ديناً لأنهم يحبون الخير للغير ، فالمؤمنون نصحة والمنافقون غششة .

وأنصح الناس للناس هم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم أتباعهم. وأكملهم أتباع نبينا محمد ﷺ .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **(الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله، ولكتابه،ولرسوله،ولأئمة المسلمين وعامتهم )** .

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (١ / ٢٢٥ـ٢٢٧) :**

هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام كما سنذكره من شرحه .

وأما ما قاله جماعات من العلماء إنه أحد أرباع الإسلام ، أي : أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام ، فليس كما قالوه بل المدار على هذا وحده .

وهذا الحديث من أفراد مسلم وليس لتميم الداري في صحيح البخاري عن النبي ﷺ شيء ولا له في مسلم غير هذا الحديث .

**أما شرح هذا الحديث فقال أبوسليمان الخطابي - رحمه الله - :**

**النصيحة : كلمة جامعة معناها :** حيازة الحظ للمنصوح له .

**قال : ويقال :** هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلاح : ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه .

**قال : ويقال :** النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب .

**قال : ويقال :** إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط .

**قال :** ومعنى الحديث : عماد الدين وقوامه : النصيحة،كقوله : ( **الحج عرفة** ) أي عماده ومعظمه عرفة .

**أما تفسير النصيحة وأنواعها فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء فيها كلاما نفيساً :**

أنا أضم بعضه إلى بعض مختصراً .

**قالوا :** أما النصيحة لله تعالى فمعناها منصرفٌ إلى الإيمان به ونفي الشريك عنه ، وترك الإلحاد في صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، وتنزيهه - سبحانه وتعالى - من جميع النقائص والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، وموالاة من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها ،والإخلاص في جميع الأمور ،والدعاء إلى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها ، والتلطف في جميع الناس أو من أمكن منهم عليها .

**قال الخطابي - رحمه الله - :** وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه

نفسه ، فالله تعالى غني عن نصح الناصح .

**وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى :**

فالإيمان بأنه كلام الله تعالى ـ غير مخلوق ـ وتنزيله، ولا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولايقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه ، لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ماذكرنا من نصيحته.

**وأما النصيحة لرسول الله ﷺ :**

فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً ، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسُنَّته ، وبث دعوته ، ونشر شريعته ، ونفي التهمة عنها ، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها ، والدعاء إليها ، والتلطف في تعلمها وتعليمها ، وإعظامها وإجلالها والتأدب عند قراءتها ، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم ، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه ، ومجانبة من ابتدع في سنته ، أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك .

**وأما النصيحة لأئمة المسلمين :**

فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم .

**قال الخطابي ـ رحمه الله ـ :**

ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عِشرة، وأن لا يغروا بالثناء

الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح ، وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور ، وحكاه أيضاً الخطابي ، ثم قال :

وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول مارووه وتقليدهم [١] في الأحكام وإحسان الظن بهم .

**أما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر :**

فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل وستر عوراتهم ،وسد خلاتهم ، ودفع المضار عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم ، وتخولهم بالموعظة الحسنة ، وترك غشهم وحسدهم ، وأن يحب لهم مايحب لنفسه من الخير ، ويكره لهم مايكره لنفسه من المكروه ، والذَّبّ عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل ، وحثّهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة وتنشيط هممهم إلى الطاعات .

وقد كان في السلف ﷺ من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه ، والله أعلم .

هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة .

**قال ابن بطال ـ رحمه الله ـ في هذا :**

إن النصيحة تسمّى ديناً وإسلاماً ، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول.

**قال :** والنصيحة فرض يجزىء فيه من قام به ويسقط عن الباقين .

**قال :** والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يقبل منه ويطاع أمره وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة ، والله أعلم . ا هـ.

---

( ١ ) وليس هذا على الإطلاق ، بل فيه تفاصيل مذكورة في كتب الاصول .

**المسألة الخامسة: في بيان بعض حقوق المسلمين على بعضهم وتولي بعضهم بعضاً في حدود الشرع.**

**فقد قال الشيخ ـ رحمه الله ـ:** ويعتقدون معنى قوله ﷺ: **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه).**

وقوله ﷺ: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).**

**قلت:** الحديثان في الصحيحين وغيرهما، وقد قال الإمام النووي في الكلام على الحديثين في شرح صحيح مسلم (١٦ / ٣٥٥ـ ٣٥٦):

هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه، وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام. اهـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٣/٤١٨ - ٤٢١):** وقد أخبر ـ سبحانه ـ أن ولي المؤمن هو الله ورسوله وعباده المؤمنين، وهذا عام في كل مؤمن موصوف بهذه الصفة، سواء كان من أهل نسبة أو بلدة أو مذهب أو طريقة أو لم يكن ... إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

وقد جعل الله عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم إخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين، وأمرهم ـ سبحانه ـ بالإئتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فكيف يجوز مع هذه الأمة، أمة محمد ﷺ أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة، ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى، بلا برهان من الله تعالى، وقد برأ الله نبيه ﷺ ممن كان هكذا.

فهذا فعل أهل البدع كالخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين واستحلوا دماء من خالفهم ، وأما أهل السُّنَّة و الجماعة فهم معتصمون بحبل الله وأقل ما في ذلك أن يفضل الرجل من يوافقه على هواه وإن كان غيره أتقى لله منه .

وإنما الواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله ، ويؤخر من أخره الله ورسوله ، ويحب ماأحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، وينهى عما نهى الله عنه ورسوله ، وأن يرضى بما رضي الله به ورسوله ، وأن يكون المسلمون يداً واحدة فكيف إذا بلغ الأمر ببعض الناس إلى أن يضلل غيره ويكفره وقد يكون الصواب معه وهو الموافق للكتاب والسُّنَّة ولو كان أخوه المسلم قد أخطأ في شيء من أمور الدين فليس كل من أخطأ يكون كافراً ولا فاسقاً بل قد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وقد قال تعالى في كتابه في دعاء الرسول ﷺ والمؤمنين : ﴿ **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ [ البقرة : ٢٨٦ ] .

وثبت في الصحيح أن الله قال : ( **قد فعلت** ) .

لاسيما وقد يكون من يوافقكم في أخص من الإسلام ، مثل أن يكون مثلكم على مذهب الشافعي أو منتسباً إلى الشيخ عدي، ثم بعد هذا قد يخالف في شيء، وربما كان الصواب معه ، فكيف يستحل عرضه وماله ودمه ؟ ، مع ما قد ذكر الله تعالى من حقوق المسلم والمؤمن .

وكيف يجوز التفريق بين الأمة بأسماء مبتدعة لاأصل لها في كتاب الله ولافي سنة رسوله ﷺ ، وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشائخها وأمرائها وكبرائها ، هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها ، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ** ﴾ [ المائدة : ١٤ ] .

فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء ، وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا ، وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا ، فإن الجماعة رحمة ، والفرقة

عذاب . ا هـ.

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( ويأمرون بالصبر عند البلاء ) .**

وذلك لأن الله أمر به نبيه ﷺ وعباده الصالحين وبيَّن عواقبه الحميدة وأثنى على أهله ووعد عليه بجزيل الثواب وأمر أن يستعان به وبالصلاة قال تعالى : ﴿ **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ** ﴾ [ البقرة : ٤٥ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** (٤٣) ﴾ [ الشورى : ٤٣ ] ، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [ الزمر : ١٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (٢٠٠) ﴾ [ آل عمران : ٢٠٠ ]

وقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾ [ الأحقاف : ٣٥ ] ، وقال تعالى :﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (١٥٥) **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** (١٥٦) **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** (١٥٧) ﴾ [ البقرة : ١٥٥-١٥٧ ] .

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يستعفف يُعفه الله ، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً ولا أوسع من الصبر )** .

وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال : **( والصبر ضياء )** .
والأحاديث في هذا كثيرة .

ومن أعظم ماينبغي الصبر عليه من البلاء الصبر عند أن يبتلى المرء من أجل دين الله ، فله في رسل الله وأصحاب نبينا ﷺ خير أسوة ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( والشكر عند الرخاء ) .**

لأن ذلك مؤذن ببقاء النعمة والزيادة منها قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** (٧) ﴾ [ إبراهيم : ٧ ] ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾ [ الزمر : ٧ ] .

وقال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [ البقرة : ١٥٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [ سبأ : ١٣ ] وغير ذلك .

وفي صحيح مسلم عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **عجباً لأمر المؤمن ،إن أمره كله له خير ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن اصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن** ) .

وعند أبي داود وغيره أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : ( **إني أحبك في الله، فلا تدع أن تقول دبر كل صلاة ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** ) .

**والشكر يكون بالقول والفعل والقلب كما قيل :**

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ويكون شكر كل نعمة بحسبها .

**ورحم الله ابن المبارك إذ قال :**

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الإله ... فإن الإله سريع النقم

**قال المصنف ـ رحمه الله ـ : ( والرضى بمرِّ القضاء ) .**

أي ويأمرون بالرضى بمرِّ القضاء فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولاً** ) .

ومن الرضا بالله رباً الرضا بقضائه وقدره ، لأن الله أرحم بعباده من آبائهم وأمهاتهم، ولأن أفعال الله مقرونة بالحكمة ، وليس في أفعال الله شر، إنما هي خير ، وإنما الشر في مفعولاته .

## مسألة : هل يجب الرضا بالقضاء مطلقاً ؟ :

**الجواب : قال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في شفاء العليل ص ( ٥٤٦ ) :**

**القضاء نوعان** : ديني وكوني .

فالديني يجب الرضا به وهو من لوازم الإسلام .

والكوني منه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ، ومن تمام شكرها الرضا بها . ومنه ما لا يجوز الرضا به ، كالمعائب والذنوب التي يسخطها الله ، وإن كانت بقضائه وقدره ، ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب ، وفي وجوبه قولان ، هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي .

وأما القضاء الذي هو وصفه - سبحانه - وفعله كعلمه وكتابته وتقديره ومشيئته ، فالرضا به من تمام الرضا بالله ، رباً وإلهاً ومالكاً ومدبراً .

فبهذا التفصيل يتبين الصواب ويزول اللبس في هذه المسألة العظيمة التي هي مفرق طرق بين الناس .

**فإن قيل** : كيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب مع شدة الكراهة والنفرة منها ؟، وكيف يكلف العبد أن يرضى بما هو مؤلم له وهو كاره له ، والألم يقتضي الكراهة والبغض المضاد للرضا ، واجتماع الضرين محال ؟.

**قيل** : الشيء قد يكون محبوباً مرضياً من جهة ومكروهاً من جهة أخرى كشرب الدواء النافع الكريه ،فإن المريض يرضى به مع شدة كراهته له وكصوم اليوم الشديد الحر فإن الصائم يرضى به مع شدة كراهته له،وكالجهاد للأعداء ،قال تعالى :﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [ البقرة : ٢١٦ ] .

فالمجاهد المخلص يعلم أن القتال خير له فرضي به وهو يكرهه لما فيه من التعرض لإتلاف النفس وألمها ومفارقة المحبوب ،ومتى قوي الرضا بالشيء وتمكن انقلبت كراهته محبة وإن لم يخل من الألم، فالألم بالشيء لاينافي الرضا به ، وكراهته من وجه لاتنافي محبته وإرادته والرضا به من وجه آخر . ا هـ.

**ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال،ويعتقدون معنى قوله ﷺ : ( أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ) ويندبون إلى أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك .**

**الأخلاق :** جمع خُلُق بضم الخاء واللام وهي السجايا الباطنة الفاضلة للمرء .

فأهل السُّنَّة يدعون إلى مكارم الأخلاق من حياء وصبر وحسن ظن وسلامة صدر وشجاعة وغير ذلك ، كما يدعون إلى محاسن الأعمال من صدق وكرم، وحُسن جوار، وصلة الأرحام ، وبر بالوالدين وغير ذلك .

فأهل السُّنَّة والجماعة يدعون إلى ذلك ويجاهدون أنفسهم على التحلي به ، ويسألون الله الهداية إلى أحسن الأخلاق ، ويستعيذون بالله من سيئها ، كل ذلك طاعة لله ولرسوله ﷺ ، وإقتداءً بأخلاق رسول الله ﷺ ، وأعماله فهو ﷺ أحسن الناس خُلقاً ، ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه خادم رسول الله قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً .

وفي الصحيحين أيضاً عنه رضي الله عنه قال : ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ ،ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ،ولقد خدمت رسول الله عشر سنين ، فما قال لي قط : أفٍ ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا .

وقد حثَّنا ربنا ـ سبحانه ـ في آيات كثيرة على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وكذلك نبينا ﷺ .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩ ] .

**قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في مدارج السالكين (٢ / ٣٠٤) :**

وقد جمع الله مكارم الأخلاق في قوله تعالى : ( ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ قال جعفر بن محمد : أمر الله نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه . ا هـ.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [ آل عمران : ١٣٤ ] . ومن ذلك مافي سورة الحجرات وغيرها .

ومن السُّنَّة مارواه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : ( **البر : حُسن الخلق ، والإثم : ما حاك في نفسك ؛ وكرهت أن يطَّلع عليه الناس** ) .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول : ( **إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً** ) .

وفي الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ( **ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء** ) .

**قال العلامة ابن القيم في مدارج السالكين (٢ / ٣٠٧) :**

فصل : الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ (٢ / ٣٠٨) :**

**حُسن الخلق يقوم على أربعة أركان لايتصور قيام ساقه إلا عليها :**

■ الصبر والعفة والشجاعة والعدل ، فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، والحلم والأناة ، والرفق وعدم الطيش والعجلة .

■ والعفة تحمله على اجتناب القبائح من القول والفعل ، وتحمله على الحياء ، وهو رأس كل خير ، وتمنعه من الفحشاء والكذب والبخل ، والغيبة والنميمة .

■ والشجاعة تحمله على عزَّة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم والبذل والندى.

■ والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط ، فيحمله على خلق الجود والسخاء ، الذي هو توسط بين الذل والقحة ، وعلى خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين

الغضب والمهانة وسقوط النفس .

**ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان :**

الجهل ، والظلم، والشهوة ، والغضب . ا هـ.

**ولقد أحسن من قال :**

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( ويندبون إلى أن تصل من قطعك ،وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ) .**

وذلك لقوله تعالى : ﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ [ الشورى : ٣٧ ] .

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **( ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها )** .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ ، فقال رسول الله ﷺ : **( لئن كنت كما قلت ، فكأنما تسفُّهم الملَّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك )** .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً ،وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله )** .

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :**

وجماع حسن الخلق مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام والدعاء والاستغفار والثناء عليه والزيارة له ،وتعطي من حرمك من التعليم والمنفعة والمال ، وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض،وبعض هذا واجب وبعضه مستحب .ا هـ.

نقلاً من التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ( ٣٣٩ ) .

## ويأمرون ببر الوالدين ،وصلة الأرحام ،وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين ،وابن السبيل ، والرفق بالمملوك

أي أن أهل السُّنَّة والجماعة يأمرون ببر الوالدين وذلك بالإحسان إليهما بالقول والفعل وعدم الإساءة إليهما بالقول والفعل ، وطاعتهما في غير معصية الله .

قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) ﴾ [ لقمان : ١٤-١٥ ] .

وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سألت رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟، قال: ( **الصلاة على وقتها** . قلت : ثم أي؟ ، **قال** : **بر الوالدين** . قلت : ثم أي ؟ ، **قال** : **الجهاد في سبيل الله** ) . متفق عليه .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول : من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ ، **قال** : **أمك** . قال : ثم من ؟ ، **قال** : **أمك** . قال : ثم من ؟، **قال أمك** . قال ثم من ؟ ، **قال** : **أبوك** . متفق عليه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى . **قال** : **فهل لك من والديك أحد حي؟** ، قال : نعم ، بل كلاهما . **قال**: **فتبتغي الأجر من الله تعالى ؟** . قال : نعم . **قال** : **فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما** . رواه مسلم .

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( وصلة الأرحام ) .**

الأرحام هنا كل من تجمعك بهم قرابة وأحقهم بصلتك الأقرب فالأقرب .

وصلة الرحم تكون بالقول وبالفعل حسب الاستطاعة بالمعروف .

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ ، قالت : بلى . قال : فذلك لك ) .**

ثم قال رسول الله ﷺ : إقرأوا إن شئتم : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)** ﴾ [ محمد : ٢٢ ـ ٢٣ ] .

وفي البخاري ومسلم أيضاً عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **( من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره ؛ فليصل رحمه ) .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٦٧٧) :**

الصلة جاءت في القرآن والسُّنَّة مطلقة .

وكل ما أتى ولم يحدَّدِ ... بالشرع كالحرز فبالعرف احدد

وعلى هذا يرجع إلى العرف فيها فما سماه الناس صلة فهو صلة وما سماه قطيعة فهو قطيعة ، وهذه تختلف باختلاف الأحوال والأزمان والأمكنة والأمم ، إذا كان الناس في حال فقر وأنت غني وأقاربك فقراء فصلتهم أن تعطيهم بقدر حالك ، وإذا كان الناس أغنياء وكلهم في خير ، فيمكن أن يعد الذهاب إليهم في الصباح أو المساء صلة ، وفي زماننا هذا الصلة بين الناس قليلة وذلك لانشغال الناس في حوائجهم وانشغال بعضهم عن بعض ، والصلة التامة أن تبحث عن حالهم وكيف أولادهم وترى مشاكلهم ، ولكن هذه مع الأسف مفقودة ، كما أن البر التام مفقود عند كثير من الناس . اهـ.

**وقول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( وحسن الجوار ) .**

قال تعالى : ﴿ **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ** ﴾ [ النساء : ٣٦ ] .

وفي الصحيحين عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قالا : قال رسول الله ﷺ : **(مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ) .**

وفيهما أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، والله لايؤمن** ،قيل من يارسول الله؟ **قال : الذي لايأمن جاره بوائقه) .**

وفيهما عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره ) .**

ويكون حسن الجوار بالقول والفعل كما أن الأذى يكون بالقول والفعل .

**قول المصنف : ( والإحسان إلى اليتامى والمساكين ) .**

لقوله تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)** ﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠)** ﴾ [ الضحى : ٩ ــ ١٠ ] ، وقال تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣)** ﴾ [ الماعون : ١ ــ ٣ ] .

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما ) .**

وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **( الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال : كالقائم الذي لايفتر ؛ وكالصائم لايفطر ) .**

وعند أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(أبغوني الضعفاء ، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم ) .**

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ : ( وابن السبيل ، والرفق بالمملوك ) .**

سمي ابن السبيل بذلك لملازمته السفر قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .

وقد جعل الله ابن السبيل من مصارف الزكاة وله حق الضيافة والإكرام .

وأما الرفق بالمملوك فهو مأمور به سواء كان لك أو لغيرك ، فالرفق به والإحسان إليه مطلوب لعمومات الأدلة في الإحسان إلى الضعيف والمسكين .

وقد قال النبي ﷺ كما في الصحيحين : ( **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** ) .

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : ( **كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته** ) .

وفي البخاري عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلَّة وعلى غلامه حُلّة فسألته عن ذلك ، فقال : إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي ﷺ : ( **يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ ، إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم** ) .

## وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) ﴾ [ القصص : ٨٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴾ [ لقمان : ١٨ - ١٩ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ﴾ [ الإسراء : ٣٧ - ٣٨ ] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [ الشورى : ٤٢ ] .

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد** ) .

وفي الصحيحين عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **ألا أخبركم بأهل الجنة** ، قالوا : بلى . **قال : كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره** ، ثم قال : **ألا أخبركم بأهل النار** ، قالوا : بلى . **قال : كل عتل جواظ مستكبر** ) .

والعتل : الشديد الخصومة الجافي ، والجواظ : الجموع المنوع ، وقيل : المختال أو الفاجر .

وعند أبي داود أن النبي ﷺ قال : ( **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه**

**العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له يوم القيامة ، من البغي وقطيعة الرحم ) .**

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو بغى جبل على جبل لدكَّ الله الباغي منهما .

**وقد قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص ( ٦٨١-٦٨٢ ) :**

الفخر بالقول ،والخيلاء بالفعل والبغي والعدوان ، والاستطالة :الترفع والاستعلاء .

فينهون عن الفخر : أن يتفاخر الإنسان على غيره بقوله فيقول : أنا العالم ، أنا الغني ، أنا الشجاع ، وإن زاد على ذلك أن يستطيل على الآخرين ويقول : ماذا أنتم عندي ؟ ، فيكون هذا فيه بغي واستطالة على الخلق .

والخيلاء تكون بالأفعال،يتخايل في مشيته،وفي وجهه، وفي رفع رأسه ورقبته، إذا مشى كأنه وصل إلى السماء ، والله ـ عز وجل ـ وبّخ من كان هكذا ، وقال: ﴿ **وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً** (٣٧) ﴾ .

فأهل السُّنَّة والجماعة ينهون عن هذا ويقولون : كن متواضعاً في القول والفعل حتى في القول لا تثن على نفسك بصفاتك الحميدة إلا حيث دعت الضرورة أو الحاجة إلى ذلك كقول ابن مسعود رضي الله عنه : ( لو أعلم أحداً هو أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل ؛ لركبت إليه ) .

**فإنه رضي الله عنه قصد بذلك أمرين :**

**الأول :** حث الناس على تعلم كتاب الله تعالى .

**الثاني :** دعوتهم للتلقي عنه .

والإنسان ذو الصفات الحميدة لا يظن الناس تخفى عليهم خصاله أبداً سواء ذكرها للناس أم لم يذكرها ، بل إن الرجل إذا صار يعدد صفاته الحميدة أمام الناس سقط من أعينهم ، فاحذر هذا الأمر .

والبغي : العدوان على الغير ومواقعه ثلاثة بيَّنها الرسول ﷺ في قوله : ( **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم ، حرام** ) .

فالبغي على الخلق بالأموال والدماء والأعراض .

**في الأموال :** مثل أن يدعي ماليس له أو ينكر ما كان عليه أو يأخذ ماليس له فهذا بغي على الأموال .

**وفي الدماء :** القتل فما دونه يعتدي على الإنسان بالجرح والقتل .

**وفي الأعراض :** يحتمل أن يراد بها الأعراض يعني : السمعة فيعتدي عليه بالغيبة التي يشوه بها سمعته ويحتمل أن يراد بها الزنى وما دونه ، والكل محرم ، فأهل السُّنَّة والجماعة ينهون عن الاعتداء على الأموال والدماء والأعراض .

وكذلك الاستطالة على الخلق يعني الاستعلاء عليهم بحق أو بغير حق .

فالاستعلاء على الخلق ينهى عنه أهل السُّنَّة والجماعة سواء كان بحق أو بغير حق، والاستعلاء هو أن الإنسان يترفع على غيره .

وحقيقة الأمر أن من شكر نعمة الله عليك أن الله إذا منَّ عليك بفضل على غيرك من مال أو جاه أو سيادة أو علم أو غير ذلك ، فإنه ينبغي أن تزداد تواضعاً حتى تضيف إلى الحسن حسنى ،لأن الذي يتواضع في موضع الرفعة هو المتواضع حقيقة .

**ومعنى قوله :** بحق : أي حتى لو كان له الحق في بيان أنه عال مترفع، فإن أهل السُّنَّة والجماعة ينهون عن الاستعلاء والترفع أو يقال : إن معنى قوله : ( الاستطالة بحق ) أن يكون أصل استطالته حقاً بأن يكون قد اعتدى عليه إنسان فيعتدي عليه أكثر .فأهل السُّنَّة والجماعة ينهون عن الاستطالة والاستعلاء على الخلق ، سواء كان ذلك بحق أو بغير حق. ا هـ.

**ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفاسفها ،وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره ؛ فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسُنّة وطريقتهم هي دين الإسلام ، الذي بعث الله به محمداً ﷺ .**

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( ويأمرون بمعالي الأخلاق ) .**

أي الأخلاق العالية الحسنة كالصدق والعفاف والصبر والأمانة وغير ذلك .

**وقوله : ( وينهون عن سفاسفها ) .**

أي رديئها وحقيرها كالكذب والخيانة والحسد وغيرها .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسُّنَّة ) .**

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٦٨٣) :**

وهذه حال ينبغي أن يتنبه لها وهو أننا كل ما نقوله وكل ما نفعله نشعر حال قوله أوفعله أننا نتبع فيه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع الإخلاص لله ، لتكون أقوالنا وأفعالنا كلها عبادات لله ـ عز وجل ـ ولهذا يقال :

إن عبادات الغافلين عادات وعادات المنتبهين عبادات .

فالإنسان الموفق يمكن أن يحول العادات إلى عبادات ، والإنسان الغافل يجعل عباداته عادات ، فليحرص المؤمن على أن يجعل أقواله وأفعاله كلها تبعاً لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، لينال بذلك الأجر ، ويحصل به كمال الإيمان ، والإنابة إلى الله عز وجل . ا هـ.

**قول المصنف ـ رحمه الله ـ :** وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٣٦٩) :**

فأمر ـ سبحانه وتعالى ـ في أم الكتاب التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا

في الزبور ولا في الفرقان مثلها والتي أعطيها نبينا ﷺ من كنز تحت العرش التي لا تجزيء صلاة إلا بها أن نسأله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم كاليهود ولا الضالين كالنصارى .

وهذا الصراط المستقيم هو دين الإسلام المحض وهو ما في كتاب الله تعالى وهو السُّنَّة والجماعة ، فإن السُّنَّة المحضة هي دين الإسلام المحض ، فإن النبي ﷺ روي عنه من وجوه متعددة ، رواها أهل السنن والمسانيد كالإمام أحمد وأبي داود والترمذي وغيرهم أنه قال : ( **ستفترق هذه الأمة على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار ، إلا واحدة ، وهي الجماعة** ) .

وفي رواية : ( **من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي** ) . اهـ.

لكن لما أخبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة ، وفي حديث عنه أنه قال : ( **هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ) .

صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوائب هم أهل السُّنَّة والجماعة .

**قال شيخ الإسلام - رحمه الله - كما في مجموع الفتاوى (٣ / ٣٤٥-٣٤٧) :**

الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد كسنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرهم ولفظه : ( **افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة** ) .

وفي لفظ : ( **على ثلاث وسبعين ملَّة** ) وفي رواية : ( قالوا يارسول الله من الفرقة الناجية ؟ ، قال : **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** ) .

وفي رواية قال : ( **هي الجماعة ، يد الله على الجماعة** ) .

ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السُّنَّة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم ، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ،

ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبًا من مبلغ الفرقة الناجية فضلاً عن أن تكون بقدرها بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة .

وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسُّنَّة والإجماع .

فمن قال بالكتاب والسُّنَّة والإجماع كان من أهل السُّنَّة والجماعة .

وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات وذكروهم في كتب المقالات، لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي إحدى الثنتين والسبعين ، لا بدَّ له من دليل ، فإن الله حرم القول بلا علم عموماً .

وحرم القول عليه بلا علم خصوصاً فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [ الأعراف : ٣٣ ] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (١٦٩) ﴾ [ البقرة : ١٦٨ - ١٦٩ ] .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء : ٣٦ ] .

وأيضاً فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى فيجعل طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل الحق والسُّنَّة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، فهو الذي يجب تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته في كل ما أمر ، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة ، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويُترك، إلا رسول الله ﷺ .

فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السُّنَّة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة ، كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة في الكلام في الدين ، وغير ذلك كان من أهل البدع والضلال والتفرق .

وبهذا يتبين أن أحق الناس بأن تكون هي الفرقة الناجية أهل الحديث والسُّنَّة الذين ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله ﷺ وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها، وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها واتباعاً لها : تصديقاً وعملاً وحباً وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها، الذين يروون المقالات المجملة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة ، فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم ، وجمل كلامهم إن لم تكن ثابته فيما جاء به الرسول، بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه . ا هـ.

## الثنتين والسبعين فرقة ليست خارجة عن الإسلام :

**قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوي :**

والنبي ﷺ لم يخبر بأن الثنتين والسبعين فرقة خارجة عن الإسلام بل جعلهم من أمته ولم يقل إنهم مخلدون في النار ، فمن كفَّر الثنتين وسبعين فرقة فقد خالف الكتاب والسُّنَّة والصحابة والتابعين لهم بإحسان . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ (٧ / ٢١٨) :**

ومن قال أن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفراً ينقل عن الملَّة فقد خالف الكتاب والسُّنَّة وإجماع الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة . ا هـ.

## هل ظهرت الفرق كلها أم بعضها ؟

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٦٨٤ـ٦٨٥) :**

وهذه الثلاث والسبعون فرقة ، هل وقعت الآن وتمت أو هي في المنظور ؟ .

**أكثر الذين تكلموا على هذا الحديث قالوا :**

إنها وقعت وانتهت وصاروا يقسمون أهل البدع إلى خمسة أصول رئيسية ، ثم هذه الخمسة الأصول يفرعون عنها فرقاً حتى أوصلوها إلى اثنتين وسبعين فرقة ، وأبقوا فرقة واحدة ، وهي أهل السُّنَّة والجماعة .

**وقال بعض العلماء :** إن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أبهم هذه الفرق ولا حاجة أن نتكلم فنقسم البدع الموجودة الآن إلى خمسة أصول ، ثم نقسم هذه الأصول إلى فروع ، حتى يتم العدد حتى إننا نجعل الفرع أحياناً فرقة تامة من أجل مخالفتها في فرع واحد ، فإن هذا لا يعد فرقة فالأولى أن نقول :

إن هذه الفرق غير معلومة لنا ، ولكننا نقول بلا شك إنها فرق خرجت عن الصراط المستقيم ، منها ما خرج فأبعد ، ومنها ما خرج خروجاً متوسطاً ، ومنها ما خرج خروجاً قريباً ، ولا نلزم بحصرها لأنه ربما تخرج فرق تنتسب للأمة الإسلامية غير التي عدها العلماء ،كما هو الواقع فقد خرجت فرق تنتسب إلى الإسلام من غير الفرق التي كانت قد عُدَّت في عهد العلماء السابقين .

وعل كل حال فالرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن أمته أمة الإجابة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة وفي النار إلا واحدة وهي الجماعة التي اجتمعت على الحق ولم تفترق فيه . ا هـ.

فأهل السُّنَّة كما قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ هم المتمسكون بالإسلام الخالص عن الشوب .

فهم أبعد الناس عن البدع والضلالات والخرافات والأهواء ، وأسعد الناس بالمعقول والمنقول ، وليس مثلهم أحد في تعظيم الكتاب والسُّنَّة ومتابعة سلف الأمة، فلا يقدمون على النقل عقلاً ولا ذوقاً ولاعادة ولا مناماً ولا وجداً يزنون الرجال وأقوالهم بالكتاب والسُّنَّة ، ولا يزنون الكتاب والسُّنَّة بآراء الرجال، فللّه درهم وعليه أجرهم .

## وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون ، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة

الفرقة الناجية المنصورة أهل السُّنَّة والجماعة مظنَّة لكل خير ومنبع كل خير وأهلها أصفى الناس مورداً ، وأحسنهم طريقاً ، وأنفعهم أثراً ، وأصدقهم حديثاً ، ففيهم الصديقون والشهداء والصالحون ، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة .

وقد سبق الكلام على الصديقين والشهداء والصالحين .

**وقوله ـ رحمه الله ـ : ( ومنهم أعلام الهدى ) .**

**الأعلام :** جمع علم وهو ما يهتدى به إلى الطريق من جبل وغيره . ومنه قول الخنساء في رثاء أخيها صخر :

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وسمِّي العالم علماً لأن الناس يهتدون بعلمه إلى الطريق المستقيم .

**الهدى :** ضد الضلال . فأهل السُّنَّة فيهم العلماء الربانيون الهداة المهتدون بخلاف غيرهم ، ففيهم علماء الضلالة ، فعلماء أهل السُّنَّة والجماعة يهدون الناس إلى صراط الله المستقيم هداية دلالة وإرشاد ، لأنهم يحملون العلم الصحيح الصافي ، ميراث رسول الله ﷺ .

**قوله : ( مصابيح الدجى ) .**

المصابيح : جمع مصباح وهو السراج . والدجى : الظلمة .

فمن أهل السُّنَّة مصابيح الدجى ، الذي يستضاء بهم في ظلمات الشرك والجهل والهوى والفتن ، فهم مصابيح الظُلَم يستضيء الناس بنورهم .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة ) .**

**المناقب :** جمع منقبة وهي المفخرة والمرتبة .

**المأثورة:** أي المذكورة .

**والفضائل:** جمع فضيلة وهي ضد النقيصة والرذيلة ، فالفضائل الخصال الفاضلة الحسنة .

**المذكورة:** أي ذائعة الصيت المترددة على ألسنة الناس .

**والذكر هو:** الصيت والشرف ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

فعلماء أهل السُّنَّة وأئمتهم قد ماتت أبدانهم ، وهم أحياء بين الناس بعلمهم وآثارهم الحميدة ، ومواقفهم السديدة ، وفتاويهم الرشيدة، فهم مضرب مثل في علمهم وزهدهم ، وثباتهم على الحق ، ونصرتهم لدين الله ، وألسنة الناس تلهج بالثناء عليهم والدعاء لهم ، وهذا هو عمر ثانٍ وحياة ثانية كما قيل :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثاني

**وكما قال المتنبي :**

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ... ما فاته وفضول العيش أشغال

**وقال آخر :**

أخو العلم حي خالد بعد موته ... وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشي على ... الثرى يُعد من الأحياء وهو عديم

## وفيـــهم الأبدال

لفظ الأبدال لم يرد في كتاب الله ولا في صحيح سنة رسول الله ﷺ ولا من كلام الصحابة ﭫ ، وقد اشتهراستعمال هذا اللفظ عند الصوفية .

وقد أطلقه بعض علماء أهل السُّنَّة والجماعة على بعض العلماء والصالحين وأرادوا به معنىً صحيحاً وأنهم كلما مات منهم واحد خلفه آخر كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي أخرجه ابن ماجة ، عن أبي عنبة الخولاني : ( **لا يزال الله يغرس لهذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته** ) .

وقيل إن هؤلاء العلماء والعباد سموا أبدالاً لأنهم كانوا يبدلون سيئاتهم حسنات بالتوبة والاستغفار والاستكثار من الأعمال الصالحة وقيل غير ذلك من المعاني الصحيحة وهذا مراد شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذا الموضع وقد جاءت في الأبدال أحاديث لا يصح منها شيء .

فقد سئل شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى ( ١١ / ٤٣٣ ) عن الحديث المروي في الأبدال هل هو صحيح أم هو مقطوع؟،وهل الأبدال مخصوصون بالشام؟، أم حيث تكون شعائر الإسلام قائمة بالكتاب والسُّنَّة يكون بها الأبدال بالشام وغيره من الأقاليم ؟ ، وهل صحيح أن الولي يكون قاعداً في جماعة ويغيب جسده ؟ .

**فأجاب ـ رحمه الله ـ :**

أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل ( الغوث ) الذي بمكة ، و( الأوتاد الأربعة )، و( الأقطاب السبعة )، و( الأبدال الأربعين ) ، و( النجباء الثلاثمائة ) ، فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال، فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب ﭬ ،مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : إن فيهم ـ يعني أهل الشام ـ الأبدال الأربعين رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله

تعالى مكانه رجلاً .

ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف ، كما هي على هذا الترتيب ، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب ، والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً ، وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ ، وقد قالها إما آثراً عن غيره أو ذاكراً . ا هـ.

**وقد أورد المحدِّث العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ عدَّة أحاديث في الأبدال في سلسلة الأحاديث الضعيفة وقال (٢ / ٣٣٩) :**

واعلم أن أحاديث الأبدال لايصح منها شيء وكلها معلولة وبعضها أشد ضعفاً من بعض . ا هـ.

**الحديث الأول :** عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : ( **خيار أُمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون، كلما مات رجل أبدل الله ـ عز وجل ـ من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانه،** قالوا : يا رسول الله دلنا على أعمالهم . **قال : يعفون عمن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويتواسون فيما آتاهم الله عز وجل** ) .

**قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في سلسة الأحاديث الضعيفة(٢/٣٣٥-٣٣٩):**

موضوع أخرجه أبو نعيم في الحلية ( ١ / ٨ ) من طريق الطبراني ، وعنه ابن الجوزي في الموضوعات ( ٣ / ١٥١ ) .

**الحديث الثاني :** عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : ( **الأبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً ، مثل إبراهيم خليل الرحمن ـ عز وجل ـ ، كلما مات رجل أبدل الله ـ تبارك وتعالى ـ مكانه رجلاً** ) .

**قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في السلسلة الضعيفة (٢ / ٣٤٠ / ٩٣٦) :**

حديث منكر رواه الإمام أحمد ( ٥ / ٣٢٢ ) والهيثم بن كليب في مسنده ( ١٥٩ / ١ـ٢ ) الخلال في كرامات الأولياء ( ق١ / ٢ ) وأبو نعيم في أخبار أصبهان

( ١ / ١٨٠ ) وعنه ابن عساكر في التاريخ ( ١ / ٦٧-٢ ) عن الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت مرفوعاً .

**وقال الإمام أحمد عقبه** : هو حديث منكر. اهـ.

**الحديث الثالث** : عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :( **إن الأبدال بالشام يكونون وهم أربعون رجلاً ، بهم تسقون الغيث ، وبهم تنصرون على أعدائكم ، ويصرف عن أهل الأرض البلاء والغرق** ) .

أخرجه الإمام أحمد( ١ / ١١٢ )وابن عساكر في تاريخ دمشق ( ١ / ٦٧ / ١ ).

قال العلامة الألباني : ضعيف، ونقل عن ابن عساكر أنه أعله بالإنقطاع بين شريح وعلي رضي الله عنه . اهـ. سلسلة الأحاديث الضعيفة ( ٦/ ٥٦٤ – ٥٦٥ /٢٩٩٣ ) .

كما أعله العلامة أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في تحقيق المسند .

**قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ كما في رسالته** : زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور ص ( ٦٢-٦٣ ) :

أما سؤال السائل عن القطب والغوث الفرد الجامع فهذا يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم حتى يقول : إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته .

فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه السلام والغالية في علي رضي الله عنه وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العقول العشرة الذين يزعمون أنها الملائكة وما يقوله النصارى في المسيح ونحو ذلك كفر صريح باتفاق المسلمين .

وكذلك أعنى بالغوث ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يسمونهم النجباء ، فينتقي منهم سبعون هم النقباء ، ومنهم أربعون هم

الأبدال ومنهم سبعة هم الأقطاب ومنهم أربعة هم الأوتاد ومنهم واحد وهو الغوث وأنه مقيم بمكة وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في رزقهم ونصرهم فزعوا إلى الثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وأولئك يفزعون إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الواحد .

وبعضهم قد يزيد في هذا وينقص في الأعداد والمراتب فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم أنه ينزل من السماء على الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت واسم خضره على قول من يقول منهم إن الخضر هو مرتبة وإن لكل زمان خضراً فإن لهم في ذلك قولين وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا من المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم .

ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين وأبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة . ا هـ.

**وقال ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (١١ / ٤٣٥ـ٤٣٨) :**

فالكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز الله بها الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وبذلك يتبين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست حقاً في كل زمان ، بل يجب القطع بأن هذا على عمومه وإطلاقه باطل .

فإن المؤمنين يقلون تارة ويكثرون أخرى ، ويقل فيهم السابقون المقربون تارة ويكثرون أخرى ، وينتقلون في الأمكنة، وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة .

وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن

فيهم هذه الأعداد ، ومن الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسُّنَّة والنصرة ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة ، وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وإن كان قد خرج منها بعد أن بويع فيها ، ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم .

ثم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين ، بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصي عدده ، إلا رب العالمين ، لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف .

ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد وكل من جعل لهم عدداً محصوراً فهو من المبطلين عمداً أو خطأً .

فنسأله : من كان القطب والثلاثة إلى سبعمائة في زمن آدم ونوح وإبراهيم وقبل محمد عليهم الصلاة والسلام في الفترة حين كان عامة الناس كفرة ؟

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا ﴾ [ النحل : ١٢٠ ] ، أي كان مؤمناً وحده وكان الناس جميعاً كفاراً .

وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة : ( ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك ) .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٤ ] .

وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا ﷺ نسألهم في أي زمان كانوا ؟، ومن أول هؤلاء ؟ ، وبأية آية ؟ ، وبأي حديث مشهور في الكتب الستة ؟ .

وبأي إجماع متواتر من القرون الثلاثة ثبت وجود هؤلاء بهذه الأعداد ، حتى

نعتقده ؟ ، لأن العقائد لا تعتقد إلا من هذه الأدلة الثلاثة ومن البرهان العقلي ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[ البقرة: ١١١ ] .

فإن لم يأتوا بهذه الأدلة الأربعة الشرعية فهم الكاذبون بلا ريب فلا نعتقد أكاذيبهم .

ويلزم منه أن يرزق الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكفار وينصرهم على عدوهم بالذات بلا واسطة ويرزق المؤمنين وينصرهم بواسطة المخلوقات . . . إلى أن قال : فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل .

ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلى السبعين ، والسبعون إلى الأربعين ، والأربعون إلى السبعة، والسبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث ، فهو كاذب ضال مُشرك .

فقد كان المشركون كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٦٧ ] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل : ٦٢ ] .

فكيف يكون المؤمنون يرفعون إليه حوائجهم بوسائط من الحجاب وهو القائل : ﴿ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾ [ البقرة : ١٨٦] .

وقال إبراهيم عليه السلام داعياً لأهل مكة : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) ﴾ [ إبراهيم : ٣٧-٣٩ ] .

وقال النبي ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر : ( **أيها الناس ،أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائباً ، وإنما تدعون سميعاً قريباً ، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته** ) .

وهذا باب واسع ... ثم قال - رحمه الله - :

وكذلك لفظ البدل جاء في كلام كثير منهم ، فأمَّا الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ فالإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام وكانت الشام والعراق دار كفر،ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه عليه السلام أنه قال : ( **تمرق مارقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق** ) فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام، ومعلوم أن الذين كانوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة ، مثل عمار بن ياسر وسهل بن حنيف ونحوهما ، كانوا أفضل من الذين كانوا مع معاوية وإن كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام ؟! ، هذا باطل قطعاً .

وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة فقد جعل الله لكل شيء قدراً .

**إلى أن قال - رحمه الله - :** والذين تكلموا باسم البدل فسروه بمعان :

**منها :** أنهم أبدال الأنبياء . ومنها : أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً .

**ومنها :** أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات .

وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا تحصر بأهل بقعة من الأرض ، وبهذا التحرير يظهر المعنى في اسم ( النجباء ) .

فالغرض أن هذه الأسماء ، تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف ، مثل تفسير بعضهم الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم ، فإن هذا نظير ماتقوله النصارى في الباب ، وهو معدوم العين والأثر شبيه

بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة .

وكذلك من فسر الأربعين الأبدال، بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم ، فذلك باطل، بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ، كما جاء الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم أيسهم له مثل ما يسهم لأضعفهم ؟ ، فقال : ( **ياسعد ، وهل تنصرون وترزقون إلابضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم** ) .

وقد يكون للرزق والنصر أسباب أُخر ، فإن الفجار والكفار أيضًا يرزقون وينصرون ، وقد يجدب الأرض على المؤمنين ويخيفهم من عدوهم لينيبوا إليه ويتوبوا من ذنوبهم، فيجمع لهم بين غفران الذنوب وتفريج الكروب .

وقد يملي للكفار ويرسل السماء عليهم مدراراً ، ويمددهم بأموال وبنين ، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، إما ليأخذهم في الدنيا أخذ عزيز مقتدر ، وإما ليضاعف عليهم العذاب في الآخرة ، فليس كل إنعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة ، قال الله تعالى : ﴿ **فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ⁽١٥⁾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ⁽١٦⁾ كَلاَّ** ﴾ [ الفجر : ١٥-١٧ ] .

وليس في أولياء الله المتقين ولاعباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين من كان غائب الجسد عن أبصار الناس ، بل هذا من جنس قول القائلين ، إن علياً في السحاب ، وإن محمد بن الحنفية في جبال رضوى، وإن محمد بن الحسن بسرداب سامراى ، وإن الحاكم بجبل مصر .

وأن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان ، فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان .

نعم قد تخرق العادة في حق الشخص فيغيب تارة عن أبصار الناس، إما لدفع عدو عنه وإما لغير ذلك .

وأما أن يكون هكذا طول عمره فباطل .

نعم يكون نور قلبه وهدى فؤاده ومافيه من أسرار الله تعالى وأمانته وأنواره ، ومعرفته غيباً عن أعين الناس ويكون صلاحه وولايته غيباً عن أكثر الناس فهذا هو الواقع ، وأسرار الحق بينه وبين أوليائه وأكثر الناس لا يعلمون . ا هـ.

**وقال الإمام الصنعاني ـ رحمه الله ـ في رسالته الإنصاف في حقيقة الأولياء (١٣-١٦) :**

**في القاموس :** الأبدال قوم بهم يقيم الله ـ عز وجل ـ الأرض وهم سبعون ، أربعون بالشام وثلاثون بغيره ، لا يموت أحدهم إلاقام مكانه آخر من سائر الناس .

**وفي النهاية من حديث علي :** الأبدال بالشام وهم الأولياء والعباد ، الواحد منهم بدل كجمل ، سمو بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بُدِّل بآخر .

**وفي التعريفات للمناوي :** أن الأبدال سبعة لا يزيدون ولا ينقصون ، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة،فكل بدل له إقليم فيه ولايته منهم،واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول ، والثاني على قدم الكليم ، والثالث على قدم هارون ،والرابع على قدم إدريس ، والخامس على قدم يوسف ، والسادس على قدم عيسى ، والسابع على قدم آدم على ترتيب الأقاليم ، وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها ، ولهم من الأسماء أسماء الصفات ، وكل واحد بحسب ما تعطيه حقية ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة . ا هـ.

**قلت ـ الصنعاني ـ :** وهذا افتراء على الله ، فإنه لم يأت عنه تعالى ولا عن رسوله حرف واحد من هذه الأقوال في هؤلاء السبعة ، ولم يأت في الأبدال إلا ماسنذكره لك قريباً من الأحاديث وفي كل منها مقال .

ومن عجائب مافي التعريفات ـ للجرجاني ـ أن الأوتاد أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون أحدهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر المغرب والآخر الجنوب ، والآخر الشمال ويعبر عنهم بالجبال لحكمهم في العالم حكم الجبال

في الأرض وألقابهم في كل زمن: عبد الحي وعبد العظيم وعبد القادر وعبد المريد .

**وفي التعريفات أيضاً :** القطب ويسمى الغوث باعتبار إلتجاء الواحد إليه عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في زمانه أعطاه الله الطلسم الأعظم من لدنه وهو يسري في الملكوت وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد بيده قسطاس الفيض الأعم ، وزنه يتبع علمه ،وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيات الغير المجعولة، تفيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل،وهو على قلب إسرافيل من حيث حصته الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث إنسانيته، وحكم جبرائيل فيه كحكم النفس الناطقة في النشأة الإنسانية ، وحكم ميكائيل فيه كحكم القوة الجاذبة فيها ، وحكم عزرائيل فيه كحكم القوة الدافعة فيها .

**وقال في التعريفات :**

النجباء ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون،عليهم أعلام القبول في أحوالهم ويغلب عليهم الحال بتغيير اختيارهم،هم أهل علم الصفات الثمانية، ومن لهم الكرسي لا يتعدونه مادموا نجباء ، ولهم القدم الراسخ في علم تسيير الكواكب كيفاً واطلاعاً لا من جهة طريقة علماء هذا الشأن ، والنجباء هم الذين حازوا علم الفلك التاسع . انتهى كلامه .

وإنما نقلناه بألفاظه ليعلم من يقف عليه ممن له بقية نظر لدينه ولإيمانه بالله ورسوله وما جاءت به الرسل أن هذه النقولات كلها مجانبة لما جاءت به الرسل ولما وردت به كتب الله المنزلة .

وأن هذه نقطة من نقاط المعطلين لله ولرسله وأنها من كلمات العبَّاد للعباد وأن هذا عائد إلى قول من يقول بإلاهية الأفلاك والكواكب .

وانظر تلعُّبه بملائكة الله بل إنكارهم وهروبهم نعوذ بالله من الخذلان .

فهؤلاء أولياء الله عند هؤلاء المبتدعة بل المعطلة، وانظر بالله عليك إن كان فيك بقية من عقل : كم بين وصف عيسى عليه السلام لأولياء الله ـ الذي سبق حديثه في

أول هذه الرسالة ـ من الخشوع والعبادة والزهادة وبين وصف هؤلاء لمن وصفوه بمشاركة الله في التصرف في العالم بل إن العالم قد استغنى بهم عن الله .

وانظر كلام رسل الله ، فإن نوحاً يقول لقومه : ﴿ **وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ [ هود : ٣١ ] .

ومحمد ﷺ يقول الله له : ﴿ **قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ** ﴾ [الأنعام: ٥٠ ] .

وهؤلاء الضلال جعلوا الملائكة الأربعة أبعاضاً لهؤلاء الأقطاب وكل هذه الألفاظ من الأقطاب وغيرها مبتدعة اصطلاحية لم تأتِ سنة بها ولا كتاب ولا لغة إلاالأبدال كما أفاده القاموس والنهاية،لأنه قد روي ذلك على أحاديث،ثم ذكرها ـ رحمه الله ـ ثم قال : فهذه الأحاديث في الأبدال في صحتها عند أهل الحديث مقال .

وإن سلمنا صحة الأحاديث في ذلك فإنه لم يجعل الله لهم علامة يعرفون بها بأعيانهم اتفاقاً ، فلا يعرف أن الشخص من الأبدال حتى نعتقد أنه وليُّ الله الولاية الخاصة التي يزعمون ، وإلا فالمؤمنون المتقون أولياء الله ، قال تعالى : ﴿ **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [ الأنفال : ٣٤ ] ، على أحد الوجهين ، في الآية كما في البيضاوي فهو مثل آية يونس التي قدمناها .

وإنما حصرت أولياؤه على المتقين ، فالمتقي هو الولي، وغير المتقي لا يكون ولياً ، والمتقي هو المؤمن الآتي بالواجبات المجتنب المقبحات . ا هـ.

وإنما توسعت في هذه الفقرة ونظائرها فيما سبق لعموم البلوى في هذا الزمن بهؤلاء المبتدعة الضلال بتأييد من اليهود والنصارى وأذنابهم .

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكفينا وجميع المسلمين شرورهم بما شاء وكيف شاء ، هو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

**وقوله : (وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم) .**

أي وأهل السُّنَّة والجماعة أئمة الدين . . .إلخ .

وذلك لأن هذه الفرقة الناجية المنصورة مظنة لكل خير،وأهلها وسط بين كل فرق الضلال، ففيهم أئمة الدين من العلماء الربانيين الذين جمعوا بين العلم والعمل والدعوة إليها ،والصبر على الأذى في سبيل ذلك ، فكانوا قدوة لغيرهم وكانوا كلمة وفاق بين المسلمين ،كابن المبارك ومالك والشافعي وأحمد وابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب ، وفي هذا العصر كابن باز والألباني وابن عثيمين .

ولا يطعن في هؤلاء إلا أهل البدع والأهواء ، لأن هؤلاء أعلام الدعوة السلفية الإصلاحية ورموزها وقادتها والدعوة السلفية هي دين الله الحق كتاب وسُنَّة على فهم السلف الصالح التي تحمل الخير لكل العباد حاكمهم ومحكومه، مذكرهم وأنثاهم ، صغيرهم وكبيرهم .

ولا يدعي أهل السُّنَّة والجماعة لعلمائهم وأئمتهم العصمة، ولا يعارضون الكتاب والسُّنَّة بأقوالهم ، بل يقولون ما قال به أئمتهم مثل ما قاله الشافعي ـ رحمه الله ـ :

أجمع العلماء على أن من استبانت له السُّنَّة لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائناً من كان .

**وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ :** كلٌّ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ـ يعني رسول الله ﷺ ـ .

**وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ :** لا تقلدني ولا تقلد الثوري ولا الأوزاعي ، ولكن انظر من حيث أخذوا وخذ من حيث أخذوا .

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :**

اتفق الأئمة اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ، وعلى أن كل أحدٍ يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ .

**وقال ـ رحمه الله ـ :** من فارق الدليل ضل السبيل .

وعلى هذا درج علماءأهل السُّنَّة سلفاً وخلفاً وكان هذا من أظهر الأدلة على هدايتهم ودرايتهم حيث لم يربطوا الناس إلا بالحق الذي هو دين الله .

**وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ كما في مجموع الفتاوى (٤٣/١١) :** له في الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ، ويحمد في جماهير أجناس الأمة ، فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى ، وغلطهم قليل بالنسبة إلى صوابهم وعامته من موارد الاجتهاد التي يعذرون فيها ، وهم الذين يتبعون العلم والعدل ، فهم بعداء عن الجهل والظلم وعن اتباع الظن وما تهوى الأنفس . اهـ.

**وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ :**

**( لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة ) .**

**قوله ـ رحمه الله ـ :** ( وهم الطائفة المنصورة ) .

**قال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٦٨٩ـ٦٩٠) :**

يعني أهل السُّنَّة والجماعة هم الطائفة المنصورة التي نصرها الله عز وجل لأنهم داخلون في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** (٥١) ﴾ [ غافر : ٥١ ] .

فهم منصورون والعاقبة لهم ، ولكن لابد قبل النصر من معاناة وتعب وجهاد لأن النصر يقتضي منصوراً ومنصوراً عليه، إذاً لابد من مغالبة ولابد من محنة ولكن كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

الحق منصــور وممتــحن فــلا تعـجب فـهـذي سنة الرحـمن

فلا يلحقك العجز والكسل إذا رأيت أن الأمور لم تتم لك بأول مرة ، بل اصبروكرر مرة بعد أخرى ، واصبر على ما يقال فيك من استهزاء وسخرية لأن أعدء الدين كثيرون .

لاينثني عزمك أن ترى نفسك وحيداً في الميدان فأنت الجماعة وإن كنت واحداً مادمت على الحق ولهذا ثق بأنك منصور إما في الدنيا وإما في الآخرة .

ثم إن النصر ليس نصر الإنسان بشخصه بل النصر الحقيقي أن ينصر الله ماتدعوا إليه من الحق،أما إذا أصيب الإنسان بذلٍّ في الدنيا، فإن ذلك لا ينافي النصر أبداً ، فالنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوذيَ إيذاءً عظيماً ، لكن في النهاية انتصر على من آذاه ، ودخل مكة منصوراً مؤزراً ظافراً ، بعد أن خرج منها خائفاً . ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ :** الذين قال فيهم النبي ﷺ : **( لا تزال طائفة من أمتي على**

**الحق ظاهرين .... الحديث )** .

هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم بنحو ما ساقه المؤلف ـ رحمه الله ـ عن عدة من الصحابة .

ومن ذلك مارواه البخاري ومسلم ،واللفظ لمسلم عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم ، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس** ) .

وعند مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**) .

وفي البخاري ومسلم ، واللفظ لمسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون** ) .

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح صحيح مسلم (١٣ / ٦٨ـ٦٩) :**

وأما هذه الطائفة فقال البخاري : هم أهل العلم ، وقال أحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم .

**قال القاضي عياض :** إنما أراد أحمد أهل السُّنَّة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث .

**قلت :** ويحتمل أن هذه الطائفة مفرَّقة بين أنواع المؤمنين منهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومنهم محدثون ومنهم زهاد وآمرون بالمعروف ، وناهون عن المنكر ، ومنهم أهل أنواع أخرى من الخير ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض .

وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة ، فإن هذا الوصف مازال بحمد الله تعالى من زمن النبي ﷺ إلى الآن ، ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث . ا هـ.

**وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز الناصر الرشيد ـ رحمه الله ـ في التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ص (٣٥٥) :**

**وفي الحديث :** الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، وفيها البشارة أن الحق لا يزول بالكلية، قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ، واحتج به أحمد على أن الإجتهاد لا ينقطع ، وأن هذه الطائفة موجودة ، واستدل به أيضاً على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، ولا ترتد جميعها ، بل لابد أن يبقي الله من المؤمنين من هو ظاهر إلى قيام الساعة ، فإذا مات كل مؤمن فقد جاءت الساعة . ا هـ.

**وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص (٦٩١) :**

فقوله ﷺ : ( **لا تزال طائفة من أمتي على الحق** ) : يعني تستمر على الحق . وهذه الطائفة غير محصورة بعدد ولا مكان ولا بزمان ، يمكن أن تكون بمكان تنصر فيه في شيء من أمور الدين وفي مكان آخر تنصر فيه طائفة أخرى وبمجموع الطائفتين يكون الدين باقياً منصوراً مظفراً .

وقوله ﷺ : ( **لا يضرهم** ) ولم يقل: لا يؤذيهم ، لأن الأذية قد تحصل لكن لا تضر ، وفرق بين الضرر والأذى ، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي : ( **ياعبادي ، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني** ) .

وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴿٥٧﴾ ﴾ [ الأحزاب : ٥٧ ] .

وفي الحديث القدسي : ( **يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر** ) .

فأثبت الأذى ونفى الضرر ، وهذا ممكن ألا ترى الرجل يتأذى برائحة البصل ونحوه ولا يتضرر بها ) . ا هـ.

## فـــائدة :

لا تعارض بين هذه الأحاديث وبين قوله ﷺ : ( **لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق** ) ، وقوله ﷺ : ( **لا تقوم الساعة حتى لا يُقال : الله الله في الأرض** ) .

فإن قوله ﷺ :( **لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق** )وفي بعض الروايات إلى قيام الساعة كما قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم ( ١٣ / ٦٨ ) :

حتى يأتي أمر الله من الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة ، وأن المراد برواية من روى حتى تقوم الساعة : أي تقرب الساعة وهو خروج الريح . ا هـ.

**وهناك قول آخر :** وهو أن المراد بقيام الساعة : قيام ساعتهم وذلك بموتهم .

**وقد ذكر العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في شرح الواسطية ص(٦٩٢) القولين ثم قال :**

ولكن القول الأول أصح لأنه إذا قال : ( **حتى تقوم الساعة** ) فقد تقوم ساعاتهم قبل الساعة العامة بأزمنة طويلة ، وظاهر الحديث أن هذا النصر سيمتد إلى آخر الدنيا، فالصواب أن المراد بذلك إلى قرب قيام الساعة ، والله أعلم. ا هـ.

**فنسأل الله العظيم أن يجعلنا منهم ، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، وأن يهب لنا من لدنه رحمــة إنه هو الوهــاب ، والله أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .**

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( فنسأل الله أن يجعلنا منهم ) .**

أي من أهل السُّنَّة والجماعة الطائفة المنصورة الذين فيهم الأبدال وأئمة الدين ونشهد الله ومن اطلع على هذا أننا نعتقد أن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ من أئمة أهل السُّنَّة والجماعة نصر الله به الدين ، وقمع به المبتدعين ، نحسبه كذلك والله حسيبه ، ونسأل الله العظيم الكريم الحكيم أن يمن علينا كما منَّ عليه ، وأن يجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين ، إنه جواد كريم بر رحيم .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ) .**

**الزيغ :** هو الميل عن الاستقامة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [ الصف : ٥ ] انظر المفردات للأصفهاني ص ( ٢٢٢ ) .

**والقلب إنما سمِّي قلباً لتقلبه كما قيل :**

مـا سمي القلب إلا من تقلبه ماحذرعلى القلب من قلب وتحويل

وقد كان أكثر يمينه ﷺ : **( لا ومقلب القلوب )** .

وكان ﷺ وهو رسول الله المؤيد بالوحي يكثر من قول : **( يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك )** .

وكان يستعيذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر .

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( بعد إذ هدانا )** . أي وفقنا وألهمنا رشدنا .

**قوله : ( وأن يهب لنا )** : أي يعطينا ويتفضل علينا .

**قوله : ( من لدنه )** : أي من عنده .

**( رحمة )** أي تصلح بها أحوالنا،وتثبت بها قلوبنا ، وتسدد بها أقوالنا وأعمالنا .

(**الوهاب**) : قال العلامة السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :أي كثير الفضل والهبات .

ولقد وفق شيخ الإسلام رحمه حين جاء بهذا الدعاء المناسب في هذا المقام المقتبس من قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** (٨) ﴾ [ آل عمران ٨ ] .

وهذه الآية جاءت بعد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنزاله الكتاب وانقسام الناس فيه إلى زائغين ومستقيمين ، ولذلك قال العلامة السَّعدي ـ رحمه الله ـ في تفسيره :

ولما كان المقام مقام انقسام إلى منحرفين ومستقيمين دعوا الله تعالى أن يثبتهم على الإيمان ، فقالوا : ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا** ﴾ أي لا تملها عن الحق إلى باطل.

﴿ **بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً** ﴾ ، تصلح بها أحوالنا ﴿ **إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ أي كثير الفضل والهبات .

وذلك أن الله تعالى ذكر عن الراسخين أنهم يسألونه أن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم ، وقد أخبر في آيات أخر عن الأسباب التي بها تزيغ قلوب أهل الانحراف وأن ذلك بسبب كسبهم كقوله : ﴿ **فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم** ﴾ [ التوبة : ١٢٧ ] .

وقوله : ﴿ **وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** (١١٠) ﴾ [ الأنعام : ١١٠ ] .

فالعبد إذا تولى عن ربه ووالى عدوه ورأى الحق فصدف عنه ، ورأى الباطل فاختاره ، ولاه الله ما تولى لنفسه ، وأزاغ قلبه عقوبة له على زيغه وما ظلمه الله ، ولكنه ظلم نفسه ، فلا يلم إلا نفسه الأمارة بالسوء ، والله أعلم . ا هـ.

**قوله ـ رحمه الله ـ : ( والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ) .**

قد سبق الكلام على الحمد وعلى معنى الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، وعلى الصحب والآل ، والحمد لله على إعانته وتوفيقه .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [ البقرة : ١٢٧ ] .

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [ البقرة : ١٢٨ ] .

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [ آل عمران ٨ ] .

﴿ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [ آل عمران : ١٩٣-١٩٤ ] .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

# فهرس

رقم الصفحة

| | |
|---|---|
| ❁ المقدمة | ٥ |
| ❁ سبب تأليف العقيدة الواسطية | ١٦ |
| ❁ سبب افتتاح المصنف كتابه بالبسملة | ١٦ |
| ❁ تعريف الحمد | ١٨ |
| ❁ أنواع الحمد | ١٨ |
| ❁ الفرق بين الحمد والشكر | ١٩ |
| ❁ الفرق بين الحمد والمدح | ٢٠ |
| ❁ الفرق بين الحمد والمدح والثناء والمجد | ٢١ |
| ❁ المراد بالهدى ودين الحق | ٢٣ |
| ❁ قوله : ليظهره على الدين كله | ٢٥ |
| ❁ **قوله:** وكفى بالله شهيدا | ٢٦ |
| ❁ معنى شهادة أن لا إله إلا الله | ٢٩ |
| ❁ معنى شهادة أن محمداً رسول الله | ٣٣ |
| ❁ معنى الصلاة على النبي ﷺ | ٣٥ |
| ❁ تعريف الفرقة الناجية المنصورة | ٣٦ |
| ❁ المراد بأهل السُّنَّة والجماعة | ٣٧ |
| ❁ أركان الإيمان | ٤٢ |
| ❁ الإيمان بالله وما يتضمن | ٤٣ |

✿ الإيمان بالملائكة وما يتضمن ........ ٤٣
✿ الإيمان بالكتب وما يتضمن ........ ٤٤
✿ الإيمان بالرسل وما يتضمن ........ ٤٧
✿ الإيمان بالبعث ........ ٥٠
✿ الإيمان بالقدر خيره وشره ........ ٥٣
✿ الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله ........ ٥٤
✿ معنى التحريف ........ ٥٥
✿ معنى التعطيل ........ ٦٠
✿ الفرق بين التعطيل والتحريف ........ ٦١
✿ معنى التكييف ........ ٦١
✿ معنى التمثيل ........ ٦٤
✿ **قوله:** بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء ........ ٦٥
✿ **قوله:** فلا ينفنون عنه ما وصف به نفسه ........ ٦٩
✿ **قوله:** ولا يحرفون ........ ٦٩
✿ **قوله:** ولا يلحدون ........ ٧١
✿ الإلحاد في أسماء الله ........ ٧١
✿ الإلحاد في آيات الله ........ ٧٢
✿ **قوله:** ولا يكيفون ولا يمثلون ........ ٧٥
✿ **قوله:** لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له ولا ند له ........ ٧٨
✿ **قوله:** ولا يقاس بخلقه ........ ٧٩
✿ أقسام القياس ........ ٧٩
✿ **قوله:** ثم رسله صادقون مصدقون ........ ٨١

- **قوله:** وهو سبحانه قد جمع فيما وصف به نفسه ........ ٨٣
- **قوله:** فلا عدول لأهل السُّنَّة عما جاء به المرسلون ........ ٨٦
- **قوله:** وقد دخل في هذه الجملة ........ ٨٧
- الكلام على سورة الإخلاص ........ ٨٨
- وجه كونها تعدل ثلث القرآن ........ ٨٨
- هل تعدل سورة الإخلاص ثلث القرآن في الجزاء أم في الإجزاء ........ ٨٩
- **قوله:** وما وصف به نفسه في أعظم آية ........ ٩٣
- ما تضمنته آية الكرسي من الأسماء والصفات ........ ٩٣
- إثبات إسم الأول والآخر والظاهر والباطن لله واتصافه بها ومعناها ........ ١٠٠
- إثبات صفة الحياة لله ........ ١٠٢
- معنى التوكل ........ ١٠٢
- **قوله:** ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ **وقوله:** ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ........ ١٠٦
- أنواع الحكمة ........ ١٠٧
- إثبات صفة العلم لله والأدلة عليها ........ ١١٠
- قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ ........ ١١٥
- أقسام الرزق ........ ١١٥
- أنواع السعي إلى الرزق ........ ١٢١
- إثبات صفة القوة لله ........ ١٢٢
- إثبات صفة المتانة لله ........ ١٢٣
- إثبات صفة السمع والبصر لله ........ ١٢٤
- أقسام السمع ........ ١٢٥
- **قوله:** ﴿ **إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ ........ ١٢٨

- إثبات صفتي المشيئة والقدرة لله ........ ١٣٠
- أنواع الإرادة والفرق بينها ........ ١٣٠
- إثبات صفتي المحبة والمودة لله ........ ١٣٤
- هل المحبة ترادف المشيئة ........ ١٣٦
- الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها ........ ١٤٢
- إثبات صفة الرحمة لله ........ ١٤٦
- أقسام الرحمة المضافة إلى الله ........ ١٤٦
- إثبات صفة الرضى الغضب والسخط والكره والمقت لله ........ ١٥٤
- صفة الرضى ........ ١٥٤
- صفة اللعن والغضب ........ ١٥٧
- صفة السخط ........ ١٦٢
- صفة الكره ........ ١٦٣
- صفة المقت ........ ١٦٣
- إثبات صفة المجيء والإتيان لله ........ ١٦٥
- إثبات صفة الوجه لله ........ ١٦٩
- إثبات اليدين لله ........ ١٧٧
- إثبات العينين لله ........ ١٨٦
- إثبات صفة السمع والبصر لله ........ ١٩٤
- إثبات صفة المكر والكيد والمحال لله ........ ٢٠٢
- إثبات صفة العفو والرحمة والقدرة لله ........ ٢٠٨
- الفرق بين العفو والصفح ........ ٢١١
- إثبات صفة العزة لله ........ ٢١٣

❁ معان العزة ........................................ ٢١٥
❁ إثبات الإسم لله قوله: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ .......... ٢١٧
❁ الصفات المنفية في تنزيه الله ونفي المثل عنه .......................... ٢٢١
❁ **قوله:** ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ .......................... ٢٢٦
❁ **قوله:** ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .......... ٢٢٧
❁ نفي الولد والشريك عن الله .......................... ٢٢٩
❁ **قوله:** ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ ﴾ .......... ٢٣٣
❁ إثبات استواء الله على عرشه .......................... ٢٣٥
❁ تعريف العرش .......................... ٢٣٥
❁ تفسير الاستواء عند أهل التعطيل والتأويل والرد عليهم .......................... ٢٤١
❁ شبهات والجواب عنها .......................... ٢٤١
❁ إثبات صفة العلو لله .......................... ٢٤٨
❁ فائدة في الفرق بين العلو والاستواء .......................... ٢٤٩
❁ تنوع دلالات القرآن على علو الله .......................... ٢٤٩
❁ أدلة السُّنَّة القولية على علو الله .......................... ٢٥٣
❁ أدلة السُّنَّة الفعلية على علو الله .......................... ٢٥٣
❁ أدلة السُّنَّة التقريرية على علو الله .......................... ٢٥٤
❁ إثبات صفة معيّة الله لخلقه .......................... ٢٦٠
❁ مباحث في معيّة الله لخلقه .......................... ٢٦١
**المبحث الأول:** في أدلة ثبوتها .......................... ٢٦١
**المبحث الثاني:** في أقسامها .......................... ٢٦١
**المبحث الثالث:** أنها معيّة حقيقية .......................... ٢٦٤

**المبحث الرابع:** هل المعيّة من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية..... ٢٦٥
**المبحث الخامس:** ما معنى المعيّة وهل تختلف أحكامها بحسب اختلاف مواردها؟ ٢٦٦
**المبحث السادس:** في شبهة القائلين بأن الله معنا في أمكنتنا والرد عليهم ٢٦٨
**المبحث السابع:** في المعيّة هل بينها وبين العلو تناقض؟................ ٢٧٠
❁ إثبات صفة الكلام لله وأن القرآن من كلام الله................ ٢٧٥
❁ إثبات أن القرآن منزل من عندَ الله................ ٢٨٣
❁ إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة................ ٢٩٢
❁ أقسام الناس في الرؤية................ ٢٩٤
❁ أدلة نفاة الرؤية................ ٢٩٧
❁ شبهة من شبه المعطلة للرؤية................ ٣٠٣
❁ قول المؤلف: وهذا الباب في كتاب الله كثير................ ٣٠٥
**فصل:** السُّنَّة تفسر القرآن وتبينه................ ٣٠٧
❁ حديث إثبات نزول الله إلى السماء الدنيا كل ليلة................ ٣١٠
**مباحث في صفة النزول**................ ٣١١
**المبحث الأول**................ ٣١١
**المبحث الثاني**................ ٣١٣
**المبحث الثالث**................ ٣١٥
**المبحث الرابع**................ ٣١٦
**مسألة:** عند نزول الله إلى السماء الدنيا هل يخلو منه العرش أم لا؟........ ٣٢٠
❁ حديث في إثبات صفة الفرح لله................ ٣٢٣
❁ حديث في إثبات صفة العجب لله................ ٣٢٦
❁ حديث في إثبات صفة الضحك لله................ ٣٢٩

❁ حديث في إثبات صفة الرجل لله ........ ٣٣٣
❁ حديث في إثبات الكلام والنداء والصوت لله ........ ٣٣٧
❁ أحاديث في إثبات العلو لله ........ ٣٤٠
❁ أحاديث في إثبات المعية ........ ٣٤١
❁ حديث في إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ........ ٣٤٧
**فصل:** مكانة أهل السُّنَّة والجماعة بين فرق الأمة واتصافهم بالوسطية ........ ٣٥٠
❁ وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في باب الأسماء والصفات ........ ٣٥٣
❁ وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في أسماء الإيمان والدين ........ ٣٦١
❁ منشأ النزاع في مسائل الأسماء والأحكام ........ ٣٦١
❁ وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ ........ ٣٦٥
**فصل:** في المعيّة وبيان الجمع بينها وبين علو الله واستوائه على عرشه ........ ٣٧٠
❁ تنزيه الله عن الظنون الكاذبة ........ ٣٧٣
**فصل:** في قرب الله ومعيته وأن ذلك لا ينافي علوه وفوقيته ........ ٣٧٧
**فصل:** في الإيمان بأن القرآن كلام الله حقيقة ........ ٣٨٤
**فصل:** الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ........ ٣٩٤
❁ رؤية الله ـ سبحانه ـ في عرصات القيامة والجنة ........ ٣٩٥
**فصل:** في الإيمان باليوم الآخر ........ ٣٩٩
❁ فتنة القبر وفيها عدة مباحث ........ ٤٠١
**المبحث الأول:** معنى هذه الفتنة ........ ٤٠١
**المبحث الثاني:** عظمة هذه الفتنة والدليل عليها ........ ٤٠١
**المبحث الثالث:** هل تعاد روح الميت إليه في قبره وقت السؤال أم لا؟ ........ ٤٠٤
**المبحث الرابع:** هل سؤال الميت في قبره خاص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها؟ ........ ٤٠٧

**المبحث الخامس:** هل السؤال في القبر عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار أم يختص بالمسلم والمنافق؟ ........ ٤٠٩
**المبحث السادس:** هل يستثنى من فتنة القبر أحد؟ ........ ٤١٣
**المبحث السابع:** في اسم الملكين الذين يسألان الميت وصفتهما ........ ٤١٧
**المبحث الثامن:** هل تحصل هذه الفتنة بمجرد خروج الروح أم بعد أن يسلم الأحياء الميت إلى عالم الآخرة؟ ........ ٤١٨
❁ مسألة عذاب القبر ونعيمه وفيها عدة مباحث ........ ٤٢١
**المبحث الأول:** في أدلة ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا ........ ٤٢٢
**المبحث الثاني:** في ذكر من ضل في أمر البرزخ ........ ٤٢٥
**المبحث الثالث:** ما الحكمة في كون عذاب القبر لم يذكر صريحاً في القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ........ ٤٢٦
**المبحث الرابع**: هل عذاب القبر يقع على الروح والبدن أم على البدن فقط ٤٢٩
**المبحث الخامس:** الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه وسعته وضيقه ٤٣٢
**المبحث السادس:** هل عذاب القبر دائم أم منقطع؟ ........ ٤٤٧
**المبحث السابع:** عذاب القبر يناله من هو مستحق له سواء قبر أم لم يقبر ٤٤٩
**المبحث الثامن:** ما الأسباب التي يعذب بها أصحاب القبور؟ ........ ٤٥٢
**المبحث التاسع:** ماهي الأسباب المنجية من عذاب القبر؟ ........ ٤٥٦
**فصل:** في القيامة الكبرى ........ ٤٦٠
❁ معنى القيامة الكبرى وسبب تسميتها بذلك ........ ٤٦٠
❁ إعادة الأرواح إلى الأجساد ........ ٤٦١
❁ براهين البعث ........ ٤٦٥
❁ حكم منكر البعث ........ ٤٦٩

- قيام الناس من قبورهم ........ ٤٧٠
- دنو الشمس مقدار ميل ........ ٤٧١
- نصب الموازين ........ ٤٧٤
- مباحث في الميزان ........ ٤٧٤

**المبحث الأول:** تعريف ........ ٤٧٤

**المبحث الثاني:** أدلة إثباتِ الميزان الحقيقي يوم القيامة ........ ٤٧٥

**المبحث الثالث:** في كيفية الميزان ........ ٤٧٧

**المبحث الرابع:** في الحكمة من وزن الأعمال ........ ٤٧٨

**المبحث الخامس:** من هم الذين لم يثبتوا الميزان حقيقة يوم القيامة والرد عليهم ٤٧٩

**المبحث السادس:** ما الذي يوزن؟ ........ ٤٨٢

**المبحث السابع:** هل هو ميزان واحد أم متعدد؟ ........ ٤٨٥

**المبحث الثامن:** هل يستثنى أحد فلا توزن أعماله؟ ........ ٤٨٧

**المبحث التاسع:** متى يكون وزن الأعمال؟ ........ ٤٨٨

**المبحث العاشر:** في الأثر المسلكي للإيمان بالميزان ........ ٤٨٩

- الحوض المورود وصفته ........ ٤٩٠
- مرور الناس على الصراط على قدر أعمالهم ........ ٤٩٦
- وقوف الناس على قنطرة بين الجنة والنار ........ ٤٩٨
- أول من يدخل من الأمم أمة محمد ﷺ ........ ٥٠٠
- شروط الشفاعة الصحيحة ........ ٥٠١
- شفاعات النبي ﷺ : الشفاعة العظمى ........ ٥٠٢
- الشفاعة في دخول أهل الجنة الجنة ........ ٥٠٤
- الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها ........ ٥٠٦

**قوله:** ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة ........ ٥٠٩
❁ الإيمان بوجود الجنة والنار وأبديتهما ........ ٥١٢
**فصل:** في الإيمان بالقدر ........ ٥١٥
❁ درجات الإيمان بالقدر ........ ٥٢١
❁ **الدرجة الأولى:** الإيمان بأن الله عالم ما الخلق عاملون ........ ٥٢١
❁ الإيمان بأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ ........ ٥٢٤
❁ مواضع التقدير التابع لعلمه ........ ٥٢٧
❁ **الدرجة الثانية:** درجة المشيئة والقدرة ........ ٥٣٣
❁ قدرة الله على كل شيء من الموجودات والمعدومات ........ ٥٣٦
❁ أمر الله بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم عن معصيته ........ ٥٤١
❁ العباد فاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم ........ ٥٤٨
**فصل:** في الإيمان ........ ٥٥٨
❁ الإيمان قول وعمل ........ ٥٥٩
❁ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ........ ٥٦٣
**فصل:** في زيادة الإيمان ونقصانه ........ ٥٦٩
❁ أسباب زيادة الإيمان ........ ٥٧٢
❁ أسباب نقص الإيمان ........ ٥٧٧
❁ أهل السُّنَّة والجماعة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والذنوب ........ ٥٨٠
❁ الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي ........ ٥٨٥
❁ أهل السُّنَّة والجماعة لا يسلبون الفاسق الملي الإيمان بالكلية ........ ٥٩٣
**فصل:** موقف أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ........ ٦٠١
❁ النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم ........ ٦١١

- حكم من سب الصحابة ........ ٦١٢
- **مسألة:** الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول بإجماع العلماء ........ ٦١٥
- فضائل ومراتب الصحابة رضي الله عنهم ........ ٦١٨
- فضل من أنفق قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل ........ ٦٢١
- فضل المهاجرين على الأنصار ........ ٦٢١
- فضل أهل بدر ........ ٦٢٣
- فضل أصحاب الشجرة ........ ٦٢٥
- الشهادة بالجنة لمن شهد له النبي ﷺ ........ ٦٢٧
- خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما ........ ٦٣٠
- اختلاف أهل السُّنَّة والجماعة في المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما ........ ٦٣٨
- حكم تقديم علي على عثمان رضي الله عنهما في الخلافة ........ ٦٤١
- من أصول أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله ﷺ ........ ٦٤٣
- من هم آل بيت النبي ﷺ ........ ٦٤٦
- فضل نسب النبي ﷺ ........ ٦٥٤
- من أصول أهل السُّنَّة والجماعة أنهم يتولون أزواج رسول الله ﷺ ........ ٦٥٦
- فضل خديجة رضي الله عنها ........ ٦٥٧
- فضل عائشة رضي الله عنها ........ ٦٦١
- المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما ........ ٦٦٢
- البراءة من طريقة الروافض والنواصب ........ ٦٦٣
- بيان عجز الروافض عن دفع ظلم وبغي النواصب ........ ٦٦٥
- الطعن في الصحابة طعن في القرآن والسُّنَّة ........ ٦٦٨
- الطعن في الصحابة طعن في الإسلام ........ ٦٦٩

| | |
| --- | --- |
| ❁ الطعن في الصحابة طعن في رسول الله ﷺ | ٦٧٠ |
| ❁ الطعن في الصحابة طعن في حكمة الله | ٦٧٠ |
| ❁ سبب تسمية الرافضة بهذا الاسم | ٦٧١ |
| ❁ فصل في تكفير الرافضة لخيار الصحابة الأكرمين وسادات العلماء والربانين وإعانتهم للكفار على المسلمين | ٦٧١ |
| ❁ الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم | ٦٧٩ |
| ❁ من أصول أهل السُّنَّة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء | ٦٨٦ |
| ❁ الأنبياء أفضل من الأولياء بالإجماع | ٦٧٨ |
| ❁ كرامات الأولياء إنما حصلت ببركة اتباع الأنبياء | ٦٨٨ |
| ❁ أنواع الكرامات | ٦٩٠ |
| ❁ أقسام الناس في خوارق العادات | ٦٩١ |
| ❁ خوارق العادات قد تجري على أيدي بعض الكفار والمنافقين والمبتدعين | ٦٩٢ |
| ❁ الفرق بين كرامات أولياء الرحمن وبين ما يشبهها من خوارق وأحوال أولياء الشيطان | ٦٩٤ |
| ❁ دلالات كرامات الأولياء | ٧٠٠ |
| ❁ الكرامات موجودة فيما سبق من الأمم وفي هذه الأمة | ٧٠١ |
| ❁ فصل في طريقة أهل السُّنَّة العملية | ٧٠٩ |
| ❁ أهل السُّنَّة يعتقدون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ | ٧١٧ |
| ❁ الأصل الثالث: الإجماع | ٧١٩ |
| ❁ هل يكفر مخالف الإجماع | ٧٢٠ |
| ❁ هل صح عن الإمام أحمد أنه قال: من ادعى الإجماع فقد كذب | ٧٢١ |

**فصل :** في منهج أهل السُّنَّة والجماعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من الخصال ........ ٧٢٤
✿ حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ........ ٧٢٦
✿ هل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص بولاة الأمور ........ ٧٢٧
✿ من هو الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ........ ٧٢٧
✿ مراتب إنكار المنكر وضوابطه ........ ٧٢٨
✿ صفات الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر ........ ٧٣٠
✿ غربة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن النووي فكيف بزماننا ........ ٧٣٠
✿ إقامة الحج والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ........ ٧٣١
✿ المحافظة على إقامة الجماعات في الصلوات ........ ٧٣٢
✿ النصح للأمة ........ ٧٣٣
✿ المؤمن للمؤمن كالبنيان ........ ٧٣٧
✿ الصبر عند البلاء ........ ٧٣٩
✿ الشكر عند الرخاء ........ ٧٣٩
✿ الرضى بمر لقضاء ........ ٧٤٠
**مسألة :** هل يجب الرضى بالقضاء مطلقاً ........ ٧٤١
✿ الدعوة إلى مكارم الأخلاق ........ ٧٤٢
✿ الأمر ببر الوالدين وصلة الأرحام ........ ٧٤٥
✿ الأمر بحسن الجوار ........ ٧٤٦
✿ الأمر بالإحسان إلى اليتامى والمساكين ........ ٧٤٧
✿ وابن السبيل والرفق بالمملوك ........ ٧٤٧
✿ النهي عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ٧٤٩

- يأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسفها ........ ٧٥٢
- أهل السُّنَّة والجماعة متبعون للكتاب والسُّنَّة ........ ٧٥٢
- إخبار الرسول ﷺ أن أُمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ........ ٧٥٣
- الثنتين والسبعين فرقة ليست خارجة عن الإسلام ........ ٧٧٥
- هل ظهرت الفرق كلها أم بعضها ........ ٧٥٥
- أهل السُّنَّة والجماعة فيهم الصديقون والشهداء والصالحون ........ ٧٥٧
- أهل السُّنَّة والجماعة فيهم الأبدال ........ ٧٥٩
- أهل السُّنَّة والجماعة أئمة الدين ........ ٧٧٠
- أهل السُّنَّة والجماعة هم الطائفة المنصورة ........ ٧٧٢
- الخاتمة ........ ٧٧٨
- الفهرس ........ ٧٧٩